

مِثْقَالُ الْمَشْتُونِ

فِي فَسْخِ رِسَالَةِ الْبُزْزِغَانِ

مُخْلِيلِ بْنِ أَيُّوبَ الصَّبْعِيِّ

تَحْقِيقُ

مُحَمَّدِ أَبِي الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ

مَكْتَبَةُ الْعِلْمِ وَالْحَقِيقَةِ

صَيْدَا - بَيْرُوتَ

مَسَامِرُ الْمُؤْتَمِرِينَ  
فِي شَرْحِ رِسَالَةِ زَيْدُونَ  
نَحْلِيلُ بْنُ أَيُّوبَ الصَّفِيدِي

تَحْقِيقُ

مُحَمَّدُ أَبُو الْفَضْلِ الْبُرْهَانِي

منشورات المكتبة العصرية

صكيداً - بيروت ص. ب. ٨٣٥٥

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تصديراً

من الطرائق التي سلكها القدماء في التأليف والتصنيف، طريقة الشروح والحواشي والتعليق؛ يمد المؤلف إلى نص نفيس سار ذكره، أو كتاب موجز اشتهر أمره، فيتناوله بالتفسير والشرح إن كان مبهماً، أو يبسطه بالإيضاح إن كان موجزاً، ويزيد فيه بما يتاح له من المعاني، وما وقع من الخبرات والمشاهدات؛ ثم يستطرد بما يتداعى إلى ذهنه من فنون الكلام، مما قرأ وحفظ، أو سمع وروى، فيكون النص أو الكتاب بقدر ذلك شيئاً آخر حفيلاً بالفوائد، جامعاً لشتى المسائل.

وبهذا المنهج المفيد، حفظ كثير من أبواب العلوم والفصول في الآداب ومرويات الشعر وأطراف الفنون، ونقل إلينا ما أودع في بطون كتب وأسفار، ربما تكون قد ذهبت بها عوادي الأيام.

ونظرة إلى ما حوته شروح نقائض جرير والفرزدق، والمنفصليات، والمعلقات، وما أورده ابن أبي الحديد تمليقاً على كتاب نهج البلاغة وأبو العباس الشريشي على المقامات، وما اشتمل عليه كتاب خزانة الأدب للبغدادي، وما استطرد به ابن هشام في شرحه لقصيدته «بانت سعاد»، وما عقده العلماء من فصول وأبواب حول كتب الفقه والنحو والأصول، مما يدرس الآن في المعاهد والجامعات... كل هذا ومثله، مما زخرت به الآداب العربية؛ وأفاد منه الباحثون والدارسون على مر العصور.

ومن هذه الشروح النفيسة، هذا الكتاب الذي أسماه صاحبه «تمام المتن من شرح رسالة ابن زيدون»، وهي الرسالة المعروفة بالجديدية.

وابن زيدون صاحب مذهب في الكتابة والإنشاء عرف به ونسب إليه ،  
فقد كان إلى ما اشتمل عليه من اللفظ المحبّر ، والأسلوب الرشيق المنسق ،  
والديباجة الصحيحة المصفاة ، يشتمل على كثير من ذكر الأحداث والإشارات  
التاريخية والمعارف الأدبية ، ما يجعل ميدان الشرح واسعاً ، ومناسبات  
الاستطراد والتعليق متنوعة . . .

وان كانت رسالته المعروفة بالرسالة الهزلية - وهي الرسالة التي كتبها  
على لسان ولادة بنت المستكفي ، لإحدى الظريفات من نساء بنات خلفاء العرب  
الأمويين إلى أحمد بن عبدوس - قد امتلأت بذكر الأعلام من رجالات الجاهلية  
والإسلام ، ما مكّن لشارحها جمال الدين بن نباته أن يورد في شرحها قدراً  
وافياً من التراجم الأصيلية ، والروايات التاريخية ، فإن هذه الرسالة التي  
كتبها إلى أبي الوليد بن جمهور مستقطفاً معتذراً قد حوت من بديع الاستعارات  
ومحسن الكفانيات ، وضروب الأمثال ، والإشارة إلى كبريات الأحداث في  
الجاهلية والإسلام ، والاستشهاد بفرر الشعر ومصطفى القصيد ، ما أتاح  
لشارحها ، أن يورد حولها ما شاء من ذكر تاريخ هذه الأحداث والوقائع  
وما دار فيها ، وأن يمد إلى قدر كبير من الأمثال ، يذكر مواردها ومصادرها ،  
وأن يروي من القصائد النادرة والخطب الجامعة ، والرسالة والمحبّرة ، والقصص  
والحكايات والأفكار والنفوس ، ما نضجت به القرائح في الجاهلية والإسلام ،  
وحفلت به بطون الكتب والدواوين ، وما تفوق في مجالس الأدب والشعر  
على مرّ العصور ، ما جعل هذا الشرح حافلاً بأكرم الدخائر وأنفس الأعلاق .  
بالإضافة إلى أنه جمع فيه المتشابه من معاني الشعراء الأقدمين والمحدثين من عصره في  
مصر والعراق والشام ، وأضفى عليه من حسن المنحى واطراد التنسيق ما جعله  
مراد النفس وراحة العقل ومتممة القلب والخطاطر .

ومما زاد هذا السفر نفاسة وقبولاً تلك الرسالة الفريدة التي ذبّه بها ،



الخط المنسوب، وقرأ الحديث، وكتب وسمع بالقاهرة من الدبوسى وغيره،  
وبدمشق من أبى الحسن على بن البندنجى وغيره، فى النحو واللغة والأدب  
والإنشاء، وولى كتابة المال بدمشق، وكتابة الإنشاءها وبالديار المصرية. ثم  
ولى كتابة السرّ بحلب، وباشر وظائف جليلة، وكان بينه وبين علماء عصره  
وأدبائه مكاتبات ومراسلات، كالحافظ أبى الفتح ابن سيد الناس، والبارع  
جمال الدين بن نباته، والشيخ زين الدين عمر بن الوردى، وأبى عبدالله المقرئ،  
وغيرهم، وجمع وصىف التصانيف المفيدة.

وذكره الحافظ أبو عبدالله الذهبى فى معجمه المختص وأثنى عليه، وكتب  
من نظمه ونثره، وقال: كان إماماً عالماً صادقاً ماهراً فى صناعة الإنشاء، قدوة  
فى فن الأدب، حسن الأخلاق والمحاضرة، رُحلة الطالبين، كتب وصىف التصانيف  
الكثيرة، وحدث. سمع أبى المعالى بن عشار بحلب. وله نظم رائق، ونثر فائق.  
انتهى كلام الذهبى.

قلت: ومن مصنفاته كتاب جنان الجناس، وفض الغمام عن التورية  
والاستخدام، والحجارة والحجازة مجلدان، ونصرة التائر على النمل السائر،  
وحلوة المحاضرة فى جلوة المذاكرة، وحسن التصريح فى مائة مايح، والكشف  
والتنبيه على التثنيه مجلدان، ولذة السمع فى وصف الدمع، وغرّة الصبح فى  
اللب بالرمح، وجرّ الذيل فى أوصاف الخيل، والروض الباسم والعرف  
الناسم، مقاطيع ونظم. والمثنى والمثالث مقاطيع ونظم أيضاً. وشرح لامية  
المعجم فى أربع مجلدات. ونكت الهميان فى نسكت الهميان فى مجلدان، والشعور  
بالنور، وكشف الحال فى وصف الخال، وألحان السواجم من البادى والراجع،  
فى أربع مجلدات، وطرد السمع عن سرد السمع، فى أربع مجلدات، والمقترح فى  
المصطلح، وطراز الألفاظ، وتوشيح التوشيح، وزهر الخائل فى ذكر الأوائل،  
وتحرير التعريف وتصحيح التصحيح، ونجم الدياجى فى نظم الأهاجى، وحقيقة

الجزاز إلى الحجاز؛ نظم ونثر، صورة رحلته، والفصل المنيف في المولد الشريف، وغوامض الصحاح، ونفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوم، وحلى النواهد على مافي الصحاح من الشواهد، في خمس مجلدات، ورسالة عبرة الأيب بمثرة الكتيب، ورسالة رشف الرحيق في وصف الحريق، ورسالة اختراع الخداع في مخالفة النقل والطباع، والوافى بالوفيات الكبير في اثنتين وستين مجلداً صفاراً، وأعيان العصر وأعيان النصر، ذكر فيه من مات في عصره من الأعيان في اثني عشر مجلداً لطيفاً، وله تصانيف غير ذلك.

ولما كان سنه نيفاً على ثلاثين سنة أرسل واستجاز الشيخ جمال الدين محمد ابن نبياته فقال: الحمد لله على نعمائه والصلوة والسلام على أنبيائه محمد وآله وصحبه. المسئول من إحسان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة رحمة أهل الأدب، قبله ذوى التحصين له في التحصيل والدأب، الذى تبيت شوارد المعاني صرعاً نحواه لاطافة تخيله، وتسمى الألفاظ المذبة طوع تحوله في التراكيب وتحيله، فأسمى وله النسب الذى يضحك من العباس فى رفته، ويقيم صريع الفوانى إلى مقته بعد مقته، والفزل الذى يشيب له فود الوليد، ويسترق الحر من كلام عبيد، والتشبيه الذى لو عله ابن المتمرز لما نصب الهلال فخاً لصيد النجوم، ولو تماطاه حفيد جربح لقييل له: ألم تسمع «الم غلبت الروم»، والمديح الذى لو بلغ زهيراً لقال: ما أنا من هذه الحدائق، أو اتصل نبؤه بالمتنبى لاشتغل عن ذكر المذنب وبارق، والرثاء الذى نقص عنده أبو تمام بعد أن رُفع له لواء الشرف والفخر، وقال: هذه عذوبة الزلال لا ماتفجر من الخفساء على صخر، والترسل الذى سقى الفاضل كأس الخوف، لما شبه الغمود بالكائم والسيوف بالأزهار، وأذهله حتى صحّت له قسمة التجنيس فى الخيل والخيال بين الراقب المراق، وأخطات معه فى المربع والمساجد بين الأنواء والأنوار، والكتابة التى تظن

الطروس بها وكأنها برود محبرة أو سماء بالنجوم زاهرة ، إن لم ترض أن  
تكون في الأرض رياضاً مزهرة .

أدب على الحصري يعلو تاجه وله ابن بسام بسكى ألوانا  
وترسلّ سبحان من قد زاده منه وأعطى الفاضل النقصانا  
وكتابة لعلوها في وضمها ليس ابن مقلة عندها إنسانا  
فلكم أخى فضل رأت عيناه في الـ أوراق لابن نباتة بستانا

جمال الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن  
نباته؛ جمع الله به شقات أهل الأدب في دوحة هذه الدولة ، ولم به شمت أبنائه  
الذين لاصون لهم ولاصولة ، وأقام به عماد أبيات الشعر التي لولاه لما عرفت  
دارمية من أطلال خولة ؛ بمنه وكرمه ... إجازة كاتب هذه الأحرف ، ماله  
- سمح الله له في مدته - من رواية المصنفات في الأحاديث النبوية والتأليفات  
الأدبية ، على اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها ، بحسب ما تأدى  
ذلك إليه ، واتصل به ؛ من قراءة أو سماع أو إجازة أو وصية أو وجادة من مشايخ  
العلم الذين أخذ عنهم ، وإجازة ماله - أحسن الله إليه - من مقول نظماً أو نثراً ،  
تأليفاً أو وضعاً ، إجازة خاصة ، وإثبات ماله من التصانيف إلى هذا التاريخ  
بخطه الكريم ، وإجازة ماله يقع له بعد ذلك إجازة ؛ عامة على أحد القولين  
في المسألة ، فإن الرياض لا ينقطع زهرها ، والبحار لا تنفذ دررها ، وإثبات  
ما يحسن إثباته في هذه الإجازة ، من المقاطيع الرائقة ، والأبيات اللاتقة ، وذكر  
نسبه ومولده ومكانه مفضلاً في ذلك . وكتبه خليل بن أبيك بن عبد الله  
الأبكي بالقاهرة المحروسة في مستهل شعبان سنة تسع وعشرين وسبعمائة ،  
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فكتب الشيخ جمال الدين مجيباً لسؤاله بما صورته :  
بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد حمد الله الذي إذا توجه إليه ذو السؤال فاز ،



وإذا استدعى دعا كرمه ذور الطلب أجاب وأجاز ، والصلاة على سيدنا محمد  
كعبة القصد التي ليس بينها وبين النجح حجاز ، وعلى آله وصحبه الذين هم حقائق  
الفضل والفصل ومن بعدهم مجاز . فلولزم في كل الأحوال تناسبُ المحاطبة ، وكان  
جواب السؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبة ، لما رضى سجع الحمام لطارحته  
نوعاً من الأطيار ، ولا قبل فصحاء الأول مراجعة الصدى من الديار ، ولا قمع  
غمز حواجب الأحيبة برد القلوب المأمة في أودية الأفكار ؛ ولكن تقول الأكاثر  
والأولياء تبذل من الأجوبة جهدها ، وتنفق عما عندها ، وتجرّد الأمائل سيوف  
النطق ولا تتمدى الأنباغ من الطاعة حدّها . ولما كفت أيها الراقم برود هذا  
الاستدعاء ببيانه ، والنشوء روض هذا السؤال بآثار السحب من بنانه ، والسائل  
الذي بهرت الأفكار فضائله ، وسحرت أرباب العقول عقائله ، وأقام المسؤل  
مقاماً ليس هو من أهله ، فليقت الله سائله . فريد فن الأدب الذي لا يبارى ، وبحره  
الذي لا يهدى غائص قلبه الدر إلا كباراً ، وذا اليد البيضاء فيه الذي طالما  
آنس من جانب ذهنه الشريف نارا ، وخليله الذي أطلع على أسراره الدقيقة ،  
ورئيسه الذي لو طارح ابن المتمرّ وتمت ولايته لكان خليل أمير المؤمنين  
على الحقيقة ، وناظمه الذي يسرى الطائفيان تحت علمه المنشور ، و كاتبه الذي  
يتجسّج المبدان بالخول تحت رقه المأثور . طالما شافه منه العلم وجهاً جميلاً ، وقدرأ  
جايلاً ، ولاقى من لا يندم على صحبته فيقول : يا ليتني لم أتخذ فلاناً خايلاً .  
فهو الفرس الذي يقصر عن أمالي وصفه الشجرى ، ويتنجر الدين والعلم بسخبه  
ولفظه ، فهذا يقول : غرسي وهذا يقول ثمرى . كم أغنى بمفرد شخصه عن فضلاء  
جيل ، وكم بدا للسمع والبصر من بنات فكره بُنيته ومن وجهه جميل ، وكم  
تنزهت الأفكار من لفظه وخطه بين آس وورد ، لا بين إذخر وجميل ، وكم دام  
عهد ووده حتى كاد يبطل قول الأول : « دليل على الأيدوم خليل » . تود الشهب  
لو كانت حصباء غدبر طرسه ، ويشار الأذق إذا طرز بر أع درجه بالظالماء أردية  
شمسه ، ويتحاسد النظم والنثر على ما تنتج مقدمات منطق من النتائج ، وينشده

كل منهما إذا حاول القول: خليل الصفا، هل أنت بالدار عائج! إن كتب أغضى  
ابن منقله من الحسد على قذاه، وحمل ابن اللبواب لحجته عصا القلم قائلاً:  
ما ظلم من أشبه أباه، وإن نما النحو لباه عشرأ، ولانت أعطاف الحروف  
قسراً، وتشاجرت الأمثلة على لفظه، فلا غرو أن ضرب زيد عمرأ، يترجل  
كلام الفارسي بين يديه، ويظير حفظ ابن عصفور حذراً من اللبازي المطلق عليه.  
وإن شعر هامت الشعراء بذكره في كل واد، وحمل ذكرها في كل ناد، ونصبت  
بيوت نظمه على يفاع الشرف كما تنصب بيوت الأجواد، طالما بلد لبيداً،  
وولى منه شعر ابن مقبل شريداً، وقالت الآداب لبحترى لفظه: ألم نربك  
فيما وليداً! وإن نرفسا الدر اليتيم إلا تحت حجره، ولا الزهر النضير  
إلا ما ارتضع من أخلاف قطره، ولا المترسلون إلا من تصرف في ولاية البلاغة  
تحت نهيمه وأمره، وإن تكلم على فنون الأدب روى الظماء، وجلا معاني  
الأنفاظ كالدمى، وقالت الأعراب له ولابن أحمد: خليل هبنا بارك الله فيكما.

هذا وكم أنني قديم علم الأوائل على فكره الحكيم، وشهدت رواية  
الأحاديث النبوية بفضله، وما أغلى من شهر بفضله الحديث والقديم!  
علت به درجات الفضل واتضحت دقائق من معاني لفظه البهيج  
هذا وليل الشباب الجون منسدل فكيف حين بضيء الشيب بالمرج  
ياحبذا أعين الأوصاف ساهرة بين الدقائق من عليها والدرج

بدأتني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني، واضمحلت عياني، وكاد  
من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني. وحملت كاهلي من المن ما لم يستطع،  
وضربت للذكرى في الآفاق نوبة خلية لا تنقطع، وسألتني - مع ما عندك من  
الحاسن التي لها طرب من نفسها، ونمر من غرسها - أن أجيئك وأجيزك،  
وأوازن بمقال كلمي الحديد إبريزك، وأقابل لسنك اللطاق بلساني المحصور،  
وأثبت استدعاءك الجملي على بيت مال نطق المكسور، ففتحيت بين أمرين  
أمرين، ووقع ذهني السقيم بين دائرتين مضرين، إن فعلت ما أمرت فما أنا من أرباب

هذا القدر العالى ، والصدر العالى ، ومن أنا من أبناء مصر حتى أتقدم لهذا  
الملك العزيز ، وكيف أطالب مع إقتار علمى وفهمى بأن أمدح وأجيز ، وأين  
لمقيد خطوى هذه الوثبات . وأنى يماثل قوة هذا الترس ضمف هذا للنبات :  
وإن منمتُ فقد أسأت الأدب والمطوب حسن الأدب منى ، وأهملت الطاعة  
التي أفرع بمدىها برمح القلم سنى ، وفاتنى شرف الذكر الذى امتلأ به حوض  
الأفق وقال قطنى . ثم ترجع عندى أن أجيب السؤال ، وأقابل بالامتثال ،  
صابراً على تهكم سائلى ، معظماً قدرى كما قيل بـتغافلئ ، منقاداً إلى جنة استدعائك  
من السطور بسلاسلئ . وأجزت لك أن تروى عنى ما يجوزلى روايته من مسموع  
ومأثور ، ومنظوم ومنثور ، وإجازة ومناولة ومطارحة ومراسلة ، ونقل وتصنيف ،  
وتنضيد وتفويف ، وماض ومتردد ، وآت على رأى بعض الرواة ومتجدد ،  
وجميع ما تضمنته استدعاؤك ، فأجمع ما يسكون من لفظه المتفرد ، كاتباً لك  
بذلك خطئى ، مشترطاً عليك الشرط المقتر ، فليمكن قبولك يا عربى البيان جواباً  
شرطئى ، ذاكرأ من كعم خبرئى ما أبطأتُ بذكره ، وأرجو أن أبطلئى ولا أخطئئى .  
فأما مولدى فبمصر الحروسة ، سنة ست وثمانين وستائة ، بمنزلنا بزقاق  
القناديل . وأما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعاً وحضوراً ، فن أفدهم  
الشيخ شهاب الدين أبو الهيجاء غازئى بن أبئى الفضل بن عبد الوهاب المعروف  
بابن الرداف ، والشيخ عز الدين أبو نصر عبد العزيز بن أبئى الفرج الحصرئى  
البغدائى ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن أبئى محمد إسحاق الأبرقوهئى . وأما  
ذوو الإجازات فى مصر وغيرها من الأمصار فكثير . وأما الفضلاء والأدباء  
الذين رويت عنهم ورأيت منهم ، فمنهم القاضئى الفاضل محئى الدين أبو محمد عبد الله  
ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الكاتب المصرئى ، والشيخ الإمام  
بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن النحاس الحلبي النجوى ، والأمير  
الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الصاحب شرف الدين إسماعيل القينئى  
الأمدى ، اقترح علىّ - ولم أبلغ العلم - نظاماً فى زيادة الفيل فقلت :

زادت أصابعُ نيلنا وطَمتْ فأكدتِ الأعادي  
وأنت بكلِّ جميلةٍ ما ذى أصابعُ ذى أيادي  
والشيخ العالم الدين قيس بن سلطان الضرير من أهل منية بني خصيب ،  
قرأت عليه كثيراً من الكتب الأدبيات ، وكان كثيراً ما يستنشدني إلى إن  
أنشدته قولي :

يا غائبين تعلمنا لغيبهم بطيب عيش ولا والله لم يطب  
ذكرت والكأس في كفي لياليكم فالكأس في راحة والقلب في تمب  
فقال : أتعب والله جذعك الفرح .

والشيخ العالم شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن المفسر ،  
أنشدني لنفسه :

لا أرَى لي في حياتي راحةً ذهبت لذة عيشي بالكبر  
بقى الموت مثلي مسترةً يا إلهي أنت أولى من ستر  
فأنشدته لي :

بَقَلت وجفة المليح وقد ولى زمان الصبا الذي كنت أميك  
يا عذار الحبيب دعني فإني لست في ذا الزمان من خل بقلك  
والشيخ الأديب الفاضل سراج الدين عمر الوراق المصري ، سمعته ينشدني  
لنفسه :

واخجلتي وصحائف سوداً غداً وصحائف الأبرار في إشراق  
وتوقفي لموبخ لي قائل : أكذا تكون صحائف الوراق !  
والأديب الفاضل نصير الدين الحمصي ، أنشدني لنفسه :

أحبُّ من الدنيا إلى وماحوت غزال تبدى لي بكأس رحيق  
وقد شهدت لي سنة اللهو أنني أحبُّ من الصهباء كل عتيق  
فأنشدته لي :

إني إذا آنتُ همًا طارئةً عجلت بالذات قطع طريقه  
 ودعوت ألقاظ المليح وكأسه فنعمت بين حديثه وعتيقه  
 وجماعة بطول ذكرهم ، ويمز على الآ يحضرنى الآن إلا شهرهم .  
 وأما مصنفاتى التى هى كالياسمين لا تساوى جمها ، ولولا جبر الخزان  
 الشريفة السلطانية الملكية لها ما استجزت نصبها ولا رفها ، فهى : كتاب  
 مجمع الفرائد ، كتاب القطر النبائى ، كتاب سرح العميون فى شرح رسالة ابن زيدون ،  
 ومنتخب الهدية من المدايح المؤيدية ، والفاصل من إنشاء الفاضل ، وزهر  
 المنثور ، وسجع المطوق ، وأبزار الأخبار ، وشعائر البيت التقوى ، لم يكمل إلى  
 الآن ، والأرجوزة المسماة فرائد السلوك فى مصايد الملوك . أجزت لك أعزك الله  
 روايتها عنى ، ورواية ما أدوته وأجمه بمد ذلك حسبما أقرحه استدعاؤك  
 ونعمه ، ونسخه وحققه ، وتضمنه سؤالك الذى تصدقت به على ، فمنك السؤال  
 ومنك الصدقة . والله تعالى يشكر عهدك الجميل ، وكلماتك الجزلة ، وكرمك  
 الجزيل ، ويمتدح فنون الفصائل المتجئة إلى ظل قلبك الظليل ، ولا يمدم  
 الأحباب والآداب من اسمك وسميتك خير صاحب وخليل . بمنه وكرمه .

قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن صالح بن  
 على بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب أبى يحيى عبدالرحيم بن نباته الفارقي  
 ثم المصرى الجذامى ، عفا الله عنه . انتهى .

\* \* \*

ومن نظم صاحب الترجمة رحمه الله ما أنشدنا ابن الفرات إجازة ، أنشدنى  
 الشيخ صلاح الدين بن خليل لنفسه إجازة :

أفديه ساجى الجفون حين رنا      أصاب منى الحشا بسهمين  
 أعدمنى الرشد فى هواه ولا      أفلح شىء يُصاب بالعين  
 وله :

سألتهم عن منام عيني      وقد براه جفا وبين  
 والنوم قد غاب حين غبتهم      ولم يقع لى عليه عين

وله أيضاً :

المقلة السوداء أجانها  
وتقطع الطرق على سلوتي  
ترشق في وسط فؤادي نبال  
حتى حسبنا في السويدا رجال  
وله أيضاً :

إن لم يصدقني تصدق بالكري  
وانظر إلى فقري لوصلك واغتم  
ليزورني فيه الخيال الزائل  
أجرى وقل للدمع : قف يا سائل  
وله أيضاً :

يقول وقد أنكرته قبلة  
هذا عذارى وجفوني فقم  
فصبتها في زورة اللطيف  
واحلف على للصحف والسيف  
وله في معذرة :

محمياه له حسن بديع  
وعارضه رأى تلك الحواشي  
غدا روض الخلود به مزهر  
مذهبة فزمتكها وشعر  
وله أيضاً :

أنفت كنز مدامحي في ثغره  
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة  
وجمت فيه كل معنى شارد  
فأبى وراح تمزلي في البارد  
وله أيضاً :

كنوس المدام تحب الصفا  
ودعها سواجج من نفسها  
فكن لتصاويرها مبطلا  
فأحسن ما ذهبت بالطلا  
وله أيضاً :

أقول له ما كان خدك هكذا

ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجى  
فن أين هذا الحسن والطرف قال لي :  
فتفتح وردى والعدار تمخرجا

وله أيضاً:

يا من إذا ما أتاه أهلُ المودة أو لم  
أنا محبُّك حقاً إن كنت في القوم أو لم

وله أيضاً:

بسمِ الحَظِّهِ رَمَانِي وَذُبْتُ مِنْ هَجْرِهِ وَبِيَدِهِ  
إِنْ مَتَّ مَالِي سِوَاهُ خَصْمٌ لِأَنَّهُ قَاتِلِي بَعِيْنُهُ

قلت: وشعر الشيخ صلاح الدين المذكور كثير، وفضله غزير، وهو شاعر مجيد، على أن جيده يقل عن رديته، ولولا أنه كان ضئيلاً بنفسه، راضياً بشعره، لكان يدركه الردي، ويكثر منه الجيد، فإنه كان غواصاً على المعاني، مبتكراً للنكت البديعة، عارفاً بفنون الأدب، لكن رأيت من نظمه بخطه عندما يمرض بعض من تقدمه من مجيدي الشعراء في معنى من المعاني اللطيفة، فيأخذ ذلك المعنى أو النكتة، فينظمها في بيتين، ويجيد فيهما بحسب الحال؛ ثم ينظم أيضاً في ذلك المعنى بعينه بيتين آخرين، ثم بيتين ثم بيتين، ولا يزال ينظم في ذلك المعنى، وهو يقول: قلت وقت .. أنا إلى أن يملأ النظر، وتسامه النفس، ويمججه السمع، فلو ترك ذلك وتجرى في قريضة، لكان من الشعراء المجيدين، لما يظهر لي من قوة شعره، وحسن اختراعه.

توفي الشيخ صلاح الدين المذكور بدمشق في ليلة الأحد عاشر شوال سنة أربع وستين وسبعمائة عني الله عنه (١).

\*\*\*

وقد سبق لهذا الكتاب أن نشر في بغداد سنة ١٣٢٧هـ، ولكنها كانت نشرة خلت من الأوصال والتحقيق، وشاع فيها الخطأ والتحريف. وحينما عزمت على إخراجه على المنهج العلمي تهيأ لي الحصول على النسخ الآتية:

(١) المنهل الصافي، مخطوطة دار الكتب برقم ٦٣٠ - تاريخ.

١ - نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم ٤٥٣٦ - أدب طلعت ، بخط محمد  
ابن محمود بن محمد بن خليل الشافعي تمت كتابته في « يوم الأحد المبارك الأول  
من شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وتسعمائة » ، كتبت بقلم معتاد  
تغلب عليها الصحة ، وفيها بعض الضبط وخاصة في الشعر . تقع في ٣٥١  
صفحة ، في كل صفحة ٢١ سطر ، في كل سطر عشر كلمات تقريباً ، وقد اتخذت  
هذه النسخة أصلاً في التحقيق .

٢ - نسخة مخطوطة بدار الكتب محفوظه برقم ٢٤٨ - أدب ، كتبت سنة  
١٠٨٤ ، بخط نسخ ، خال من الضبط ، تقع في ١٧٤ ورقة ، وفي كل صفحة ٢١  
سطراً ، وفي كل سطر ١٣ كلمة تقريباً ، وقد رمزت بالحرف د .

٣ - نسخة مخطوطة محفوظه في دار الكتب برقم ١٩ م - أدب مخطوطة بقلم  
معتاد بدون تاريخ ، تقع في ١٥١ ورقة ، والشعر مضبوط ضبطاً تغلب عليه  
الصحة ، وفي كل صفحة ٢٥ سطرأ ، وفي كل سطر ١١ كلمة تقريباً ، وفي نهايتها  
ترجمة مختصرة للصفدي مؤلف الكتاب وقد رمزت لها بالحرف م كأني رمزت  
للنسخة المطبوعة برقم ط .

هذا عندما ما رجعت إليه من كتب التاريخ ومماجم اللغة ودواوين الشعر ،  
وكتب الأدب . وقد صنفت له الفهارس المتنوعة ، ما ييسر الانتفاع به إن  
شاء الله ، والله ولي التوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٩

٣ يولييه سنة ١٩٦٩



تكملة المستوفى

في شرح رسالة الزيدون

مخلى بن أبي الصغرى

تحقيق

محمداً بنو الفضل ابراهيم



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرح صدورنا بالإسلام ، وطرح عنا بالاستغفار أعباء الأثام ، وفتح أصداف الأسماع درر الأدب الذي تقدفه الأقلام .  
 نحمده على نعمه التي أكلت العود والعون ، وأجمت الصوّل والعون ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة خيمت بين سُرّادق العرش العظيم ، وتيمت قلوب أهل التوحيد حتى مشوا سويًا على صراطها المستقيم ؛ وديمت سحائبها على رياض الإيمان فأنبقت زهراً ناجماً يُنجل الذجوم الزهر في الليل البهيم . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي بعثه الله إلى البشر بشيراً ونذيراً ، وأصبح غنيّ البلاغة إلى فقره فقيراً ، وأمسى الخاملُ باتباع أثره أثيراً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين لا ترتقى شرفات مجد إلى مجدهم<sup>(١)</sup> ، ولا يقع دأرف طرف<sup>(٢)</sup> على مثل تحفهم في الفصاحة ولا طرفهم ؛ ولا يرقم المادح أمانيه فيهم إلا سدّ فاه للدراريّ سدّ فهم ، وسدّ فاه عن درر صدقهم ؛ صلاة غمام روضانها تفتح ، وحمائم غفرانها تصدح ، وكرائم إحسانها تنفتح ؛ ما أطرب المترسل ، وأعزّب المتوسّل ، وتمطّف المتوصّل ؛ وتلطف المتنصل ، وسلم تسايما كثيرا إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن رسالة ابن زيدون التي كتبها لابن جهور ، من الرسائل الطنّانة ، والجمال التي لا يدوى زهرها وحمائم غصونها بالتفريد رنّانة ، والفضائل التي لا تزال محاسنها على من حاول معارضتها متنانة ، قد أبرزها مُدشّتها كالقمر ليلة تمامه ، وكالزهر المنخبوء في أكمامه ؛ أنعمت من يجاريها فما تشقّ الغبراء لها غبارا ، ولا بيت داحس ذا حنّ في مباراتها فهو في

(١) ط : « شرفهم » .

(٢) الطرف ، بالكسر : الكرم الظرفين منا ، أو الكرم من الخيل .

أصله وفرعه يتماذى ويتآرى ، ولا يملك البرق للتلألؤ إذا سار على أثرها  
 إلا عثارا ؛ مشحونة بما فيها من الإشارات إلى الوقائع والأمثال ، وحل الأبيات  
 الأبيات في الأنقياد على الرجال ؛ تمط في الإنشاء غريب ، وحلاوة ألفاظ  
 ليس الضرب لها بصريب ، وطلاوة هبارة متأرب ، إنها تحل الأجياد  
 والترب . لم تر فيها من البلاغة ترفيها ، ولم تجد فيها لفظة تحويها ؛ إلا وهى  
 تنطق بالبلاغة أو توحىها ، ولم تنظر معانيها إلا وهى تطوى المحاسن وتوطئها .

لديها رياض لم تحكها سحابة	وأعصان دوح لم تثن جماعة <sup>(١)</sup>
رفوق حواشى كل سطر يضئ	من الدر سبط لم يثمنه فاطمة
تدل بما فيها على أن أثرها	لأبلج لانيجان إلا عمائم
تقبل أفواه الشيوخ بساطة	ويكبر عنها كفه وبراجمة
له عسكرا نظم وثر إذا رى	بها عسكرا لم يبق إلا ساجمة
لقد ملّ ضوءه الطرس مما يفده	وملّ سواد النفس مما يراحه
وملّ فنا الإنشاء مما يدقها	وملّ جديد الشعر مما يلاطمه
فأبصرت بدماء لارى البدر مثله	وخاطبت بحرا لارى الدهر عامه

وما أوردتها على أحد إلا رفقت أعطافه ، وحنى من غصونها ما أسلذ  
 فطافه ، وملكت حبة قلبه بما فيها من اللطافة ، وأجتنق منها محاسن السوالف  
 وأجتنق لذة الشلاقة ؛ وقال : هذا هو الأدب الذى ماشافه غيره<sup>(٢)</sup> أرشافه ،  
 وهذا هو الإنشاء الذى من ركب أعذافه تسافه<sup>(٣)</sup> ، وهذا هو النثر الذى  
 من حل ساحتته قال : الضيافة الضيافة ؛ وهذا هو الترسل الذى من سطر به  
 برحاله أنقل النوال بالتحف التحافه .

(١) للمنى ، ديوانه ٣ : ٢٦٥ - ٣٤٢ مع تصرف كبير في الألفاظ والأساليب .

(٢) ط : « غيبه » . (٣) ساقطة من ط .

ما فريضة على الأملاك محتجبٌ فلا تُذله بإكثارٍ على الشوق<sup>(١)</sup>  
 فلذلك آثرتُ أن أملي عليها شرحا ، وأبني على كواكب كواعبها  
 صرحا ، وأكحل جفونا بانة زرقية<sup>(٢)</sup> بيانها قرحى ، وأطب قلوبا أمست  
 لوصول إيضاحها جزحى ؛ وإن لم أكن من خيل ميدانها ، ولا متن يمدّه  
 الأبطال من فرسانها ؛ ولكن جُهد العقل ، وزهد الخلق<sup>(٣)</sup> ، وشهد المطلق ،  
 وشهد المدل<sup>(٤)</sup> ، وعهد المعجل .

قد يدرك الحدّ الفتي وإزاره خلقٌ ، وجيب قبضه مرقوع<sup>(٥)</sup>  
 وباللّه اعتصم وأعتضد ، ومن قبضه أمتل وأستمد ؛ إنه الرقيب  
 القريب ، والسَّميع الحبيب .

(١) السوقة : الرعية ، ويجمع على سوق ، كسر د .

(٢) ط : « لروية » .

(٣) الخلق : القوم المدموم . وفي م : « وفد » .

(٤) ط : « اللذل » .

(٥) لابن هرمة ، الشعر والشعراء ٧٣٠ .

## فصل

في ترجمة ابن زيدون - رحمه الله تعالى  
وإيراد شيء من شعره الذي رَقَّ وراق ، وشقَّ على غيره وشاق

فأقول : هو ذو الوزارتين ، الكاتبُ المُجيدُ المُفيدُ ، الناظمُ النَّائرُ ، البليغُ  
المفوهُ اللينُ ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون  
الحزومي الأندلسي القرطبي .

أُتِيَ عليه ابنُ بسَّامٍ في «الذخيرة» ، وابنُ خاقانٍ في «قلائد المقيان» (١) .  
وكان من أبناء وجوه المُقهاء بقرطبة ، برَّع (٢) أدبه ، وجادَ شعره ، وعلا شأنه ،  
وأطلقَ أسنانه ، وحقَّقَ بَيانَه . ثمَّ إنَّه أنتقلَ من قرطبة إلى المقنِّصِ بنِ عبَّادِ  
صاحبِ إشبيلية ، سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، فجعله من خواصه ، يُجالسه  
في خلواته ، ويركنُ إلى إشارانه ؛ وكان معه في صورة وزير ، وكان أولاً قد  
انقطع إلى ابن جهمر ، أحد ملوك الطوائف المتقلِّبين بالأندلس ، فخَفَّ عليه ،  
وتمسَّك منه ، وأعتَمَدَ عليه في السَّفارةِ بينه وبين ملوك الأندلس ، فأعجِبَ  
القومُ به ، وتمتَّعوا مِثْلَه إليهم لبراعته ، وحُسنِ سيرته ؛ فانفقَ أن يَقمَ ابنُ  
جهمور على ابن زيدون فحبسه ، فاستمطَّفه ابنُ زيدون بهذه الرسالة وبأمثالها  
من فنونِ النظم والنثر ، فما أُجِدِّي ذلك عليه شيئاً ، نفرَّ من حبسه لما أعياه  
الخطب ، وأُتصلَ بعد ذلك بابن عبَّاد كما تقدَّم .

وكتبَ إلى بعض أصحابه - وهو الأديبُ أبو بكر بن مسلم - لما أُخْتَفِيَ  
بقرطبةً بعد فراره ، رسالةً يمتدِّرُ فيها عن فراره ، وهي في غاية الحسن ، ولولا

(١) الذخيرة جزء ١ : جلد ١ ص ٢٨٩ وما بعدها ، والقلائد ٧٠ وما بعدها .

(٢) الذخيرة : « فرع أدبه » .

خَوْفُ التَّطْوِيلِ كَانَ لَا بَأْسَ بِذِكْرِهَا ، وَأَشْرَ نَشْرِهَا ، وَدَرَّ دَرَّهَا ، وَهَذِهِ فَلَذَةُ  
 مِنْهَا : (١) أبدأً أولاً بِشَرَحِ الضَّرُورَةِ الحَافِزَةِ إِلَى مَا صَفَعْتَ ، إِذْ بَلَغَنِي أَنَّكَ أَحَدُ  
 اللَّائِمِينَ لِي عَلَيْهِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : وَيْلٌ لِّلشَّجِيِّ مِنَ الخَلِيِّ (٢) ، وَهَانَ عَلَى  
 الأَمَّاسِ مَا لاقِيَ الدَّبْرَ (٣) . وَأَعَانِيكَ عَلَى انْفِصَالِكَ عَنِّي ، وَبِرَامَتِكَ أَمَدَ المِخْنَةِ  
 مِنِّي ، عَسَى أَنْ تَقْلِقَ عَوْداً مَا أَضْمَتَ بَدْءاً ، وَإِنْ كُنْتَ فِي ذَلِكَ كدَابِغَةَ  
 وَقَدْ حَلِمَ الأَدِيمُ (٤) . فَمِنْفَمَةُ الغَوِثِ قَبْلَ العَطَبِ (٥) ، وَفِي عِلْمِكَ أَنِّي سَجَنْتُ  
 مِفَالِبَةً بِالْمَوْىِ ، وَهُوَ أَخُو العَمَى ، وَقَدْ نَهَى عَنْهُ تَعَالَى فَقَالَ : ﴿ وَلَا تَدْبِغِ  
 المَوْىِ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٦) . وَشَهِدَ عَلِيٌّ فُلَانُ النَّاشِرُ لِأَذْنِيهِ طَمَعًا ،  
 لِيَأْ كُلَّ بِيَدَيْهِ جَشَمًا ، وَقَالَ : فَكَانَ لِلْقَوْلِ مَا قَالَتْ حَذَامٌ (٧) .

وَلِيَدْنِي مَعَ قَبُولٍ مِنْ لَا تَحْمِلُ شَهَادَتُهُ عَلَى ، يُعَذِّرُ فِيهِ إِلَى ، وَلَمْ يُقَرَّنِ الحَشْفُ  
 بِسُوءِ الكَيْلَةِ (٨) .

(١) الذخيرة ١ : ٣٠٥ .

(٢) الميداني ٢ : ٣٦٧ ؛ وذكر أن أول من قاله أكرم بن صيفي .

(٣) الميداني ٢ : ٣٩٣ ؛ قال : بضرب في سوء اهتمام الرجل بصاحبه ، والأماس : الصحيح  
 الظهر ؛ والدبر : الذي أصابت رأسه الدبرة ؛ وهي الفرحة .

(٤) حلم الأديم ؛ فسد ، والأديم : الجلد ، ومعنى المثل : إنك في محاولة لإصلاح أمر  
 مثل من تدبغ الجلد وقد كاد يتمزق ، وأصله قول الوليد بن عقبة :

فإنك والكتاب إلى عليٍّ كدأبغَةٍ وقد حلِمَ الأديمُ

وانظر اللسان (حلم) .

(٥) عجز بيت للمتنبي ؛ ديوانه ١ : ١٠٢ ، وهو :

صَبَّغْتَ إِلَيْهِمْ مِمَّا يَأْهُمُ وَمِنْفَمَةُ الغَوِثِ قَبْلَ العَطَبِ

(٦) سورة ص ٣٨ .

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ القَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ

والبيت لديسم بن طارق ، أحد شعراء الجاهلية ؛ وانظر ابن عقيل ١ : ٩٤ .

(٨) الإعذار : قبول المنذر ؛ والحشف : أردأ التمر ؛ والمثل : « أحشأ وسوء كيلة » .

الميداني ١ : ٢٠٦ .

وكنيت في أول حبسِي بموضع جرت المادة فيه بوضع مستورى الناس  
وذوى الهيئات منهم ؛ وفي الشرّ خيار<sup>(١)</sup> ، وبعضه أهون من بعض<sup>(٢)</sup> .

ثم نُفِيتُ من بعدُ إلى حيث أُلْفَاةُ المُفْسِدِينَ ، واللصوصُ المُقِيدُونَ ،  
وَمُنِعَ مِنِّي عُوَادِي ، فشكوتُ إلى الحاكمِ الحابسِ لي ، فهِمَّ عَنِّي - « ولو  
ذاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي »<sup>(٣)</sup> .

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرُ عَلَيْكَ كِفَاخِرٍ ضَمِيمٍ ، وَلَمْ يَفْزَلِكْ مِثْلُ مَقْلَبِ<sup>(٤)</sup>

فَلَمْ أَسْتَطِعْ صَبْرًا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْعَاجِزَ مِنْ لَا يَسْتَبِيدُ<sup>(٥)</sup> ، « وَالرَّءِ يَمْجِزُ  
لَا مَحَالَةَ »<sup>(٦)</sup> ، وَلَمْ أَسْتَجِزْ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَ الْأَذْلَانِ ؛ عَيْرُ الْحَيِّ  
وَالْوَتْدِ<sup>(٧)</sup> .

(١) يشير إلى المثل : « إن في الشرّ خيارا » ، الميداني ١ : ٢٠٦ .

(٢) يشير إلى بيت طرفة :

أَبَا مُنْدِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِي بِمِضْمَا  
حَنَانِيكَ بِمِضْمَا الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

(٣) المثل في الميداني ١ : ١٧ .

(٤) لأمرى القيس ، هيوانه ٤٤ .

(٥) يشير إلى قول عمر بن أبي ربيعة في بيتيه :

لَيْتَ هِنْدًا أَمْجَزْنَا مَا تَعِدُ      وَسَقَمْتُ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَعِدُ  
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً      إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ

(٦) الميداني ٢ : ٣٠٩ ؛ والثلث من أبيات جماعة بن مرارة الحنفي :

حَاوَلْتُ حِينَ صَرَمْتَنِي      وَالرَّءِ يَمْجِزُ لَا مَحَالَةَ  
وَالدَّهْرُ يَلْمُبُ بِالْفَتَى      وَالدَّهْرُ أَرْوَعُ مِنْ نُمَالَةَ  
وَالعَبْدُ يُفْرَعُ بِالْعَصَا      وَالْحُرُّ نَكْفِيهِ الْمَقَالَةَ

(٧) يشير إلى بيتي الثالث :

وَلَا يَقِيمُ عَلَى ذَلِّ يَرَادُ بِهِ      إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ  
هَذَا عَلَى الْحُسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ      وَذَا يُشْعَجُ فَلَا يَرِنُّ لَهُ أَحَدُ



وذكرت أن الفرار من الظلم والهروب ممن لا يُطاق، من سنن المرسلين ،  
 وقد قال تعالى على لسان موسى : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ ﴾ (١) .  
 فخطرتُ في مفارقة الوطن ؛ إذ قد بدأ ضاع الفاضلُ في وطنه ، وكسد العناق  
 الحبيطُ في معدنِه ، كما قال :

أضيقُ في مقشري وكم بليدُ يمدُّ عود السكباء من حطية<sup>(٢)</sup>  
 فاستخرتُ الله في إنقاذ العزم ، وأنا الآن بحيثُ أمنتُ بمض الأمن ،  
 إلا أن السمعَ لم يرتفع ، ومادة البغي لم تنقطع .  
 وختم هذه الرسالة بقصيدة أولها :

شَحَطْنَا، وما بالدار نأى ولا شحطُ      وشطَّ بمن نهوى الزارُ وما شطوا<sup>(٣)</sup>  
 وما شوقُ مقتولِ الجوانحِ بالظما      إلى نطفة زرقاء أضمرها وقط<sup>(٤)</sup>  
 بأرح من شوقِ إليكم، ودون ما      أدبرُ التي شوكة القنادة والخرط<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الشعراء ٢١ .

(٢) السكباء : من أعواد الطيب .

(٣) ديوانه ٢٨٥ ، وفيه : « وما للدار » وبمده :

أحبابنا ألوتْ بحادثِ عهدنا      حوادث لا عقْدَ عليها ولا شرطُ  
 لعمركمُ إنَّ الزمانَ الذي قضى      بشتِّ جميعِ الشملِ منأ أمشطُ  
 وأما الكرى مُذ لم أزرُكمُ فهاجرتُ      زيارته غيبٌ، وإلهائه فرطُ

(٤) النطفة : الماء القليل الصافي . والوقط : حفرة في الصخور يجتمع فيها المطر .

(٥) القنادة : أشجار متشابهة الأغصان مليئة بالأشواك ، وخرط القناد : جذب شوكة

بالأيدى ؛ وفي المثل : « دونه خرط القناد » .

وفي الرَّبْرِبِ الإِنْسِيِّ أَخْوَى ، كِنَافِئِهِ

فَوَاحِي صَمِيرِي ، لَا السَّكَيْبُ وَلَا السَّقَطُ<sup>(١)</sup>  
 عَلَيْكَ أَبَا بَكْرٍ بَكَرْتُ بِهَيْمَةِ لَهَا أَلْخَطَرُ الْعَالِي ، وَإِنْ نَالَهَا حَطُّ  
 أَبِي بَعْدَمَا هَيْلَ التَّرَابُ عَلَى أَبِي وَرَهْطِي فِدَا لِحَيْنٍ لَمْ يَبْقَ لِي رَهْطُ  
 وَلَوْلَاكَ لَمْ يَثْقُبْ زِنَادُ قَرِيحِي فَيَنْتَهَبُ الظَّلَاءُ مِنْ نَارِهَا سِقَطُ<sup>(٢)</sup>  
 هَرِمْتُ وَمَا لِلشَّيْبِ وَخَطُّ بَمَفْرَقِ  
 وَلَسَكُنْ لِشَيْبِ أَلَمِّ فِي كَيْدِي وَخَطُّ<sup>(٣)</sup>  
 وَقَدْ رَسَمُونِي بِأَلَّتِي لَسْتُ أَهْلَهَا وَلَمْ يَرِ أَمْثَالِي بِأَمْثَالِهَا قَطُّ  
 قَرَّرْتُ فَإِنْ قِيلَ الْفِرَارُ إِرَابَةٌ فَقَدْ فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبْطُ<sup>(٤)</sup>



وله الرسالة التي كتبها على لسانِ ولادة بنت المستكفي إلى الوزير  
 أبي عامر بن عبدوس ، يتهمكم به فيها ، فوجد فيها مكان القول ذا سمة ،  
 وتلعب فيها بأطراف الكلام ، وأجاد فيها ماشاء<sup>(٥)</sup> .

وكلُّ رسائله هكذا مشحونةٌ بفنون الأدب ، وأتمع التواريخ ، والأمثال  
 الغريبة ؛ نثراً ونظماً ؛ وأنت سوف ترى نثره كيف يهز عطفك ، ويسحرك  
 ويخدعك ، وايس فيه سجعٌ تروجه القوافي على النفوس ؛ ولسكن هذا من  
 القدرة على البلاغة .

(١) الربرب : سرب البقر الوحشي : أدوى : في شفتيه حمرة ضاربة لاسواد . وكناسه  
 الطبي : ماواه . والسكيب : الرمل المكس ، والسقط هنا : رقة الرمل حتى ينقطع .  
 (٢) السقط : الشعر ، وثقب : يتقد .  
 (٣) الوخط : انتشار الشيب .  
 (٤) الإرابة : الاتهام والشك .  
 (٥) هي الرسالة الهزلية ؛ شرحها ابن نباتة ؛ وقت بتحقيق هذا الشرح ، ونشر  
 في دار الفكر العربي .

وقال بعضُ الوزراءِ بِإِسْمِئِيلِيَّةٍ : عَهْدِي بِأَبِي الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدُونَ قَاعًا عَلَى  
جَنَازَةٍ بِمَضِ حُرْمِيهِ ، وَالْفَاسُ يُعْرَوْنَهِ عَلَى أَخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ ، فَمَا سَمِعْتُهُ يُجِيبُ  
أَحَدًا بِمَا أَجَابَ بِهِ غَيْرُهُ ، لَسَعَةِ مَيْدَانِهِ ، وَحَضُورِ جَنَانِهِ .

وله مع ولادة هذه أخبارٌ تُطْرِبُ الْقُلُوبَ ، وَتُسَنِّفُ الْمَسَامِعَ ؛ لِأَنَّهُ خَلَعَ  
فِيهَا عِذَارَهُ ، وَأَعْطَى هَوَاهُ فِيهَا فَضْلَ زِمَامِهِ . وَكَانَتْ وِلَادَةُ هَذِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ  
الْخِلَافَةِ ، أُبْنَةُ مُحَمَّدِ الْمُسْتَكْفِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَهِيَ وَاحِدَةٌ زَمَانِيهَا ، الْمَشَارُ إِلَىهَا  
فِي أَوَانِهَا ، حَسَنَةٌ الْمُحَاضِرَةِ ، مَشْكُورَةُ الْمَذَاكِرَةِ . وَكَانَتْ مَشْهُورَةً بِالصِّيَانَةِ  
وَالْعَقَافِ ، كَتَبَتْ بِالذَّهَبِ عَلَى طِرَازِهَا الْأَيْمَنِ :

أَنَا وَاللَّهِ أَصْلَحُ لِلْمَعَالِي وَأَمَشِي مِشِيَّتِي وَأَتِيهُ تَيْهَا  
وَكَتَبْتُ عَلَى الطَّرَازِ الْأَيْمَنِ :

وَأَمَكِنُ عَاشِقِي مِنْ صَخْنِ خَدِّي وَأَعْطِي قُبَاتِي مَنْ يَشْتَرِيهَا  
وَكَانَ لَهَا جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ بَدِيعَةُ الْغِنَاءِ ، فَظَهَرَ لَوِلَادَةَ مِنْ ابْنِ زَيْدُونَ  
مَيْلًا إِلَى الْجَارِيَةِ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ :

لَوْ كُنْتُ تَمِصُفُ فِي الْهَوَى مَا بَدِينَا لَمْ تَهَوَّ جَارِبَتِي وَلَمْ تَتَخَيَّرِ  
وَتَرَكْتَ غَضْنَاقًا مُثْمِرًا بِجَمَالِهِ وَجَنَحْتَ لِلْفُضْنِ الَّذِي لَمْ يُبْمِرِ  
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنِّي بَدْرُ السَّمَاءِ لَسَكُنْ وَلِمْتَ لِشَقْوَتِي - بِالْمُشْتَرِي

وَكَانَتْ تَرْمِيهِ بِأَيْدِيهِ مَعَ فِتْنَاهِ عَلَى عَلِيٍّ حَالَةً ، فَقَالَتْ فِيهِ :

إِنَّ ابْنَ زَيْدُونَ عَلَى فَضْلِهِ يَفْتَابُنِي ظَلَمًا وَلَا ذَنْبَ لِي  
يَلْحَظُنِي شَرْرًا إِذَا جُمْتُهِ كَأَنَّمَا جِئْتُ لِأَخْصِي عَلِيٍّ

وَكَانَتْ تُدَقِّبُهُ الْمُسَدَّسَ ، وَتَقُولُ فِيهِ :

وَلَقَّبْتَ الْمُسَدَّسَ وَهُوَ نَمْتُ تُفَارِقُكَ الْحَيَاةُ وَلَا يُفَارِقُ  
فَلَوْ طِيَّ وَمَأْبُونٌ وَزَانٍ وَدَبَّوْتُ وَقَرْنَانٌ وَسَارِقُ

وقالت فيه أيضاً:

إِنَّ ابْنَ زَيْدُونَ لَهُ فَحْجَةٌ      تَمْشِقُ فُضْبَانَ السَّرَاوِيلِ  
لَوْ أَبْصَرْتُ أَيْراً هَلَى نَخْلَةٍ      صَارَتْ مِنَ الطَّيْرِ الْإِبَائِيلِ  
وَبَلَّغْتَهُ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبَطْلَيْوْسِيَّ      اتَّصَلَ بِوَلَادَةٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَصِيدَةَ  
طَوِيلَةً ؛ أَوْهَلَا :

أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْإِلَهِ اسْتَمَعْ      وَخُذْ عِمْقَالَتِي أَوْ دَعْ (١)  
وَأَقْصِرْ بَعْدَهَا أَوْ زِدْ      وَطِرْ فِي إِثْرِهَا أَوْ قَعْ  
أَلَمْ تَسْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ      سَرَّ يُعْطِي بَعْدَ مَا يَمْنَعُ  
وَكَمْ ضَرَّ أَمْرًا أَمْرٌ      تَوَهَّمُ أَنَّهُ يَنْفَعُ  
فَإِنَّ قُصَارِكَ الدَّهَائِبِ      زُحَيْثُ سِوَاكَ فِي الْمَضْجَعِ

وكانت ولادة أولادتهوى ابن زيدون ، ثم مالت عنه إلى الوزير ابن  
عبدوس ، وكان يلقب بالفار ، فقال ابن زيدون :

أَكْرَمَ بَوْلَادَةٍ عَلِقًا بِمُعْتَلِقِ      لَوْ فَزَقَتْ بَيْنَ بَيْطَارٍ وَعَطَّارِ (٢)  
قَالُوا أَبُو عَامِرٍ أَضْحَى يُلِثُّ بِهَا      قَلْتُ الْفَرَّاشَةُ قَدْ تَدْنُو مِنَ النَّارِ  
عَبَّرْتُمُونَا بِأَنَّ قَدْ صَارَ بِخَلْفِنَا      فِيمَنْ نَحْبُ ، وَمَا فِي ذَاكَ مِنْ عَارِ  
أَكَلْتُ شَيْئًا أَصْدَبْنَا مِنْ أَطَائِبِهِ      بَعْضًا ، وَبَعْضًا صَفَحْنَا عَنْهُ لِلْفَارِ

وكانت قد طال عمرها وعمر أبي عامر المذكور ، حتى أربما على الثمانين ،  
ولم يدعها المواصلة ولا المراسلة .

وأما ابن زيدون فإن غالب شعره وأغزاه في ولادة ، ومن ذلك قصيدته  
الثنوية التي سارت في البلاد ، وطار في المهابد ، وأوهلها :

أَضْحَى التَّنَائِي بِدِيَلًا مِنْ تَدَائِنَيْنَا      وَنَابَ عَنْ طَيْبِ أَتْمَانَانَا تَجَافِينَا (٣)

(١) ديوانه ٥٧٨ . (٢) ديوانه ١٩٦ . (٣) ديوانه ١٤١ - ١٤٨ .

وقد اشتهرت حتى صارت تحذورة ، فيقال : إنه ما حفظها أحد إلا مات غريباً . وعارضها الناس في حياته وبعد موته ولم يقاربوها ، وأظن أن ابن زيدون عارض بها البحري في قوله :

يَكادُ عَازِلُنَا فِي الحِلَّةِ بِفَرِينَا      فَا لِحَاكِكَ فِي لَوَمِ الحَيِّينَا  
نُلحَى عَلَى الوَجْدِ مِنْ ظَلَمِ قَدِيدُنَا      وَجَدُ نَعَانِيهِ أَوْلَا حِ يَمِينِنَا

وقد حمس الشيخُ صفيُّ الدين الحلي قصيدة ابن زيدون المذكورة ، وجعلها مرثية في الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة ، فأحسن ماشاء . (١)  
وقال بعضُ الأدباء : من ليس البياض ، وتحتّم بالعميق ، وقرأ لأبي عمرو ، وتعمق للشافعي ، وروى قصيدة ابن زيدون ، فقد استكمل الظرف .

وكفت وأنا في زمن الشبابة قد نظمت مرثية في بعض الأصحاب الأعرزة بصفتها ، على وزن قصيدة ابن زيدون هذه ورويتها ، وهي :

تَحَكَّتْ بَعْدَكُمْ أَيْدِي النَوَى فِينَا      وَقَدْ أَقَامَتْ بِنَادِينَا تُنَادِينَا  
وَجَرَعْتَنَا كَمَوْسِ الحُزْنِ مَتْرَعَةً      مِزَاجُهَا كَانَ زَقُومًا وَعِشَلِينَا  
وَقَدْ أَنَاخَتْ بِنَا مِنْ بَعْدِكُمْ مَحْنٌ      عَدَّتْ عَلَيْنَا بِمَا يُرْضِي أَعَادِينَا  
وَالدَّمْعُ أَفْنَاهُ تَكَرَّرَ البُكَاءُ فُجِرَتْ      نَفُوسُنَا ذَانِبَاتٍ مِنْ أَمَاقِينَا  
وَحَبَبْنَا حَالَةً فِيكُمْ مُبَدَّلَةٌ      الدَّكْرُ يَنْدُسُ نَا وَالْحُزْنُ يَطْوِينَا

(١) ديوانه ٧٣٤ ، ومطلعها :

كَادَ الزَّمَانُ يَلْقِيَاكُمْ بِحَيِّينَا      وَحَادَثَ الدَّهْرَ بِالتَّفْرِيقِ يَثِينَا  
فَمَتَى صَدَقَتْ فِيكُمْ أَمَانِينَا      أَضْحَى التَّنَائِي بِدِيلَا مِنْ تَدَانِينَا

\* وناب عن طيب لعميانا نجافينا \*

أَضَحَّتْ عَلَيْنَا حَمَامُ الْأَيْكِ نَائِمَةً  
وَكَمْ لَبِقِ الدُّجَى جَيْبٌ يُشَقِّقُهُ  
وَكَمْ سَمِيرٍ مِنَ الذَّكْرَى يُطَارِحُنَا  
يَأْمَنُ تَحَكُّمَ فِي الْأَحْشَاءِ حُبُّهُمْ  
وَمَنْ وَجَدْنَا عَلَى نَارِ الْغَرَامِ بِهِمْ  
حَتَّى أَتَيْنَا فَأَسْنَا وَصَالِمٌ  
فَمَا أَنْتُمْ لَنَا مِيقَاتُ قُرْبِهِمْ  
فَكَمْ لَنَا صَعْقَةٌ خَرَّ الْفُؤَادُ لَهَا  
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلْهُيُونَ سَنَا  
مَا كَانَ ضَرْبًا لِيَالِي الْوَصْلِ لَوْ بَقِيَتْ  
وَجَمَّتْ سَمَلْنَا فَضْلًا وَتَكْرِمَةً  
يَادْهُرْنَا إِذْ دَعَا الدَّاعِي بِمُرْقَتْنَا  
مَا كَانَ أَسْرَعَ حُكْمًا جَاءَنَا عَجَلًا  
فَسُبُّنَا يَارِزَايَا الدَّهْرِ حَادِنَا  
وَمَنْ تَحَقَّقَى مَا قَدِ حَلَّ مِنْهُ بِنَا  
يَابِدْرَ تَيْمٍ تَجَلَّى فِي دُجَى شَعْرٍ  
وَيَا غَزَالَ النِّقَا جِيدًا وَمُلْتَفَقًا  
بِاللَّهِ هَلْ ذَهَبَتْ تِلْكَ الْخَامِرُ أَوْ  
وَهَلْ تَنَسَّكَرَ ذَلِكَ الْفَدَا أَوْ سُلِبَتْ  
وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَلِكَ الْوَجْهُ أَوْ ذَهَبَتْ  
فَإِنْ شَمَمَتْ عَيْبِرًا فِي الْجِنَانِ لِأَنْ  
وَإِنْ تَمَتَّتْ فِي الْفَرْدَوْسِ يَأْمَكُنِي

وكتب ابن زيدون إلى ولادة يوماً من الزهراء :

إني ذكرتِك بالزهراء مُشتاقاً      والجوُّ طاقٌ ووجه الأرض قدراقاً<sup>(١)</sup>  
 وللنسيم اعتلالٌ في أصائله      كأنه رَقٌّ لي فاعنلٌ إشفاقاً  
 والروض عن مائه الفضي مهتسِمٌ      كما شَققتَ عن اللبّات أطواقاً  
 يومُ كأيام لذاتِ لنا انصرفت      بنما لها - حينَ نَمَ الدهرُ - سُراقاً  
 نلهمو بنا بستميلِ العَيْن من زهرٍ      جالَ الندى فيه حتى ملَ أعناقاً  
 كأن أعينه إذ عابتُ أرقى      بكتَ لما بي ، فجلَ اللدُّع رراقاً  
 لا أشكن الله قلباً عن نذرِكم      ولمَ بَطُرَ بحجاجِ الشوق خفاقاً  
 لو شاء حملَ نسيمُ الريح حينَ هفاً      وافتاكمُ بفتى أضناه ما لاقى  
 فالآن أحدُ ما كُننا له يدِكمُ      سلونمُ ، وبقيتنا نحنُ عשאفاً  
 ومن نظمه أيضاً :

أما منى نفسى فانتِ جيئهما      ياليتنى أصبحتُ بعضُ مناكِ<sup>(٢)</sup>  
 يُدنى مزارِكِ حينَ شَطبَ به النوى      وهمُ أكادُ به أقبلُ فكِ  
 ومن نظمه أيضاً :

ولقد شكوتكِ بالضميرِ إلى الهوى

ودعوتُ من حنني عليكِ فأمناً<sup>(٣)</sup>  
 منيتُ نفسي من وصالِكِ ضلّةً      ولقد يُقرُّ المرءُ بارِقهُ اللّنى  
 ومن قصيدة يمدح بها عبّادا في يومِ عيد :

وآأ قضينا ما عنانا قضاؤه      وكلُّنا با أوليتِ داعِ نملحِفِ<sup>(٤)</sup>  
 رأيناك في أعلى الصلّى ، كأنما      تطلّع من محرابِ داودِ يوسفِ

(٢) ديوانه ٣٤٥ ، ٣٤٦

(١) ديوانه ١٣٩ .

(٤) ديوانه ٤٩٥ .

(٣) ديوانه ١٩١ .

ومن نظمه أيضاً :

بَيْدِي وَبَيْنَكَ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضَعِ  
 يَا بَانِمَا حَظَّهُ مِنِّي وَلَوْ بُدِّلَتْ  
 سِرّاً إِذَا ذَاعَتْ الْأَسْرَارُ لَمْ يَذِغِ<sup>(١)</sup>  
 لِي الْحَيَاةَ بِحَظِّي مِنْهُ لَمْ أَبْجِعْ  
 يَكْفِيكَ أَنْكَ إِنْ سَخَّاتِ قَلْبِي مَا  
 لَمْ تَسْتَطِعْهُ قُلُوبُ النَّاسِ يَسْتَطِيعْ  
 تَهْ أَحْتَمِلُ ، وَأَسْتَطِيلُ أَضِيرُ ، وَعِزُّ أَهْنُ  
 وَوَلِّ أَقْبِلُ ، وَقُلِّ أَسْمَعُ ، وَمُرُّ أَطِيعْ

ومنه :

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَبْكِيَ الْغَامُ عَلَى مِثْلِي  
 وَيَطْلُبَ نَأْرِي الْبَرْقَ مَنْصَلَتِ الْفَصْلِ<sup>(٢)</sup>  
 وَهَلَّا أَقَامَتْ أَجْمُ الزَّهْرِ مَأْتِمًا  
 لَتَنْدُبَ فِي الْأَفَاقِ مَاضِعًا مِنْ تَبْلِي  
 أَمْفُوكَةَ الْأَجْفَانِ مَالِكٍ وَالْهَامَا  
 أَلَمْ تَرِكِ الْأَيَّامُ نَجْمًا هَوَى قَيْلِي  
 وَوَلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ وَحَسْبُنَا  
 بِهِ عِنْدَ جَوْرِ الدَّهْرِ مِنْ حَكْمٍ عَدْلِي  
 وَفِي أُمَّ مُوسَى عِبْرَةٌ إِذْ رَمَتْ بِهِ  
 إِلَى الْيَمِّ فِي اللَّتَابُوتِ فَأَعْتَبِرِي وَأَعْلِي

ومنه من قصيدة كتبت بها من السجن إلى ابن جهور :

مَا جَالَ بِعَدْلِكَ لِحَظِّي فِي سَنَا الْقَمَرِ  
 وَلَا أَسْتَطَلْتُ زَمَامَ اللَّيْلِ مِنْ أَسْفِ  
 إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذِكْرَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ<sup>(٣)</sup>  
 إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَّتْ مَعَ الْقَصْرِ  
 فِي نَشْوَةٍ مِنْ سِنَاتِ الْوَصْلِ مُوهِبَةٍ  
 أَنْ لَا مَسَافَةَ بَيْنَ الْوَهْنِ وَالسَّحْرِ  
 يَا لَيْتَ ذَلِكَ السَّوَادَ الْجُؤُنَ مَتَّصِلُ  
 قَدْ أَسْتَمَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ

(٢) ديوانه ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(١) ديوانه ١٦٩ .

(٣) ديوانه ٢٥٠ .



إِنَّ الْحَوَارِ لَمَفْهُومٌ مِنَ الْحَوْرِ  
 بَرَقَ الْمَشِيبِ اعْتَلَى فِي عَارِضِ الشَّمْرِ  
 وَالشَّبِيبَةِ غَضُنٌ غَيْرُ مُهْتَمِرٍ  
 غَمْرًا فَمَا أَشْرَبَ الْمَكْرُوهَ بِالْغَمْرِ  
 أَنَّى مَعْنَى الْأَمَانِي ضَائِعِ الْخَطَرِ  
 أَمْ الْكُسُوفُ لَعِبَرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ!  
 قَدْ يُودِعُ الْجَفْنَ حَدَّ الصَّارِمِ الذِّكْرِ  
 عَنِ كَشْفِ صُرَى فَلَاعْتَبَ عَلَى الْقَدْرِ  
 وَلَمْ أَبْتِ مِنْ تَجَنُّبِهِ عَلَى حَدَرِ  
 وَنَابَتِ الْأَمْحَةُ الْعَجَلِيَّ عَنِ الْفِكْرِ  
 هُدُوءَ عَيْنِ الْوَرَى فِي ذَلِكَ السَّهْرِ

فَهَمْتُ مَعْنَى الْهَوَى فِي لِحْظِ طَرْفِكَ لِي  
 لَمْ تَطْوُرْ بُرْدَ شَبَابِي كَبِيرَةً ، وَأَرَى  
 قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِذْ عَهْدُ الصَّبَا كَتَبْتُ  
 بِاللَّرْزَايَا لَقَدْ شَافَهْتُ مِنْهَا  
 لَا يَهْنَأُ الشَّامِتَ الْمُرْتَاحَ خَاطِرُهُ  
 هَلِ الرِّيَاحُ بِنَجْمِ الْأَرْضِ عَاصِمَةٌ  
 إِنْ طَالَ فِي السَّجَنِ إِبْدَاعِي فَلَا عَجَبُ  
 وَإِنْ يُدَبِّطُ أَبَا الْحَزْمِ الرِّضَا قَدْرُ  
 مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْ تَأْتِيهِ عَلَى نِقَّةِ  
 اغْتَمَّتْ قَرْبَجَتُهُ مَعْنَى تَجَارِيهِ  
 كَمْ أَشْتَرَى بِكَرْمِي عَيْنَيْهِ مِنْ سَهْرِ

ومنها :

عَرَأْسٌ مِنْ جَنَاهَا يَانِعُ النَّمْرِ  
 رَدَّ الصَّبَاغِبَ إِشْفَاهُ عَلَى الْكَبِيرِ  
 جَذْلَانِ بِالْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ وَالْوَطْرِ

أَحِينَ زُفَّتْ عَلَى الْأَفَاقِ مِنْ أَدْبِي  
 لَا تَلَهُ عَنِّي فَلَمْ أَصَالِكَ مَعْتَسِنًا  
 وَأَشْفَعُ أَكُنْ مِثْلَ تَمْطُورٍ بِبَلَدِيهِ

وَمِنْ نَظْمِهِ فِي بَنِي جَهْوَرٍ :

مَنَاقِبِكُمْ فِي أَفْقِهَا أُنْجَمُ زُهْرُ  
 وَإِنْ تَبَسَّمَ الدُّنْيَا فَأَنْتُمْ هَا تُنْفَرُ  
 حُسَامٌ عَلَيْهِ مِنْ طَلَاقَتِهِ بِشْمُرُ  
 وَمَذْهَبِكُمْ قَصْدٌ وَنَيْلِكُمْ غَمْرُ  
 وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرُ

بَنِي جَهْوَرٍ أَنْتُمْ سَمَاءُ رِيَاسَةٍ  
 تَرَى الدَّهْرَ إِنْ يَبْطِشُ فَنَكْمٌ يَمِيئُهُ  
 لَكُمْ كُلُّ رَقْرَاقِ التَّمَّاحِ كَأَنَّهُ  
 طَرِيقَتِكُمْ مُثْلِي وَهَدْيُكُمْ مَوْرِضًا  
 عَطَاؤًا وَلَا مَنًّا ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى

وَمِنْ نَظْمِهِ فِيهِمْ بَعْدَ حَبْسِهِ :

بَنِي جَهْوَرٍ أَحْرَقْتُمْ بِجَفَائِكُمْ جَنَانِي فَمَا بَالُ الْمَدَامِحِ تَمْبِقُ! (١)  
تَظَنُّونَنِي كَالْمَنْبَرِ الْوَزْدِ إِعْمَا تَطِيبُ لَكُمْ أَنْفَاسُهُ حِينَ يَحْرَقُ

وَقَالَ بِحَاطِبِ أَبِي الْخَزَمِ بْنِ جَهْوَرٍ :

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَقَدْ قَطَعْتُ بَمَدْحِهِ عُجْرِي فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ تَوَابِي (٢)  
لَا تَخْشَ لِأَمْرِي بِمَا قَدْ جِئْتَهُ مِنْ ذَاكَ فِي وَلَا تَوَقَّ عِتَابِي  
لَمْ تَخْطِ فِي أَمْرِي الصَّوَابَ مَوْفَقًا هَذَا جِزَاهُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ

قُلْتُ : وَمِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ قَوْلُ الْأَبِي وَرْدِي :

وَقَصَائِدٍ تَحْكِي الرِّيَاضَ أَضَمَّتْهَا فِي بَاخِلٍ ضَاعَتْ بِهِ الْأَحْسَابُ  
وَإِذَا تَنَاشَدَهَا الرُّوَاهُ وَأَبْصَرُوا أَلْ مَمْدُوحَ قَالُوا : شَاعِرٌ كَذَّابُ  
وَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي حَمَزَةَ (٣) :

وَوَعَدْتَنِي فَظَنَنْتُ أَنَّكَ صَادِقٌ فَظَلَلْتُ مِنْ طَمَعِي أَجْبَهُ وَأَذْهَبُ  
وَإِذَا اجْتَمَعْتُ أَنَا وَأَنْتَ بِمَجْلِسٍ قَالُوا : مُسْتَيْلَةٌ وَهَذَا أَشْبَهُ

وَقَوْلُ ابْنِ زَيْدُونَ : « لَمْ تَخْطِ فِي أَمْرِي الصَّوَابَ » ، يُشْبِهُ قَوْلَ مُحَمَّدِ بْنِ  
مَنْاذِرٍ فِي خَالِدِ بْنِ طَلِيحٍ (٤) قَاضِي البَصْرَةِ :

قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي مِنْ هَاشِمٍ فِي سِرِّهَا وَالْأَبَابِ (٥)  
إِنْ كُنْتَ لِلسَّخَطَةِ عَرْضْتَنَا بِخَالِدٍ فَهِيَ أَشَدُّ الْعِقَابِ  
كَانَ قُضَاءُ النَّاسِ فِيهَا مَضَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَذَا مِنْ عَذَابِ

(١) ديوانه ٥٩٠ ، و الذخيرة ١ : ٣٠٤ .

(٢) ديوانه ٥٩١ .

(٣) ط : « في أبي حمزة » .

(٤) و الأغاني ١٧ : ٢٤ (ساسى) : « كان قاضي المهدي » .

ياعجباً من خالدٍ كيف لا يُخطئ فينا مرةً بالصواب !  
وكتب إلى أبي حفص بن برد النكاتب من السجن أيضاً ، قطعةً منها :

ماعلى ظنّي باسُ      يجرّح الدهر ويأبؤ<sup>(١)</sup>  
ربّما أشرف بالمرّ      على الآمالِ ياسُ  
ولقد يُنجيك إغفا      لئ ، ويؤذيك أحتراسُ

ومنها :

يا أبا حفص وما سا      واك في الفئهم لياسُ  
من سنّا رأيك لي في      غسق اللّيل أفتباسُ

ومنها :

وإدري لك نصّ      لم يُخالفه قياسُ  
يلبّد الورد السبّتي      وله بعد أفتراس<sup>(٢)</sup>  
إن أكن أصبحت محبو      سا فللغيت أحتباسُ  
فتأمل كيف يفشى      مقلة المجد الثعاسُ  
ويقت المسك في الثز      ب فيوطا وبُداسُ  
لا يَكُنْ عهدك وزداً      إن عهدى لك آسُ  
وأدر ذكرى كاساً      ما أمتطت كفك كاسُ

ومِن نظمه :

أما رضاك فشيء ماله ثمنُ      لو كان ساحتى في مالِك الزمن<sup>(٣)</sup>  
تبيكي فراقك عين أنت ناظرها      قد لِح من هجرها في هجرِك الوسنُ

(١) ديوانه ٢٧٣ . (٢) يلبد : يقيم بمكانه ، والورد والسبتي : من أسماء الأسد .

(٣) ديوانه ١٨٠ .

إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَمِدِي بِهِ حَسَنٌ  
وَاللَّهِ مَا سَاءَ لِي أَنْ أُخْفِيَتْ ضَمِّي  
لَوْ كَانَ أَمْرِي فِي كَتَمِ الْهَوَى بِيَدِي  
وَمِنْ نَظْمِهِ أَيْضًا :

لَمْ أُنْسَ إِذْ بَانَتْ يَدِي لَيْلَةً  
لَمْ أَشْمِمْ اللَّبْرَقَ جَهَامًا ؛ وَلَمْ  
يَأْمُرْ شِدِّي جَهْلًا إِلَى غَيْرِهِ  
ذُو بَاطِنٍ أُنْفِسَ نَوْرَ التُّتْقَى  
وَمِنْهَا :

لَا طَارَ بِي حَظٌّ إِلَى غَايَةٍ  
لَمْ يَذْنِبِي عَنْ أَمَلٍ مَا جَرَى  
وَأَشْمَعُ فَلِلشَّامِعِ نَعْمَى بِمَا  
إِنَّ سَحَابَ الْأَفْقِ مِنْهَا الْحَيَا  
مَا لَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ مَرِيضَ الْجِنَاخِ  
قَدْ يُرْقِعُ الْخَرْقُ وَتَوَسَّى الْجِرَاحِ  
بِنَاهُ مِنْ عَقْدٍ وَثِيقِ التَّوَاخِ  
وَالْحَيْدِ فِي تَأْيِيقِهَا لِلرِّيَاحِ

وَمِنْ نَظْمِهِ مَهْمَثًا لِمَهْمُتْضِدِ عِبَادِ بِهِزْمِ أَبِيهِ إِسْمَاعِيلَ لِأَنَّ الْأَنْفَاسَ وَقِيلَ  
وَلِدِ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ :

وَبُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةَ الْعَمْدِ طَلْقَةً  
دَعَوْتَ فَقَالَ النَّهْرُ لَبِيكَ مَائِلًا  
وَأُحْدِثَ عَقْبِي الصَّبْرُ فِي دَرَكِ الْمُنَى  
وَجِدْنَاكَ إِنْ أَلْفَحْتَ سَمِيًّا نَمَجَّتَهُ  
سَلِّ الْخُلَّانَ الْمَغْتَرَّ : كَيْفَ احْتِقَابُهُ

(١) ديوانه ٢٤٧ .

(٢) ديوانه ٤٦٧ .

رَأَى أَنَّهُ يُضْحِي هَزَبًا مَصَمًّا فَلَمْ يَعُدْ أَنْ أُنْسَى ظَلِيمًا مُشْرَدًا  
يَوْذُ إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ أَنَّهُ أَقَامَ عَلَيْهِ آخِرَ اللَّيْلِ سَرْمَدًا  
وَأَصْبَحَ يَكْفِيهِ الْمَصَابُ بِشَكْلِهِ بَكَاهُ كَلِيمِدٍ حِينَ فَارَقَ أَرْبَدًا

وهذا القدر يسكني في إيراد نظم ابن زيدون .

ولما اتصل بمد فراره من سجن ابن جهور بالمتضد بن عباد ، ولم يزل  
عنده وعند أبيه المعتمد قائم الجاه ، وافر الحرمة ، إلى أن توفى بإشبيلية ، سنة  
ثلاث وستين وأربعمائة ، كذا قال شيخنا شمس الدين الذهبي .<sup>(١)</sup>

وقال ابن بشكوال : توفى سنة خمس وأربعمائة ، وكانت وفاته بأبيدة ،  
وسيق إلى قرطبة ودفن فيها . ومولده سنة أربع وخمسين وثمانمائة .<sup>(٢)</sup>

قلت : ولعل الذي قاله ابن بشكوال أقرب إلى الصواب ، على أن  
ابن بتمام قال في « الذخيرة » : توفى سنة ثلاث وستين ، وكان يخضب  
بالسواد ، وكان له ولد يقال له : أبو بكر ، تولى وزارة المعتمد ، وقيل يوم  
أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد ، رحمهم الله أجمعين .

(١) العبر ٣ : ٢٥٣ .

(٢) لم أجده في الصلاة .

## رسالة ابن زيدون

وها أنا أورد الرسالة منقولة من خط الإمام علي بن ظافر ، رحمه الله تعالى ،  
وأئديها جملة ، ثم أعود بعد ذلك وأوردُها شيئاً فشيئاً ، من أولها إلى آخرها ،  
وكلما أوردتُ منها شيئاً أوضحتُ مُهمته ، وفصلتُ مُجملته ، وأوردتُ ماله به  
علافة ، مستهيناً في بلوغ المقصود بالله تعالى .

كتب أبو الوليد أحمد بن زيدون إلى ابن جهور :

يامولاي وسيدي الذي ودادي له ، وأعمادي عليه ، وأعتدادي به .  
ومن أبقاه الله تعالى ماضي حدّ القزم ، واري زند الأمل ، ثابت عهد النعمة .  
إن سلبتني أعزك الله لباس إنعامك ، وعظمتني من حلي إيناسك ، وأظمتني  
إلى برود إسماعلك ، ونفقت بي كف حياطتك ، وغضضت عني طرف حمايتك ؛  
بعد أن نظر الأنعي إلى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائيك عليك ، وأحس  
الجواد بأستحمادي إليك ؛ فلا غرو ، قد يقص بالماء شاربهُ ، ويقتل الدواء  
المستشفى به ، ويؤتى الخدير من مأمته ، وتكون منية الممتني في أمنيته ،  
والحين قد يسبق حرص الحربص .

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الأعداء  
وإني لا تجلد ؛ وأرى الشامتين أني لربب الدهر لا أتضعضع ، فأقول :  
هل أنا إلا بد أدماها سوارها ، وجبين عض به إكليله ، ومشرق الصقة  
بالأرض صائله ، وسميري عرضه على النار مئتمه ، وعبد ذهب به سيده  
مذهب الذي يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرخم  
هذا القتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة غمرة تم تنجلي ، وهذه النسكة  
سحابة صيف عن قليل تقشع . ولن يريني من سيدي أن أبطأ سيده ،

أو تأخرَ غيرَ ضنينِ غناؤه ، فأبْطَأَ الدَّلاءَ فَيَمِضُ أَمْوَالُهَا ، وَأَثْقَلَ السَّحَابَ مَشِيماً  
أحْفَاهَا ، وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا صَادَفَ جَدْبَا ، وَالذُّ الشَّرَابَ مَا أَصَابَ غَلِيلاً ، وَمَعَ  
اليَوْمِ غَدٌ ، وَكُلُّ أَجَلٍ كِتَابٌ ؛ لَهُ الْحُدُ عَلَى أَهْتَابِهِ ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي  
إِغْفَالِهِ .

فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِداً فَأَفْعَالُهُ اللَّاتِي سَرَزْنَ أُلُوفُ

وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسمعه عقوك ، والجهل الذي لم يأت  
من ورائه حلمك ، والتطاؤل الذي لم يستغرفه تطوئك ، والتحمائل الذي  
لم يَفِّ به أحبتك ؛ ولا أخلو من أن أكونَ بريئاً فأين العدل أو مسيئاً  
فأين الفضل !

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ قَمَدُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ

حَفَانِيكَ اِقْدِ بَلْعَ السَّيْلِ الزُّبِّي ، وَنَايِي مَاحِسِي بِهِ وَكَفِّي . وَمَا رَانِي  
إِلَّا لَوْ أَنِّي أُمِرْتُ بِالسَّجُودِ لِأَدَمَ فَأَبَيْتُ وَأَسْتَكْبَرْتُ ، وَقَالَ لِي نُوحٌ :  
﴿ اِرْكَبْ مَعَنَا ﴾ ، فَقُلْتُ : ﴿ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَمْعُمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ ، وَأُمِرْتُ  
بِبِنَاءِ صَرْحٍ لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى ، وَعَكَّفْتُ عَلَى الْمِجَلِّ ، وَأَعْتَدَيْتُ  
فِي السَّبْتِ ، وَتَمَاطَيْتُ فَمَقَرْتُ ، وَشَرِبْتُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أُبْتَلَى بِهِ جِيُوشُ  
طَالُوتَ ، وَقَدْتُ الْفَيْلَ لِأَبْرَهَةَ ، وَعَاهَدْتُ قُرَيْشاً عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ ، وَتَأَوَّلْتُ  
فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ ، وَنَفَرْتُ إِلَى الْعَيْدِ بَبَدْرٍ ، وَأَخْرَجْتُ بِمُثُكِ النَّاسِ يَوْمَ أَحُدَ ،  
وَتَخَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَجِئْتُ بِالْإِفْكَ عَلَى عَائِشَةَ الصَّدِيقَةَ ،  
وَأَنْفَيْتُ مِنْ إِمَارَةِ أُسَامَةَ ، وَزَعَمْتُ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فُلْتَةً ، وَمِنْ أَدَلِّهِ  
الْقُرْآنِ هَلَى خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ ، وَرَوَيْتُ رُنْحِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ ، وَمَرَقْتُ  
الْأَدِيمَ الَّذِي بَارَكْتَ بِدُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَضَحَّيْتُ بِالْأَشْمَطِ الَّذِي عُنْوَانُ  
السَّجُودِ بِهِ ، وَبَدَلْتُ لِقَطَامَ :

ثلاثة آلاف وعبدًا وقينةً وضربَ عليَّ بالحسامِ المسَّمِ .  
 وكتبتُ إلى عمر بن سعد: أن جمِّعَ مع الحسين ، وتمتلتُ عندما بلغني  
 من وقعة الخزرة :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدْرِ عَلَيْهِمْ جَزَعُ الْخُزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ  
 وَرَجَحَتُ السَّكْبَةَ ، وَصَلَبْتُ الْعَائِدَةَ عَلَى النَّخِيَّةِ - لَسَكَانَ فِيمَا جَرَى عَلَيَّ  
 مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَسْمَى نَسْكَالًا ، وَيُدْعَى لَوْ طَلَى الْمَجَازِ عَقَابًا .

وحسبك من حادثٍ بأمرٍ تَرَى حاسديه له راحيينًا  
 فكيف ولا ذنب إلا نَمِيمَةً أهداها كاشحٌ ، ونبا جاء به فاسقٌ ،  
 وهم الهمَّازون للشامون بنميم ، والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا ،  
 والغواة الذين لا يتركون أديما صحيحا ، والشعاة الذين ذكروهم الأحنفُ  
 ابن قيس ، فقال : ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم !

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبه وليس وراء الله المرء مذهبُ  
 والله ما عشتُك بمد النصيحة ، ولا انحرفتُ عنك بمد الصاغية ،  
 ولا نصبتُ لك بمد النشيع فيك ، ولا أزممتُ بأسا منك مع ضان تكلفتُ  
 به الثقة عنك ، وعهد أخذته حسن الظن عليك ؛ فقيم عيبت الحفاء بأذمتي ،  
 وعاث العقوق في مواتي ، وتمكَّن الضياع من رسائلي ! ولم ضاقت مذاهبي ،  
 وأكذت مطالبي ! وعلام رضيتُ من المركب بالتمليق ، بل من الغنيمة  
 بالإياب ! وأنى غلبتني المغلب ، وفخر على العاجز الضعيف ، وأطمئتني غيرُ  
 ذات سوار أو مالك لم تمنع مني قبل أن أفترس ، وتذركني وتنا أمزق !  
 أم كيف لا تفرم جوائح الأكفاء حسدا لي على الخصوص بك ، وتقطع  
 أنفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك ، وقد زانني أسم خدمك ،  
 وزهاني وسهم نعمتك ، وأبليتُ البلاء الجميل في سباطك ، وقمتُ للمقام  
 الحمود على بساطك .



أَلَّتْهُ الْمَوَالِي فِيكَ غَرَّ قَصَائِدِ  
 هِيَ الْأُنْجُمُ أَفْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا  
 نَفَاءً يُظَنُّ الرُّوضُ مِنْهُ مَنْوَرًا ضُجِّي، وَيُخَالُ الْوَتْنِي فِيهِ مَنْمَمًا  
 وَهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بُرْدًا طَرَزْتَهُ بِفَضَائِلِكَ ، وَتَهَلَّلَتْ الْجُوزَاهُ  
 إِلَّا هَقْدًا فَصَلَّتُهُ بِمَا بَرِّكَ ، وَأَسْتَمَلِي الرَّبِيعُ إِلَّا تَنَاءً مَلَاتَهُ مِنْ مَحَاسِنِكَ ،  
 وَبَثَّ الْمِسْكَ إِلَّا حَدِيثًا أَدْعَتْهُ فِي مَحَامِدِكَ أَمَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بَسْرًا .

وإن كنتُ لم أكنُك سَلِيبًا ، وَلَا حَلِيمَتِكَ عَطْلًا ، وَلَا وَسْمَتِكَ غَفْلًا ؛  
 بل وجدتُ أَجْرًا وَجِصًّا فَبَيْتَيْتُ ، وَمَكَانَ التَّوَلُّ ذَا سَمَةٍ فَقَلَّتُ  
 حَاشَاكَ أَنْ أَعْدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةَ ، وَأَكُونَ كَالذَّلَّةِ لِلنَّصُوبَةِ  
 تُضِيهِ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ الْفَلَكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَهُوَ بَكَ - وَبِي فِيكَ - أَوْلَى .  
 وَلَعَمْرُكَ مَا جَهِلْتُ أَنْ صَرَبِحَ الرَّأْيِ أَنْ أَحْوَلَ إِذْ بَلَغْتَنِي الشَّمْسُ ،  
 وَنَبَاجِي الْمَنْزِلِ ، وَأَصْفَحَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، فَلَا أَسْتَوْطِيهِ  
 الْعَجْزُ ، وَلَا أَطْمَئِنُّ إِلَى الْفُرُورِ ؛ وَمِنَ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ : خَامِرِي أُمَّ عَامِرِ ؛  
 وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَنَّ الْجَلَاءَ سِبَاءٌ ، وَالثَّقَلَةَ مُثْلَةٌ .

وَمَنْ يَفْتَرِبَ عَنِ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى  
 مَصَارِعَ مَظْلُومٍ : مَجْرَأٌ وَمَسْحَبِيًّا  
 وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسِيئُ  
 يَكُنْ - مَا أَسَاءَ - النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

لمأرفك بأنّ الأدب الوطن لا يُخشى فراقه ، والخليط لا يُتوقع  
 زياته ، والذئب لا يُجفى ، والجمال لا يُخفى . ثمّ ما قران السملا - كواكب أبيه  
 أترا ، ولا أسنى خطرا ، من أقران غي النفس به ، وانتظامها نسقا معه ؛ فإن

الحِزْرَ لَهَا ، الضَّارِبَ بِهِمَّ فِيهِمَا - وَقَلِيلٌ مَا هُم - أَيْنَا تَوَجَّهَ وَرَدَّ مَهْلِكِ بَرٍّ ،  
وَحَطَّ فِي جَنَابِ قُبُولِ ، وَضَوْحِكَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ ، وَأَعْطَى حُكْمَ الصَّيْبِ عَلَى  
أَهْلِهِ .

وقيل له : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فهذا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ

غير أن الوَطْنَ محبوب ، والمَنْشَأُ مألوف ، واللَّبِيبُ يَحِنُّ إِلَى وَطَنِهِ ،  
حَنِينَ النَّجِيبِ إِلَى عَطْنِهِ ، وَالكَرِيمَ لَا يَجْفُو أَرْضًا فِيهَا قَوَائِمُهُ ، وَلَا يَنْتَسِي  
بِلَدًّا فِيهَا مَرَاضِمُهُ قَالَ الْأَوَّلُ :

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعِجٍ إِلَى وَسْمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا  
بِلَادَ بَهَا عَقُّ الشَّيْبِ تَمَامِي وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسِّ جِلْدِي تَرَابُهَا

هذا إِلَى مَغَالَتِي لَمَقْدِ حِوَارِكِ ، وَمُنَافَسَتِي بِلَاحِظَةِ مِثْرِكِ ، وَأَعْتِقَادِي  
أَنَّ الطَّمَعِ فِي غَيْرِكَ طَبِيعٌ ، وَالغَنَى مِنْ سِوَاكَ عَنَاءٌ وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جُوفِ الْفِرَاءِ ،  
وَالْبَدَلُ مِنْكَ أَعْوَرٌ ، وَالْعَوَاضُ نَفَاءٌ .

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي صَنًّا بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ  
وَفِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٌ ، وَاسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ وَالْمَغَارُ . فَمَا هَذِهِ الْبَرَاءَةُ تَمُنُّ  
بِتَوْلَاكَ ، وَالْمَيْلُ عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنكَ ! وَهَلَا كَانَ هَوَاكَ فِيمَنْ هَوَاهُ فَيْكَ ،  
وَرِضَاكَ لِمَنْ رَضَاهُ لَكَ !

يَا مَنْ يَمُرُّ عَلَيْنَا أَنْ نُنْفَارَ قَهْمٌ وَخِدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَ كُنْ عَدَمٌ  
أَعِيدُكَ وَنَفْسِي مِنْ أَنْ أَشِيمَ خُأْبًا ، وَأَسْتَمِطِرَ جِهَامًا ، وَأَكْدِمَ فِي غَيْرِ  
مَكْدَمٍ ، وَأَشْكُو شَكْوَى الْجُرْحِ إِلَى الْعِقْبَانِ وَالرَّحِمِ ؛ فَمَا أَبْسَسْتُ لَكَ  
إِلَّا لَتَدِرَ ، وَحَرَّ نَمْتُ لَكَ الْحِوَارِ إِلَّا لَتَحَنَ ، وَنَبَهْتُكَ إِلَّا لِأَنَامِ ،  
وَسَرَيْتُ إِلَيْكَ إِلَّا لِأَجْدِ الشَّرِيِّ لَدَيْكَ . وَإِنَّكَ إِنْ شُدَّتْ عَقْدُ أَمْرِ تَيْسَتَرَ ،

وَمَتَى أَعْدَرْتِ فِي فِكِّ أُسْرِي لَمْ يَتَمَدَّرْ ، وَعِلْمُكَ مَحِيْطٌ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ  
النِّعْمَةِ ، وَالشَّفَاعَةُ زَكَاةُ الْمُرُوَّةِ ، وَفَضْلَ الْجَاهِ - تَعَوُّدٌ - بِهَ صَدَقَةٌ .

وَإِذَا مُرُوْهُ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ  
لَعَلِّي أَنْ أَلْتَقِيَ الْعَصَا بِذَرَاكَ ، وَيَسْتَقِرُّ بِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ ، وَأَسْتَأْنِفُ  
التَّأْدِبَ بِأَدَبِكَ وَالْإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ ، فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ حُلْطَةٍ ،  
وَلَا أَدْعُ لِلْقَادِحِ مَسَاغَ أَفْطَةٍ ، وَاللَّهُ مَيَسِّرُكَ مِنْ إِبْطَالِي بِهَذِهِ الطَّلِبَةِ ، وَإِشْكَائِي  
مِنْ هَذِهِ الشُّكْوَى ، بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمُصْنَعِ ، وَتَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظَ  
مُسْتَوْدِعٍ ، حَسْبَمَا أَنْتَ خَلَقْتَهُ لَهُ ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ ؛ وَذَلِكَ بِيَدِهِ ،  
وَهَيِّنٌ عَلَيْهِ .

وَلَمَّا تَوَالَتْ غُرُرُ هَذَا النَّثْرِ وَاتَّسَقَتْ دُرُرُهُ ، فَهَزَّ عِطْفَ غُلُوَانِهِ ؛  
وَجَرَّ ذَيْلَ خَيْلَانِهِ ، عَارِضَهُ بِالنِّظْمِ مُبَاهِيًا ؛ بَلْ كَابَدَهُ مُدَاهِيًا ، حِينَ أَشْفَقَ  
أَنْ يَسْتَعْطِفَكَ أَسْتَعْطَافَهُ ، وَتَمِيلَ بِتَنْفِيكِ الطَّافِهِ ، فَاسْتَحْسِنِ الْعَائِدَةَ مِنْهُ ،  
وَأَعْتَدِ بِالْفَائِدَةِ لَهُ ، فَمَا زَالَ يَسْتَكِدُّ الذِّهْنَ الْعَمِيلَ ، وَالخَاطِرَ السَّكَلِيلَ ،  
حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ عَرُوسًا مَجْلُودَةً فِي أَثْوَابِهَا ، مَنْصُوصَةً بِحَلِيهَا وَمَلَابِسِهَا ، وَهِيَ :

الهَوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ - وَالْمُنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ الذَّنِيمِ -  
سَرَرْنَا عَيْشَنَا الرَّفِيقُ الْخَوَاشِي لَوْ يَدُومُ الشَّرُورُ الْمُسْتَدِيمِ -  
وَطَرْنَا مَا أَنْقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى زَمَنٌ مَازِمًا مَهْ بِالذَّمِيمِ -  
إِذْ خَتَمْنَا الرِّضَا السُّوْغَ مِسْكَ وَمِزَاجُ الْوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ -  
وَعَرِيضِ الدَّلَالِ غَضُّ جَنَى الصَّبِوَةِ نَشْوَانٍ مِنْ سُلَافِ الذَّمِيمِ -  
طَالَمَا نَافَرَ الْهَوَى مِنْهُ عِزٌّ لَمْ يَطُلْ عَهْدُ جِيْدِهِ بِالْتَّمِيمِ -  
زَارَ مُسْتَخْفِيًا ، وَهِيَهَاتَ أَنْ يَخُ فِي سَنَا الْبَدْرِ فِي الظَّلَامِ الْبَهِيمِ -

فَوَيْتِي الْخُلَى إِذْ مَشَى ، وَهَمًّا طَيِّبًا  
 أَيُّهَا الْمُؤَذِّنِي بَطْلَمُ الْأَيْبَالِي  
 مَا تَرَى الْبَدْرَ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالشَّمْسَ  
 وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكَ يَمْحُو  
 بَوَاءَ اللَّهِ جَهَّورًا أَشْرَفَ السُّو  
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأُمُورُ  
 قَلْدَ الْعَمُرُ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ  
 خَطَرٌ يَقْتَضِي السَّكْمَالَ بِفَوْعَى  
 أَسْوَةَ الرُّوْحِ تَطْبِيكَ يَحْطَى  
 إِهْذَا الْوَزِيرُ هَا أَنَا أَشْكُو  
 مَا غَنَاءُ أَنْ يَأْتِيَ السَّابِقَ الْمَرْ  
 وَثَوَاءَ الْحَسَامِ فِي الْجَفْنِ يَثِي  
 أَوْضَرَ مَثِينَ جَسْمًا مِنَ الْأَيْبَامِ  
 نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ  
 وَمَعْنَى مِنَ الصَّبَا بَهْنَاتٍ  
 نَكَاتٍ بِالْكُورِ قَرْحِ الْكُورِ  
 حَقَمٌ لَا أَعَادُ مِنْهُ فِي الْعَا  
 نَارَ بَغْيِي سَعَى إِلَى جَنَّةِ الْأَنْدَمِ  
 بَأَبِي أَنْتَ إِنْ تَشَأْتِكُ بَرْدًا  
 وَسَلَامًا كَنْارِ إِبْرَاهِيمِ  
 لِلشَّفِيعِ الثَّمَاءِ وَالْحُدَى فِي صَو  
 بِ الْحَيَا لِلرِّيَاحِ لَا لِلْمَيُومِ  
 وَزَعِيمِ بَأَنْ يَذَلَّ لِي الصُّع  
 بَ فَيَأْتِي إِلَى الْهَامِ الزَّعِيمِ  
 وَثَمَاءُ أَرْسَلْتَهُ سَلْوَةَ الظَّا  
 عَيْنِ عَنْ شَوْقِهِ وَهُوَ الْمُقِيمِ  
 وَوَدَادٌ يُعَيِّرُ الدَّهْرَ مَا شَا  
 هُ وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ  
 فَهُوَ رَبِّحَانَةُ الْجَلِيسِ وَلَا فَجْ  
 رَ ، وَمِنْهُ مِزَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ  
 لَمْ تَزَلْ مُغَيِّبًا عَلَى هَفْوَةِ الْجَا  
 نِي مُصِيحًا إِلَى أَعْتَدَارِ الْمُلِيمِ

ومتى نبدا الصَّيِّمَةَ يُولِيكَ تَمَامُ الْخِصَالِ بِالْتَّمِيمِ.

هاكها أعزك الله يَبْسُطُهَا الْأَمَلَ ، وَيَقْبِضُهَا الْخَجَلَ ، لما ذَنَبَ التَّقْصِيرَ ،  
 وَحُرْمَةَ الْإِخْلَاصِ ، فَهَبْ ذَنْبًا حُرْمَةً ، وَاشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ ؛ لِمَتَأْتِي لَكَ الْإِحْسَانُ  
 مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسْلُكُ إِلَى الْفَضْلِ طُرُقَاتِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هذه الرسالة الزيدونية بجملة ما نثرنا ونظما ، منقولة من خط ابن ظافر ر ٤٥

الله تعالى .



وهذا أوان الشروع في إبرادها على التفصيل شيئاً فشيئاً ؛ ليعتني  
الكلام على ما أودعه فيها من الإشارات إلى الوقائع والأمثال ، وخلد فيها من  
أبياتٍ اشتهر بين الأدباء استعمالها ، وتخلل في غصون الرسائل والمكتوبات  
ورودها ؛ حسب الإمكان ، وبالله الإعانة .

١ - قوله : يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَادِي لَهُ .

المولى يحيى في الكلام على عمان . قال المولى ابن العم [١] ، والمولى  
الحليف ، والمولى المزمع ، والمولى المعتقد ، والمولى العتيق .  
قال المولى أعلى وأسفل . فهو من الأضداد ؛ فمن وقف على مواليه فلا شافعي  
رحمه الله تعالى فيه ثلاثة أقوال : أحدها يُصرف إلى الأعلى ، والثاني يُصرف  
إلى الأسفل ، والثالث أن يشترك بينهما ، وعليه الفتوى .

وما أحسن قول أبي إسحاق الفزري :

ولن يتساوى سادةٌ وعبيدُهم على أن أسماء الجميع موالٍ

وقول أبي تمام اللطائي :

مولاك يا مولاي صاحبُ لوعةٍ في يومه وصبايةٍ في أمسه  
دنفٌ يجود بنفسه حتى لقد أمسى ضعيفاً أن يجود بنفسه

والمولى : الولي ، وفي الحديث : « اللهم من كنتُ مولاهُ فوليُّ مولاهُ » .

والمولى : الجار والناصر ، وكلُّ من وليُّ امرأ فهو وليُّه ، والمراد من هذه

(١) من ط .

المعاني كلها المنعم ، والمعيق ، والسيد . تقول العرب : سادَ قومَه يسودهم سيادةً ، وسودداً ، وسيدردةً ، فهو سيِّدٌ ، أي فضل عليهم وأرتفع عن طبقتهم ، لما امتاز عنهم بمناقبه ؛ وما أحسن قول أبي نواس في الفصل ابن عبد الصمد الرقاشي :

وجَدْنَا الفضلَ أكرمَ من رقاشٍ لأنَّ الفضلَ مولاةُ الرسولِ  
أرادَ أبو نواسٍ نفيَه عن ولانِه ؛ لأنَّه جمَلَه أكرمَ من ينتمِي إليه ،  
وذَهَبَ إلى قولِه صلى اللهُ عليه وسلم : « أبا مولى من لا مولى له » ، وهذا من  
الهِجْوِ الخبيثِ الخفي .

والوداد : المحبة ، تقول منه : ودَدْتُ الرجلَ أودُّه ووداداً ، أحببته ،  
والودَّ والودَّ بضم الواو وفتحها : المودة .  
ويُقَابِلُ المولى مذكراً المولاةَ مؤنثةً ، ويقابلُ السيدَ مذكراً السيدةَ  
مؤنثةً . وأما قولُ الناس : « لست » ، فليس في كلام العرب ، بل هو مولدٌ ،  
وما أحسن قولَ البهاء زهير :

بِنَفْسِي مَن أُنَمِّيها بِنَفْسِي فَزِدْني النِّعْمَةَ بيمينِ مَمَّتِ (١)  
يَرَوْنَ بأنِّي قد قاتُ الحَنانُ فكيفَ وإِنِّي لَزُهَيْرُ وُقِّي  
وقد مَلَكَتْ جِهاتِي السَّتَّ حقاً فلا عَجَبُ إذا ما قاتُ : سِيتِي

وقال الباخريزي :

إِنِّي لأُعشِقُ سِيتِي إِي والَّذِي شَقَّ نَحْيِي  
وقد غَلَبَ على كِتابِ الحُكْمِ عن القُضَاةِ أن يقولوا : سيدنا ومولانا  
قاضى القُضَاةِ ، فيما يكتبونه من السَّجِلَاتِ وغيرها ، والصوابُ فيه تقديمُ مولانا  
على سيدنا ، لأمرٍ :

الأول: أن كتاب الإنشاء هم الأصل في هذه الصناعة ، وأول مايقولون :  
المولوي الأميري ، ويأتون بالسيد بالآخر .

الثاني : أن العرب كذا قالوا ، قالت الخنساء في أخيها صخر :

وإن صخرأ لمولانا وسيدنا وإن صخرأ - إذا نشئوا - لنحار<sup>(١)</sup>  
وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار  
حامي الحقيقة محمود الخليفة من دئي الطريقة نفاع وضرار

ولا نورد عليها ما يروي عن أبي عثمان المازني ، قال : رأيت أبا فرعون  
التدواني ومعه ابتاه ، وهو في سكة العطارين بالبصرة يقول :

بنيتي صابرا أبا كئا إنكنا بعين من يراكئا  
الله ربّي سيدي مؤلا كئا ولو يشا بفضله أغنا كئا

لأن الكلام في المعطوف ، وليس هذا فيه عطف ؛ لأن مثل هذا  
لا ترتيب فيه ، كقوله تعالى : ﴿ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، والله تعالى  
يقبل التوبة أولاً ، ثم يعفر الذنب .

والثالث : لأن البلاغة أن يذكر الأعم ثم الأخص ، كقوله تعالى :  
﴿ فِيهِمَا فَارِحَنٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

فالولي أعم من السيد ، لأن المولى يطلق على معانٍ كما تقدم ، والبلاغة  
أن تقول : يا صاحبي ، يا أخي ، يا حبيبي ؛ لأن الأصحاب كثيرة ، والأخوة  
أقل منهم ، والخبيب لا يكون إلا واحداً .

ومن أقوى أدلة التميز في تفضيل الملائكة على الأنبياء ما يستدلون

(١) ديوانها ٧٩ . (٢) سورة غافر ٢ .  
(٣) سورة الرحمن ٦٨ . (٤) سورة البقرة ٩٨ .



به من الأدلة السمعية قوله تعالى : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . قالوا : والبلوغ لا يقول : لا أفكر في السلطان ، ولا في الوزير ، والصحيح ما قاله أهل السنة ، وليس هذا بموضع بيان هذه المسألة .  
 وما يؤيد ما قلته ، أن سيّد العلماء والقُصحاء ، إمامَ الحرَمين <sup>(٢)</sup> ، قال في كتاب الإرشاد : القولُ في نبوة مولانا وسيّدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم :  
 وتقولُ العربُ : إن من نعتِ السيّد أن يكون أعجمياً ، ضخم الهامة ، جهمير الصوت ، إذا خطأ أبعد ، وإذا يؤمّل ملاً العين مهابة ؛ لأنَّ حقّه أن يكون في صدرِ المجلس ، أو ذروة منبر ، متفرداً في مؤكّب ؛ ويقولون في نعته : يملاً العين جهالاً ، والسمع مقالا .

وقال دُعبل :

فإذا جالسته صدّرته وتنجّيت له في الحاشية <sup>(٣)</sup>  
 وإذا سايرته قدّمته وتأخّرت مع المستأنية  
 وإذا عاشرتّه صادفته شرس الرأى أبيتا داهية  
 فأحمد الله على صحبته وسلّ الرحمن منه العافية  
 ويؤيد هذا قولُ الفَرزدق :

يقبّ رأساً لم يكن رأس سيّد وعيماً له حولاء باد عيوبها <sup>(٤)</sup>

وقال رجل لعمري رضي الله تعالى عنه : من السيّد ؟ قال : الجواد حين يسأل ، الحلبي حين يستجمل ، السكريمُ المجلّسة لمن جالسه ، الحسن الخلق لمن جاوزه . والذي أظنه أن السيّد عند العرب ، من ساد قومه أو غيرهم بصفاته الحمود ، ولا يتوقف في ذلك على أصالة ولا نسب ، من قول القائل :

(١) سورة النساء ١٧٢ .

(٢) إمام الحرَمين ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، الملقب بإمام الحرَمين ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، وكتابه الإرشاد في أصول الدين ؛ توفي سنة ٤٧٨ . (٣) ديوانه ٢٥٥ . (٤) ديوانه ٥١ .

نفسُ عِصَامِ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَلَمَتَهُ الْكَرُّ وَالْإِفْدَامَا<sup>(١)</sup>  
وقال عامرُ بنُ الطَّفَيْلِ :

فَمَا سَوَدَتْ بَنِي عَامِرٍ مِنْ كِلَالَةٍ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأَمِّ وَلَا أَبِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَكِنِّي أَحْمَى حَاهَا وَأَتَقَى أَذَاهَا ، وَأُرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَقْنَبِ<sup>(٣)</sup>

وقد أنصفَ عمرو بنُ عُبيد المعروفُ بالحزبن حيث قال :

وَتَلَقَى الْفَتَى ضَخْمًا جَمِيلًا رُوَاهُ يَرُوعُكَ فِي النَّادَى وَلَيْسَ لَهُ عَقْلُ<sup>(٤)</sup>  
وَأَحْرَ تَذْبُو الْعَيْنُ عَنْهُ مُهْدَبٌ يَجُودُ إِذَا مَا الصَّخْمُ هَمَّتْهُ الْبُخْلُ<sup>(٥)</sup>

### فصل

هل يجوز إطلاق هذين الاسمين على الله تعالى ؟ نعم يجوز ذلك .

أما المولى فقد نطق به القرآن العظيم في غير موضع ، وأما السيد فقد جاء ما نوراً عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ذكر ذلك الإمام الحافظ ، ركن الإسلام ، سيف السنة ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي البروجردى رضی الله عنه في كتاب الأسماء والصفات ، قال : أخبرنا أبو علي الروذباري ، أنبأنا أبو بكر بن داعة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا مسدد ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا أبو سلمة سعيد بن يزيد ، حدثنا أبو بصرة<sup>(٦)</sup> ، عن مطرف ابن عبد الله بن الشخير ، قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله

(١) ينسب إلى النابغة الذبياني ، العقد الثمين ١٧٥ .

(٢) حاشية ابن السجري ٧ ، الشعر والشعراء ٢٩٤ .

(٣) المقنب : جماعة الخيل من الثلاثين إلى الأربعين .

(٤) الأغاني ١٥ : ٣٣٧ .

(٥) الأغاني : « نهيه البخل » .

(٦) هو أبو بصرة الفقاري ، واسمه جميل بن بصرة . تقريب التهذيب ٢ : ٣٩٥ .

صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : السيد الله ؛ فقلنا : وأفضلنا  
فضلا ، وأعظما طولا ؛ فقال : قولوا بقولكم ، أو بيمين قولكم ،  
ولا يستجربنكم الشيطان .

وقال الحلبي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى : ومعناه : المحتاج إليه بالإطلاق ؛ فإن سيد  
الناس إنما الذي إليه يرجعون ، وبأمره يعملون ، وعن رأيه يصدرون ، ومن  
قوله يستمدون . فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خائفا للبارئ جل  
ثناؤه ، ولم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود ، إذ لو لم يؤجدهم  
لم يوجدوا ، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد ، ولا في الموارض المارضة أثناء البقاء ؛  
كان حقا له جل ثناؤه أن يكون سييدا ، وكان حقا عليهم أن يدعوه بهذا  
الاسم . انتهى .

وقال السهيلي<sup>(٢)</sup> : والذي أقول في السيد ، إنه يعتبر بالإضافة ، لأنه في أصل الوضع  
بعض ما يضاف إليه ، تقول : فلان سيد قيس ، إذا كان منهم ، ولا تقول  
في قيسى : سيد بنى تميم ؛ فذلك لا يقال : الله سيد الناس ، ولا الملائكة ،  
وإنما يقال : ربهم . فإذا قلت : سيد الأرباب وسيد السكرماء جاز ؛  
لأن معناه أعظم الأرباب ، وأكرم الأكرمين . وقد منع أن يشتق له من  
الستودد ؛ ولا حجة في قول حسن بن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
في حنة الفردوس فاكتبها لنا إذا الجلال وذو الملا والشودد<sup>(٣)</sup>

لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمها فيقرها .

(١) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري ، صاحب كتاب المتاج في شعب  
الإيمان ، توفى سنة ٤٠٣ . الإعلام للزركلي ١ : ٢٥٣ .  
(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخنمي ، صاحب الروض الأنف والتعريف  
والإعلام فيما أبهم في القرآن . توفى سنة ٥٨١ . ابن خلكان ١ : ٢٨ .  
(٣) ديوانه ٩٨ .

هذا ملخصُ كلامِ الشَّهْبَلِيِّ ؛ وفيه نَظَرٌ ، لأنَّ الخلفاءَ الرَّاشِدِينَ وَالصَّحَابَةَ  
المُهْتَدِينَ سَمَّوْهَا وَأَقْرَبَهَا . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الإِمَامِ أَبِي الْفَضْلِ طَاهِرِ بْنِ  
الْفَقِيهِ المَهْدِيِّ :

أشارتُ إلى بُمْنَابِيَّةٍ مُخَضَّبَةٍ مِنْ دَمِ الأَفْتِدَةِ  
وقالتُ : عَلَى المَهْدِ يَا سَيِّدِي ؟ فقلتُ إلى الخَشِرِ يَا سَيِّدَةَ

وقال أبو العلاء المَعْرِيُّ :

حسابكم عند المليك وما لكم  
ودادى لكم لم ينقسم وهو كامل  
سوى الودّ منى في هبوطٍ ومفزع<sup>(١)</sup>  
كمشطورٍ وزنٍ ليس بالمتصرع  
الشعر كله بصرع إلا المشطور من الرجز والسرير فإنه لا يصرع ؛ لأنه على  
ثلاثة أجزاء ، كقول رؤبة :

\* وقام الأعماقِ خاوى المحترقِ \*<sup>(٢)</sup>

وسمى المشطور لذلك ، لأنه حُذِفَ مِنْهُ شَطْرُ البَيْتِ ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ  
مُحَمَّدِ بْنِ غَالِبِ الرُّضَائِيِّ :

لك الودّ الذي لا ريب فيه وإن بقيت نواك على التماذي  
إذا كرمت عهد المرء طينماً فأكرم ما يكون على اليمادِ  
\* \* \*

٢ - وقوله : وأعتماذى عليه ، وأعتداذى به .

تقول القرب : اعتمدت عليه في كذا ، أى اتكلت عليه ؛ واعتمدت  
على الشيء ؛ بمعنى اتسكت وأستندت . وأعتداذى به ، أى عدتني أتي  
أذخرتها اليوم حاجتي .

(١) - قط الزند : ١٥٧٦ :

(٢) خزانه الأدب ، ٨١ ، والفتمة : الغبرة . والأعماق : جمع عمق ، وهو ما بعد من أطرافه  
الفاوز ، والمخترق : مكان الاختراق . والتنوين للترنم .

وقد أتى ابن زيدون في هذه الألفاظ بالترصيع ، وهو من أنواع  
 البديع ؛ لأنه قال : «الذي ودادي له ، وأعمادي عليه ، واعتدادي به » ، فأنى  
 بالدال وبمدها الياء ، وهي ضميرُ المتكلم ، وعدّى كل واحدٍ بحرفٍ جرٍّ : له ،  
 وعليه ، وبه ؛ وهذا نوعٌ من المبالغة يدلُّ على قوّة المارضة وسعة للمبارة .  
 وما أحسن قولَ شيخِ الشيوخ شرفِ الدين عبد العزيز :

لما ملكَ واحدٌ ما أشتهى ولكننا لم نجدْ مثله  
 ملاذى به ، ومثولي لده ، ومثلي إليه ، ومدحى له  
 ومثلُ هذا قولُ الآخر :

كثبتُ وشيداتُ حالي غابنُ إلى سيّدِ جلٍّ عن مُشبهِ  
 فسوّقني إليه ، وشكرى له وشعريّ فيه ، وشفلي به  
 وكثبتُ إلى بعضِ الأصحاب :

كثبتُ لمولّى نأتُ دارهُ وسيداتُ حالي وقفٌ لده  
 فسوّقني إليه ، سُمّوتى به ، سؤالي عنه ، سلامي عليه  
 وكثبتُ أيضاً :

كثبتُ ودالاتُ حالي كما تراها إلى سيّدٍ لم أخنه  
 دعائي ودَمعي ودأبي وداى ، له وعليه وفيه ومنه  
 وما أحسن قولَ الآخر زبي :

سقى اللهُ مالين من قربةٍ غماماً نداءً عن الحجلِ ينهى  
 فأنيبى وحِرصى ومِلْكي ومالي بها وعليها وفيها ومنها  
 وقال الحريريّ في مقاماته (١) :

فهذه قصّتي وقصّته

فانظرُ إلينا وبيننا ولنا

(١) مقامات الحريريّ ٧٤ « من المقامة الثامنة » .

٣- وقوله: «مَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ مَاضِيَ حَدِّ الْعَزْمِ، وَارِي زَنْدِ الْأَمَلِ،  
ثَابِتَ عَهْدِ النِّعْمَةِ»

ماضي حدّ العزم ، أى حدّ العزيمة ، والماضي: السيف النافذ في الصّريية .  
والعزم: الصريية، قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾<sup>(١)</sup>، وعزمتُ على الأمر أعزمت  
عزماً وعزماًنا - بضم اللين - وعزيمةً وعزيمياً ، إذا أردت فعله .  
وَارِي زَنْدِ الْأَمَلِ، وريّ الزند إذا خرجت ناره وقت الأفتداح . والزند:  
المقدحة . وَالْأَمَلُ : الرجاء .

وَثَابَتِ عَهْدِ النِّعْمَةِ ، الثابتُ للمتمكّن الموثق ، والعهْدُ : الأمان واليمين ،  
والموثق والذمة والحفاظ .

والنِّعْمَةُ : تأنيث التميم ، وهو ضدّ الشقاء ، ومعناه : والذي أبقاه الله  
وعزّمه ماضياً الحدّ ، وأمله واريّ الزند ، ونعمته ثابتة العهد ، فهذه الجمل  
واقعةٌ موقع الحال ، وفيها ثلاثُ استعارات ، وهى : المضاء لحدّ العزم ،  
كأنه لا يعزم على شيء إلا أمضاه ونفد فيه حدّه . ووريّ زند الأمل كأنه  
لا يؤمل شيئاً ، إلا وهو يرى نوره . وثبات عهد النعمة ، أى لا تغيّر له ذمة  
نعمة ، بل هى محفوظةٌ أبداً عليه .

قال الصولى<sup>(٢)</sup> : أخذ الكتاب قولهم فى الدعاء : « وَأَتَمُّ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ ،  
وَزَادَهَا » من قولِ عديّ بن الرِّقاعِ :  
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى أَمْرِيٌّ وَدَعْتَهُ وَأَتَمُّ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَزَادَهَا<sup>(٣)</sup>

(١) سورة طه ١١٥ .

(٢) هو محمد بن يحيى الصولى فى كتابه أدب الكتاب ص ١٧٤ .

(٣) الشعر والشعراء ٦٠٢ ، وروايته : « صلى الملك » .

حضر أعرابيٌ وليمّةٌ ، فرأى نعمةً ، فقال : النعم ثلاث : نعمة في حال كونها نعمةً ، ونعمةٌ تُرجى مستقبلةً ، ونعمةٌ تأتي غير محتسبةً ، فأدام الله لك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما رجوه ، وتفضل عليك بما لا تحنسه .

وذكرت بقوله : « ماضى حدّ العزم » ، قول ابن الساعاتي يمدح بعض أولاد صلاح الدين :

وأبقى ضافي ثوب النعيم قرير الـ مبن نضمر الجناب ، صافي الورود  
بين عزم ماض ، وحكم مطاعٍ ومرايد دان ، وعيش رغيد

\* \* \*

٤ — وقوله : إن سلبتني أعزك الله لباس إنامك ،  
وعطمتني من حلي إيناسك .

الأستلاب : الأختلاس . واللباس : ما يُوارى الجسد . والإنعام : المنّة واليّد ، وما أنعم به عليك .

والتعطيل : خلأ جيد المرأة من القلائد ، يقال : امرأةٌ مقطّالٌ ، إذا كانت عاريةً من الحليّ ، والحليّ<sup>(١)</sup> : ما تتحلى به المرأة من خاتمٍ وسوارٍ وقِلادةٍ . والإيناس : مصدرُ الأُنس ، وهو ضدُّ الوحشة ؛ يقول : إن أخذت مني ، وأختلست ما كان لك عليّ من لباس الإنعام ، وتركتني عاطلاً من حليّ أنسك بي ، وأنسي بك وهو الأوتى .

وقد استمار الأستلاب اللباس ، والمطلّ للحليّ ، وهي استعارةٌ حسنةٌ ، كان إنامته كان له بمنزلة للباس ، فأرتجمه وسلبه ، وكان إيناسه ، له كان

(١) الحلي جمع حلي ، ينتج الحياء وسكون اللام .

بمنزلة الحلي له ، فمطله منه ، وترك جيده بلا قِلادة عارياً من حلّ الأنس .  
وما أحسن قول أبي بكر أحمد الصنوبري :

وإن أبدلتني بالدم لي من أخلاقك الوعرا  
وعاد الخلو من ودك لي فيما مضى مرًا  
إذا ما زدتك الآن وفاء زدتنى غدرا  
فما تسمع لي قولاً وما تقبل لي عذرا  
وما لي فيك إلا الصبر ، ساء الدهر أو سراً<sup>(١)</sup>

٥ - قوله : وأظمأتني إلى برود إسماعيلك ، ونقضت بني  
كف حياطتك .

أظماً : العطش ، والبرود : الشيء البارد ، وقال الشاعر :  
\* برود الشفايا واضح الشفر أشب \*

والإسماعف : الإنجاد والإغائنة ، والنقض : الطرح ، والحياطة : الإحاطة  
بالشيء ، وهو الاستيلاء على جميع نواحيه .

يقول : وأعطشتني إلى برود إغائتك لي وإنجادي ، وطرحتنى من كف  
حوزك .

وقد أضعف الظمأ - وهو شدة العطش - إلى برد الإسماعف ، ونقض الكف  
من الإحاطة به والحوزة له ؛ وذلك في غاية الحسن .



٦ - وقوله: وَغَضَضْتُ عَنِّي طَرْفَ حِمَايَتِكَ .

تقول العرب: غَضَّ طَرْفَهُ، أى خَفَضَهُ، وَالطَّرْفُ هُوَ الْبَصَرُ. وَالْحِمَايَةُ: الْوَقَايَةُ. يقول: وَغَضَضْتُ طَرْفَ حِمَايَتِكَ عَنِّي، فَتَرَكْتَنِي غَرَضًا لِهَمَّائِبَاتِ الْحَوَاثِ.

وقد استعمار الطَّرْفُ للحماية، لئلا كان الذي يَحْمِيكَ وَيَقِيكَ كأنه ناظرٌ إليك بِحَفْظِكَ مِنْ كُلِّ مَا يَهْتَمُّكَ أَمْرُهُ؛ لَا جَرَمَ أَنَّهُ حَسُنَ اسْتِمَالُ الْغَضِّ هُنَا لِطَرْفِ الْحِمَايَةِ، وَهِيَ اسْتِمَارَةٌ حَسَنَةٌ.

وقد أَخَذَ ابْنُ زَيْدُونَ بِمَدِّدٍ عَلَى ابْنِ جَهْوَرَ مَا عَامَلَهُ بِهِ مِنَ الْجَفْوَةِ، وَكَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَقُولَ: إِنْ سَلِمْتَنِي لِإِبَاسِ إِيْنَامِكَ بِمَدَّ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِينِي لَكَ، وَلَسَكُنْتَهُ وَفَى الْمَقَامَ حَقَّهُ مِنْ تَمَدُّدِ مَا وَجَدَهُ مِنْهُ؛ مِنْ سَلْبِهِ لِإِبَاسِ إِيْنَامِهِ، وَتَعَطُّيلِهِ مِنْ حُلِّيِ إِيْنَابِهِ، وَإِظْمَانِهِ إِلَى بَرُودِ إِسْمَاعِهِ، وَنَقْضِ كَفِّ الْحِيَايَةِ، وَغَضِّ طَرْفِ الْحِمَايَةِ... وَلَا شَكَّ أَنْ تَمَدُّدَ الظُّلَامَاتِ أَبْلَغُ وَأَجْلَبُ لِلرَّحْمَةِ، وَأَدَلُّ عَلَى التَّوَجُّعِ، وَهَذَا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

قال لي: كيف أنت! قلت: عَلِيلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طویلٌ<sup>(١)</sup>

وكقول الحماسي:

أَسِجْنًا وَقَيْدًا وَأَشْتِيافًا وَغَرْبَةً وَنَائِي حَبِيبٍ! إِنْ ذَا لَمَطِّمٍ<sup>(٢)</sup>  
وإنَّ أَمْرًا تَبَقَى مَوَائِقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ مَا لَاقِيَتْهُ كَأَكْرَمِ

وكقول الآخر:

(١) معاهد التنصيص ١ : ١٠١، من غير نسبة .

(٢) ديوان الحماسة - بشرح المرزوق ١٣١٥، ونسبه إلى بعض الأعراب .

ولقد أردتُ الصَّبْرَ عنكَ فما قفى  
يبقى على حَدَثِ الزَّمانِ وَرَبِّهِ

وقول ابن القيم :

ضَاعَ سَمِّي وَخَمْتُ ، خَابَتْ أَعَادِي  
وَأَحْتَمَلْتُ الحُرْمَانَ وَالنَّقْصَ وَالإِبْرَ  
وَتَحَمَّلْتُ وَأَصْطَبَرْتُ فَلَمْ يُبْرِّ  
أَطْلَى عَذَّةَ المَصِيبَةِ صَبْرٌ  
وَمَا قَلْتُ أَنَا :

يَا لَقَوِي سَأَلْتُكُمْ خَبْرُونِي :  
سَقَمَ زَائِدٌ ، وَدَمَعُ وَسُهِدٌ ،  
هَكَذَا كُلُّ مَنْ أَحَبَّ حَبِيبَةَ !  
وَلَحَا عَاذِلِي نَمَامُ المَصِيبَةِ (٢)

٧ - وقوله : بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ .

يقول : فَمَلَّتْ بِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ سَلْبِ لِبَاسِ إِنْعَامِكَ ، وَمَا بَعْدَهُ مِنْ  
الجَمَلِ المَطْوُوفَةِ ، بَعْدَ مَا نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ - وَهَذِهِ مُبَالَغَةٌ زَائِدَةٌ ؛  
وَهُوَ أَنَّ التَّأْمِيلَ أَمْرٌ مَعْنَوِي لَا تُشَاهِدُهُ العَيْنُ - وَأَنَا كُنْتُ مُبَالَغًا فِيهَا  
أَمَلْتُهُ مِنْكَ وَرَجَوْتُهُ ، حَتَّى رَأَى الأَعْمَى مِنْ شِدَّةِ اتِّصَافِي وَتَلَبُّسِي بِهِ . وَهَذِهِ  
مُبَالَغَةٌ عَظِيمَةٌ فِي هَذَا المَعْنَى ، وَهُوَ بِشِيرُ إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّائِبِ :

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَصَمَّتْ كَيْلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ (٣)

(١) ط : « رجاء » .

(٢) يقال لحا الرجل ، يلحاه لحاء ؛ أى لامة ، ولحاهنا مقصور لحاء .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٦٧ .

وهذا من قصيدته التي يقول في أولها :

وَاحْرَ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شِيمٌ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ  
وَقَفَ الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ شَافِعُ بْنُ عَلِيٍّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - عَلَى شَيْءٍ  
مِنْ نَظْمِ الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَحِيدِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَرَانَا يَرَاعُ ابْنَ الْوَحِيدِ بَدَائِمًا تَشْوِقُ بِمَا قَدَّاهُ بِجَعْتِهِ مِنَ الطَّرِيقِ  
بِهَاطَاتِ كُلِّ النَّاسِ سَبَقًا، فَحَيْدًا يَمِينٌ لَهُ قَدَّاهُ حَرَزَتْ قَصَبَ السَّبْقِ  
فَقَالَ ابْنُ الْوَحِيدِ بِمَدْحِهِ وَبِشُكْرِهِ :

يَا شَافِعًا شَفَعَ الْعَالِيَا بِحِكْمَتِهِ فَسَادَ مِنْ رَاحِ ذَا عِلْمٍ وَذَا حَسَبٍ  
بَانَتْ زِيَادَةُ حَظِّي بِالسَّمَاعِ لَهُ

وَكَانَ يَحْكِيهِ فِي الْأَوْضَاعِ وَالذَّنَبِ  
فَجَاءَنِي مِنْهُ مَدْحٌ صِيغَ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّمًا، بَلْ أَنَى أَبْهَى مِنَ الذَّهَبِ  
فَكِدْتُ أَشِدُّ لَوْلَا نُورُ بَاطِنِهِ : أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي  
فَلَمَّا بَلَغْتَ الْأَبْيَاتُ شَافِعًا انْحَرَفَ وَتَأَذَى، فَقَالَ :

نَعَمْ نَظَرْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ أَدَبًا يَا مَنْ عَدَا وَاحِدًا فِي قَلَّةِ الْأَدَبِ  
جَازَيْتَ مَدْحِي وَنَقَرِي بِمَعِيرَةٍ

وَالْعَيْبُ فِي الرَّأْسِ دُونَ الْعَيْبِ فِي الذَّنَبِ  
وَزِدْتُ فِي الْفَخْرِ حَتَّى قَلْتُ مُنْتَسِبًا بِحِظِّكَ الْيَابِسِ الْمُرِّي كَالْحَطَبِ  
بَانَتْ زِيَادَةُ حَظِّي فِي السَّمَاعِ لَهُ وَكَانَ يَحْكِيهِ فِي الْأَوْضَاعِ وَالذَّنَبِ  
كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَنْ أَرْضَاهُ فِي عُمُرِي يَا ابْنَ الْوَحِيدِ، وَكَمْ صَنَفَتْ مِنْ كَذِبِ  
جَازَيْتَ دُرِّي - وَقَدْ نَضَّدْتُهُ كَلِمًا بِرُوقِ سَمْعِ الْوَرِيِّ - دُرًّا بِمُخْشَابِ  
وَمَا فَهَمْتُ مُرَادِي فِي الْمَدِيحِ وَلَوْ فَهَمْتَهُ إِلَى الْأَدَبِ

سَأْتِيعَ التَّفَافِ إِذْ جَاوَبْتَ مَفْتَحاً بِالزَّائِ يَأْغَا فَلَاعْنَ سَوْرَةَ النَّضْبِ  
خَالَفَتْ وَزَنِي عَجْزاً وَالرَّوِيَّ مَعاً وَذَلِكَ أَقْبَحُ مَا يَرَوَى عَنِ الْعَرَبِ  
قُلْتُ : إِنَّ الْوَحِيدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مَمْدُورٌ فِي الْعُدُولِ عَنِ الْوِزْنِ  
وَالْقَافِيَةِ ؛ لِأَنَّهُ مَا كَانَ يَجْدُ فِي ذَلِكَ الْوِزْنَ وَالْقَافِيَةَ ، مِثْلَ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

\* أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي \*

وكان ناصر الدين شافع في ذلك الوقت قد أُضِرَّ ، وقد احتَرَزَ ابن  
الوحيد في قوله : « لولا نُورٌ باطنه » احترازاً جيِّداً ، وليكن ما أفاده  
ذلك شيئاً ، مع تسرع ناصر الدين شافع ، رحمها الله تعالى .  
وقد قال المرعي لما لهجَ بشمر أبي الطَّيِّبِ ، وَعَكَفَ عَلَيْهِ قَاتِلَهُ اللَّهُ ! كَانَهُ  
يَرَانِي الْآنَ حَتَّى قَالَ :

\* أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي \*

\* \* \*

٨ - وقوله : وَسَمِعَ الْأَصْمَ ثَنَائِي عَلَيْكَ ، وَأَحْسَّ الْجَمَادُ  
بِإِسْنَادِي إِلَيْكَ .

الأصم : الذي لا يسمع شيئاً .

وأحس : من الإحساس ، وهو الإدراك بالحواس الخمس .  
والجماد : كل ما ليس يُدْرِكُ مِثْلَ الْحَجَرِ وَالتُّرَابِ وَغَيْرِهِ ، وَفِي اللَّفْظِ :  
الجماد : الأرض التي لم يُصْبِهَا مَطَرٌ ، وَنَاقَةُ جَمَادٍ ، لَا آتِنَ فِيهَا .  
والإسناد في الحديث : أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى قَائِلِهِ ، وَهَذَا تَمَّ تَقَدُّمَهُ فِي الْمُبَالَغَةِ .  
يقول : فَمَلَّتْ بِي كُلُّ ذَلِكَ بَعْدَ مَا نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ ، وَسَمِعَ  
الْأَصْمَ - وَهُوَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لَهُ - ثَنَائِي الَّذِي كُنْتُ أَثْنِيهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَّ الْجَمَادُ  
الَّذِي لَا إِدْرَاكَ لَهُ وَلَا إِحْسَاسَ بِرَفْعِ الْحَدِيثِ إِلَيْكَ ؛ وَهَذِهِ غَايَةُ الْمُبَالَغَةِ ، وَطَبَقَةُ

عُلِيًّا فِي الْبَلَاغَةِ، وَهُوَ أَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَسْمَعَهُ الْأَصَمَّ، وَيُسْنَدُ إِلَيْهِ حَتَّى  
يَحْسِنَ الْجَمَادُ بِدَلَالِكَ .

وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ النُّسخِ : « وَقَدْ أَحْسَنَ الْجَمَادُ بِاسْتِحْمَادِي لَكَ » ،  
وَالِاسْتِحْمَادُ : اسْتِفْعَالٌ، مِنْ الْحَمْدِ، وَهُوَ مَعْلُومٌ تَمَّا تَقَدَّمَ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ  
أَبْنِ السَّاعَاتِيِّ :

فِي مِثْلِهَا نَظَرَ الْأَعْمَى فَلَا بَرَحَتْ      صُجْبِي وَأَسْمَعِ حَتَّى مَنْ بِهِ صَمَمٌ  
أَنْفِي بِهَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَ عَجْزَتِهِ      فَكُلُّ مَا ضَمَّ صَدْرَ الْخَافِقِينَ فَمُ

\* \* \*

٩ - وَقَوْلُهُ : فَلَا غَرَوْ قَدْ يَنْقُصُ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاهِ

الْمُسْتَشْفَى بِهِ .

هَذِهِ الْجَوَابُ الشَّرْطِي فِي قَوْلِهِ أَوَّلَ الرِّسَالَةِ : « إِنْ سَلَدْتَنِي . . . »  
وَمَا بَعْدَ، مِنَ الْجَمَلِ، بَعْدَ مَا نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِينِي لَكَ . فَلَا غَرَوْ، أَيْ فَلَا  
يُدْعُ وَلَا عَجَبٌ قَدْ يَنْقُصُ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ . وَهَذِهِ « قَدْ » الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى  
الْجَمَلِ لِتَقْلِيلِ مِثْلِ : قَدْ يَكْبَهُ الْجَوَادُ، وَقَدْ يَنْبُو الْحَسَامُ، وَقَدْ يَصْدُقُ  
السَّكَدُورُ، وَقَدْ يَبْخَلُ الْجَوَادُ .

جَاءَ فِي كَلَامِ ابْنِ الْعِزَّازِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : رَبُّمَا شَرِبَ الْمَاءَ قَبْلَ رَبِّهِ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَنْ غَضَّ دَاوِيَّ بِشَرْبِ الْمَاءِ غَضَّتَهُ      فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ قَدْ غَضَّ بِالْمَاءِ !

وَقَالَ الْآخَرُ :

إِلَى الْمَاءِ يَسْمَى مَنْ يَنْقُصُ بِأَكْلِهِ      فَتَلُّ : أَيْنَ يَسْعَى مَنْ يَنْقُصُ بِمَاءِ !

وقال عدِي بنُ زَيْدِ العِبَادِي :

لو بغيرِ الماءِ حَلَقِي شَرِقٌ      كَنتُ كَالقَصَّانِ بِالماءِ اعقَصاري<sup>(١)</sup>  
وقال الآخر :

كَنتُ مِن مَحْنَتِي أَفْرُءُ إِلَيْهِمْ      فَهَمُّ مَحْنَتِي ، فَأَيْنَ الفِرَارِ !  
وقال الآخر :

فَكيفَ مُجِيزُ غُصَّتِنَا بشيءٍ      وَنَحْنُ نَقِصُّ بِالماءِ الشَّرُوبِ !  
ومن هذه المادَّة قولُ الآخر :

عَلَى أَيِّ بَابٍ أَطْلُبُ الإِذْنَ بِمَدَمَا      حُجِبتُ عَنِ البَابِ الَّذِي أَنَا حَاجِبُهُ  
وقال أبو فراس الحمداني :

قَد كَنتَ عُدَّتِي الَّتِي أَسطُوبُهَا      وَبِيدِي إِذا اشْتَدَّ الرِّمانُ وساعِدِي<sup>(٢)</sup>  
فَرُمِيتُ مِنْكَ بِغيرِ ما أَمَلتُهُ      وَالرَّهْ بِشَرِقِ بارِئِلالِ البَارِدِ

وقال الفرزدق لعمارة من أبيات :

فَلو كانَ هَذَا الحِكمُ فِي غيرِ مُلْكِكُم      لَبُوتَ بِهِ ، أَوْ غَصَّ بِالماءِ شاربُهُ<sup>(٣)</sup>  
وقال أبو إسحاق الفزري :

مِصاحِبَةُ المُنَى خَطِرٌ وَجَهْلٌ      وَكَمْ شَرِقٍ تَوَلَّدَ مِنْ زُلالِ  
وما أحسن قول ابن سناء الملك :

وَإِنِّي لِأَحْصَرَ مِنْ ذِكْرِهِ      فَأِنِّي إِلى كَيْدِي أَصْطَلِي  
وَإِنِّي لِأَذْكَرُ مِنْهُ الرُّضابِ      فَأَشْرِقُ بِالبَارِدِ السُّسْلِ

(١) الأغاني ٢ : ١٥ .

(٢) ديوانه ٦١ « طبعه بيروت » .

(٣) ديوانه ٤٩ ، وروايته : « فلو كان هذا الأمر » .

وقال ابن حَيَّوس :

عَضَى الكَرَماءُ صَانُوا ماءً وَجَبِي  
 وما أنا بَمَدِّهمْ في الفاسِ أبِي  
 أرى الأَكْدَارَ يَشْرِقُ شارِبُها  
 بما بَدَلُوهُ عَن ذُلِّ السَّوَالِ  
 كَرِيماً يُشْتَرَى شَكْرِي بِمالِ  
 فَواشَرَقِي مِنَ المِاءِ الرِّزَالِ  
 وقال آخِر :

إني لأذْكَرُكم وقد بَلَغَ الظَّمَا  
 وأقولُ لَيْتَ أَحَبِّي عابِثَتُهُمْ  
 وقال إن سَفَاءَ المَلَأِ :

أَموتُ غَرَاماً حينَ أُحْرِمَ وَضِلَّ مَن  
 وإنَّ الفَتَى بِحَيِّياً بما قد يَمِيَّتُهُ  
 وما أَحْسَنَ قولِ ابنِ السَّاعِاتِي يَمْدَحُ المَلَأَ المُؤَيَّدَةَ نَجْمَ الدِّينِ بنِ صِلاحِ  
 هَوَيْتُ وَأَخِيّاً فَرَحَةً حينَ أَرزُقُ  
 فبِالمِاءِ يَحْيَا وهو بِالمِاءِ يَشْرِقُ  
 الذينَ رَحِمَهُما اللهُ تَمالِي :

مَنْ لَيْسَ يَشْرِقُ بالسَّوَا  
 لِولا بَقَصُ مِنَ المَلَأَةِ  
 وقال البَحْتَرِيُّ :

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلِي بِلَيْلِي فَمَا اشْتَفَى  
 أصلُ المَعْنَى قولُ قَيْسِ بنِ ذَرِيحٍ <sup>(٢)</sup> ، إذ يَقولُ :  
 تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلِي بِلَيْلِي مِنَ الهَوَى  
 كما يَتَدَاوَى شَارِبُ الخُمْرِ بِالخُمْرِ  
 فَقَصَّرَ عَنهُ ، وَقَدْ أَخَذَ أَصْلَ المَعْنَى مِنْ قولِ الأَعَشَى :  
 وَكأسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا <sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ٢ : ١٢٨

(٢) ط : « قيس بن زهير » ، وهو خطأ ، والبيت في ديوانه ٩٥ .

(٣) في الأصول : « قيس بن ذريح » ، وهو خطأ ، والبيت في ديوانه الأعشى ١٧٣ .

وهذا البيت في الذروة ، وما جاء بعده فهو دونه فيما يقول ، وقد أخذه  
أبو نواس فأحسن :

دع عنك لومي فإنَّ اللومَ لغراه      ودأوي بالتي كانت هي الداه

وفي المثل : من فسدت بطائفة كان كمن غصّ بالماء ؛ وهذا من كلام  
أكثر بن صئفي ؛ لأنّ الفاصّ بالطعام يرجع إلى الماء ، وإذا كان الماء هو الذي  
أغصّه فلا حيلة له ، فكذلك بطائفة الرجل وأهله إذا خانوه فسد حاله .

وفي المثل أيضا : « يا ماله لو بغيرك غصصت ا » .

وقوله : « ويقتل الدواء المستشفى به » ، كان أبو الطاهر إسماعيل بن  
المنصور بن القاسم بن المهدي صاحب إفريقية ، أحد الخلفاء الفاطميين ،  
اعتل علة طويلة ، ولما أراد دخول الحمام في المنصورة نهاه طبيبه  
إسحاق بن سليمان الإسرائيلي ، فلم يقبل منه ، ودخل الحمام فنبتت الحرارة  
الغريزية ، فلزمه السهر ، فأقبل إسحاق فمالجه ، فنبتت الحرارة الغريزية ،  
ولزمه السهر ، فأقبل إسحاق يعالجه ؛ وسهره باق على حالته ، فاشتد ذلك  
على المنصور ، وقال لمرض خدمه : أما بالقيروان طبيب يختصني من هذا ؟  
فقالوا : هاهنا شاب قد نشأ يقال له : إبراهيم ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر عرفه  
حاله ، وشكا إليه ما به ، فجمع له شيئا يفوّمه ، وجعل في قنينته على النار ،  
وكلفه شم ذلك ، فلما أذمن شيئا نام ، فخرج إبراهيم مسرورا بما فعل ، وحضر  
إسحاق ، فقالوا : إنه نائم ، فقال : إن كان صنم له شيء ينام به فقد مات ،  
فدخلوا عليه فوجدوه ميتا ، فأرادوا قتل إبراهيم ، فقال إسحاق : ماله  
ذنب ، وقد داواه بما ذكره الأطباء ، ولاكنه جهل أصل المرض وما عرفتموه  
ذلك ، وإني كنت أعالجه وأنظر في تقوية الحرارة الغريزية ، وبها يكون  
النوم ، فلما عولج بما أطفأها ، علمت أنه مات .



١٠ - وقوله: وَيُؤْتِي الْحَدِيرَ مِنْ أَمْنِهِ، وَتَكُونُ مَنِيَّةَ الْمُتَمَنَّى

فِي أُمْنِيَّتِهِ .

يُؤْتِي : فعل مبني ثلما لم يُسَمَّ فاعله ، من الإتيان وهو المجيء ، أتيتُ إلى فلان أي جئت إليه . الْحَدِيرُ : اسمُ فاعلٍ من الحَذَرَ ، وهو التحذِرُ . وَالْمَأْمَنُ : المَلِكُ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ الْأَمْنُ ، وهو الظُّمَأُنِيَّةُ . والمَفِيَّةُ : الموت . وَالمَتَمَنَّى : اسمُ فاعلٍ من التَّمَنَّى ، وهو التَّرَجَّى . والأُمْنِيَّةُ ، واحدة الاماني .

وقوله : « وَيُؤْتِي الْحَدِيرَ مِنْ أَمْنِهِ » ممناه<sup>(١)</sup> في القرآن العظيم ، وهو قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَمُنَّةٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال أبو القاسم:

وقد يهلك الإنسان من باب أمنه  
ويهبجو بإذن الله من حيث يحذر<sup>(٣)</sup>  
وما أحسن قول الجزار من أبيات :

وحققك مالي من قدرة  
على كشف ضري إذا مسني  
فكم أخذتني عيون الظبا  
بعد الإجابة من مأمني

وقال الشريف الرضي :

يقولون رُمّ تلق الذي أنت طالب  
فإن العواقب دونه والمهلك<sup>(٤)</sup>  
وكم سعى ساع جر حثفا نفسه  
ولولا الخطأ ما شك ذا الرجل شائك

وقول ابن سناء الملك يمدح الملك الفاصر ويذكر الفرنج :

(١) ساقطة من ط

(٢) - سورة الأنعام ٤٤ .

(٣) ديوانه ١٠٢ .

(٤) ديوانه ٢ : ٥٩٦ . والعواقب مثل العوائق ، يقال : عاقني وعناني .

( ٤ تمام المتن )

••  
 والمليك العظيم فيهم أميراً مستضاماً فاجعل له الفارس سجيناً  
 يحسب النجوم يقطاة وبطن الشـخص طوداً أو يبصر الشمس دجماً  
 كم تمنى القضاء حتى رآه فتمنى لو أنه ما تمنى  
 وقال ابن الخطاط الدمشقي :

وأرني في عارض إيس يـمطر! (١)  
 فأخطلني منك الذي كنت أرتجى  
 وأدر كني منك الذي كنت أـحذر  
 وقال أبو الحسين أحمد بن فارس :

اسمع مقالة ناصح  
 جمع النصيحة والمقاه  
 إياك واحذر أن تصكو  
 ن من المقات على رقة

وقال يوسف بن علي الأستراباذي :  
 ومازلت في عيني كرمي فـهـرقت  
 صروف الأيالي فأنقلبت لها قدي  
 وشئت وما مولى وفاؤك ضلة  
 ومن مامن الإنسان يـفـجـوه الأذي



لما قتل المقدر ، واختلقت الآراء فيمن يقوم بمده خليفة ، قال مؤنس  
 الظفر (٢) : هذا محمد (٣) بن أحمد المعتضد ، رجل سما للخلافة ، فهو أولى ممن لم  
 يسم . فأحضر القاهر بالله ، وبويع يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة  
 عشرين وثلثمائة ، واحتقب الأمر للقاهر ، وكان أول من قتله القاهر مؤنس المذكور .  
 ولما غلب إدريس بن هبـد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن

(١) ديوانه ١٢٣ .

(٢) مؤنس الظفر ، أمير الجيوش على عهد المعتضد . (٣) هو المعروف بالقاهر .

أبي طالب - رضى الله عنه - طلى العرب ، بلغ ذلك الهادى ، فُدسَ إليه  
 الشَّمَاخَ البَمانى مَوْلَى المهدي ، فدخل العربَ وأظهرَ أَنه طيب ، فأحضَرَه  
 إدريسُ وأقامَ عنده ، وأيسَ به ، فشكا إليه مرضاً في أسنانه ، فأعطاه سَفُوناً<sup>(١)</sup>  
 مَسْمُومَةً ، وقال له : إذا طلعَ الفجرُ فأستنْ<sup>(٢)</sup> به ، وهربَ الشَّمَاخُ من وَقْتِه .  
 فلما طلعَ الفجرُ أستنَّ به ، وجعل يردِّده في فيه ، فسَقَطَ فوه ومات ، وطُلبَ  
 الشَّمَاخُ فلم يُقدَّرَ عليه .

وهذا إدريسُ ، هو أبو الأدارسة خلفاء العرب ، وقام من ذرية  
 إدريسَ جماعةٌ . وقيل : إنَّ الذى دَسَّ إليه الشَّمَاخَ ، إنما هو هارون الرشيد .

يقال : إنه مرَّ قومٌ<sup>(٣)</sup> بماء من مياه العرب ، فوصف لهم ثلاثُ أخواتٍ  
 بالجمال مطيبات<sup>(٤)</sup> ، فأحبُّوا أن يروهنَّ ، فحكوا ساقَ أحدهم بمود حتى  
 أدموه ، ثم أنوهُنَّ ، وقالوا : هذا سليم<sup>(٥)</sup> ، فهل من راقٍ ؟ فخرجت صفراهنَّ  
 منهنَّ كأنها الشمسُ طالمةٌ ، فرأته ، فقالت : ليس بسليم ، ولكن خَدَّشْه  
 عودُ بآت عليه حَمَّةٌ ، إذا طلعت عليه الشمسُ مات ، فكان كما قالت .

ومن شمر الحافظ أبي بكر أحمد بن علي خطيب بغداد ، والمراد هنا  
 البيتُ الثالثُ :

لا تفتنن أخا الدنيا بزخرفها ولا بلدةٍ وقتٍ عجلت فرحاً<sup>(٦)</sup>  
 فالدَّهرُ أسرعُ شيءٍ في تقلُّبهِ وفِلهُ بينُ للخلقِ قد وضعا  
 كم شارِبٍ عسلاً فيه مَنِيئُهُ وكم تقلِّدَ سيقاً من به ذُبِحاً

(١) السنون : ما يستاك به . (٢) استن : استاك .

(٣) ط : « جماعه » . (٤) ط : « مستطبات » ، تصحيف .

(٥) السليم : اللدغ ؛ سمى بذلك طي النفاؤل بسلامته .

(٦) معجم الأدياء ٣ : ٢٥ .

ذَكَرَ عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ أَمْرُ السَّيْفِ ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وَقَعَ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ سَيْفٌ مِنَ الْهِنْدِ ، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ . فَكَتَبَ  
يَطْلُبُهُ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَاشْتَرَاهُ بِمِشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَمُرَّ الْمُتَوَكِّلُ بِهِ سُرُورًا  
كَثِيرًا ، وَقَالَ لِلْفَتْحِ [ بِنِ خَافَانَ ] : اطْلُبْ لِي غُلَامًا تَثِقُ بِنَجْدَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ ،  
وَأَدْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا السَّيْفَ لِيَسْكُونَ وَاقْفًا بِهِ عَلَى رَأْسِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا كُنْتُ  
جَالِسًا . فَلَمْ يَتَمَّ الْمُتَوَكِّلُ حَتَّى دَخَلَ بَاغِرُ التَّرْكِيِّ ، فَدَعَا بِهِ الْمُتَوَكِّلُ ،  
وَدَفَعَ إِلَيْهِ السَّيْفَ ، وَأَمَرَهُ بِمَا أَرَادَهُ مِنْهُ ، وَزَادَ مِنْ تَبْتِهِ .

قال البُخْتَرِيُّ : فَوَاللَّهِ مَا أُنْتَضَاهُ بَاغِرٌ وَلَا سَلَّهُ إِلَّا فِي قِتْلَةِ الْمُتَوَكِّلِ ،  
عَلَى مَا هُوَ مَشْهُورٌ فِي وَاقِعَتِهِ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ .

وَلَمَّا وُلِّيَ سَالِمُ بْنُ حَامِدٍ دِمَشْقَ لِلْمُتَوَكِّلِ ظَلَمَ وَعَسَفَ ، وَكَانَ بِدِمَشْقِ  
جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ لَهُمْ قُوَّةٌ وَمَنْعَةٌ ، فَقَتَلُوهُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى بَابِ الْخِضْرَاءِ ،  
فَمُضِيَ الْمُتَوَكِّلُ ، وَقَالَ : مَنْ يَكُونُ لِشَامِ ، وَلِيَكُنْ فِي صَوْتِ الْخِجَابِ ؟ فَقَالَ  
أَفْرِ يَدُونَ التَّرْكِيِّ : أَنَا لَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَمَرَهُ ، وَجَهَّزَهُ إِلَيْهَا بِسِمَةِ آلَافِ  
فَارِسٍ ، وَأَطْلَقَ لَهُ الْقَتْلَ وَالنَّهْبَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَجَاءَ وَنَزَلَ بَيْتَ لَهْيَا ، وَلَمَّا أَصْبَحَ  
قَالَ : يَا دِمَشْقُ ، أَيُّشِ بِحَلِّ بَيْتِكَ الْيَوْمَ مِنِّي ! وَقُدِّمَتْ لَهُ بَغْلَةٌ دَهْمَاءٌ لِيَرْكَبَهَا ،  
فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرَّكَابِ ضَرَبَتْهُ بِالزُّوجِ فِي صَدْرِهِ ، فَسَقَطَ مَيِّتًا . وَقَبْرُهُ  
مَعْرُوفٌ بِهَا ، وَذَلِكَ فِي حُدُودِ الْأَرَبِيِّينَ وَمَائَتِينَ .

وكان السلطان ألبا أرسلان محمد بن جعفر بك المدعو عضد الدولة وأبو  
شجاع السلاجوقي ، قد أتوه يوما بوالي قلعة يدعى يوسف الخوارزمي ،  
فأمر أن تضرب له أربعة أو تاد ، وشد أطرافه إليها ، فقال يوسف : يا محنت ،  
مثلي يُقتل هكذا ! فقال السلطان : خلوه ، وأخذ القوس ورماه ثلاث فترات  
فساب فأخطأ فيها - ولم يكن بخطيء له سهم - فأسرع يوسف إليه وضرب به

بِسِكِّينٍ كَانَتْ مَعَهُ فِي خَاصِرَتِهِ ، فَلَحَقَ يَوْسُفُ بَعْضُ الْخَدَمِ فَقَتَلَهُ أَيْضًا ، وَحَمِلَ  
السُّلْطَانُ وَهُوَ مُنْقَلٍ ، فَقَفَى نَحْبَهُ .

وَهَذَا الْمَلِكُ الْأَجْدُ بَهْرَامُ شَاهِ بْنِ فَرُخْشَاهِ ، صَاحِبُ بَهْمَلِكٍ ، أَخَذَ  
الْأَشْرَفُ مِنْهُ بَهْمَلِكًا ، وَسَلَّمَهَا إِلَى أَخِيهِ الصَّالِحِ ، فَقَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ وَأَقَامَ بِهَا ،  
وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ مَلِيحٌ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَضَرَبَهُ ، وَأَمَرَ بِحَبْسِهِ فِي خِزَانَةٍ عِنْدَهُ فِي مَكَانِهِ  
الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ ، وَجَلَسَ لَيْلَةً يَلْمَهُو بِالنَّرْدِ ، قَوْلِ الْغُلَامِ بَرَزَةَ (١) الْبَابِ ،  
فَقَفَّ كَهَا ، وَخَرَجَ إِلَى الْأَجْدِ فَقَتَلَهُ وَهَرَبَ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ السُّطْحِ فَمَاتَ .

وَهَذَا الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ ، كَانَ يُحِبُّ مَمْلُوكَهُ  
الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ بُنْدَارَ ، وَيَتَّقِي بِهِ حَتَّى جَعَلَهُ نَائِبَ مِصْرَ ، وَثَوَقًا بِهِ ، أَوَّلَ  
مَنْ ضَمَرَهُ بِالسَّيْفِ وَهُوَ فِي بُرْجِهِ يَصْطَادُ كُرُوكِيًّا ، وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِ حَسَامُ الدِّينِ  
الْأَخِيرَ فَكَمَّلَ قَتَلَهُ .

وَهَذَا الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَدَكُزُ قَرِيبُ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قَوْمِشَ وَأَدْنَاهُ  
وَزَادَ ثَوْقَهُ بِهِ (٢) ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ عَلَيْهِ ، وَأَتَقَى مَعَ طَائِفَاتِ الدَّوَادِرِ  
حُلَى إِسْكَاهُ .

وَكَانَ الزَّكِيُّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبِ الْقَوْمِيِّ قَدْ اسْتَوَزَرَهُ الْمَلِكُ الْمَطْفَرُ  
صَاحِبَ حِمَاةَ ، قَبْلَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مُلْكُ حِمَاةَ وَمَا انْضَافَ إِلَيْهَا ، وَوَعَدَهُ إِذَا  
مَلَكَهَا أَنْ يُعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةَ مِنْهَا :

مَتَى أَرَاكَ كَمَا تَهَوَّى وَأَنْتَ كَمَا  
أَهْوَى عَلَى رُغْمِهِمْ رُوْحَيْنِ فِي بَدَنِ  
هُنَاكَ أَنْشِدُ وَالْأَمَالَ حَاضِرَةً :  
هُنْتُ بِالْمَلِكِ وَالْأَحْبَابِ وَالْوَطَنِ

(١) الرزة : حديدة يدخل فيها الفل . (٢) ط : « وثوقاً به » .

فلما ملك حياة أنشدته :

مولاي هذا الملكُ قد نلتَه برغم مخلوق من الخالقِ  
والدهرُ مُنقادٌ لما شئتُه وذا أوأنُ الموعِدِ الصادقِ  
فدفعَ إليه ألفَ دينارٍ ، وأقامَ معه مدةً ، وزمته أسفارُ أنفقَ فيها المالَ  
الذي أعطاه ، ولم يحصلَ بيدهِ زيادةٌ على ذلك ، فقال :

ذاك الذي أعطوه لي جُملَةً قد استردوه قليلاً قليلاً  
فليتَ لم يُعطوا ولم يأخذوا وحسبي الله ونعم الوكيلُ  
فبلغ ذلك المظفرَ ، فأخرجه من دارٍ كان قد أنزلَ بها ، فقال :  
أتخرجني من كسرى بيتٍ مهديمٍ ولي فيك من حسن الثناء بيوتُ  
فإن هشتُ لم أعدمُ مكاناً يضمني وأنت ستدري ذكر من سيموتُ  
فحكسه المظفرُ ، فقال : ما ذنبي إليك ؟ فقال : « وحسبي الله ونعم الوكيل » ،  
وأمر بحقه ، فلما تيقن ذلك قال :

أعطيتني الألفَ تمظيماً وتكرماً ياليتَ شمرى أم أعطيتني ديتي !  
وقال الأذف بن قيس في بعض خطبه : من أمن الزمانَ خانته ؛  
ومن تمظم عليه أهانه .

وقال أصرم بن حميد :

أسرفت في سوء الصنيعِ وفتكتَ بي فتك الخاليعِ<sup>(١)</sup>  
وورأتَ بي متهزناً والمُذر في طرف الوُوعِ  
صيرتُ حبيك شافعا فأُتيتُ من قِبَل الشفيعِ

وقال المعتصم بن صمادح<sup>(٢)</sup> :

وزهدني في الناسِ مرفقتي بهم وطولُ اختباري صاحباً بمد صاحب

(١) نهاية الأدب ١ : ١٣٤

(٢) المعتصم بن صمادح ، أحمد بلوك الأندلس ، والأبيات في طراز المجالس للخفاجي ٢٤٢ .

فَمَ تَرُنِي الْأَيَّامُ خِلَا تَسْرُنِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي التَّوَاقِبِ  
وَلَا قَلْتُ أَرْجُوهُ لَدَفْعِ مُلِمَةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى النَّوَائِبِ

خَطَبَ عُبَيْدُ بْنُ أَبِي سُوْيَانَ النَّاسَ بِالمَوْسِمِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ، وَعَمَدُ  
النَّاسِ حَدِيثٌ بِالْفَتْنَةِ ، فَاسْتَمْتَحَ نَحْمُ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ وَايَنَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي  
يَضَاعَفُ فِيهِ لِامْحَسَنِ حُسْنُ الْأَجْرِ ، وَعَلَى الْمَسِيءِ الْوِزْرُ ، فَلَا تَمُدُّوا الْأَعْنَاقَ  
إِلَى غَيْرِنَا ؛ فَإِنَّهَا تَتَقَطَّعُ دُونَنا ، وَرُبُّ مَقْمَرٍ حَقَّقَهُ فِي أَمْنِيَّتِهِ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَفَاجِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَكَمْ طَالِبٍ أَمْرًا وَفِيهِ حِمَامُهُ وَصَائِرَةٌ تَسْعَى إِلَى مَا يَضُرُّهَا  
وَكَانَ الْمُؤَمَّلُ بْنُ أَمِيلِ بْنِ أَسِيدِ الْخَارِبِيِّ يَهْوَى امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ يُقَالُ  
لَهَا هِنْدُ ، وَفِيهَا يَقُولُ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ ، وَأَوَّلُهَا :

تَفَّ الْمُؤَمَّلُ يَوْمَ الْحِيرَةِ النَّظْرَ لَيْتَ الْمُؤَمَّلُ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ نَظْرُهَا (١)

وَنَامَ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ رَجُلًا أَدْخَلَ إِصْبَعَهُ فِي عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : هَذَا مَا تَمَنَيْتَ ؛  
فَأَصْبَحَ وَهُوَ أَعْمَى .

وَمِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ : الْأَمَانِيُّ تَخَذَعُكَ ، وَعَهْدُ الْحَقَائِقِ تَدَعُكَ .

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ :

وَكَمْ تَرَحُّبٍ لَمْ أَحْتَسِبْهَا لَقِيمَتِهَا وَكَمْ فَرَحَةٍ جَاءَتْ عَلَى غَدْرِ مَوْعِدِ

وَقَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الْقُرَيْبِيُّ :

تَجْرِي الْأُمُورُ عَلَى حَكْمِ الْقَضَاءِ وَفِي طَلَى الْخَوَادِثِ مَحْبُوبٌ وَمَكْرُوهٌ  
فَرُبَّمَا سَرَّنِي مَا بَيْتُ أَحَدَرُهُ وَرُبَّمَا سَاءَنِي مَا بَيْتُ أَرْجُوهُ

## ١١ - قوله : والحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الحَرِيصِ

الحَيْنُ : الموت . والحَرِصُ : الجَشَعُ ، يقال : قد حَرَصَ على الشيء يَحْرِصُ بالكسر ، فهو حَرِيصٌ ، وهذا نصفُ بيتٍ من أبياتِ لَهْدِيِّ بنِ زَيْدِ المَبَادِي ، وهو :

قد يُدْرِكُ المَبْطِئُ من حَظِّهِ والحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الحَرِيصِ (١)  
وقال :

وقد تَدُنُو المَقاصِدُ والأمانِ فتمتَرِضُ الحوادثُ واللنُونُ  
وهو كقول القُطَيْمِيِّ :

قد يُدْرِكُ المَقَانِي بِمَضِّ حاجَتِهِ وقد يكونُ مع المِستَعجِلِ الزَّلُّ  
وسمَّه أعرابيٌّ فقال : هذا يَتَبَطِّئُ الناسَ ، هَلَّا قالَ بحد هذا :  
وربما ضَرَّ بِمِضِّ الناسِ مُبْطِئُهُمُ وكان خيراً لهمُ لو أَنَّهُمُ عَجَّلُوا  
وعَكَسَ بِشَارُ بنُ بُرْدٍ قولَ القُطَيْمِيِّ فقال :

من راقب الناسَ لم يَظْفَرْ بِحاجَتِهِ وفازَ بِالطَّيِّبَاتِ الفانِكُ الأَمِيجُ (٢)  
واختَصَرَهُ سَلَمُ الخامِسرُ فَجَوَّدَ ما شاء فقال :

من راقبَ الناسَ ماتَ غَمًّا وفازَ بِاللَّذَةِ الجَسُورُ  
وبما ضَرَبَتْ به العَرَبُ المِثْلَ ، في أن الحاجة تُطَلِّبُ فيَجْعَلُ دونها حائلَ ،  
قولهم : سَدَّ ابنُ بَيْضِ الطَّرِيقَ .

قال أبو عبيد البَكْرِيُّ : إن ابنَ بَيْضِ لما حضرته الوفاة قال لابنه :

(١) ديوانه ٢ . الإعجاز والإيجاز ١٥١ .

(٢) ديوانه ١ : ٧٥ .



لَا تُقَارِبُ لِقَانُ فِي أَرْضِهِ ، فَمَسْرُ بِأَهْلِكَ وَمَالِكَ حَتَّى إِذَا كُنْتَ بِثَنِيَّةٍ  
 كَذَا فَاقْطَعِهَا بِأَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَضَعَّ فِيهَا لِالْقَمَانِ حَقَّهُ ؛ (١) فَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا فِي كُلِّ  
 عَامٍ حُلَّةٌ وَجَارِيَةٌ وَرَاحِلَةٌ ، فَإِنْ هُوَ قَبْلَهُ فَهَوَّ حَقَّهُ هَرَفْنَا لَهُ ، لِإِجَارَتِهِ  
 وَخِفَارَتِهِ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَقْبَلْهُ وَبَقِيَ ، أَدْرَكَهُ اللَّهُ بِبَغْيِهِ (٢) . فَفَعَلَ الْفَتَى مَا أَمَرَهُ  
 بِهِ أَبُوهُ . فَأَتَى الْقَمَانَ الثَّنِيَّةَ فَأَخَذَ حَقَّهُ وَانصَرَفَ ، وَقَالَ : « سَدَّ ابْنُ بَيْضِ  
 الطَّرِيقَ » (٣) .

وقال عمرو بن الأبرد في ذلك (٤) :

سَدَدْنَا كَمَا سَدَّ ابْنُ بَيْضِ سَبِيلَهَا فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَ الثَّنِيَّةِ مَطْلَمًا

\* \* \*

١٢ - وقوله :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهُونَ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحُسَادِ

المصائب : جمع مصيبة ، وهي ما يصيب الإنسان من حوادث الدهر  
 ونوازله . والشماتة : التشفى . وهذا البيت من جملة أبيات قاطها عبد الله بن  
 محمد بن أبي عيينة ، يمانب ذا اليمينين :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الْأَمِيرَ رِسَالَةً مَحْصُورَةٌ عِنْدِي عَنِ الْإِنشَادِ (٥)  
 كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهُونَ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحُسَادِ  
 وَأُظَنَّ لِي مِنْهَا لَدَيْكَ خَبِيئَةٌ سَتَكُونُ عِنْدَ الزَّادِ آخِرَ زَادِ  
 مَا لِي أَرَى أَمْرِي لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ ثِقَلِهِ طَوْدٌ مِنَ الْأَطْوَادِ

(١) فصل المقال : « حظه » .

(٢) فصل المقال : « بنقمة » .

(٣) فصل المقال ٢٧٩ . (٤) لعمري بن الأسود الطهموي ، اللسان — بيض

(٥) التمثيل والمحاضرة ٨ ، ونهاية الأدب ٣ : ٨ .

قيل لأبيوب عليه السلام: أي شيء كان في بلائك أشد عليك؟ قال: شمانة الأعداء. وفي المثل: الشمانة لؤم، أول من قاله أكنم بن صبيح، أي لا يفرح بفسكية الإنسان إلا من لؤم أصله.

وقال آخر:

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ كلاله أناخَ بأخريفاً<sup>(١)</sup>  
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيماني الشامتون كما أقيفا

وقد جاءت الشمانة في القرآن في مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>، فقوله: ﴿ذُقْ﴾ شمانة، وقوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾، تهكم. وقوله تعالى: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فعلى هذا الشمانة<sup>(٤)</sup> من أنواع البديع. ومن الشمانة قول الشاعر:

إلى النارِ يا ولدَ الزانيةِ وهذا الهوى إلى الهاويةِ  
وَقَعْتُ فَيَا بَرْدَهَا فِي الْقَلْبِ بِوَالَيْتِهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ

ولابن الرومي أبيات في الشمانة، وقد بالغ فيها:

لا زال يومك هبةً لعدك وبكت لِسَجْوِ عَيْنِ ذِي حَسَدِكْ  
فلئن بكيت فظالمًا بكيت بك همةً لجأت إلى سَنَدِكْ  
لو تسجد الأيام ما سجدت إلا ليومٍ فُتَّ في عَضُدِكْ  
يا نعمةً وآت غضارتها ما كان أقبح حُسْنَهَا بِيَدِكْ  
فلقد بدت برداً على كيدي لما غدت حَرَّى عَلَى كَبِدِكْ  
ورأيتُ نعمي اللهُ زائداً لما استبانَ للنقصِ في عَدَدِكْ

(١) ذو اليمين، هو طاهر بن الحسين، وانظر سبب التسمية في المضاف والنسب ٢٩١

(٢) للفرزدق، ديوان الحماسة بشرح المرزوق ٢٩١.

(٣) سورة الدخان ٤٩. (٤) سورة يونس ٩١.

(٥) انظر بديع القرآن لابن أبي الإصبع ٢٨٢.

ولما أمسك ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن المقدسي  
 وواقفته مشهورة، ورُسم عليه بالندراوية، وذاق الهوان، وكان قد آذى الناس،  
 ومنهم: سيف الدين السامري، كان قد أخذ منه الزنبقية، ففضى السامري  
 إليه وتغم له منشفياً، فقال له ناصر الدين المقدسي: سألتك بالله ألا تعود تجيء  
 إلي! فقال السامري: هو يصير لي، ونظم القصيدة التي منها:

وردَ البشيرُ بما أقرَّ الأعياناً      فشقَّ للصدورِ وبلغَ الناسَ الدني  
 إن أنكرَ اللصُّ العظيمُ فماله      بالمسلمين فأولُ القتلِ أنا  
 وقال أبو تمام الطائي:

أجرٌ ولكن قد نظرتُ فلم أجدِ      أجراً يفي بشجاعةِ الأعداءِ<sup>(١)</sup>  
 ويُنسب إلى الملك الأحمدي:

لم يبقَ إلا نفسٌ خافتُ      ومقلَّةٌ إنسانها باهتُ  
 ومُدنفٌ تُضرمُ أحشاؤه      بالنصارِ إلا أنه ساكتُ  
 رَقَّ له الشامتُ بما به      يا ويح من يرثي له الشامتُ!  
 ومن شعر جحظة البرمكي:

ظنيرُ للقلبِ بحبِّ دَنِيفِ      فيك والشقمِ بحسَمِ ناحِلِ  
 فَمَا بينَ اِكْتِئابِ وَصَنِي      ترَكَاني كَأَقْصِيبِ الذَّابِلِ  
 فَبِكَيِّ الماذِلِ لي مِن رَحْمَةٍ      فُبَكَائِي مِن بَكَاءِ الماذِلِ  
 وقال عماره اليماني:

فمندها أطرقتُ من خَجَلِيَّةِ      تَصْبِغُ خَدَّ الأَمَلِ النَّاصِلِ  
 وكان من أضمَّ ب مامرٍ بي      شَمَاتَةٌ الحامِديِّ والجاهلِ  
 وقال أبو فراس بن حمدان:

لئن جاهد الحمَّادُ أجزَّ الجاهِدُ      وأعجب ما حاولت إرضاءَ حامدِ<sup>(٢)</sup>

ولم أرَ مثلي اليومَ أكثرَ حاصداً  
 أرى الليلَ من تحت النُّفاقِ فأحجني  
 وقال سيف الدين بن المشد :

لم يُبقِ مِنِّي العَبُّ إلا ضنِّي  
 قد رَقَّ لي العاصدُ بما أرى  
 يخفي عن الزائرِ والمساءدِ !  
 واخجلتُ من رِقَّةِ العاصدِ !  
 وقال الأرجاني :

تطلعت في يومِي رخاءٍ وشِدَّةِ  
 فلم أرَ فيما ساءني غيرَ شامتِ  
 وناديتُ في الأحياءِ هل من مُساعدِ (١)  
 ولم أرَ فيما سرَّني غيرَ حاسدِ

\* \* \*

١٣ - وقوله :

وإني لأتجلَّدُ ، وأرى الشامتين أني لَرَيْبِ الدهرِ لا أنضمضع .  
 أتجلَّدُ : أتفعل ، من الجَلَد ، وهو الصَّلابة ، والتجلَّد : تكأف الشَّهاتِ والصبرِ  
 وعَدِيمِ الجِبالَةِ بالأمرِ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّجْلِ ، وهو صَمْبٌ يَشُقُّ أَحْمالَهُ .

و « الشامتين » : جمعُ شامتٍ ، وهو اسمُ فاعلٍ من الشَّمانَةِ ، وهي الفَرَحُ  
 بِبِليَّةِ المدوِّ والنسْفِ بِهِ .

وَأَنْضَمَضَعَ : أَنْفَعَلَ ، من الضَّمَضَمَةِ ، وهي التَّهْدُمُ والخرابُ .

وأما التجلَّد والصبر ، فَمِنْ أعْظَمِ صَبْرٍ وَقَعَ لامرأةٍ ما كان من أمِ سُلَيْمِ  
 امرأةِ أبي طَلْحَةَ الأنصاري ، وهو أن ابْنَهَا مَرِضٌ ومات في صَبِيحَتِهِ في المَخْدَعِ ،  
 فقَامَتْ ، فنهَيْتُ لأبي طَلْحَةَ فطوره كما كانت تهَيِّئُهُ له في كلِّ لَيْلَةٍ ، فدَخَلَ  
 أبوطَلْحَةَ فقال : كيف الصبي ؟ فقالت : بأحسنِ حالٍ ؛ نَحْمَدُ اللهَ ! ثم قامت إلى

ما يقوم إليه النساء ، فأصاب أبو طلحة أهله ، فلما كان في السحر قالت :  
يا أبا طلحة ، ألم تر إلى آل فلان أستمروا عارية فتمتعوا بها ، فلما طلبت  
منهم شئ عليهم ! قال : ما أنصفوا ، قالت : إن ابنتك كانت عارية من الله  
وإن الله قبضه ، فاسترجع ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال  
له : يا أبا طلحة ، بارك الله لكما في ليلتكما .

\*\*\*

وكلام ابن زيدون رحمه الله تعالى محل من قول أبي ذؤيب الهذلي ،  
من قصيدته التي رثى بها أولاده فقال :

وتجلدي للشامتين أريهم أني أريب الدهر لا أنصفمضع  
وأولها :

أمن المنون ورهبها تتوجع الدهر ليس بمفتب من يجزع  
ومنها يذكر أولاده :

واقدر حرضت بأن أداغ عنهم وإذا المنية أقبلت لا تدفع  
وإذا المنية أشبت أظفارها ألفت كل تيمية لا تنفع  
فأمين بمدم كأن حباقها كحلت بشوك فهي عور تدمع<sup>(١)</sup>  
حتى كأني للحوادث مروة بصفا المشقر كل يوم تفرع<sup>(٢)</sup>  
وتجلدي للشامتين أريهم أني أريب الدهر لا أنصفمضع  
والنفس راغبة إذا رغبتهما وإذا ترد إلى قليل تنفع

ولما نقل<sup>(٤)</sup> معاوية رضي الله عنه في المرض الذي مات فيه ، دخل عليه  
الحسن بن علي رضي الله عنهما يموده ، فاستوى جالسا وقال :

(١) الحدائق : جمع حدقة .

(٢) المروة : حجر أبيض يراق تشتد منه النار . والمشقر سوق بالطائف

(٣) ديوانه الهذليين ١ : ١ . (٤) نقل ، كسفرح : اشتد برضه .

## \* وَتَجَلَّى لِلشَّامِتِينَ أَرْبَعٌ \*

فقام الحسنُ بنُ علي رضي الله عنه وهو يقول :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أُنشِبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَبِيَّةٍ لَا تَنْفَعُ

وقيل : لما نفل في عِلته التي مات فيها ، أن يكحل ويبرق وجهه ،  
ويدخل الناسُ إليه لِيَسْمُوا عليه قِياما ، فلما خرج الناسُ تمثل معاوية :

## \* وَتَجَلَّى لِلشَّامِتِينَ أَرْبَعٌ \*

وقال لابنتيه في عِلته هذه وهما تَقْلِبانه : إنكما تَقْلِبَانِ حَوْلًا قُلُوبًا ،

جمع المال من شَبَّ إلى دُب<sup>(١)</sup> ، إن لم يدخل النار ؛ وتمثل بقوله :

لَقَدْ سَمِيتُ لَكُمْ مِنْ سَعْيِ ذِي نَهْصٍ وَقَدْ كَفَيْتُكُمْ التَّطَوُّافَ وَالرَّحْلَ

وقال في مرضه هذا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كساني قِيصان رقمة .

وقدم يوما أظفاره ، فأخذت إنيته قِلامته فجعلتها في قارورة ، فقال :

احْفَظِيهَا ، فَإِذَا مِتُّ فَأَلْبِسُونِي الْقَمِيصَ ، وَقَطِّعُوا تِلْكَ الْقِلَامَةَ وَذَرُّوْهَا فِي عَيْنِي  
وفى ، ثم تمثل :

إِذَا مِتَّ مَاتَ الْجُودُ وَانْقَطَعَ النَّدَى مِنْ النَّاسِ إِلَّا مِنْ قَابِلٍ مُصْرَدٍ<sup>(٢)</sup>

وَرُدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا مِنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِجَلْفِ مَجْرَدٍ

فقال إحدى بناته : يدفع الله منك ، فقال :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أُنشِبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَبِيَّةٍ لَا تَنْفَعُ

وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَنَّ تَعْرُوبَ بْنَ الْعَاصِ لَمَّا قَدِمَ مِنْ مِصْرَ عَلَى مَعَاوِيَةَ

أَنشَدَ مَعَاوِيَةَ :

(١) من شب إلى دب ، مثل ، أي من لندن شبيت إلى أن دبيت على العصا

(٢) المصرد من الهطاء : القليل .

يموت الصالحون وأنت حيٌّ تحطّاك للناس لا تموت

فأجابه عمرو بقول:

أزجو أن أموت وأنت حيٌّ ولست بميتٍ حتى تموت!

\*\*\*

وقال أبو ذؤيب أيضا:

وإن صبرتُ النفسَ بمدائنِ عَنديسٍ

لأحسبَ جَلدًا أو لِينبًا شامِتٌ

وقد جود ابن الرومي حيث قال:

أرى الصبر محمودا عليه مذاهبُ

هناك بَقِّ للصبرِ والصبرُ واجبٌ

فشدَّ امرؤُ بالصبرِ كفاً فإنه

هو المهربُ المنجى لمن أهدقت به

لبوسِ جمالِ جنةٍ من شماتةٍ

فيأجبا لشيءٍ هذى خياله

وقد يتظنُّ الناسُ أن أصامُ

وأهها ليسا كشيءٍ مصرفٍ

فإن شاء أن يأتي أطاع له الأسي

وليس كما ظنَّوها بل كلالهما

بصرفه المختارُ منا فتارة

إذا احتجَّ محتجٌّ على النفس لم يكدُ

فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهبُ

وما كان منه كالضرورة أوجبُ

له عصمةٌ أسبابها لا تقضبُ

مكارهٌ دهرٍ ليس عنهن مهربُ

شفاء أسي يُبني به ويُشوبُ

وتارك مافيه من الخطأ أوجبُ

وصبرهم فيه طباعٌ مُرَّكِبُ

بصرفه ذو نسيئةٍ حين ينكبُ

وإن شاء صبرا جاءه الصبرُ يُجابُ

اسكلَّ لبيبٍ مستطاعٌ مشدبُ

يُراد فيأتي أو يُذاد فيذهبُ

على قدرٍ يُبني لها يتمتّبُ

(٢) ديوان البهليلين ١ : ٦١

(١) مروج الذهب ٣ : ٣٠ .

(٣) ديوان ابن الرومي ، مخطوطة دار الكتب الورقة ٢٥

فَسَاعَدَهَا الصَّبْرُ الْجَمِيلُ فَأَقْبَلَتْ  
وإن هُوَ مَنَّاها الأَباطِيلُ لَمْ تَزَلْ  
فَتَضَعِي جَزُوعاً إن أَمَّيْتُ مُصِيبَةً  
فلا يَمْدِرُنَ التَّارِكُ الصَّبْرَ نَفْسَهُ  
إِلَيْها لَه طَوْعاً جَفَائِبُ تَجَنَّبُ  
تَقَارِلُ بِالغَيْبِ القَضَاءُ فَمُطَلَبُ  
وَتُنْسِي هَلُوعاً إن تَمَدَّرَ مَطَلَبُ  
بأن قِيلَ : إن الصَّبْرَ لا يُتَكَسَّبُ

وقال الأمير تاج الدين الكلبجي :

هِيَّاتَ بِيؤْلَمِي الزَّمانَ فَأَشْتَكِي  
وَعَزِيْمَتِي ما إن يُشْلَمُ غَرْبَها  
وقال الأمير تميم بن العزّ :

صَبْرْتُ عَلَى الشُّكْوَى حَياءَ وَعِفَّةَ  
وَبِي كُلِّ ما يَبْكِي العَيونَ أَقْلَهُ  
وَهُلْ يَشْتَكِي لَدَغَ الأَراقِمِ أَرْقَمُ (١)  
وإن كَدْتُ مِنْهُ دائِماً أَتَبَسُّمُ

وما أَلْطَفَ قَوْلَ أبي الحُسَيْنِ الجِزَّارِ :

أَطِيلُ شِكَايَاتِي إلى غَيْرِ راحِمٍ  
وَأَشْكُرُ عَيْشِي الوَدِي خَوْفَ شامِتٍ  
وَأَهْلُ العِنْيِ لا يَزِرُ هونَ فقيرِ  
كذا كُلُّ نَحْسٍ لا يَزالُ شاكِورا

وقال شرف الدين المبارك مستوفى إربيل :

أَلْقَى الخُطوبَ إذا أَشَدَّتْ عَرِيكُها  
ما يَنْقَمُ الدَّهْرُ مَنِي غَيْرَ مَعْرِفَتِي  
بِتِيسِهِ رَأى كَثِيرَ النِّجْهِ مَخْمالِ  
بأنَّهُ قَطُّ ما يَبْقَى عَلَى حالِ  
وقال أبو عامر بن الشهيد :

إنَّ الكَرِيمَ إذا نالَهُ مَخْمَصَةٌ  
يَنْجِي الضُّلُوعَ عَلَى مِثْلِ الأَطْلَى حُرْقاً  
أَبْدَى إلى الدَّائِسِ رِباً وَهُوَ ظَمآنُ  
والوَجْهُ غَمْرٌ بِماءِ البِشْرِ مَلآنُ



وما أحسن قول القاضى الفاضل :

لا تَنانَ للخطوبِ واصلبُ فمن لا  
حين أبدي ليغاً لحرّ اللهبِ  
نَ توالى عليه قرعُ الخطوبِ

وقال أبو بكر الخوارزمي :

عليك بإظهار التجلّد للمدا  
أست ترى الریحانَ يشمُّ ناضراً  
ولا تُظهِرنَ منك الذبولَ فُتحقراً  
ويُطرح في الميضا إذا ما تغيّراً !

وعلى كل حال فالعلم بالحاسد ، ولا رؤية الشامت ، قال الشاعر :

لا مات حُسادك بل خلدوا  
ولا خلاك الدهر من حاسدٍ  
حتى يروا منك الذى يكمدُ  
فإن خير الناس من يُحسدُ

وما أحسن قول القاضى ناصح الدين ، وقد تقدّم :

ولما بلوتُ الناسَ أطلبُ عندهم  
تطلعتُ في يومى رخاءً وشِدّةِ  
أخائقةً عند اعتراضِ الشدائدِ  
فلم أرَ فيما ساءنى غيرَ شامتٍ  
وناديتُ في الأحياء: هل من مُساعدٍ؟  
ولم أرَ فيما سرّنى غيرَ حاسدٍ

\* \* \*

١٤ — فأقول : هل أنا إلا يديّ أدماها سوارها ، وجبين  
عَضَّ به إكليله !

أدماها : أجرى دمها . والسوار : سوار المرأة ، وهو معروف .

والجبين : مافوق الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجبهة ويسارها .

عَضَّ به ، والراد عَضَهُ ، والعَضْر معروف ، وإذا كان حقيقةً فهو إما  
بالأسنان ، ويُكتب بالضاد أوجّة ، وإذا كان مجازاً مثل عَضَّ الزمان ، وعظت  
الهرب ، كُتِبَ بالطاء القائمة .

والإكليل : العصابة للرأس تُكَلَّلُ بالثَّلْوُلِ ، ويسمى التاج إكليلًا ،  
ومعنى هذا أنه لما قال : أتجلد وأرى الشامت<sup>(١)</sup> أن لا أتصعصع لما نزل بي  
منك ، فأكار نفسي ، وأريها الباطل حقا ، قال : ما أنا إلا يد أدمها  
سوارها الذي تحلت وتزينت به ، وجبين عض به تاجه الذي وضعه فوقه ؛  
ليتمهل به ، ويتحلى بجواهره ، فما ألوم أحداً فعل بي ذلك ؛ وهذا مأخوذ من  
قول أبي الطيب :

بنو كعب وما أترت فيهم يد لم يدمها إلا السوار<sup>(٢)</sup>  
بها من قطعه ألم ونقص وفيها من جلالتة افتخار

<sup>(٣)</sup> وهذا من باب تحسين التبيح ؛ وهو أن يعتذر له بشيء يعود قبحة حسناً  
كما<sup>(٤)</sup> اتفق للمزني صاحب مصر ووزيره ابن كلث<sup>(٤)</sup> ، لما تسابقا بالحمام ، فسبق  
حام الوزير ، فسق ذلك عليه ، وأراد الإيقاع به ، فكتب الوزير إليه :  
قل لأمير المؤمنين الذي له العلاء والنسب الثاقب  
طأرتك السابق لكتنه جاء وفي خدمته حاجب  
فسكر غيظ<sup>(٤)</sup> الخليفة . وكما قال الآخر لما احترق حرم النبي صلى الله  
عليه وسلم :

لم يحترق حرم النبي لرؤية تخشى عليه ولا هبالك عار  
لكننا أيدي الرافض لامست ذاك الضريح فظهرته النار

وقال أبو الحسين الجزار من أبيات ، وقد ذكر حريق الحرم النبوي :  
لله في النار آتى وقعت به سر عن المقلاء لا تخفيه  
أن ليس يبقى في فناء بقية مما بدته بنو أمية فيه

(١) ط : ه الشامتن .  
(٢) ديوانه ٢ : ١١٢ .  
(٣) ساقط من ط .  
(٤) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف . والخبر مع  
اليتين و ترجمته ، في ابن خلكان ٢ : ٣٣٥ .

وكما قال صَنَاجَةُ الدَّوْحِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عَاصِمٍ ، شَاعِرُ الْحَاكِمِ :  
 بِالْحَاكِمِ التَّمْدُلُ أَضْحَى الدِّينَ مَمْتَلِيًا      تَجَلَّ الْعَلَا وَسَلِيلُ السَّادَةِ الصُّلَحَا (١)  
 مَا زَلَّتْ مِصْرٌ مِنْ كَيْدٍ رَادُهَا      وَإِنَّمَا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِهِ فَرَا حَا  
 وَابْنُ الْأَبَّارِ مَصْنُفٌ سَمَاءُ : « قَطَعَ الرِّيَاضُ ، فِي بَدْعِ الْأَغْرَاضِ » وَكُلُّهُ  
 جَمْعُهُ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي تَحْسِينِ التَّيْبِيحِ .

وقوله : « يَدُّ أَدْمَاهَا سِوَارُهَا » ، يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَاخْرَزَمِيِّ :  
 هِيَ الْأَدَابُ حَلَّى غَيْرَ أَنِّي      بِحِرْفَتِهَا اضْطُرْتُ إِلَى الصَّمَارِ  
 كَذَاكَ لِعِصْمِ الْحُسْنَاءِ صَبْرٌ      عَلَى ضَيْقِ الْخِنَاقِ مِنَ السُّوَارِ  
 وَقَالَ ابْنُ بَابِكٍ :

لَا صَبْرَ عِنكَ وَلَوْ عَضَّ السُّوَارُ يَدِي      وَبِتُّ مَرْتِفَعًا فِي رَأْسِ عُغْدَانَا  
 كَلَّا وَلَوْ هَزَّ عَرْشُ الْمَلِكِ نَاصِيَتِي      وَصِرْتُ الْهِنْدِ الشَّرْقِيِّ دِيَانَا  
 وَقَالَ الْأَخْوَصُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فَطَلَّقَهَا فَلَسْتُ لَهَا بِكُفَاءٍ      وَإِلَّا عَضَّ مَفْرَقَكَ الْحُسَامُ (٢)

\* \* \*

١٥ - وقوله : وَمَشْرِفِي الصِّقَّةِ فِي الْأَرْضِ صَاقِلُهُ ، وَسَمَّهَرِي عَرَصَهُ  
 عَلَى النَّارِ مُنْمَقُهُ .

لِلْمَشْرِقِ - بفتح الميم والراء ، وتشديد الياء : السيف ، منسوبٌ إلى  
 المشارف ، وهي قرى من أرض العرب ، ولا يقال : سيفٌ مشرفي ، لأنَّ  
 الجموع لا يُنسب إليها إذا كانت على هذا الوزن ، لا يقال : مهالبي ، ولا  
 جمافري ، ولا عباقرى . وقد قيل : مدائني ، نسبةً إلى مدائن كِسْرَى ، لأنَّ

(٢) من أبيات له في الأغاني ١٥ : ٢٩٣ .

(١) حسن المحاضرة ٢ : ١٩٩

النسبة إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم هَدَنِي ، وإلى مدينة المنصورة  
مديني ، فقيل في ذلك للفرق .

أَلصَّغَةَ فِي الْأَرْضِ : وَصَّغَهُ عَلَيْهَا .

وَالصَّاقِلُ : الْقَيْنُ الَّذِي يَجْلُو السِّيفَ مِنَ الصَّدَأِ .

وَالسَّمْهَرِيُّ : الرِّيحُ الصُّلْبُ ، وَقِيلَ : مَنْسُوبٌ إِلَى سَمَّهَرٍ ، وَهُوَ رَجُلٌ  
كَانَ يَقُومُ الرَّمَّاحَ .

مَثْقُفَةٌ : مَقُومَةٌ ، وَالتَّقْيِيفُ : التَّقْوِيمُ ، مَعْنَاهُ : أَنَا سَيْفٌ وَصَّغَهُ عَلَى النَّارِ  
مَنْ يَجْلُوهُ مِنَ الصَّدَأِ ، وَإِنْ كَانَ مَحْمَلُهُ عَلَى الْكَتْفِ ، وَرَمَحَ عَرَضَهُ عَلَى النَّارِ  
مَقُومَةٌ ؛ وَذَلِكَ لِمَصْلَحَةِ تَعَوُّدِ عَلَى السِّيفِ وَالرَّمْحِ ، فَمَا أَعَدَّ ذَلِكَ شَيْئًا غَرِيبًا .  
قَالَ الْخَفَاجِيُّ :

أَلَامٌ إِذَا مَا نَوَّشَ الدَّهْرُ جَانِبِي      وَأَيُّ حُسَامٍ لَا يَجَادِثُ بِالصَّفْقِلِ <sup>(١)</sup>  
وَمَا هُوَ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْ صَنِيمِهِ      بِمَطْرِحِ قَوْلِي وَلَا جَاهِلِ فَعْلِي  
وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَرَزِيُّ :

صَقَلْتُ الْعُلَا بِالْكَرُمَاتِ وَإِنَّمَا      يَنْبَغُ بِأَسْرَارِ السِّيفِ الصِّيَاقِلُ  
وَقَالَ أَبُو تَمَّامِ الطَّائِي :

وَمَا السِّيفُ إِلَّا زُبُرَةٌ لَوْ تَرَكْتَهُ      عَلَى الْحَالَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ <sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ أَبُو فِرَاسِ بْنِ خَمْدَانَ :

وَأَنْتَ بَقِيْتُ فَإِنِّي      غَمِظْتُ الْعِدَا طِفْلًا وَكَهْلًا <sup>(٣)</sup>  
مَا كُنْتُ إِلَّا السِّيفُ أَخَذَ      لِمَصَّةِ الْقَيْمُونِ فَرَادَ صَقْلًا  
يَفْرِي رِئُوسَ عِدَاتِهِ      وَيَسْلَهُمْ بِالضَّرْبِ شَلًّا  
وَأَنْتَ هَلَكْتَ فَإِنَّمَا      مَوْتُ الْكِرَامِ الصِّيدِ قَتْلًا

(١) ديوانه ٣٨ (مخطوطة دار الكتب رقم ٥١٠ - أدب ) ، وهو عبدالله بن سعيد  
المعروف بأبي محمد الخفاجي . والتجاذب هنا : جلاء السيف .

(٢) ديوانه ٢ : ٣٣٤ . والزبرة : القطعة من الحديد . (٣) ديوانه ٢٢٩ .

وقال شهاب الدين الخيمي لما تولى تفاسف عذاب ابن الزبير :

لأبن الزبير مكارمٍ أُنحتَ بها طيرُ الدأحِ في البلادِ تُمرِّدُ  
إن قيِّدوه وبالقوا في عصرِه فالكرمُ يُمصِّرُ والجوادُ يُقيِّدُ

وقال الأمير أبو المنيع قراوش :

للهِ دَرُّ النَّسائِبِ فإنَّها صَدَأُ اللَّثامِ وَصَيَقَلُ الأحرارِ  
ما كنتُ إلا زُبْرَةً فَطَبَّقَنِي سَيْفاً وَأَطْلَقَ صرْفَهِنَ غراري

وقال ابن الساعاتي :

وما أبيضَ وجهَ الخائضِ الحربِ في الوغى

بصارِه لولا سَـوَادُ القَساطِلِ  
يزيدُ النَّضارُ الطَّلُقُ بالنارِ رِفْمَةً وَيَذْهَبُ بالتَّنْصِيفِ زَيْعُ الأَمَوالِ  
كذلكَ سِوْفُ الهِنْدِ يركبُها الصِّدا فَتُكْسِبُها حُسْنًا أَكْفُ الصِّياقِلِ

وقال أبو الفتيان بن حيوس فأحسن :

أرى كلَّ مَعِوَجِ المودَّةِ يُصْطَفِي لَدَيْكُمْ ، وَيَلْقَى حَتْفَهُ من تَقَومًا (١)  
حَنَى النَّاسُ من قَبْلِ القِسيِّ لَتَمْتَنِي وَتُقَفِّ مَنَادُ القِنا لِيُحْطَما

وقال ابن سناء الملك :

حَارَبْتُ هذا الدَّهرَ لَكِنِّ ما وَجَدْتُ عليه نَصْرًا  
مِنَ أَجْلِ حَرْبِي قد أَعَدَّ وَقَد أَحَدَ شَبابًا وَظُفْرًا  
والقوسُ يُحْنِي وَالْمُهَنَّدُ يُنْتَضِي والسهمُ يُبْرِي

وقال علي بن الجهم لما حيس :

والبدرُ يُدْرِكه السَّرارُ فَتَنْجَلِي أَيامُهُ فَكَأَنَّهُ مُتَجَدِّدٌ (٢)

وَالنَّيْثُ يَحْصِرُهُ النَّهْمُ فَيَأْرِى  
وَالزَّرَاعِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُحُوبَهَا  
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَحْمُوءَةٌ  
وَالْحُبْسُ ، مَا لَمْ تَفْشُهُ لَدُنِيَّةٌ

إِلَّا وَرِيْقَهُ بُرَاحٌ وَيُرْعَدُ (١)  
إِلَّا التَّنَافُ وَجَدْوَةٌ تَتَوَقَّدُ (٢)  
لَا تُصْطَلَى إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَزْنُدُ  
شُعْمَاءُ نَفَمِ الْمَنْزِلِ الْمَتَوَرَّدُ

وقال القاضي أبو الفتح نصر بن سيار الهرمزي الشهرودي :

عَزَاكَ إِنْ حُبِسْتَ فَلَيْسَ عَيْبًا  
وَهَذَا الْوَرْدُ قَدْ يَزْدَادُ طَيْبًا  
وَضَرْبُكَ إِنْ ضُرِبْتَ فَلَيْسَ عَارًا  
وَمِثْلُكَ مَنْ تَعَانَدُهُ اللَّيَالِي

فَتِلْكَ الرِّاحُ تُحْبَسُ فِي الدَّنَانِ  
إِذَا حُبِسَتْ أَطْرَافُ الْبَنَانِ  
كَمَا قَدْ يُضْرَبُ السِّيفُ الْيَمَانِي  
وَتُجْمَعُ نَحْوَهُ نُوبُ الرِّمَانِ

وقال آخر :

لَنْ صُرِفْتَ - وَحَاشَا  
وَمَا أَعْتَقَلْتَ كَرِيمًا  
لَكَ - فَالِدَانِيرُ تُصْرَفُ  
إِلَّا وَأَنْتَ مَشَقَّفُ

وقال سيف الدين بن قول المشد :

أَنْتَ الْحُسَامُ إِذَا مَا هَاجَ مُسْتَرْكٌ  
فَلَا تُبَالِ بِأَمْرِ جَاءَ عَنْ قَدَرٍ

وَالرُّمْحُ أَنْتَ إِذَا مَا ضَاقَتِ السُّبُلُ  
فَالسِّيفُ يُضْرَبُ وَالْحَطِيُّ يُقْتَمَلُ

وقال الباخري صاحب الدُّمِيَّةِ :

أَبَا عَاصِمٍ كَنْ عَاصِمًا لِابْنِ مِحْنَةٍ  
صَبُورٌ عَلَى عَضِّ التَّنَافِ وَمَا التَّنَا

أَبَتْ نَكَبَاتُ الدَّهْرِ إِلَّا تَقَافَهُ  
بِمَقْتَدِلٍ مَا لَمْ تُحَسِّنْ تَقَافَهُ  
هُوَ الْخَادِرُ الْمَلْعِيُّ بِأَرْضِكَ رَحْلُهُ

وقال إبراهيم بن المدبر ، وقد حبس :

أَلَسْتَ تَرَيْنِ الْخَمْرَ يَظْهَرُ حَسْنَهَا  
وَبَهَجَتْهَا بِالْحُبْسِ فِي الطِّينِ وَالْقَارِ

(١) ريق كل شيء : أوله .

(٢) الزاعبية : رماح منسوبة إلى رجل من الخزرج اسمه زاعب كان يعمل الأسنة .

وما أنا إلا كالجوادِ يهسونه  
أو الذرة الزهراء في قمر أجة  
فلا تُفكرى طول المداراة للهدا  
فإن نهايات الأمور لإفصار  
لعل وراء الغيب أمراً يسرنا  
مقومه للسبق في طي مضار  
فلا تجتلي إلا بهول وأخطار  
بقدره في علمه الخالق الباري

\* \* \*

١٦ - وقوله : وَعَبْدٌ ذَهَبَ بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ :

فقساليزدَجِرُوا وَمَنْ يَلِكُ حَازِمًا      فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَيَّ مَنْ يَرْحَمُ

ليزدَجِرُوا : ليقمعلوا من الازدجار ، وهو الزجر ، والزجر هو المنع ،  
يقال : زجره فازدجر وأنزجر .

وَأَحْزَمُ : ضبط الرجل أمره ، والأخذ فيه بالثقة ، ومعناه : وأعد نفسي  
عبدًا ذهب به سيده فيما فعل به مذهب الذي قال هذا البيت ؛ لأنه يريد  
بذلك صلاحه وتأديبه ، فهو مع رحمة له قد قسا عليه حتى يتأدب ، ولم يك من  
شأنه القسوة .

وهذا البيت يقوله أبو تمام من قصيدة مدح بها مالك بن طوق ، وأولها :

أَرْضٌ مَصْرَدَةٌ وَأَخْرَى تُشْجَمُ      تَلِكُ الَّتِي رُزِقْتُ وَهَذِي تُحْرَمُ (١)

يقول منها في المدح :

ما هذه التربي التي لا تُصْطَفِي      ما هذه الرِّجْمِ التي لا تُرْحَمُ !  
حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قَرْحَةٌ      أَعْيَتْ عَوَانِدُهَا وَجُرْحٌ أَقْدَمُ (٢)

(١) ديوانه ٣ : ١٩٥ . ومصردة . يقطع شجرها . وتشجم : تَطْر على الدوام .

(٢) عواند : جمع غاند ، من قولهم : عند العرق ، إذا سال ولم يرقأ .

تَلِكُمْ قَرِيشٌ لَمْ تَكُنْ آرَاؤُهَا  
 حَتَّى إِذَا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ  
 عَزَبَتْ عَقُولُهُمْ وَمَا مِنْ مَفْشَرٍ  
 إِنَّمَا أَقَامَ الْوَحْيُ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ  
 وَمِنَ الْحَزَامَةِ لَوْ تَكُونُ حَزَامَةٌ  
 إِنْ تَذْهَبُوا عَنْ مَالِكٍ أَوْ تَجْهَلُوا  
 هِيَ تِلْكَ مُشْكَاةٌ لَكُمْ لَوْ تَشْتَكِي ،  
 كَانَتْ لَكُمْ أَخْلَاقُهُ مَعْسُولَةٌ  
 حَتَّى إِذَا أُجِدَتْ لَكُمْ دَاوَتُكُمْ  
 فَفَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا  
 وَأَخَافَكُمْ كَيْ تَفْهِمُوا أَسْيَافَكُمْ

تَهْفُو وَلَا أَحْلَامُهَا تَتَقَسَّمُ  
 فِيهِمْ غَدَتٌ سَخِنَاوُهم تَنْضَرُمُ  
 إِلَّا وَهم مِنْهَا أَلْبُ وَأَحْزَمُ (١)  
 وَرَأُوا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدًا مِنْهُمْ  
 إِلَّا يُؤَخَّرُ مِنْ بِهِ يُتَقَدَّمُ (٢)  
 نَوْمَاهُ فَالرَّحِمِ الْقَرِيبَةِ تَعْلَمُ  
 مَظْلُومَةٌ لَوْ أَنَّهُمْ اتَّعَظَمُ (٣)  
 فَتَرَكْتُمُوهَا وَهِيَ مِلْحٌ عَلَقَمُ  
 مِنْ دَائِكُمْ ، إِنْ النِّقَافُ يُقَوِّمُ (٤)  
 فَلْيَنْقَسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ  
 إِنْ الدَّمُ الْمُعْتَرَّ يَحْرُسُهُ الدَّمُ (٥)

ومن مادة هذا البيت الذي هو الرسالة ، قول أبي تمام الطائي أيضاً :

يَا شَامِتَا بِي إِذْ رَأَى هَجَرَ الْحَبِيبِ وَصَدَّه (٦)  
 لَا تَشْمَتَنَّ فَإِنَّهُ مَوْلَى يُوَدِّبُ عَبْدَهُ

ومن هذا قول مهبليار :

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ مَا مَقْدَارُ وَصَلِكُمْ  
 حَتَّى هَجَرْتُمْ ، وَبَعْضُ الْهَجْرِ تَأْدِيبُ (٧)

(١) ألب : أعقل ؛ وأحزم : أضيظ .

(٢) الحزامة : حسن الرأي . والنطب : القدر .

(٣) مشكاة ، اسم مفعول من الشكاية .

(٤) أجت : تقيت . والنقاف : آلة تقوم الرماح .

(٥) تفهدوا : تستروا . المعتر : المضطرب .

(٦) ديوانه ٤٣٧ ( بيروت )

(٧) ديوانه ١ : ٢٤



وهو مأخوذ من قول أبي تمام :

وليس يعرف كنه الوصل صاحبه  
وقال أبو القلاء :

فاضرب وليدك تأديباً على رشد  
فرب شق برأس جر منعمة  
ولا تقل هو طفل غير محتلم<sup>(٢)</sup>  
وقس على شق رأس السهم والقلم  
وقال ابن خناجة الأندلسي في هذا المعنى :

نبه وليدك من صباه بزجرة  
وأنهره حتى تستهل دموعه  
فالسيف لا تذكو بكفك نارُه  
حتى يسيل يصفحتيه ماؤه  
فأربما أعنى هناك بكأوه  
في وجنتيه وتلتظي أحشاؤه  
وقال علي بن الجهم :

ليس عندي وإن تفضبت إلا  
وانتظار الرضا فإن رضا الساء  
طاعة حرة وقلب سليم  
دات عز وعتهم تقويم

° ° °

### ١٧ - وقوله : هذا العتب محمود عواقبه .

المواقب : جمع عاقبة ، وهي آخر كل شيء ، يشير بذلك إلى قول أبي الطيب :  
لعن عتبك محمود عواقبه وربما صححت الأجسام بالعدل  
وهذا من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة بن حمدان ، وكان في نفس  
سيف الدولة بقية من موجدته عليه ، وأول هذه القصيدة :

أجاب دمي وما الداعي سوى طلل  
دعا قلباه قبل الركب والإبل<sup>(٣)</sup>  
ومنها :

يأيتها المحسن المشكور من جهتي  
والشكر من قبل الإحسان لا قبلي

(٢) اللزيميات ٢ : ٢٦١

(١) ديوانه ٣ : ٣١٠

(٣) ديوانه ٣ : ٨٤

ما كان نوحى إلا فوق معرفتى  
أقول أنزل أقطع أهل على سل أعد  
لعل عتبتك محمود عواقبه  
بأن رأيتك لا يأتى من الزلل  
زُرْهَشْ بِشْ تَفْضَلْ أَدْنِ سُرْصِلِ  
وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْمَلَلِ

ورواه بعضهم : « طرائقه » .

وما أحسن قول السراج الوراق ، ومن خطه نقلت :  
وقائل قال لي لما رأى قلتي  
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم  
وقال ابن الخياط الدمشقي :  
لطول وعدي وآمال تمنينا  
محمودة قلت أخشى أن نخزينا

وما كل مسلوب الرقاد مزاره  
يرى الصبر محمود العواقب معشره  
وقال سيف الدين علي بن قزل المشد :  
ولا كل مسلوب الفؤاد مفأذاه (١)  
وما كل صبر يحمد المره عقباه

صبرت على مر هجرانكم  
فأصبح جسمي في صحبة  
وعاقبة الصبر محمود  
وما أحسن قول بعض الشعراء :

لعل سببا يفيد حبا  
والشر للخير قد يجز

\*\*\*

١٨ - وقوله : وهذه النبوة غمزة ثم تنجلي ، وهذه النكبة

سحابة صيف عن قليل تقسم .

النبوة : تأنيث نبو ، وهو مصدر ، نبا الشيء إذ تحاماه وتباعد عنه ، ومنه  
نبا السيف إذا ارتفع عن الضريبة ولم يقطع فيها .

وَالْعَمْرَةَ : الشَّدَّةُ الشَّدِيدَةُ الْعَامَّةُ ، وَالْجَمْعُ عَمْرٌ .

تَنْجَلِي : تَذَهَبُ ، وَفِي الْمَثَلِ . عَمْرَاتٌ ثُمَّ تَنْجَلِي ، أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ الْأَغْلَبُ الْعَجَلِيُّ ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : زَعَمُوا أَنَّ صَدِيقًا مِنَ الْعَرَبِ نَظَرَ إِلَى قَوْمٍ يَا كَلُونَ ، فَأَرَادَهُمْ ، فَبَاءَ سَيْلٌ فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، فَأَلْتَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ ، ثُمَّ جَمَلَ يَنْفِطُ مَرَّةً وَيَرْتَفِعُ أُخْرَى وَيَقُولُ : « عَمْرَاتٌ يَنْجَلِينَ » ، حَتَّى تَخْلُصَ وَوَصَلَ إِلَيْهِمْ . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَثَلُ فِي رَجَزِ لِمِصْرِ الرَّجَّازِ ، وَهُوَ :

يُفَارِعُ السَّنِينَ عَنْ بَنِينَا وَالْعَمْرَاتِ ثُمَّ يَنْجَلِينَا<sup>(١)</sup>

وَالنَّكْبَةُ ، وَاحِدَةٌ نَكَبَاتِ الدَّهْرِ ، يُقَالُ : أَصَابَتْهُ نَكْبَةٌ ، وَنَكَبَ فُلَانٌ وَهُوَ مَنْكُوبٌ ، كَأَنَّهُ قَدْ عُدِلَ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ إِلَى الشَّرِّ .

وَتَقَشَّعٌ ، أَصْلُهُ تَقَشَّعٌ ، فَأُدْغِمَتْ إِحْدَى التَّاءَيْنِ فِي الْأُخْرَى . تَقَشَّعَ السَّحَابُ إِذَا أَقْلَعُ ، أَخَذَ يَعْزِي نَفْسَهُ وَيَسْلِكُهَا وَيَمْتَمُّهَا ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ جَمْفَرِ بْنِ شَمْسِ الْخِلَافَةِ :

هِيَ شَدَّةٌ يَأْتِي الرَّخَاءُ عَقِيْبَهَا وَأَسَى يَبْشُرُ بِالسَّرْوَرِ الْعَاجِلِ  
وَإِذَا نَظَرْتَ فَإِنَّ بُؤْسًا زَائِلًا لِلدَّرِّ خَيْرٌ مِنْ نَعِيمِ زَائِلٍ

وَقَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْمُبَارَكِ مُسْتَوْفِي إِرْبِلِ :

وَمَا السَّجْنُ إِلَّا ظِلٌّ يَبْتَ سَكَنَتُهُ أَرْفَهُ فِي أَفْيَانِهِ وَأَنْعَمُ  
فَكَمْ مِنْ طَالِقٍ أَوْتَقَ الدَّلَّ نَفْسَهُ وَآخَرَ مَأْسُورٍ يُعَزُّ وَيَكْرُمُ  
وَقَدْ شُجِدَ الْهِنْدِيُّ وَهُوَ مَطْبَقٌ وَقَدْ تُفِّفَ الْخَطِيُّ وَهُوَ مَقْوَمٌ  
وَمَا هِيَ إِلَّا عَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي سَرِيعًا وَإِلَّا نَبْوَةٌ تَتَصَرَّمُ

(١) البدايات ٢ : ٢٠٩ ، وفصل المقال ٢١٠ .

قوله : « سحابة صَيْف » ، مَرَّ بلالُ بنُ أبي بُرْدَةَ الأشعريِّ بخالدِ بنِ صفوانِ في مَوْكِبِ عَظِيمٍ ، فقال خالدُ : سحابةُ صَيْفٍ عن قَلِيلٍ تَقْشَعُ ، فسمِعَهُ بلالٌ فقال : واللهِ لا تَقْشَعُ مِنْهَا حَتَّى يَصِيبَكَ شَوْبُوبٌ بَرَدٌ . وَأَمْرٌ بِضَرْبِهِ بِالسَّيْطِ وَحَبْسِهِ .

وقال المبردُ : كان ابنُ شُبْرَمَةَ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ نازِلَةٌ قال : سحابةُ صَيْفٍ عن قَلِيلٍ تَقْشَعُ (١) .

وبلالُ بنُ أبي بُرْدَةَ أشارَ بقوله : حَتَّى يَصِيبَكَ مِنْهَا شَوْبُوبٌ بَرَدٌ ، إلى قولِ النابغةِ :

ولا تُلَاقِي كما لَاقَى بنو أسَدٍ فقد أصابَتْهُمُ مِنْهَا بِشَوْبُوبٍ (٢)  
وما أحسنَ قولَ أبي القاسمِ هبةِ اللهِ بنِ الفضلِ الطَّيِّبِ :

يامعشَرَ الناسِ الفَقِيرِ التَّفِيرِ قد جَلَسَ الهَرْدَبُ فَوْقَ السَّرِيرِ  
وصارَ فِينا أَمِراً ناهِياً وكنتُ أَرجو أَنَّهُ لا يَصِيرُ  
وكَلما قالوا غَداً يَنْجَلِي وظُلْمَةٌ عَمَّا قَلِيلٍ تُنِيرُ  
فمَحَّتْ عَيْنِي إِذا الدَّوْلَةُ الدَّ لَهْ وَالسَّيْخُ الوَازِرُ الوَازِرُ !  
وقولِ ابنِ الخَلِّيطِ الدَّمَشَقِيِّ :

سَحَابَةٌ بَرٌّ أَنَّ مِنْهَا انْتِشَاعُهَا وَأَيْكَةُ مُجَدِّ حَانَ مِنْهَا ذُبُولُهَا (٣)

\* \* \*

١٩ - وقوله : ولن يريني من سيدي إن أبطأ سحابةُ ، أو تأخرَ غيرَ ضَنِينِ غَنَاوَهُ .

يريني : فعلٌ مضارعٌ ، والرَّيَّةُ : الشَّكُّ والنَّهْمَةُ .  
وضَنِينِ : بَحِيلٌ ، وَغَنَاوَهُ ، بَفْتَحِ الفَيْنِ المَعْجَمَةِ والمَدِّ : النِّفْعُ .

(١) الكامل ٢ : ٤١ .

(٢) ديوانه ١٠٢ .

(٣) ديوانه ١١ .

وكان أبو العتاهية قد عاق عُتْبَةَ جارية المهديّ ، وعلم المهديّ بذلك ،  
 واشتهر أمرها على ما هو معروف عند الأخباريين ، فوعدّه المهديّ بزواجها ،  
 وطال الأمر على أبي العتاهية ، فأنشد يوماً :

ولقد نسّمتُ الرِّياحَ لحاجتي      فإذا لها من راجتِكِ نسيمُ  
 أعلمتُ نفسي من رجاكِ ما لها      عَفَقٌ يخبُّ إليك وهو رسيمُ  
 ورَمَيْتُ نحو سماءِ جودِكِ ناظري      أرعى مخابِلَ بَرَقها وأشيمُ  
 ولربّما استتَيْمَسْتُ ثمّ أقولُ : لا      إنَّ الَّذي ضَمِنَ النِّجاحَ كريمُ  
 وآتى بذلك إلى يزيد حوراء ، وكان من كبار المطرّبين في زمانه ، وقال :  
 أريد أن تصنع في هذه الأبيات لحنًا وتفني به بين يدي المهديّ ، فلما طابت  
 نفسُ المهديّ في بعض الأوقات غنى يزيدُ بذلك ، فأحضر المهديّ أبا العتاهية  
 فقال : أمّا عُتْبَةُ فلا سبيلَ لك إليها ؛ لأنّ مولاتها منعت منها ، ولكن هذه  
 خمسون ألف درهم ، فاشترِ ببعضها خيراً منها ، فحمل الدرهم وأنصرف .

وقال أبو إسحاق الصابي :

وعليّ باستحكامِ حَقّي لديّكمُ      يحقّ ظنّي أن جرّمي سيوهبُ  
 وأنك ليحجّرَ الَّذي لك عنده      ودِيعةٌ ودِّي خيرها مترقبُ  
 وقال :

ولولا رجاءُ مِلاءِ أرجاءِ أضلّمي      وعلمُ يقينِ بالرّعاية والعهدِ  
 وأن نسيمَ الإنعطافِ يهبُ لي

هبوبِ نسيمِ التّرجيسِ الغصّ والوردِ  
 قضيتُ بإجداهنّ نَجِيَّ حَسْمَةَ      ولو كان لي قلبٌ من الحجر الصلْدِ  
 وليّ عندَ مولانا ودِيعةٌ حُرْمَةٌ      وشُكْرُ أياديهِ ودِيعةُ عندي  
 وإن عشتُ كانتِ عُدَّتِي وذخيرتي

وإن لم أعشْ فهي التّراثُ مِنّ بعدي

فَيَأْتِيهَا الْمَوْلَى الَّذِي أَسْتَقَ عَبْدُهُ إِلَيْهِ ، أَمَا تَسْتَأْقُ يَوْمًا إِلَى الْعَبْدِ !  
فَإِنْ كَانَ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى رُتْبَةِ الرِّضَا فَبَلِّغْهُ فِيهَا قَبْلَهَا رُتْبَةَ الْوَعْدِ

\* \* \*

٢٠ - وقوله : فَأَبْطَأُ الدَّلَاءَ فَيَضِيضُ أَمْلُوهُمَا ، وَأَثْقَلُ السَّحَابَ  
مَشِيئًا أَحْفَلِيهَا .

أَبْطَأُ : أَفْعَلُ مِنَ الْبُطْءِ وَهُوَ ضِدُّ السَّرْعَةِ .  
وَأَمْلُوهُمَا : أَفْعَلُ مِنْ مَلَأَ الشَّيْءَ إِذَا أَوْقَرَهُ وَأَحْفَلَهُ .  
وَأَحْفَلَهُ : أَيضًا مِنَ الْحَفْلِ ، يُقَالُ : حَفَلَ الصَّرْعُ حَفْلًا إِذَا امْتَلَأَ . أَخَذَ فِي  
الْإِعْتِدَارِ عَنِ الْمَخَاطَبِ لِكَوْنِهِ آخِرَ الْحِنُوءِ عَلَيْهِ ، وَالْإِجَابَةُ إِلَى مَا قَصَدَهُ مِنْهُ ،  
وَهَذَا الَّذِي يَسْمِيهِ أَرْبَابُ الْبَدِيعِ حُسْنَ التَّعْلِيلِ ، لِأَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ الشَّيْءَ بِعِبَارَتِهِمْ  
الْفَصِيحَةَ ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ قَبِيحًا ، كَمَا قَالَ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَارَاتِ طَلَانُوعُ  
ابْنَ رَزِيكٍ :

وَمَا أَخْضَرَ ثَوْبُ الْأَرْضِ إِلَّا لِأَنَّهُ عَلَيْهِ إِذَا زَارَتْ بِأَقْدَامِهَا تَخَطَوُ  
وَلَا طَابَ نَشْرُ الزَّهْرِ إِلَّا لِأَنَّهُ يُجْرَى عَلَيْهَا مِنْ جَلَابِيبِهَا مِرْطُ  
وَمَا قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ ظَافِرُ الْحَدَّادِ :

قَالُوا مَحَا الْجُدْرِيُّ بِهَجَّتَهُ قَسَمَا رَبِّ مَنِي لَقَدْ كَذَّبُوا  
قَدْ صَفَّتِ الصَّهْبَاءُ وَجَنَّتَهُ لَوْنَا فَحَمَلْ صَفْوَهَا الْحَبِيبُ  
وَمَا قَالَ التَّهَامِيُّ :

لَوْ لَمْ يَكُنْ أَقْحُوَانَا نَفَرُ مَبْسَمِهَا مَا كَانَ يَزْدَادُ طِيْبًا سَاعَةَ السَّحْرِ (١)  
وقوله :

\* أَبْطَأُ فَيَضِيضُ الدَّلَاءَ أَمْلُوهُمَا \*

هذا نصف بيت قاله ابن المعتز في الأستسقاء ، من جملة بيتين ، وهما قوله :

قلتُ وقد ضجَّ رافعاً يدهُ      دَعُوا التَّرايَا فاللهُ يَكْمُلُها  
وَأَسْتَيْفِنُوا بالدَّواءِ مِنْه كَأَبْطَأُ      وَفَرَّ الدَّلَاءُ أَمْلُؤْها

وما أحسن قول المكبر الضبي من أبيات :

وإني لأرجوكم على بَطْءِ سَمْعِكُمْ      كما في بَطُونِ الحامِلاتِ رِجاءِ<sup>(١)</sup>  
أخبر من لا قيت أن قد وقَّيتُمُ      ولو شئتُ قال الخبِرونُ أساءوا

وقول أبي إسحاق الغزوي :

ومشكورة التسويف في قدرة الفنى

وخيرُ نوالِ الحبِّ ما لم يُعجَلِ<sup>(٢)</sup>

أبى صدُّها أن تَعدَمَ العَيْنُ قُرَّةً      وللبدر في إِدبارِه حُسنٌ مقبِلِ  
وقول أبي تمام الطائي :

يا أَيَّتِها المَلِكُ النَّأى برؤيتِه      وجوده لِمَراعى جُوده كِثْبِ<sup>(٣)</sup>  
ليس الحِجابُ بِمَقْصٍ عَنكَ لى أَملاً      إنَّ السَّماءَ تُرْجى حينَ تَحْتَجِبُ  
وقول أبي الطيب :

ومن الخيرِ بَطْءُ سَيْبِكَ عَنى      أَسْرَعُ السَّحْبِ فى المَسِيرِ الجُهَامِ<sup>(٤)</sup>  
وقال ابن قلايس :

رُبَّ ضِحْكَ جَنِينَةٍ من عُبوسِ      ونَمِيمٍ أَمَمْتِه بينِ بُوسِ  
وَإِذا ما السَّحَابُ قَطَبَ وَجْهاً      كان فى طِيه حَياءُ النَّموسِ  
وقوله أيضاً :

ولى رَسْمٌ عَلَيْكَ ولا دِفْاعُ      لَدَيْكَ يَصَدُّ عَنْه ولا مِطالُ  
ولمَّا أن تَأخَّرَ طابَ عَيْشاً      فَقد تُسْتَبْطَأُ السَّحْبُ الثَّقالُ

وما أحسن قول أبي تمام في معاتبة ابن أبي دؤاد لما استبطأه :

رأيتُ المَلا مَعْمورةً مِنْكَ دارُها      إِذا أَجمعتُ جاشاً وَقَرَّ قَرارُها<sup>(٥)</sup>

(١) الكامل ١ : ٨١ (٢) ديوانه ٨٨ (مخطوطة دار الكتب رقم ٨٨ - أدب)

(٣) ديوانه ٢٢ (بيروت) (٤) ديوانه ٤ : ١٠٠ (٥) ديوانه ٣٩٩ (بيروت)

وكم نَكْبَةٍ ظِلْمَاءُ تُحَسَّبُ لَيْلَةً      تَجَلَّى لَنَا مِنْ رَاحَتَيْكَ نَهَارُهَا  
 فلا جارك العاقب تنأول تحلها      ولا عرضك الوافي تناول عارها  
 فلا تمسكن للظل من ذمة النوى      فبئس أخو الأيدي الفزار جارها  
 فإن الأيدي الصالحات كبارها      إذا وقعت تحت المطال صغارها  
 وما نفع من قذبات بالأمس صادياً      إذا ماسماه اليوم طال أنهارها  
 وما العرف بالتسويق إلا كخلة      تسأيت عنها حين شط مزارها  
 وخير عِدات الحر مختصراتها      كما أن خيرات اليايلى قصارها

وما أحسن قول من قال :

إن المطايا لا تكون هنيئة      حتى تكون قصيرة الأعمار

\* \* \*

٢١ - وقوله : وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا وَافَقَ جَدْبًا ، وَالذُّ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ

غليلاً .

الحياء مقصور غير ممدود : المطر والخصب .

وافق : صادف .

الجدب ، بالدال المهملة : المحل . الغليل : العَطَشُ بجرارة .

وهذا من أحسن الاعتذار للمخاطب في إهماله الجواب ، وتركه الإجابة إلى قصده . يقول : أنفع المطر ما صادف تحلاً ، وألذ الشراب ما صادف حرارة العطش ، ولا شك أن المطر للأرض الممثلة أنفع وأوفق لها من الأرض الخصبية ، وكذلك لذة الماء عند الظمان أشدّ وقماً مما يكون عند الرى .

وما أحسن قول ابن حيوس :



وإن أذَّ القُرب ما كان قبله  
ومثله قول الأرجاني :

وأحسن قُرب ما تقدّمه نوى  
وقول مهذب الدين بن القيسراني :

فيا ويح قلبى من بلاء بحبّه  
ألفت قِلاه ، وأستطبت مطاله  
ومن دلّ الحاطي على ذلك الدلّ  
وأطيب ماجاء الوصال على مظل  
وقول الآخر :

وليس يعرف كنه الوصلِ ذو كلفٍ  
حتى يعادى ببينٍ أو بهجرانٍ  
وقوله : « وأذَّ الشراب ما أصاب غليلا » مأخوذ من قول الشاعر -  
أظنه كشاجم :

هذا الشرابُ أخو الحياةِ وماله  
من لذّةٍ حتى يُصيب غليلا  
وقال القطامي :

يَقْتُلُنَا بِمُحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ  
فَمَنْ يَنْبِذُنْ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُ بِهِ  
من يَتَمَيّنَ وَلَا مَكُونُهُ بَادِيٌ (٢)  
مواقع الماء من ذى الغلة الصادى  
وقال أبو هلال المسكرى :

بَقْدَرُ الصَّبَابَةِ عِنْدَ الْمَغِيبِ  
وَأَطْيَبُ مَا كَانَ بَرْدُ الثُّفُورِ  
تكونُ السَّرَّةُ عِنْدَ الْحُضُورِ  
إِذَا هُوَ صَادَفَ حَرَّ الصُّدُورِ

## ٢٢ - وقوله : ومع اليوم غدٌ ، ولكلّ أجل كتاب .

ومع اليوم غدٌ ، هذا أصله من أمثال العرب ، ولكنهم يقولون : « إن مع اليوم غدًا »<sup>(١)</sup> ؛ يُضرب مثلاً في تنقل الحالات ، وتقلب الأيام بالدُّول على مرّها وكرّها .

ومن أمثالهم أيضاً : « يأتيك كلُّ غد بما فيه » ، أى بما قُضِيَ فيه من خيرٍ وشرٍّ . ومن أمثالهم أيضاً : « لكلّ صباح صُبوح »<sup>(٢)</sup> ، أى كلّ يوم يأتي بما يُنتظر فيه . ومن أمثالهم أيضاً : « لكلّ غدٍ طعام »<sup>(٣)</sup> .  
وقولهم في المثل أيضاً : « عسى غدك لفيرك »<sup>(٤)</sup> ، أى لا تتأخّر من اليوم إلى غدٍ ، فلعلك لا تُدرِكه .

ومما يُنسب إلى يزيد بن معاوية :

أقول لصحبِ صمت الكأسِ شملهم وداعى صباياتِ الهوى يترنمُ  
خذوا بنصيبٍ من نعيمٍ ولذةٍ فكلُّ وإن طال المدى يتصرّمُ  
ولا تتزكّن الأنسَ يوماً إلى غدٍ فربّ غدٍ يأتي بما ليس تصلمُ

ويقولون في المثل أيضاً : « غداً غرّها إن لم يعقني عائق »<sup>(٥)</sup> ، والماء كنايةٌ عن الفعلة ، أى غداً غدها إن لم يجبسنى حابس .

ومن كلام مولانا القاضى الفاضل رحمه الله تعالى : والمقدور كائن ،  
والهمم فضل ، والمعنى من سَخِطَ على الأقدار ، ويُقَلِّبُ اللهُ الليلَ والنهار ،  
إن دار الفلك ، فمليك أو فلك ، لا حذرٍ من قدر ، ولا ملام على  
الأبّام .

هى المقاديرُ تجرى فى أعينها فأصبر فليس لها صبرٌ على حال

(١) الميداني ١ : ٣٠ . (٢) الميداني ٢ : ٤١٦ . (٣) الميداني ٢ : ١٢ .

(٤) الميداني ٢ : ١٨٢ . (٥) الميداني ٢ : ٤٨ . (٦) الميداني ٢ : ٦١ .

لَا تَسْأَلِ الدَّهْرَ فِي بَأْسَاءِ يَكْشِفُهَا وَلَوْ سَأَلْتَ دَوَامَ الْبُؤْسِ لَمْ يَدُمِ

إِذَا عَقَدَ الْقَضَاءُ عَلَيْكَ أَمْرًا فَلَيْسَ يَحُلُّهُ إِلَّا الْقَضَاءُ

وفي المقادير ما يبطل التقدير ، ومع اليوم غد ، وأصبر فإن الدهر لا يصبر ، قد يتجلى المكروه عما يُحمد . انتهى .

ولكلُّ أجلٍ كتاب ، لفظ القرآن العظيم . والأجل مُدَّة الشيء ، ومعناه لكلِّ شيءٍ أجلٌ مكتوب ، وأوقاتٌ محدودة ، أو لكلِّ أجلٍ أجله الله كتاب أثبتته فيه ، لا يتقدم عن وقته ، ولا يتأخر .

وقيل : هذا من المقلوب الذي جاء في القرآن ، ومعناه لكلِّ كتابٍ أجلٌ ينزل فيه ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾<sup>(١)</sup> وإنما هو : ﴿ وَجَاءَ الْحَقُّ بِسَكْرَةِ الْمَوْتِ ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾<sup>(٢)</sup> ، وهو كثيرٌ في القرآن .

وما أحسن قول السراج الوراق ، ومن خطّه نقلت :

أَرَانِي بَطِيئًا إِذَا مَا كَتَبْتُ وَقَدْ خُلِقْتُ طِينَتِي مِنْ عَجَلٍ  
كَأَنِّي خَالَفْتُ نَصَّ الْكِتَابِ فَمِنْدِي لِكُلِّ كِتَابٍ أَجَلٍ

وقولهم في المثل : « اليومَ خمرة ، وغداً أمر »<sup>(٣)</sup> . أول من قاله امرؤ القيس . كان حُجْرُ أَبُو<sup>(٤)</sup> امرئ القيس قد طرد ابنه هذا شعره وغزله ؛ لأن الملوك كانوا يأنفون من ذلك ، فلحق امرؤ القيس بأرض اليمن ، ولم يزل بها حتى قتل بنو أسد بن خزيمه حُجْرًا ، فجاءه الأعور العجلي فأخبره بمقتل أبيه ،

(١) سورة ق ١٩ . (٢) سورة النجم ٩ .  
(٣) الميداني ٢ : ٤١٧ . (٤) ط : « أبا » ، وهو خطأ .

فقال : « ضَيِّعَنِي صَغِيرًا ، وَحَمَلَنِي دَمَهُ كَبِيرًا ، لَا صَحْوَ الْيَوْمِ ، وَلَا شُرْبَ غَدًا ، الْيَوْمَ خَرُّ ، وَغَدًا أَمْرٌ » . ثُمَّ شَرِبَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَلَمَّا أَصْبَحَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ أَرْتَحِلُ ، وَقَامَ يَسْعَى لِأَخْذِ الثَّأْرِ .

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني :

قالوا غداً تندم من لئمةٍ في نغره إذ يغلب السكرُ  
فقال لي مبسمه : دَعَهُمُ الْيَوْمَ خَرًُّ وَغَدًا أَمْرُ

وما أحسن قول ابن الحجاج :

يا صاحبي ذرًا لومي ومعتبتي  
فاليوم خرُّ ويبدو في غدٍ خبرُ  
قُمْ نَصْطَبِحْ خَمْرَةً مِنْ خَيْرِ مَا ذَخَرُوا  
وَبَادِرًا غَفْلَةَ الْأَيَّامِ وَأَغْتَمِمَا

وقال ابن طباطبا :

يا مَنْ يَخَافُ أَنْ يَكُونَ  
أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَهُمْ :  
نَ ، مَا يَكُونُ سَرْمَدًا  
« إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا »

وما أحسن قول معن بن أوس المزني :

ولئن أخوك الدائمُ المهدي لم أحل  
ولئن سؤتي يوماً صفحتُ إلى غدٍ  
أَنْ ابْرَأَكَ خَصْمٌ أَوْ تَبَابَكَ مَنْزِلٌ  
لِيَعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ أَوْلُ

وقول علي بن الجهم لما حبسه المتوكل من أبيات :

صبراً فإنَّ اليومَ يعقبه غدٌ  
ولكلِّ خيرٍ مُعَقِّبٌ وَارِبَمَا  
وَيَدُ الْخِلَافَةِ لَا تَطَاوِلُهَا يَدُ (١)  
أَجَلِي لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا يُحْمَدُ  
خَطْبُ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأَنْكَدُ  
فَنَجَا ، وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْعُودُ  
لَا يُؤَيِّسُنكَ مِنْ تَفْرِجِ كَرْبَةٍ  
كَمْ مِنْ عَليٍّ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى

وقال غيلان بن خرشة الثقفي :

أناةٌ وحِلْمٌ وانتظاراً بهم غداً  
أظنُّ ضُروفَ الدهرِ بيني وبينهم  
ألم تعلموا أنني تخافُ عزائي  
وإني وإياهم كمن نَبهَ القَطَا

وقول ابن مقبل :

خليلي لا تستعجلاً وانظراً غداً

على أن يكون المكثُ في الأمرِ أرشداً<sup>(١)</sup>

وقال الأمير تميم بن المعز :

إن الأمورَ إذا اشتدَّت مفاوِدها  
كذلك الدهرُ إن جاءت فوادِحه  
يفرِّج الله منها كلَّ ما وُردَا<sup>(٢)</sup>  
في اليومِ فأرجُ لها ألا تدومَ غداً

وقول منصور بن الحارث أبي منصور الهروي :

لا تُعاتبُ زماننا إن عرانا جفاؤهُ  
شدةُ الله تنقِضِي ثم يأتي رخاؤهُ  
كدرُ العيشِ للفتى يقنِضِيهِ صفاؤهُ  
وكذا الماءُ يسبقُ الصفاؤَ منه جفاؤهُ

وقول البحتري :

يسرُّك الشيءُ قد يسوءُ وكم  
لا يئأسُ المرءُ أن يُنجِيَهُ  
نوّهُ يوماً بخاملٍ لقبهِ<sup>(٣)</sup>  
ما يحسبُ الناسُ أنه عطْبُهُ

\*\*\*

٢٣ - وقوله : لَهُ الْحَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ .

الحمد تقيض الذم ، وقيل : إنَّ الفرق بين الحمد والشكر أن الحمد يكون في الخير والشر ، والشكر لا يكون إلا في الخير فقط ؛ لأنه ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه ما يُحِبُّه قال : الحمد لله على نعمه ، وإذا جاءه ما يكرهه قال : « الحمد لله على كلِّ حال » .

والأهْتِبَالُ : الأعتنام والأفتراس والأحتيال ؛ واهْتَبَلَتْ غفلته ، أى تحيَّفتها وأغتمتتها ، والهَبَالُ : الصياد الذى يتحَيَّنُ الصيد .

والإغْفَالُ مصدرُ أَغْفَلَ ، أَغْفَلْتُ الشىء ، إذا تركته على ذكرٍ منك ، أخذَ يَحْمَدُهُ على إبطائه عنه ، وعلى تَلَبُّثِهِ فيما يطلبه منه ، قال الفرزدق :

وإني وسعدا كالحُوارِ وأمه إذا وطئته لم يضره اعتمادها<sup>(١)</sup>

وما أحسن قولَ الجنون - وقيل لإبراهيم بن العباس :

تَطَّلَعُ مِنْ نَفْسِي إِلَيْكَ نَوَازِعٌ

عَوَارِفُ أَنْ النَّاسَ مِنْكَ تُصِيبُهَا

وزالت زوالَ الشمسِ عن مستقرِّها

فَمَنْ نُجَبِرِي فِي أَىِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا

حلالٌ لِلَّيْلِ أَنْ تَرُوعَ فُؤَادَهُ

بِهَجْرٍ وَمَغْفُورٌ لِلَّيْلِ ذُنُوبُهَا

وقال آخر :

إِنْ أُمْتُ وَجِدًا فليَ قَدَمٌ بى إِلَى حَتْفِ الْمَسْوَى صَمْتِ  
أَوْ تَرِقَ تِلْكَ الْحَاظُ دَمِي فَعَى فِي حِلٍّ وَفِي سَمَةِ

(١) ديوانه ١ : ٢١٦ ، واعتمادها ، أى اتكأها عليه . والحوار : التفصيل أول ما يفتح .

وما أحسن قول البهاء زهير :

ومن شفني فيكم ووجدني أنني  
ويحسن قبح الفعل إن جاء منكم  
أهون ما ألقاه وهو هوان<sup>(١)</sup>  
كأطاب ريح العود وهو دخان

وقوله أيضا :

أبدًا أزيدُ مع الوصالِ تلثُماً  
ويزيدني كلفا فأشكرُ فعله  
كالعقدِ في جيدِ المليحةِ يملقُ<sup>(٢)</sup>  
كالمسكِ تسحقه الألفُ فيعمقُ

وقول الرشيد محفوظ المراقي مما يُقارب هذا :

فرقت بيننا الحوادثُ لكنَّ لي نفسٌ إليكمُ أدنيها  
فكان في الفؤادِ فارةً مسكٍ أفرغوها ونفحةً الطيبِ فيها

وذكرتُ أنا ما قلتُ هنا في هذا المعنى ، وهو :

من منصفني من زمانٍ قد منيتُ به  
يضع عَرفَ أصطباري أن يضييَني  
فقد غدوتُ بما ألقاه منه لقي  
والعود يزُداد طيباً كلما اخترقه

وقال الأمير محمد بن قرطاي الإزبلي :

أما وأشتياقي عند حضرةٍ ذكرِكم

وذا قسمٌ أن لو تعلمون عظيمٌ

لأنتم وإن عذبتموني بهجركم

على كلِّ حالٍ جنهٌ ونعيمٌ

سَلِمتم من الوجد الذي بي عليكم

ومن مهجةٍ فيها أسي وكلومٌ

فلا ذقتم ما ذقت منكم في بكم  
رئيس غرام مقعد ومقيم

وقال مؤيد الدولة أسامة بن منقذ :

إذا أدمت قوارصكم فؤادي صبرت على أذاكم وأنطويت  
وجئت إليكم طلق للحيا كأتى ما سمعت ولا رأيت

\* \* \*

٢٤ - وقوله :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللائي سررن ألوف

أخذ في تأييد ما تقدم من حمده له ، وصبره على إبطائه ، فقال : وإن كان هذا الفعل الذي تأتيه في هذه الفترة واحداً ، فلك أفعال قد سررن وهي ألوف ، فلا عبرة بهذا الفعل الواحد الذي ساء مع اعتبار الأفعال السارة وهي ألوف .

وهذا البيت لأبي الطيب ، من أبيات كتب بها إلى أبي العشائر الحسين ابن حمدان يعاتبه على سبب جرى عليه من غلمانة ، وهي :

ومنتسب عندى إلى من أحبه	وللنبل حولى من يديه خفيف <sup>(١)</sup>
فهيج من شوقى وما من مذلة	جنيت ، ولكن الكريم ألوف
وكل ودا لا يدوم على الأذى	دوام وداى للحسين ضعيف
فإن يكن الفعل الذى ساء واحداً	فأفعاله اللائي سررن ألوف
ونفسى له نفسى الفداء لنفسه	ولكن بعض المالكين عنيف

ومن هذه المادة :

إذا ما صديق أسا مرة وقد كان فيما مضى مجللاً

(١) دبرانه : ٢٤٢ : ٢٩٢ ، وحفيف ، أى صوت يحف بن



ذَكَرْتُ الْمَقْدَمَ مِنْ فِعْلِهِ فَلَا يَنْقُصُ الْآخِرُ الْأَوَّلَا

وقال الأديب أبو محمد بن مالك المغربي من جملة رسالة كتب بها إلى ابن صمادح: ولئن أعقب يوماً من الدهر بحرمان - وحاشاه - فلقد سبق بمعروف ، ولئن ساءنى يوماً فعله ؛ فأفضاله اللآلئ سررن أوف .

وهذا البيت الذى استشهد به ابن زيدون فى رسالته ، بشبه قول القائل :

وَإِذَا اللَّيْحُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

وقال أبو البركات محمد بن أحمد المنقرى ، وعُرف بالمؤيد :

مَادَاتِي فِي حُبِّكُمْ وَخُضُوعِي	عَارٌّ ، وَلَا شَفَقِي بِكُمْ بِبَدِيعِ
دِينِ الْهَوَى ذَلٌّ وَجِسْمٌ نَاحِلٌ	وَسُهَادُ أَجْفَانٍ وَفَيْضُ دُمُوعِ
كَمْ قَدْ لَحَانِي فِي هَوَاكُمْ لِأُتَمُّ	فَذَنْبِي عِطْفِي عَنْهُ غَيْرَ سَمِيعِ
مَا يُحَدِّثُ التَّقْبِيحُ عِنْدِي سَلْوَةً	لَكُمْ وَلَوْ جِسْمٌ بِكُلِّ فَطْمِيعِ
وَإِذَا الْحَيْبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ	جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ

\* \* \*

٢٥ - وَقَوْلُهُ : وَأَعُودُ فَأَقُولُ : مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسْعَهُ

عَفْوُكَ ، وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وِرَائِهِ حِلْمُكَ !

رجع بعد أن وطن نفسه فى مخاطبته على الصبر والأنتظار ، التفاتاً منه إلى ما فى ضميره من بقايا العتب ، فقال يستفهم منه : ما هذا الذى صدر منى ، حتى إن عفوك لم يسعه ، وهو صغير بالنسبة إلى كبير عفوك ؛ وما هذا الجهل فى حقى حتى وقع ما وقع ، ولم يأت من ورائه حلمك وعقلك !

أَمَّا الْعَقُوفُ فَإِنَّهُ أَمْرٌ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ ، وَوَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ ، وَحَثَّ عَلَيْهِ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ خُذِ الْعَقُوفَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ (١) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (٢) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ (٣) . وَالآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ .

وَمَنْ قَدَّرَ وَعَفَا ، وَصَفَّ لَأَلَى عُقْرَانِهِ وَصَفَّا ، سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَانُوا يُؤْذِنُونَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَيَقْصِدُونَ نَكَايَتَهُ فِي أَهْلِهِ ، قَتَلُوا أَعْمَامَهُ ، وَعَذَّبُوا أَصْحَابَهُ ، وَالْبُؤْسَ عَلَيْهِ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَدَخَلَهَا بِغَيْرِ تَحْمِيهِمْ ، وَظَهَرَتْ كَلْمَتُهُ بِهَا عَلَى رَغْمِهِمْ ، قَامَ فِيهِمْ خَطِيئًا ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَشَكَرَهُ عَلَى مَا مَنَحَهُ مِنَ الظَّفَرِ ، ثُمَّ قَالَ : أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٤) .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ [ ابْنِ عَبْدِ كَلَالِ ] ، فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بَقْرُنُ الثَّعَالِبِ (٥) ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَجَابَةِ قَدِ أَظْلَمْتَنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيْلُ ، فَنَادَانِي ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ . قَالَ : فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ ، قَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ

(٢) الحجر ٨٥

(١) الأعراف ١٩٩

(٤) يوسف ٤٢ .

(٣) آل عمران ١٣٤ .

(٥) قرن الثعالب ، من مواقيت أهل نجد ، وفي الأصل : «قرية» ، وصوابه من صحيح مسلم .

[فما شئت] (١)؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين (٢)؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويوحده ، ولا يشرك به . متفق عليه (٣) .

وعنها رضى الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قطُّ بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله . وما نيل منه شيء قط ، فينتقم من صاحبه ، إلا أن يُنهك شيء من محارم الله تعالى ، فينتقم الله تعالى . رواه مسلم .

وعن ابن مسعود قال : كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحكي أن نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . متفق عليه .

قيل لخالد بن صفوان : أي إخوانك أحب إليك ؟ قال : الذي يسد خللي ، ويفغر زللي ، ويقبل علي .

حكى أن المأمون كان يوصئه غلامه ، فعقل عن شأنه ، فنزلت الميضاة من يده على جبهته فشجته ، فنظر إليه المأمون مفضباً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ﴿والكاظمين الغيظ﴾ ، قال : كظمت غيظي ، قال : ﴿والامانين عن الناس﴾ ، قال : قد عموت عنك ، قال : ﴿والله يحب المحسنين﴾ (٤) ، قال : اذهب فأنت حر .

وقال عبد الله بن طاهر : كنت عند المأمون ثانی اثنين ، فنادى : يا غلام ، يا غلام ! بأعلى صوتيه ، فدخل غلام تركي فقال : لا ينبغي للأغلام أن يأكل أو

(٢) الأخشبان : جبلان بمكة .

(٤) آل عمران ١٣٤ .

(١) من صحيح مسلم .

(٣) صحيح مسلم ١٤٢٠ .

يَشْرَبُ ، أو يتوضأ أو يصلي ! كلما خرجنا من عندك تصيح : يا غلام ، يا غلام ! إلى كم يا غلام ، يا غلام ! فتكس المأمون رأسه طويلا ، فاشككت أنه يأمرني بضرب عنقه ، فقال : يا عبد الله ، إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه ، ولا نستطيع أن نسيء أخلاقنا للمحسن أخلاق خدمنا .

وقال المأمون : لقد حُيِّبَ إلى العفو ، حتى لقد خفتُ ألا أُوجرَ عليه .  
 قات : لعله أخذ هذا من قول أبي تمام من قصيدة مدحه بها ، جاء منها :  
 لو يعلم العافون كم لك في الندى من لذة أو فرجة لم تحمد<sup>(١)</sup>  
 وقال ابن الخياط الدمشقي :

من الكاظمي العيظ والمحسنين إذا برحت بالصدور الخقود  
 فمت بجرم إلى عفوه ينلك مع العفو برٌّ وجود  
 إذا كنت سيد قوم ولم تسقم بهم بجل فانت المسود

وما أحسن قول مسلم بن الوليد في الرشيد :

بأبي وأمي أنت ما أندى يداً وأبرّ ميثاقاً وما أزهكا<sup>(٢)</sup>  
 يمدو عدوك خائفاً فإذا رأى أن قد قدرت على العقاب رجا كما

وما أحسن ما كتب به ابن عمار إلى المعتمد بن عباد يستمطفه :

سجائبك إن عابت أندى وأسمح وعذرك إن عاقت أندى وأوضح  
 وإن كان بين الخططين منه مزية فانت إلى الأذى من الله أجنح  
 حنانك في أخذي برأيك لا تطع عداري وإن أثنوا عليّ وأفصحوا  
 فإن رجائي أن عندك غير ما يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح

(١) ديوانه ١١٣ - بيروت . (٢) ديوانه ٣٣١ ، وبينهما ناك

ولم لا وقد أسلفت وداً وحُرمةً  
وهبني وقد أعقتُ أعمال مُفسد  
وماذا عسى الأعداء أن يزيدوا  
فهم لي ذنب غير أن لحلميه  
أقلى بما بيني وبينك من رضا  
ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم  
وقالوا سيجزيه فلان بسعيه  
ألا إن بطشاً للمؤيد يتقى

وما أحسن ما وصف به الحلم أبو تمام في قوله :

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه بكفئك ما ماريت في أنه بُرد<sup>(١)</sup>

وقال محمد بن غالب الرصافي من أبيات :

كنا إلى الملاء الأعلى بنسبته لو ناسب للملاء العلوي إنسان  
يغضى عن الذنب عفواً وهو مُقتدر  
ويترك البطش حلمًا وهو غضبان

وقال أبو الفرج البيماء :

أعدها إلى عادات عفوكم محسناً كما عودتها قبل أبواك الشم  
فإن ضاق عنها المذر عندك في الذي  
جفتها فما ضاق التفضل والحلم

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الخازن :

وأحسن إنني أحسنت ظناً وأرجو أن ظني لا يجيب  
فأية طربة للعفو إن الـ كريم وأنت معناه طروب

(١) ديوانه ١٢١ - بيروت ، وقط : « لو أن حلمه » .

وكان الأحنفُ بنُ قيس يقول: لا شيء أثقل من حمل الغضب .  
وقال الجاحظ: قيل لأبي عباد وزير المأمون - وكان أسرع الناس غضباً :  
إنَّ ابنَ لقمان قال لأبيه: ما أَلْجَمُ الثَّقِيلُ؟ قال: الغضب . قال أبو عباد :  
لكنَّهُ والله أخفُّ من الرِّيش ، فقيل له: إنَّما عني لقمانُ أنَّ احتمالَ الغضب  
ثَقِيلٌ ، فقال: لا والله ما يَقْوَى على احتمالِ العَصَبِ إلَّا الجَل .  
وقال زياد: تأخير جزاءِ المُحْسِنِ لُوْمٌ ، وتَعْجِيلُ عِقُوبَةِ المُسِيءِ دَنَاءَةٌ ،  
والتَّثَبُّتُ في العِقُوبَةِ ربَّما أَدَّى إلى السَّلَامَةِ منها ، وتأخِيرُ الإِحْسَانِ ربَّما أَدَّى  
إلى نَدَمٍ لم يَمَكُنْ صاحِبُهُ أن يَتَلَفَاهُ .

حدَّث أبو هريرة الشاعر المصري ، قال: خرجتُ يوماً إلى بركة حَلْبَشٍ  
بمصرَ متنزِّهاً في أيامِ الرَّبِيعِ ، حين أخذتِ الأرضُ زُخْرُفَها وأزْيَنْتُ ،  
ومعى آنيةُ شرابٍ - وكانت تلك عادتى في كلِّ سَمَةِ - فجعلتُ أشربُ وأنادمُ  
كتابي طولَ يَوْمِي ، فلمَّا كادت الشمسُ تَقْرُبُ وتَلْمَعُ في أجنحةِ الطيرِ ،  
أخذتُ في الانصرافِ إلى منزلي وأنا نَمِلُ ؛ فبينما أنا أمشي وإذا بفارسٍ خَرَجَ  
من مصرَ متلثمًا ، لا يبينُ من وجهه غيرَ عَيْنَيْهِ ، فسَلَّمُ وقال: من أينَ أَقْبِلَ  
الشيوخُ؟ فقلتُ في نفسي: أَجُنَّ الرَّجُلُ! ومن يرى معي؟ والتقتُ وإذا  
خَلْفِي دَوْدُ تَيْوُسٍ وراعٍ يَسُوقُهُ ، فقلتُ: حضرنا إِمْلَاكٌ<sup>(١)</sup> الوالدة ، يَرَحِمَكُ  
اللهُ! فضحك وأنصرف .

ولمَّا كان بعد أيامٍ دخلت على الأمير تكسين في حاجة ، فقضاها وأمرَ  
لي بألفِ دِرْهَمٍ ، وقال لي: هذا حقُّ حضورِكَ ذلك الإِمْلَاكِ ، فقلت: إنَّه  
الَّذِي لَقِيَنِي ذلك اليومَ ، فأخذتها وانصرفتُ خَجَلًا .

وحكى محمد بنُ أَرْدَشِيرٍ قال: كنتُ بالشَّيرِجانِ<sup>(٢)</sup> مع الوزيرِ أبي غالبِ  
الحسنِ بنِ منصورٍ ، الملقَّبِ بِنَدَى السَّعَادَتَيْنِ ، فاتفق أن شربتُ عنده يوماً

(١) الإملاك: التزويج . (٢) الشيرجان: قصة كرمان .

فسكرت سُكراً ، فسقطت ممه سُفْتَجِي (١) من كمي ، وفيها رِقَاعٌ قد أعطانيها  
أربابها لأنَّجَزَ عليهم توقيعات ، ومن جملتها رُقَمَتَانِ بِحَطِّي ، قد كتبتُ في  
أحدهما :

يا قليلَ الخيرِ مَوْفُورَ الصَّلْفِ وَالَّذِي فِي البَفْيِ قد حازَ الشَّرْفَ  
كُنْ لِيَّيَا وتَوَاضَعْ تُحْتَمَلُ أَوْ كَرِيماً يُحْتَمَلُ مِنْكَ الصَّلْفُ

وفي الأخرى :

يَا قَارِعَ البَابِ على عبدِ الصَّمَدِ لا تَفْرَعِ البَابَ فَمَا نَمَّ أَحَدٌ

فأخذَ السُّفْتَجَةَ وفتحها ، ووقفَ على الرِّقَاعِ بجميعِ مافيها ، ووقعَ  
على الرُّقْمَةِ التي فيها البَيْتَانِ : « يُطَلَقُ له ألفُ درهم » ، وعلى الأخرى التي فيها  
البَيْتُ الواحدُ : « يوجبُ له كلَّ شهرٍ ألفَ درهم ، من اتَّصَلَ الشهرَ الَّذِي نحنُ  
فيه » ، وردَّ الجميعَ إلى السُّفْتَجَةِ ، وجعلها في كمي ، وأصبحتُ من الغدَاةِ ولا  
علمُ لي بما جرى ، فاستدعاني إلى الطعامِ وقتَ الظُّهرِ ، فلم يَرَ عندي أثراً لفعلته  
التي فعلها ، وأنا من الضَّالِّينَ ، ولا سمعُ مني شكراً على الصَّنِيعَةِ ، فقال لي :  
وقفتُ على الرِّقَاعِ ؟ فقلتُ : لا ، أيها الوزير ، ثم ذكرتُ ما كان في الأوراقِ  
فتمصَّبتُ عرقاً ، واشتعلَ قلبي لِمَا وَجِدَ فيها بِحَطِّي ، فنهضتُ إلى الرِّقَاعِ  
وتأمَّلتها ، وعدتُ إليه وشكَّرتُه ، واعتذرتُ بما وجد ، فقال : لا تمتدِّرِ ،  
فإنَّا نستحقُّه إن لم نقضِ واجبا ، ولم نرَعِ صاحباً .

\* \* \*

(١) في القاموس : « السفتجة أن يعطى مالا لآخر والآخر مال في بلد المعطى فيوفيه  
إياه ثم فيستفيد أمن الطريق » .

٢٦ - وقوله: وَالتَّطَاوُلُ الَّذِي لَمْ يَسْتَفْرِقْهُ تَطَوُّلُكَ ، وَالتَّحَامُلُ  
الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ أَحْتِمَالُكَ !

التطاولُ : تفاعلٌ من الطَّوْل ، وهو ضدُّ العَرْصِ ، يَسْتَفْرِقُ : يَسْتَفْعِلُ ،  
من الإغراق . والتطاولُ تَفْعُلُ من الطَّوْلُ بفتح الطاء ، وهو المُنْ والفضْل .  
والتحامُلُ ، « تفاعلٌ » من الحُل ، تقول : تحمَّلت على نفسي ، أى تكلفْت  
الشيءَ على شِقَّةٍ .

لم يَفِ بِهِ ، لم يَقْمِ بِهِ ، والاحتمالُ : مصدرٌ احتمَلَ ، إذا تكلفَ فوق  
طاقته وقدرته .

يقال : إنَّ العَجَّاجَ دخل على عبدِ الملكِ ابنِ مَرْوان ، فقال له : بلغنى أنك  
لا تحسنُ الهجاءَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ قدر على حُسْنِ تشييدِ الأبنيةِ  
أمكنه خراب الأخبيةِ ، قال : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عِزًّا يمنعنا من  
أن نُظْلَمَ ، وحِمَامًا يمنعنا أن نُظْلِمَ . فقال : كَلِمَاتُكَ هذه أحسنُ من شعركِ .

استأصلُ العَجَّاجِ بالقتلِ أسارى ، فقال أحدُهم : واللهِ يا عَجَّاجُ لئن كنتا  
أسأنا في اقترافِ الذَّنْبِ لَمَا أحسنتَ أنت في تركِ العُفْوِ ، فقال : أفتَ هذه  
الجِيفُ ! أما كان فيهم من يُحسِنُ مثِلَ هذا : وأمسك عن قتلِ الباقيين .

ومن الاحتمالِ ما وُردَ في قضيةِ العَبَّاسِ بنِ مِرْداسِ السُّلَمِيِّ ، لما أعطاه  
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربعين من الإبلِ ، وأعطى المؤامَّةَ قلوبهم  
خمسائةً من الإبلِ ، فقال العَبَّاسُ :

أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعَبِيِّ  
دِ بَيْنَ عَيْمِنَةٍ وَالْأَقْرَعِ (١)



وما كان حِصْنٌ ولا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ  
 الْعَمِيدِ : فَرَسُهُ ، وَحِصْنٌ هُوَ أَبُو عُمَيْيَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ ،  
 سَيِّدُ فِزَارَةَ ، وَحَابِسٌ : أَبُو الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ بِإِحْضَارِهِ ، وَقَالَ : أَنْتَ الْقَائِلُ : « أَنْتَجَمَلُ نَهْبِي وَنَهَبَ الْعَمِيدِ بَيْنَ  
 الْأَقْرَعِ وَعُمَيْيَةَ » — وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ  
 الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ <sup>(١)</sup> — يَا عَلِيُّ ، فَمِمَّ فَأَقْطَعُ لِسَانَهُ ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : وَإِنَّكَ  
 لِقَاطِعُ لِسَانِي ! قَالَ : إِنِّي لَمُضِي فِيكَ مَا أَمَرْتُ بِهِ ، قَالَ : فَضَى بِي حَتَّى  
 أَدْخَلَنِي الْحِطَّائِرَ ، وَقَالَ : اعْتَدَّ مَا بَيْنَ أَرْبَعِينَ إِلَى مِائَةٍ ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا أَبَى أَنْتَ  
 وَأُمِّي ! مَا أَعْلَمُكُمْ وَأَحْكَمُكُمْ وَأَكْرَمُكُمْ ! فَقَالَ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ  
 أَعْطَاكَ ، وَجَمَلَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَإِنْ شِئْتَ نَخِذْهَا ، وَإِنْ شِئْتَ خُذْ مِائَةَ ،  
 وَكُنْ مَعَ الْمُؤَلَّفَةِ ، فَقَالَ : أَشْرَعَلِي ، فَقَالَ : إِنْ أَمَرْتُ أَنْ تَأْخُذَ مَا أَعْطَاكَ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذْتَهَا .

واحتمال رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهور إلى الغاية ؛ معروف مشهور .

\*\*\*

٢٧ — وقوله : وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا فَأَيْنَ عَدْلُكَ ،  
 أَوْ مُسِيئًا فَأَيْنَ فَضْلُكَ !

لَا أَخْلُو : لَا أَكُونَ خَالِيًا مِنْ أَحَدِ الْقَسَمِينَ : إِمَّا بَرِيئًا إِمَّا رُمِيْتُ بِهِ ،  
 فَأَيْنَ كَانَ عَدْلُكَ — وَالْعَدْلُ ضِدُّ الْجَوْرِ — وَإِمَّا مُسِيئًا فَأَيْنَ كَانَ <sup>(٢)</sup> فَضْلُكَ !  
 وَالْفَضْلُ ضِدُّ النَّقْصِ ، وَهُوَ الْإِتِّصَافُ بِالْحَمْدِ ، وَهَذَا أُلْزِمَ لِلْمُخَاطَبِ بَأَن  
 اعْتَرَفَ لَهُ بِأَحَدِ الْقَسَمِينَ . وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ أَرْبَابُ الْبَدِيْعِ صِحَّةَ التَّقْسِيمِ ،

(١) - سورة يس ٦٩ .

(٢) - ساقط من ط .

(٧ - تمام المتن)

وقد جاء منه في القرآن العظيم قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوَافًا  
وَطَمَعًا ﴾<sup>(١)</sup> ، فإنه ليس في البرق إلا الخوف من الصواعق ، أو الطمع في  
سُقيا النيث .

وقال زهير :

فإنَّ الحَقَّ مَقَطُّهُ ثَلَاثٌ      يمينٌ أو شُهُودٌ أو جِلاهُ<sup>(٢)</sup>

حتى إنَّ عمرَ بن الخطَّاب رضِيَ اللهُ تعالى عنه لمَّا سمع هذا قال :  
لو أدركته لولَّيته القضاء .

وما أحسن قولَ الإمام العلامة جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى  
لمَّا ادَّعى في مقدمته أنَّ الكلمة ثلاثة أقسام ، ولا رابع لها ، قال : لأنَّها  
إمَّا أن تدلَّ على معنى في نفسها أو لا ، الثاني الحرف ، والأوَّل إمَّا أن  
يقترن بأحدِ الأزمنة<sup>(٣)</sup> أو لا ، الثاني الاسم<sup>(٤)</sup> ، وهذا الذي يسمِّيه الأصوليون  
دليل السبِّ والتقسيم .

والإمام فخر الدين الرَّازي في هذا الباب أمره عجيب ؛ لأنَّه إذا تكلم  
في المسألة يذكُر تقسيمها ، وتفاريع التقسيم ، فلا يفوته بذلك شيء من  
أحوالها .

ولمَّا أقدم قتيبة خُرَّاسان قال : من كان في يده من مال عبد الله بن  
خازم شيء ؛ فلينبذه ، أو كان في فيه فليلفظه ، أو في صدره فلينبثه ؛ فتمجَّب  
الناس من حُسن ما قسم وفضَّل .

(٢) ديوانه ٧٥ ، والجلاء : الأمر الجلي .

(٤) بعدها في د : « والأوَّل الفعل » .

(١) الرعد ٢٢ .

(٣) ط : « الأزمنة الثلاثة » .

وقال رجلٌ من أهل الشام للمنصور: يا أمير المؤمنين، من أنتقم فقد شفأ غيظه، ومن عفا فقد تفضل، ومن أخذ حقه لم يجب شكره، ولم يذكر فضله، وكظم الغيظ حِلْم، والتشقى طرف من العجز.

وقال بعض الكتّاب لرئيسه، وقد عتب عليه: إذا كنت لم ترضَ مِنِّي بالإساءة، فلمَ رضيتَ من نفسك بالكفاة!

وحدث الزبديّ قال: تحدّث رجل من الأعراب، قال: نزلت برجلٍ من طيء فنحرت لي ناقةً، فأكلتُ منها، فلما كان الددُ نَحَرَ أخرى، فقلتُ: إن عندك من اللحم ما يغني ويكفي، فقال: إني والله ما أطعم ضيفي إلاّ لحماً عَيْطاً. قال: وفعل ذلك في اليوم الثالث، وفي كلِّ يومٍ آكلُ شيئاً، وبأكل الطائي أكل جماعة، ثم بُوتى بالبن فأشرب منه شيئاً، ويشربُ عامّة الوطْب، فلما كان في اليوم الثالث ارتقيتُ غفائته، فاضطجع، فلما امتلأ نوماً استمقتُ قطعاً من إبله، فأقبته الفج<sup>(١)</sup>، فانقبه، واختصر على الطريق حتّى وقف في مضيقٍ منه، فألقم وتره فوق سهمه، ثم ناداني: لتطبّ نفسك عنها، قلتُ: أرني آيةً، قال: انظر إلى ذلك الضبِّ، فإني واضعُ سهمي في مَعْرزِ ذنبيه، فرماه فأندر<sup>(٢)</sup> ذنبيه، فقلتُ له: زدني، قال: فانظر إلى أعلى فقاره، فرماه فأثبت سهمه في الموضع، ثم قال لي: الثالثة والله في كبدك. قال: فقلتُ له: شأنك بإبلك! فقال: كلا حتّى تسوقها إلى حيث كانت، فلما استمقتها قال: فكثرت فيك فلم أجدك عندي ترةً تطالبنى بها، وما أجِد أن الذي حملك على أخذِ إبلي إلاّ الحاجة، قال: قلتُ: هو والله ذلك. قال: فاعمد إلى عشرين من خيارها<sup>(٣)</sup> نخذاً، قال: فقلتُ: إذا والله لا أفعل حتّى تسمع مدحك؛ والله ما رأيتُ رجلاً أكرم ضيافةً،

(١) الفج: الطريق. (٢) أندر: قطع. (٣) د: «جياها».

ولا أهدى سبيل ، ولا أزمى كفاً ، ولا أوسع صدرا ، ولا أربّ خوفاً ،  
ولا أكرم عفواً منك . قال : فاستحيا وصرف<sup>(١)</sup> وجهه عني ، ثم قال :  
انصرف بالقطع [ كله ]<sup>(٢)</sup> مباركا لك فيه .

وأحسن من هذا وأعجب وأطرب ، ما حكاه الوزير سليمان بن وهب  
ابن سعيد بن عمرو بن حصين ، قال : كنت قد نشأت بالخضرة ، وتصرفت  
في خدمة الخلفاء ، فلما تطلت مصر سرت إليها ، وإلىها محمد بن خالد  
الصريفيني - وكان في غاية العفاف والنزاهة - فقبضت عليه لما وصلت إلى  
مصر ، وكان قد بلغني أن عنده ستين بعلًا من بقال مصر المنتخبة ، فطالبت  
بإحضارها<sup>(٣)</sup> إلى فلم يعترف لي بها ، وكان أكثر أهل مصر يميلون إليه لحسن  
سيرته ، فاجتهدت في الكشف عليه والتتبع ، فلم أقب له على خيانه ولا ارتفاق ،  
فأقام في حبسي مدة . ثم إن أخاه أحمد بن خالد الصريفيني ، أصلح حاله في  
الخضرة ، وكان متمكنًا منها ، فأخذ العمل لأخيه محمد كما كان ، وأخذ الكتب  
إليه ، وسبق بها كلّ خير . فبعث محمد بن خالد الصريفيني إلىّ عند ذلك يقول :  
ما هذا ! قد طال حبسي ، وكشفت عليّ فلم تجد لي خيانه ، وأشتهى أن  
تحضرني مجلسك ، وتسمع حجتي ، وتزيل السقراء بيني وبينك ، على أن نتفق  
على أمر . فطمعت فيه ، وقدّرت في نفسي الإيقاع به ، فأمرت بإحضاره ،  
فلما دخل رأيت من كثرة شعره ، ووسخه وتأذبه بالجبة الصوف والقييد  
ما غنني ، فأجلسته بحضرتي وقلت : أذكر ما تريد ، فقال : خلوة ، فصرفت  
الناس ، فأخرج إلى الكتاب بالظرف ، وقال : هذا كتاب بمض إخوانك  
فاقرأه . فلما قرأته وددت أن أمي لم تلدني ، وعرفت من فرقي<sup>(٤)</sup> إلى قدمي ،  
وأظلمت الدنيا في عيني ، ولم أشك في لبس جبة الصوف والقييد والمصير  
إلى تلك الحال . فلما قرأت الكتاب قمت إليه ، وجلست معه ، قال :

(٢) تكلمة من م .

(٤) ط : « قرني » .

(١) د ، م : « وضرب » .

(٣) ط : « بإمائها » .

لا تشغل قلبك ، وابتعث من يأخذ ما في رجلي . ففعلت ، وأحضرت المزين ،  
فأخذ من شعره ، ودخل الحمام وخرج ، وقال : هات طعامك ، فتعدينا جميعا ،  
وأنا أنظر إليه وهو لا يكتمني بحرف في العمل ، ثم قال لي : أتأذن لي بالانصراف؟  
فقلت : ياسيدي ، هذه الدار وما فيها بأمرك ، فقال : لا ، ولكن أنصرف  
الساعة وأستريح ، وأعدو إليك . ومضى ، فحتم على الديوان وعلى ما فيه ،  
وسير إلى نوابي ، فأحضرهم ، ووكل بهم ، وقال : ليس بك حاجة أن  
تذكر لي شيئا من أمر البلد ، فإنني أحفظه وأعرفه ، وقد صار إليك من  
البلد كذا وكذا ، فأحضر الجهابذة وأمرهم بتسليم ذلك إليّ — وأحضر لي  
البغال التي كنت طلبتها منه وأنا لا أفتح الديوان ولا أنظر في شيء من  
أحواله — وأنت في مصر ، فانصرف في حفظ الله ، وفي كلاءته . ثم إنه خرج  
معي مشيعا ، فخرجت وأنا من أشكر الناس له ، وأشدّهم حياء منه ، لما عاملته  
به ، وما عاملني به .

وقال إبراهيم السراق<sup>(١)</sup> ، مولى أبي المهلب :

هينني يامعدبتي أسأت وبالهجرا ن قبلكم بدأت  
فأين الفضل منك فدتك نفسي على إذا أسأت كما أسأت  
وهذا مأخوذ من قول الحماسي :

هينني ظلوما نلتته بمساءة قصاصا ، فأين الأخذ يا عز بالفضل !  
ومن هذا البيت أخذ ابن زيدون ، وإياه حل .

وقال بمض الأقدمين :

هينني أمرا : إمّا بريئا ظلمته وإمّا مسينا تاب منه وأعتبا  
أقول التماس العذر لما ظلمتني وحمّلتني ذنبا وما كنت مذنبا  
ليهنك إثمات العدو بهجرنا وقطعك حبل الود حتى تقضبا

وقال بعضُ المحدثين :

فإن عاقبتني فبسوءِ فِعلى      وما ظلمتُ عقوبةً مُستقيماً  
وإن تَفَرَّ فإِحسانٌ جَدِيدٌ      دَعَوْتُ به إلى شُكْرٍ جَدِيدِ

وقال آخر :

فَهَبْنِي مَسِيئاً كَالَّذِي قَاتَ ظالِماً      فَعَفُوا جَمِيلاً كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ  
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ مِنْكَ لِسُوءِ مَا      أَتَيْتُ بِهِ أَهْلاً ، فَأَنْتَ لَهُ أَهْلُ

وقال البُخْتَرِيُّ من قصيدة :

أَقْرُبُ بِمَا لَمْ أَجْنِبْ مَتَفَضِّلاً      إِلَيْكَ عَلَى أَنْي إِخْلَاكَ الْوَمَا (١)  
لِي الذَّنْبُ مَعْرُوفاً وَإِنْ كُنْتُ جَاهِلاً

به وِلَاكِ الْعُسْبِيِّ عَلَيَّ وَأَنْعَمَا

وَمِثْلِكَ إِنْ أَبْدَى الْجَمِيلَ أَعَادَهُ      وَإِنْ بَدَأَ الْمَعْرُوفَ عَادَ وَتَمَمَا

ومن كلام القاضى الفاضل : يا من أنا عبده ، للسينة أنا معترف بأنى كسبتها ، والخطيئة قد أحاطت بى حكماً ، وأحاط بها الناس علماً ، وقد أستوجبتُ نار غضبك ، وتثقيف أدبك ، فإن عفوت فبحقك ، فإنك سيدعاف ، وإن عوقبت فبحقى لأنى عبده هاف ، فصحا كمنى إليك ، ولا تحا كمنى إلتى ، و[إن] أخطأت فاعذرني ، فأنى ابن آدم .

## ٢٨ - وقوله :

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَمَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ

إِلَّا بِكسر الهمزة ، أصله «إِنْ لَا» ، مركب من إن الشرطية ، ولا النافية ،  
فأدغمت النون في اللام ، ولهذا جاءت الفاء في الجواب في قوله : « فمدلك » .  
وهذا البيت من قول البخترى ، من قصيدة أولها :

شوقٌ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَذْمُعُ وَجَوَى عَلَيْكَ تَضْيِيقٌ عَنْهُ الْأَضْلَعُ

ومن هذه القصيدة قوله :

يَعْتَادُنِي طَرَبِي إِلَيْكَ فَيَقْتَلِي<sup>(١)</sup> وَجَدِي وَيَدْعُونِي هَوَاكَ فَاتَّبِعْ

وقال نصيب يمدح مولاه المهدي :

تَلَمَّسْتُ : هَلْ مِنْ شَافِعٍ لِي فَلَمْ أَجِدْ صَوِي رَحْمَةً أَعْطَاكَهَا اللَّهُ تَشَفَّعُ  
لَنْ جَلَّتْ الْأَجْرَامُ مِنِّي وَأَفْظَمْتُ لَعَنُوكَ عَنْ جُرْمِي أَجَلَّ وَأَوْسَعُ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلی للفضل بن الربيع :

لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِي سِوَى أَمَلِي  
فِي حُسْنِ صَفْحِكَ عَنْ جُرْمِي وَعَنْ زَلَلِي  
فَإِنْ يَكُنْ ذَاوَذَا فِي الْقَدْرِ قَدْ عَظُمَا

فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِي وَمِنْ أَمَلِي

وما أحسن قول الشريف أبي الحسن علي بن الحسين العقبلي :

يَا طَاعِنِي بِمَتَابٍ كَادَ يَنْقُذُنِي لَوْلَمْ أَكُنْ لِأَسَا دِرْعًا مِنَ الْأَمَلِ<sup>(٢)</sup>

اخْلَعْ عَلَىٰ جَدِيداً مِنْ رِضَاكَ فَقَدْ  
رَقَمْتَ بِالْمَذْرُ مَا خَرَقْتُ بِالزَّلَالِ

وما أحسن قول الإمام الشافعي رضي الله عنه :

وَمَا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَمَلْتُ الرَّجَاءَ - رَبِّي - لِعَفْوِكَ سُلْمًا<sup>(١)</sup>  
تَعَاظَمَنِي ذُنُوبِي فَلَمَّا قَرَنْتَهُ بِعَفْوِكَ - رَبِّي - كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا

وقول أبي نواس :

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ<sup>(٢)</sup>  
إِنْ كَانَ لَا يَرْتَجُوكَ إِلَّا الْمُحْسِنُ فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمَجْرِمُ !  
وكلُّ هذا مأخوذٌ من قول الأوَّل :

بني هاشم عَفْوًا ، عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَ تَوْبِي حَشْوَةً ثَنِيئَةً مُجْرِمٌ  
لَكُمْ حَرَمَ الرَّحْمَنِ وَالْبَيْتِ وَالصَّفَا

وَجَمْعٌ ، وَمَا ضَمَّ الْإِطْمِيءُ وَرَمَزَمُ

فَإِنْ قَلِمُ بَادِهَتْنَا بِعَظِيمَةٍ فَأَحْلَامُكُمْ مِنْهَا أَجَلٌ وَأَعْظَمُ

وَأَحْسَنَ الَّذِي قَالَ :

اغْتَنِمْ زَلَّتِي لِتُحَرِّزَ فَضْلَ الْإِ  
لَا تَسْكِنِي إِلَى التَّوَسُّلِ بِالْمَذْرِ  
مَمْنُوعِي وَلَا يُفَوِّتَكَ سُكْرِي  
رِ لَعَلِّي أَلَّا أَقُومَ بِمُذْرِي

وقال إبراهيم بن المهدي يخاطب المأمون :

فَإِنْ لَا أَكُنْ أَهْلًا لِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَأَنْتَ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - لَهُ أَهْلٌ  
فَفَضْلُكَ أَرْجُو لَا الْبِرَاءَةَ إِنَّهُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ الْفَضْلُ

(١) ديوانه ٥٩ . (٢) ديوانه ١٩٩ ، « وفيه فن يلوذ ويستجير المحرم » .



وما أحسن قول السَّلامِيِّ :

تَبَسَّطْنَا عَلَى الْإِنَامِ لَمَّا رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ تَعَرِّ الذُّنُوبِ

وقول ابن قَلَّاسِ :

وغيرُ عَجِيبٍ أَنْ أَوْفِيكَ مُجْرِمًا فَأَسِيلَ رِداءَ الْعَفْوِ مِنْكَ تَكَرُّمًا  
أُنِيبُ وَأَرْجُو فِي ذَرَاكَ مَتَابًا (١)  
فَحَسْبِي كَوْنِي غَيْبْتُ عَنْكَ عِقَابًا  
وهو مأخوذٌ من قول الأوَّلِ :

ارْضَ لِمَنْ غَابَ عَنْكَ عَيْبَتُهُ  
فَذَاكَ ذَنْبٌ عِقَابُهُ فِيهِ  
لَوْ لَمْ يَنْهَ مِنْ الْعِقَابِ سِوَى  
بُعْدِكَ عَنْهُ لَسَكَانَ يَكْفِيهِ

ولقد زاد ابنُ زَيْدُونَ في هذا المَقَامِ ، وَأَفْرَطَ في الْخُضُوعِ وَالتَّوَسُّلِ ،  
وما أحقُّه أَنْ يَنْشِدَ قولَ الْمُؤَمِّلِ بنِ أَمِيلِ :

إِذَا مَرَضْتُمْ أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُدْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ وَنَعْتَذِرُ (٢)  
وقول مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الْمُوَلَّى :

وَأَبِكِي فَلَا لَيْلِي بِكَتْ مِنْ صَبَابِيهِ  
لِذَاكَ وَلَا لَيْلِي لِذِي الْوُدِّ تَبَدُّلُ  
وَأَخْضَعُ بِالْمُتَّبِعِي إِذَا كُنْتُ مَذْنِبًا  
وَإِنْ أَذْنِبْتُ كُنْتُ الَّذِي أَتُوسَّلُ

وما أحسن قولَ مُسْلِمِ بنِ الْوَالِيدِ :

ويخطيء عذري وجسه جرئ عِنْدَهَا

فَأَجِنِي إِلَيْهَا الذَّنْبُ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي (٣)

إِذَا أَذْنِبْتُ أَعْدَدْتُ عُدْرًا لِذَنْبِهَا

وَإِنْ سَخِطَتْ كَانَتْ اعْتِدَارِي مِنَ الْعُدْرِ

(١) لم أجد هـما في ديوانه . (٢) خاص الخاص ٩١ . (٣) ديوانه ٣٢ .

وقال العباس بن الأحنف :

إذا رضيت لم يهينني ذلك الرضا  
وأبكي إذا ما أذبت خوف عتبيها  
لصحّة علي أن سيدي به عتب<sup>(١)</sup>  
فأسألهما مرّضاتها ولها الذنب

وقال أبو فراس بن حمدان :

وكنى الرسول عن الجواب تظرفاً

ولئن كنى ، فلقد علمنا ما عني<sup>(٢)</sup>  
قل يا رسول ولا تحاش فإنه  
الذنب لي فيما جنّاه لأنني  
لا بد منه أساء بي أم أحسنّا  
مكنته من مهجتي فتمكّننا

قلت : مقتضى الكلام كله أن يقول : « مكنته من مهجتي فتمكّننا »  
أو فتحراً ، أو فترعنا ، وتركه لأجل التافية .

وما أحسن قول ميمار :

لا والذي لو شاء لم أعتذر  
ما حدّرت ريح الصبا بعده  
في حبه من حيث لم أذنب<sup>(٣)</sup>  
لثامها عن نفس طيب

وما أحسن قول البحتري :

عفا الله عنك أما حرمة  
ألم ترّ عبداً عدا طوره  
ومفيد أمر تلافيته  
أقلني أقالك من لم يزك  
تعود بمفوك أن أبعداً<sup>(٤)</sup>  
وموئلي عفا ورشيداً هدى !  
فماد فأصلح ما أفسداً  
يقيك ويصرف عنك الردى

(٢) ديوانه ٤٠٣ .

(٤) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه

(١) ديوانه ١٩

(٣) ديوانه ١ : ٧٦

وقوله أيضا :

إِنَّ دُونَ السُّؤَالِ وَالْإِعْتِدَارِ خَطَّةٌ صَعْبَةٌ عَلَى الْأَحْرَارِ (١)  
فَارِضَ لِّلسَّائِلِ الْخَضُوعَ وَلِلْمُذْنِبِ ذَنْبًا فَضَاضَةً الْإِحْتِقَارِ  
وَاسْتَعْدَ مِنْهُمَا فَبِئْسَ الْمَقَامَا نِ لِّآلِ الْمُتَسَوِّلِ وَالْأَخْطَارِ

\* \* \*

٢٤- وقوله : حَنَا نَيْكَ قَدْ بَلَغَ السَّيْلَ الزُّبِّيَ ، وَنَالَنِي مَا حَسَبِي بِهِ  
وَكَفَى .

حَنَا نَيْكَ : تَنْثِيئَةُ حَنَانٍ ، وَهُوَ الرَّحْمَةُ ، يُقَالُ : حَنَّ عَلَيْهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :  
﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ (٢) ، أَيْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا ، وَذَكَرَ عِكْرَمَةُ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : مَا أَذْرِي مَا الْخَفَانُ ؟ وَقَوْلُهُمْ : حَنَا نَيْكَ ، أَيْ حَنَانًا  
يَعْدُ حَنَانًا ، وَهُوَ نَصَبٌ عَلَى مَعْنَى « نَطْلَبُ » ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : حَنَا نَيْكَ يَا رَبِّ ،  
أَيْ نَطْلُبُ رَحْمَتَكَ .

قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَيْبَةَ بِنِ جَرْمٍ مَّعِيرَهُمْ . . . حَفَانِكَ ذَا الْخَفَانِ (٣)  
وَعَالِبٌ مَا جَاءَ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى لَفْظِ التَّنْثِيئَةِ .

وَقَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْزَيْتَ فَاسْتَبَقِ بِمِضْنَا حَنَا نَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ (٤)  
قَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ هَذَا حِينَ أَمَرَ النَّمْعَانَ بِقَتْلِهِ ؛ يَضْرِبُ عِنْدَ ظُهُورِ تَفَاوُتِ  
مَا بَيْنَ الشَّرِّينِ ، وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ : « إِنَّ مِنَ الشَّرِّ خِيَارًا » ، وَقَوْلُهُ : « بَلَغَ السَّيْلَ  
الزُّبِّيَ » ، جَمْعُ زُبْيَةٍ ، وَهِيَ حُقْرَةٌ تُحْفَرُ لِلْأَسَدِ إِذَا أَرَادُوا صَيْدَهُ ، وَأَصْلُهَا

(٢) سورة مريم : ١٣

(٤) ملحقي ديوانه ٢٠٩

(١) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه

(٣) ديوانه ١٤٣

الرّابية لا يعلوها الماء ، فإذا بَلَغها السَّيْلُ كان جَارِفًا مَجْجِفًا ، وهذا المثل مُضَرَّبٌ لما تَجَاوَزَ الحَلْدَ .

قال المؤرّج : حدّثني سعيدُ بنُ السَّمَاكِ بينَ حَرْبٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ المعتزِ ، قال : أتى مُهاذُ بنُ جَبَلٍ بثلاثةِ نَفَرٍ قَتَلَهُمْ أُسْدٌ في زُبَيْةٍ ، فلم يَدْرِ كيف يفتيهم ، فسألَ عليًّا رَضِيَ اللهُ عنه ، وهو مُحْتَبَبٌ بِنِهَا الكَعبَةِ ، فقال : قُضُوا هَلَى خَبَرِكُمْ ، قالوا : صِدْنَا أُسْدًا في زُبَيْةٍ ، فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ ، فَتَدافَعَ النَّاسُ عَلَيْهَا ، فَرَمِينَا بِرَجُلٍ فِيهَا فَتَمَلَّقَ الرَّجُلُ بآخِرٍ ، وَتَمَلَّقَ الآخِرُ بآخِرٍ ، فَهَوُوا فِيهَا ثَلَاثَتُهُمْ ، فَقَضَى عَلَى رَضِيَ اللهُ عنه : أَنَّ لِالأوَّلِ رُبْعَ الدِّيَةِ ، وَلِلثَّانِي النِّصْفَ ، وَلِلثَّالِثِ الدِّيَةَ كُلَّهَا ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : لَقَدْ أُرشِدَكَ اللهُ لِلْحَقِّ .

ومثلُ هذا المثلُ : «قد بَلَغَ الشُّطَاظُ الوَرَكِينَ»<sup>(١)</sup> . الشُّطَاظُ : عُودٌ يَجْمَعُ في عُزْوَةِ الجُوالِقِ . وكذا قولهم : «قد جازَزَ الحِزَامُ الطَّبِييْنَ»<sup>(٢)</sup> ، الطَّبِييُّ - بضم الطاء المهملة ، والباء الموحدة ساكنة - للحافرِ والسِّبَاعِ كالصَّرْعِ لغيرِها ، وكذا قولهم : «التَّتَمَّتْ حَلَقَتَا البِطَانِ»<sup>(٣)</sup> ، والبِطَانُ لالْقَلْبِ كالحِزَامِ لِلسَّرِجِ ، وفيه حَلَقَتَانِ ، وكذا قولهم : «التَّتَمَّتِ البِطَانُ والحَقَبُ» ، البِطَانُ بِمِزَلَةِ التَّصْدِيرِ ، والحَقَبُ : الحبلُ الذي يكونُ عندَ نِيلِ البَيميرِ ، والنَّيْلُ بالناءِ المثلثةِ المكسورةِ ، والياءِ آخِرُ الحروفِ ساكنةٌ واللامُ - وعاءُ قَضِيبِ البَيميرِ .

حَسْبِي بِهِ وَكَفَى ، الحَسْبُ : الكفايةُ ، تقول : حَسْبِي وَحَسْبُكَ دَرَهْمٌ ، أَيْ كافيكَ ، قال امرؤ القيس :

أَلَا إِنْ لَا تَكُنْ إِبِلٌ فِعْزَى      كَأَنَّ قُرُونَ جَلَّتْهَا العَصِي<sup>(٤)</sup>  
فَتَمَلَّأُ يَبْتِنًا أَقْطًا وَسَمْنًا      وَحَسْبُكَ مِنْ غَنِي شَيْعٍ وَرِي<sup>(٥)</sup>

(٢) الميداني ١ : ١٦٦ .

(١) الميداني ٢ : ١٢٤ .

(٤) الميداني ٢ : ٢٠٩ .

(٣) الميداني ٢ : ١٨٦ .

(٥) ديوانه ١٣٦ .

قال أبو عبيدة : وهذا يَحْتَمِلُ معنيين : أحدهما يقول : أعط كل ما كان  
لك وراء الشَّبع والرّي ، والآخَرُ القناعة باليسير يقول : اكتف بهولا تطلب  
ما سوى ذلك ، والأوّل الوجه لقوله :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنِي مَعِيشَةً كَفَانِي - وَلَمْ أَطُنَّبْ - قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ (١)  
ولكننا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُوْتَلٍّ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُوْتَلُّ أَمْثَالِي

وفي أمثال العرب : « حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ » (٢) ، أي اكتف من الشرِّ  
بِسَمَاعِهِ وَلَا تَعَايِنُهُ ، ويجوز أن يكرن المراد : يَكْفِيكَ سَمَاعُ الشَّرِّ وَإِنْ لَمْ تُقَدِّمِ  
عليه ، ولم تُنَسِّبِ إليه .

وقال أبو عبيدة : أخبرني هشامُ بن السكّليّ أن المثلَ لِأُمِّ الرَّبِيعِ بن زياد  
العبسيّ ، وذلك أن ابنها ، كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة درعاً ،  
فقرض قيسَ لِأُمِّ الرَّبِيعِ وهى على راحلتها فى مسيرها ، فأراد أن يذهب  
ليُرْتَمِيهَا فى الدرع ، فقالت : أين عزب عنك عقلك يا قيس ، أتُرْمِي بنى زياد  
مُصَالِحِيكَ ، وقد ذهبتَ بِأَتَمِّهِمْ يَمِينًا وشمالاً وقال الناس ما قالوا أو شاءوا !  
إِنَّ حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ ، فذهبتُ كلمةً مثلها .

وقالت بعض النساء الشواعر :

سَائِلٌ بِنَا فى قَوْمِنَا وَلَيْسَ كِفٍ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ

وما أحسن قول خالد بن المهاجر :

إِذَا حُجِبَتْ لَمْ يَكْفِكَ الْبَدْرُ فَقَدَهَا وَتَكْفِيكَ فَقَدَ الْبَدْرُ إِنْ حُجِبَ الْبَدْرُ  
وَحَسْبُكَ مِنْ حَمْرِ يَفُوتُكَ رِيْقَهَا وَوَاللَّهِ مَا مِنْ رِيْقِهَا حَسْبُكَ الْحَمْرُ

(١) ديوانه ٣٩ .

(٢) الميداني ١ : ١٩٤ .

وما أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامِ الطَّائِيّ :

نَامَتْ هُمُومِي عَنِّي حِينَ قَلْتُ لَهَا حَسْبِي أَبُو دُلَافٍ حَسْبِي بِهِ وَكُنِّي <sup>(١)</sup>

وقال القاضي أبو بشر الفضل بن محمد :

رَفَرْتُ فَوْقَنَا سَحَابٌ نَمَى أَمْطَرْنَا الشُّرُورَ فِي كُلِّ حَالٍ  
حَسْبِي اللَّهُ فِي الْأُمُورِ نَصِيرًا ثُمَّ حَسْبِي الْأَمِيرُ شَمْسُ الْمَعَالِي

وقال شمس الدين محمد بن التلمساني :

بِاللَّهِ يَا لَيْلِي الطَّوِيلَ لَفِئْدَ قَصَّرْتَ نَوْمِي وَلَمْ تَعُدْ بِفَيْدِي  
حَسْبِي وَحَسْبُ الْهَوَى وَحَسْبُكَ مَا يَفْعَلُهُ الْهَجْرُ بِي فَلَا تَزِدِ

وقال المباس بن الأحنف :

إِنْ كَانَ يُرْضِيكُمْ عَذَابِي وَأَنْ أَمُوتَ بِالْهَجْرَانِ وَالْكَرْبِ <sup>(١)</sup>  
فَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ مِثِّي لَكُمْ حَسْبِي بِمَا تَرْضَوْنَ لِي حَسْبِي

\* \* \*

٣٠ - وقوله : وما أَرَانِي إِلَّا لَوْ أَمِرْتُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ فَأَبَيْتُ

وَأَسْتَكْبَرْتُ .

يشير بهذا إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، يعني لو كان ذنبي إليك ذنب إبليس لسا أمره الله بالسُّجود لآدم ، فأبى عن السُّجود واستكبر على آدم ، وقال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وهذا ذنبٌ عظيم ،

(١) ديوانه ٢٠٤ .

(٢) ديوانه ٥٧ .

(٣) سورة البقرة ٣٤

(٤) سورة الأعراف ١٢

سقطت به درجة إبليس بعدما وصل إلى ما وصل ، وتقرب بالعبادة إلى أن حظي بين الملائكة ، ثم لعن وأبمد وأهبط إلى الأرض ، وأخرج من الجنة وجعلت اللعنة عليه إلى يوم الدين ، وصار عدواً لآدم وبنيه من الأنبياء والصالحين والأولياء والشهداء ، ولا يذكر إلا مقروناً بالخزي واللعنة ، وأعد الله له في الآخرة العذاب المؤبد ، والخزي السرمد .

ويقال : إن إبليس أخزاه الله تعالى - أول من أحدث القياس لأنه قاس الطين على النار ، فلم يرض بالسجود لآدم ، ولهذا قال بشار بن برد - قبحه الله تعالى !

إبليس خير من أياكم آدم . فتنبهاوا يامعشر الفجار  
إبليس من نارٍ وآدم طينةٌ والطين لا يسمو سموً الفار

ثم إن إبليس اتصف في هذه القصة بثلاث صفات : هن أردأ ما تكون وهي : الإباء ، أي امتنع من فعل ما أمر به ، والاستكبار ، وهو فعل الجبارين ، والكفر وهو شر الثلاث . وكان يمكنه الإباء دون الاستكبار والكفر والإباء والاسية كبار دون الكفر ، فقال تعالى : ﴿ أبنى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ (١) .

• ثلاثة كلها تجزى على نسق •

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في أول كتابه الملل والنحل ، عن شارح الأناجيل الأربعة ، وهي مذكورة في التوراة صورة مناظرة جرت بين الملائكة وبين إبليس بعد الأمر بالسجود .

قال إبليسُ للملائكة: إني أسلمٌ أنْ إلهي هو خالقٌ ومُوحِدِي ، وهو حائقُ الخلقِ ؛ لكن لي على حكمة الله أسئلة : الأول ، ما الحكمة في الخلق ، لا سيما وقد كان عالماً أن الكافر لا يستوجب عند خلقه إلا الآلام ؟ الثاني ما الفائدة في التكليف مع أنه لا يعود إليه منه نفعٌ ولا ضررٌ ؟ وكل ما يعود إلى المكلفين ، فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف . الثالث ، هبْ أنه كلفني بطاعته ومعرفته ، فلماذا كلفني بالسجود لآدم ؟ الرابع ، لما عصيته في ترك السجود ، لم لعني ، وأوجب عقابي ، مع أنه لا فائدة له ولا لغيره فيه ، ولي فيه أعظمُ الضرر ؟ الخامس ، ثم لما قتل ذلك ، لم مكنتني من دخول الجنة ، ووسوسة آدم ؟ السادس : ثم لما قتل ذلك ، لم سبطني على أولاده ، ومكنتني من إغوائهم وإضلالهم ؟ . السابع : لما استمهاتُ المدة الطويلة لم أمهاني ، ومعلوم أن العالم لو كان خاقياً من الشرِّ لكان ذلك خيراً !

قال شارح الأناجيل : فأوحى اللهُ إليه من سرادقات العظمة والكبرياء ، يا إبليس ، إنك ما عرفتني ، ولو عرفتني ، لعلمت أنه لا اعتراض على في شيء من أفعالي ، فإنني أنا الله ، لا إله إلا أنا ، لا أسأل عما أفعل ﴿ وربك يخلق ما يشاء ﴾ (١) .

قال الإمام فخر الدين - قدس الله زوجه - : واعلم أنه لو اجتمع الأولون والآخرون من الخلائق ، وحكموا بتحسين العقل وتبجيحه لم يجدوا من هذه الشبهات مخلصاً ، وكان الكل لازماً .

قلت : قال بعضهم: إن سيف الدولة بن حمدان خرج يوماً على جماعة ، فقال

(١) اللل والنعل ١ : ٢٤ ، ٢٥ ، بتصرف .



قَدَعَلِمْتُ بَيْتًا ، وَمَا أَحْسَبُ أَحَدًا يَعْمَلُ بَيْنَنَا آخَرَ إِلَّا إِنْ كَانَ سَيِّدِي  
أَبَا فِرَاسٍ ، وَأَنْشَدَهُمْ :

لَكَ جِسْمِي تَعْلَهُ فِدَمِي لِمَ تَحِلُّهُ

فَأَبْتَدَأُ أَبُو فِرَاسٍ فَقَالَ :

أَنَا إِنْ كُنْتُ مَا لَيْسَ كَأَنَّ فَلَئِنِ الْأَمْرُ كَلَهُ (١)

وَعَكْسُ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ :

قَرِيبٌ غَيْرُ مُقْتَرَبٍ وَمُؤْتَلَفٌ لِحُجْنَبِ

لَهُ وَدِّي وَلِي مِنْهُ دَوَاعِي الِهْمِّ وَالكَرْبِ

أَوَاصِلُهُ عَلَى سَبَبٍ وَيَهْجُرُنِي بِلَا سَبَبِ

وَيَظْلِمُنِي عَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّ إِلَيْهِ مُنْقَابِي

وما أحسن قول من قال: جَلَّ جَنَابُ الْجَلَالِ ، أَنْ يُوزَنَ بِمِيزَانِ الْأَعْتَرَالِ .  
وقد اختلف قوم ، فقال بعضهم (٢): إِنْ إِبْلِيسَ - أَخْزَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَوَّلُ كَافِرٍ  
بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ ، وَهُمْ مَعْصُومُونَ  
مِنَ الذُّنُوبِ .

وأختلفوا أيضا في إبليس - أخزاه الله - هل كان من الملائكة أولا؟  
والأكثر على أنه ليس من الملائكة ، لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ  
الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ (٣) .

وقال الأقبليون : إنه كان من الملائكة ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ  
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ (٤) ، ولو لم يكن من الملائكة وتخاف عن  
السجود ، لكان لا لوم عليه ، وهذا ليس بشيء ؛ لأنه كان في جملة المأمورين  
بالسجود ، ولهذا فهم هو الأمر ، واحتج لنفسه بأنه خير منه .

\*\*\*

(١) ديوانه ٤٥٤ . (٢) كذا في ط ، م ، و في الأصل : « قوم » .

(٣) سورة الكهف ٥٠ . (٤) سورة البقرة ٣٤ .

قال محب الدين بن النجار : قرأتُ على أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد الأديب بأصبهانَ ، عن أبي طاهر بن أبي نصر التاجر ، أنبأنا عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده ، أخبرنا محمد بن عبد العزيز بن عبد الله اللبّان الشيرازي يقول : سمعتُ أبا الحسن أحمد بن عبد الله الهاشمي ، يقول : سمعتُ أبا القاسم الجنيد بن محمد الصوفي بيمداد يقول : ما زلتُ أطلبُ من الله في صلواتي خمسَ عشرة سنةً أن يُرِيَّني إبليسَ ؛ فلما كان يومُ بنصف النهار في صيف ، وأنا قاعدٌ بين البابين أسبِّح ، إذ دُقُّ البابُ عليّ ، فقلت : من ذا ؟ فقال : أنا ، قلتُ ثانی مرةً : من أنت ؟ قال : أنا ، قلتُ الثالثة : من أنت ؟ قال : أنا ، قلتُ : لا يكون إلا إبليس ! قال : نعم ، فضيقتُ ففتحتُ البابَ ، فدخل عليّ شيخٌ عليه بُرُنسٌ من الشَّعر ، وقميصٌ من الصوف ، وبِيده عُكَّازة ، فحنيًا ، فجيئتُ أقعد مكاني بين البابين ، فقال لي : قم من مجلسي ، فإن بين البابين مجلسي . فقمْتُ وقعدتُ ، فقلتُ : بم تُضِلُّ الناسَ ؟ فأخرج لي رغيفًا من كُمة وقال لي : بهذا ، فقلتُ : بم تحسِّن إليهم أفما لهم ؟ فأخرج لي مِرآةً ، فقال : أريهم سيئاتهم حسنةً بهذه المِرآة ، ثم قال لي : قل ما تريد وأوجزني كلامك ، فقلتُ : حيث أمرك الله بالشُّجود لآدم ، لم تسجد ؟ فقال : غيرةً مني عليه أن أسجدَ لغيره . وغاب عني فلم أره .

وقال ثابت البناني : بلغنا أن إبليس قال : يا رب ، إنك خلقت آدم وذريته وجعلت بيني وبينهم عداوة ؛ فسأطني عليها ، فقال الله تعالى : قد جعلتُ صدورهم مساكن لك ، فقال : يا رب ، زدني ، قال تجرِي منهم مجرِي الدَّم ، فقال : يا رب ، زدني : فقال : ﴿ لا يولد لآدم ولد إلا ويولد منك عشرة ، فقال : يا رب زدني <sup>(١)</sup> ، فقال : ﴿ وأجلب عليهم بِخَيْلِكَ ورجلك وشارِكهم في الأموال والأولاد <sup>(٢)</sup> . فشكا آدمُ إبليسَ فقال : يا رب ، إنك

خلقت إبليس ، وجملت بيني وبينه عداوة ، وسلطته علي ، وأنا لا أطيقه  
 إلا بك . قال الله تعالى : إنه لا يولد لك ولدٌ إلا وكُلتُ به ماكين  
 يحفظانه من قرناء السوء ، فقال : يارب زدني ، قال : الحسنه بعشرة أمثالها ،  
 فقال : يارب زدني ، قال : لا أحجبُ عن أحدٍ من أولادك التوبة  
 ما لم يُغزغر .

وقد سأل بعضهم فقال : وكيف يُؤمر بالسجود لآدم وذلك شرك ،  
 فإن السجود لا يكون لغير الله ! والجواب أن السجود كان لله تعالى ، وإنما  
 كان آدم قبلة السجود .

وما أحسن قول ظافر الحداد الإسكندري :

أنت المرادُ بنظمِ كلِّ قصيدةٍ بُنيت على الأفهامِ في تبجيله  
 كسجودِ أملاكِ السماءِ لآدمٍ وسجودهمُ لله في تأويله  
 وقال ابن السبيل البغدادي :

ولا تحتقر ضمف<sup>(١)</sup> العدو ولا نقلٍ على كيدِه أسطو بكلِّ مُساعدِ  
 فلو أنَّ أهلَ الأرضِ صافوكِ ماوفوا  
 بفرصةِ كيدِ من عدوِّ معاندِ  
 كما يسجدِ الكلُّ لم ينجُ آدمُ

وقد ضره منهم تمنع واحد  
 فبدله بعدا بقرب ، وزحشة بانس ، وبالجنات دار الشدائد  
 ولم ينجحه أن صور الله خلقه وعلمه الأسماء من كيد حاسد  
 ولقد ظرف أبو نواس في قوله ، وهو أول من ابتدع هذا المعنى ،

فقال :

(١) ط ، م فر « كيد » .

وليلةٍ قَصَّرَهَا طُولُهَا      بالكَرْخِ إِذْ مُتَّعْتُ مِنْ خُلُوتِهِ  
أَشْرَبُ مِنْ رِيْقَتِهِ بَرَّةً      وَمَرَّةً أَشْرَبُ مِنْ فَضْلَتِهِ  
فِي مَجْلِسٍ يَبْضَحُكَ تَفَاحُهُ      مِنَ الرِّيحِ إِلَى خَضْرَتِهِ  
لَيْسَ يَرَى خَلُوتَنَا نَالِكٌ      إِلَّا الَّذِي يَشْرَبُ مِنْ خَمْرَتِهِ  
حَتَّى إِذَا أَلْفَى قِنَاعَ الْحَيَا      وَدَارَتِ الْحَمْرَةُ فِي وَجْنَتِهِ  
مَكَّنَ مِنْ حَلِّ سَرَاوِيلِهِ      وَكَانَ لَا يَأْذُنُ فِي قُبْلَتِهِ  
دَبَّ لَهُ إِبَائِسُ فَاقْتَادَهُ      وَالشَّيْخُ نَقَاعٌ عَلَى لَعْنَتِهِ  
تَاةً عَلَى آدَمَ فِي سَجْدَةٍ      وَصَارَ قَوَادَا لِدُرْبَتِهِ

وفي قوله أيضا :

سَوْءَةٌ يَا لَعِينُ أَنْتَ اخْتَلَسْتَ النَّاسَ غَيْظًا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ  
تَهَيْتَ لِمَا سَجَدْتَ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ      وَفَارَقْتَ زُمْرَةَ السَّاجِدِينَ  
عِنْدَمَا قُلْتَ : لَا أُطِيقُ سُجُودًا      لِمِثَالِ خَلْقَتِهِ - رَبِّ - طِينًا  
حَسَدًا إِذْ خُفِّتَ مِنْ مَارِجِ النَّارِ      رِ لِمَنْ كَانَ مَبْدَأَ الْعَالَمِينَ  
نَمْ قَدْ صَرْتَ فِي الْقِيَادَةِ تَسْمَى      يَا مَجِيرَ الزُّنَاةِ وَاللَّاطِئِينَ سَا

وقوله من أبيات :

أَبِي السُّجُودَ لَهُ مِنْ فَرْطِ نَحْوَتِهِ      وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي مِسْلَاخِ قَوَادِ  
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي إِسْحَاقَ الْغَزَمِيِّ هَجْوًا :

خَلَقْتَ لِدُنْبِ إِبْلِيسَ اعْتِدَارًا      فِتْنَةً وَقَالَ فُزْتُ وَحَقٌّ جِيدِي  
إِذَا كَانَ ابْنُ آدَمَ مِثْلَ هَذَا      فَكَيْفَ الْأُمُّ فِي تَرْكِ السُّجُودِ !

ومثل هذا قول ابن نباتة الأعرور الموصلي :

شَرِيفٌ أَصْلُهُ أَصْلُ حَمِيدٍ      وَإِكْنَ فِعْلُهُ غَيْرُ الْحَمِيدِ  
وَلَمْ يَخْلُقْهُ رَبُّ الْعَرْشِ إِلَّا      لِنَقْمِطِ الْقُلُوبِ عَلَى بَزِيدِ

وقال عبد الصمد بن بابك :

وقالوا توحيت مدح الصغير  
وقصرت بالرجل الخنثم  
وإبليس أكبر من آدم  
ولكن عصي ربه فانتقم  
قال الحسن بن رشيقي : كان إبراهيم بن علي بن تميم الحصري قد  
أخذ في عمل طبقات الشعراء على الأسنان ، وكنت أصفر القوم سناً ،  
فكعبتُ إليه :

مهلاً أبا إسحاق بالمالم  
وقمت في أضيقي من خاتم  
لو كان فضل السن مندوحة  
ففضل إبليس على آدم  
فلما بلغه هذان البيتان ، أمسك عنه ، واعتذر منه ، ومات وقد مُدَّ  
عليه بابُ الفكرة ، ولم يصنع شيئاً . وقلتُ أنا في هذا المعنى :

تقدم المولد لم يُعتَبَر  
لأنه في الفضل تدليس  
لو اعتبر ما السن يوم الغلا  
رقى على آدم إبليس

وقال صردر :

جلسة في الجحيم أحرى وأولى  
من رحيل يفضي إلى تدليس  
فقراراً من المذلة في آ  
دم كان المصيان من إبليس

وقال ابن الصقر الواسطي :

كل رزق ترجوه من مخلوق  
يَعْتَرِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّمْوِيقِ  
وأنا قائل - وأستغفرُ الله  
- مقال المجاز لا التحقيق :  
لست أرضى من فعل إبليس شيئاً  
غير ترك السجود للمخلوق

٣١ - وقواه : وقال لي نوح : اركب معنا ، فقلت : ساوي

إلى جبل يمصني من الماء .

يشير بهذا إلى قصة نوح عليه السلام لما جاء الطوفان ، وصعد نوح في السفينة بمن آمن معه ، وقال لابنه : ﴿ يا بُنَيَّ اركب معنا ﴾ قال : ﴿ ساوي إلى جبل يمصني من الماء <sup>(١)</sup> ﴾ .

قيل : إن اسم ابن نوح كنعان ، أو يام - وكان كافراً ؛ وقيل : إنه كان ابن امرأته ، فلما أحسن نوح عليه السلام بالطوفان ، ركب هو ومن آمن معه ، وكانوا ثمانين آدمياً - واختلف في ذكراهم وإناثهم - وحمل معه من كل زوجين اثنين ، ﴿ ونادى نوح ابنه وكان في معزل ﴾ أي في مكان منقطع عن السفينة ، أو عن دين الله ، ﴿ يا بُنَيَّ اركب معنا ولا تسكن مع الكافرين قال ساوي إلى جبل يمصني من الماء قال لا عصم اليوم من أمر الله ﴾ ، أي من عذاب الله ﴿ إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من الممرقين ﴾ <sup>(١)</sup> ، لأن الطوفان عم الأرض جميعاً ، وعلا الجبال قدر أربعين ذراعاً ، وقيل : خمسة عشر ذراعاً .

وقيل : إنه قال له نوح : يا بُنَيَّ اركب معنا بشرط الإيمان . قال الحسن : إنه كان منافقاً في إيمانه . وروى أنه قيل : لو رحم الله أحداً يومئذ ارحم أم الصبي ، فإنها كانت تحبه حباً شديداً ، فخافت عليه ، فخرجت به إلى الجبل حتى بافت ثلثه ، فبلغها الماء ، فبلغت به ثلثي الجبل ، فبلغها الماء ، ثم استوت به إلى أعلى الجبل ، فبلغ الماء رقبتها ، فرقعته بيديها ، فذهب بهما الماء .

وَمِنْ شِعْرِ الْفَرَزْدَقِ بِعُرْضِ الْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ فِي مَدْحِ سَلِيمَانَ بْنِ  
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :

فَلَمَّا طَفَى الْحِجَّاجُ حِينَ طَفَى بِهِ غَنِيٌّ قَالَ إِنِّي مُرْتَقٍ فِي السَّلَامِ (١)  
وَقَالَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحٍ سَأَرْتَنِي إِلَى جِبَلٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَاءِ عَاصِمٍ

\* \* \*

٣٢ - وقوله : وَأَمْرْتُ بِنِسَاءٍ صَرَّحَ لِعَلِيٍّ أَطَّلَعَ إِلَى  
إِلَهِ مُوسَى .

يشير بذلك إلى فرعون حين أمر هامان أن يبني له صرحاً ، ليطلع إلى  
إله موسى ، لأن موسى عليه السلام لما جاء إلى فرعون وأدى رسالة ربه ،  
وأمره بالإيمان ، قال فرعون : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي  
فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى  
وَإِنِّي لَأظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢) .

الصَّرحُ : القصر ، وفرعون أوّل من طبَّخَ الأجرَّ بالنار ، وبني به .  
وذكروا أن هامان جمع خمسين ألف ببناء سوى الأتباع والأجراء ، ومن  
يطبخ الأجر ، ويعمل الجص ، وينحت الخشب والأبواب ، ويضرب  
المسامير ، حتى ارتفع الصرح ارتفاعاً لم يبلغه ببيان أحد من الخلق ، جعله الله  
فتنة لهم ، ولما فرغ ارتفاعه ، ورى نشابة نحو السماء ، فمادت مَلَطْغَه بدم ، فقال  
فرعون : قتلت إله موسى - أو إله السماء - وكان يصعد إلى أعلاه على البراذين ،

(١) ديوانه ٨٥٣

(٢) سورة القصص ٣٨

فَبَعَثَ اللَّهُ غَزًّا وَجَلَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَضَرَبَ الصَّرْحَ بِجَنَاحِهِ ، فَتَقَطَّعَ ثَلَاثَ قِطَعٍ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مَن عَمِلَ فِيهِ شَيْئًا إِلَّا هَلَكَ .

وقيل : إنه وقعت قطعة على عسكر فرعون ، فقتلت منهم ألف ألف رجل ، ووقعت قطعة في البحر ، ووقعت قطعة في المغرب .

وقال بعضهم لآخر : إلى أين يا هامان ؟ قال : أبنى لك صرْحاً يا فرعون !

وما أحسن قول عُمارة اليماني يذكر مصر :

هِيَ الصَّرْحُ إِلَّا أَنَّ هَامَانَ لَمْ يَشِدْ بِنَاؤُهُ ، وَلَا اسْتَمَطَاهُ فِرْعَوْنُ لِلسُّكُوفِ  
تَنَزَّهَتْ عَنْ فَخْرِ مِصْرَ وَمَلِكِهَا وَقَدْ عَدَّه فِرْعَوْنُ قَاضِيَةَ النَّخْرِ

\* \* \*

٣٣ - وقوله : وَعَكَفْتُ عَلَى الْمَجَلِ .

يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَدْنِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمُ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يُهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ (١) .

لما واعد الله موسى ليقامته وهو أربعون ليلة ، كان قوم موسى قد آمنوا من عدوهم ودخلوا مصر ، ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها ، فواعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة ، فقال موسى لقرمه : إني أذهب إلى ربي ، لآتيك بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تدرون ، وواعدهم أربعين ليلة ؛ الثلاثين من ذي القعدة وعشرًا من ذي الحجة ، واستخلف عليهم أخاه



هارون ، فلما جاء الوعد أتى جبريلُ على فرَس الحياة ، لا يمرّ على شيء إلا حَيَّ ، فلما جاء رآه السامريّ — وكان رجلاً صائفاً يقال اسمه منحا ، من أهل كَرْمان أو من أهل بَاجَرْمِي ، أو كان من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها : سامرة ، فرأى مواضع الفرس تخضّر ، وكان منافقا ، من قوم يعبُدون البقر — فقال : إن لهذا الشأن ، فأخذ قبضةً من تربة حافرِ فرسِ جبريل ، وأتى في رُوعِ السامريّ أنه إذا أتى في شيء غيره . وكان بنو إسرائيل قد استعماروا حُلَيًّا كثيرةً من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بمسألة عُرْسٍ لهم . ولما أهلك الله فرعونَ وقومه ، بقيت تلك الحُلَيُّ في أيديهم ، فقال السامريّ لبني إسرائيل : إن الحُلَيَّ التي استمروتموها غنيمة لا تجلّ لكم ، فاحفروا حُفْرَةً وادفِنوها فيها حتى يرجع موسى من ميقات ربّه ، فيرى رأيّه فيها ، أو أن هارون أمرهم أن يُبلّغوها في حُفْرَةٍ ، فلما اجتمعت الحُلَيُّ صاعها السامريّ عجلاً في ثلاثة أيام ، ثم أتى القبضة التي أخذها من أثرِ حافرِ فرسِ جبريل ، فخرج عجلاً من ذهب ، مرصّماً بالجوهر ، من أحسن ما يكون ، وخارَ حَوْزَةً ، وكان يمشى ويخُور ، فقال السامريّ : هذا إلهكم وإله موسى نسيه هاهنا وخرج يطلّبه . وكان بنو إسرائيل قد أخلفوا الموعد ، وعدّوا اليوم مع الليلة ، حتّى مضى عشرون يوماً ولم يرجع موسى ، فوقفوا في الفتنّة في العشرين ، فعكف على عبادة العجل ثمانية آلاف يعبُدونه — أو كلهم عبّدوا العجل إلا هارون مع اثني عشر رجلاً ، وهو الصّحيح ، أو عبّدوه أجمعين إلا هارون — فأوحى الله إلى موسى : إننا قد فتنّا قوّةك ، فرجع إليهم غضبان أسفاً ، وقال ﴿ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو

التَّوَابِ الرَّحِيمِ<sup>(١)</sup> أَي لِيَقْتُلَ الْبَرِيءُ مِنْكُمْ الْمُجْرِمَ . فَقَالُوا : نَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَجَلَسُوا فِي الْأَفْنِيَةِ مُحْتَبِينَ وَقَالَ لَهُمْ : مَنْ حَلَّ حَبْوَتَهُ ، أَوْ مَدَّ طَرْفَهُ إِلَى قَاتِلِهِ ، أَوْ اتَّقَاهُ بِيَدِهِ أَوْ بَرَجَلَهُ فَهُوَ مَلْعُونٌ غَيْرُ مَقْبُولِ التَّوْبَةِ ، فَأَضَلَّتِ الْقَوْمُ عَلَيْهِمُ الْخَنَاجِرَ . وَكَانَ الرَّجُلُ يَرَى ابْنَهُ أَوْ أَبَاهُ ، أَوْ أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ ، أَوْ جَارَهُ يُقْتَلُ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُدَافِعَ عَنْهُ ، وَقَالُوا : يَا مُوسَى ، كَيْفَ نَفْعَلُ ؟ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ سَحَابَةً سَوْدَاءَ ، وَأَصْبَحُوا لَا يُبْصِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَكَانُوا يَقْتُلُونَهُمْ إِلَى الْمَسَاءِ . وَلَمَّا كَثُرَ الْقَتْلُ دَعَا مُوسَى هَارُونَ وَبَكِيًّا ، وَتَضَرَّعًا إِلَى اللَّهِ وَقَالَ : يَا رَبِّ ، هَلَيْكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، فَكَشَفَ اللَّهُ السَّحَابَةَ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكْفُوا عَنِ الْقَتْلِ ، وَكَانَ عَدَدُ الْقَتْلَى سَبْعِينَ أَلْفًا ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى : أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ أَدْخِلَ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ الْجَنَّةَ !

وقال بعض الشعراء :

سئلت عن موسى وموسى ما الخبر؟ قلت : شَيْخَانِ كَقِسْمَى الْقَسْدَرِ  
الفرق بين الموسيين قد ظهر موسى بن عمران وموسى بن الظفر

موسى بن الظفر هو السامري .

\* \* \*

٣٤ - وقوله : واعتديت في السبت .

يشير بذلك إلى ما أعتدته بنو إسرائيل في السبت من انتهاك حرمة قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، اعتدوا ، أي جاروا .

كان بنو إسرائيل في زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها : أَيْلَةَ<sup>(٢)</sup> ، حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت ، فكان إذا دخل السبت لم يبق

(١) البقرة ٦٥ . (٢) في الطبري : « قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين » .

حُوتٌ إِلَّا اجْتَمَعَ هُنَاكَ ، يَخْرُجْنَ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى لَا يُرَى الْمَاءُ مِنْ كَثَرَتِهَا ، فَإِذَا مَضَى السَّبْتُ تَفَرَّقْنَ فَلَا يُرَى مِنْهَا شَيْءٌ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ . . . (١) ﴿ الْآيَةُ .

ثم إن الشيطان وسوس لهم وقال : إنَّما نُهيتم عن أخذها يوم السبت ، فعمد رجال ، فحفرُوا حِيَاضًا نَحْوَ الْبَحْرِ ، وَشَرَعُوا (٢) مِنْهَا إِلَيْهَا الْأَنْهَارَ ، فَإِذَا كَانَ عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ فَتَحُوا تِلْكَ الْأَنْهَارَ ، فَأَقْبَلَ الْمَوْجُ بِالْحَيْتَانِ إِلَى الْحِيَاضِ ، فَلَا تَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ لِبُعْدِ عُقْمِهَا ، وَقَلَّةِ مَائِهَا ، فَيَأْخُذُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ . وَكَانُوا يَسُوقُونَ الْحَيْتَانَ إِلَى الْحِيَاضِ يَوْمَ السَّبْتِ ثُمَّ يَأْخُذُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَكَانُوا يَنْصَبُونَ آلَاتِ الْعَيْدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَيُخْرِجُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَفَعَلُوا ذَلِكَ مَدَّةً ، فَلَمْ يُنْزَلْ بِهِمْ عُقُوبَةٌ ، فَقَالُوا : مَا نَرَى إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَحَلَّ لَنَا السَّبْتَ ، فَأَخَذُوا وَأَكَلُوا وَمَاجُوا وَبَاعُوا ، وَكَثُرَ مَا لَهُمْ ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ صَارَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ - وَكَانُوا نَحْوَ سَبْعِينَ أَلْفًا - ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ : صِنْفٌ أَمْسَكَ وَنَهَى ، وَصِنْفٌ أَمْسَكَ وَلَمْ يَنْهَ . وَصِنْفٌ اتَّهَكَ الْحُرْمَةَ . وَكَانَ النَّاهُونَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَلَمَّا أَبَى الْأَجْرِمُونَ قَبُولَ نَصْحِهِمْ قَالُوا : وَاللَّهِ لَأَنْسَأَنَّكُمْ ، فَفَسَمُوا الْقَرْيَةَ بِجِدَارٍ ، وَتَحَيَّرُوا كَذَلِكَ سَنَتَيْنِ ، فَلَمَّحَهُمْ دَاوُدُ ، وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ، فَخَرَجَ النَّاهُونَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْجَرْمِينَ أَحَدٌ ، وَلَمْ يَفْتَحُوا لَهُمْ بَابًا ، فَلَمَّا أَبْطَأُوا تَسَوَّرُوا عَلَيْهِمُ الْحَائِطَ ، فَإِذَا هُمْ جَمِيعًا قَرْدَةٌ لَهُمْ أَذْنَابٌ يَتَعَاوَنُونَ .

وقيل : صار الشباب قردة ، والشيوخ خنازير ، فمكثوا ثلاثة أيام ، ثم هلكوا ، ولم يبقَ مَنْ مُسَخَّ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَلَمْ يَتَوَالِدُوا (٣) .

قال مجاهد : مُسَخَّتْ قُلُوبُهُمْ دُونَ هُؤُورِهِمْ ، وَهَذَا خِلَافُ الْإِجْمَاعِ وَمَا نَطَقَ

(١) الأعراف ١٦٣

(٢) ط : «شقوا» .

(٣) الخبر في تفسير الطبري ٢ : ٢٦٩ .

به القرآن العظيم . وفي الأمثال المولدة : عليه ما على أصحاب السبت - يفتنون  
بذلك اللفظة .

كان ابن الرومي منهوماً في الأكل ، وكان يُعجبه السمك ، فوعده  
أبو العباس أحمد المزبدي<sup>(١)</sup> أن يبعث إليه كل يوم سبتٍ وظيفَةً من السمك ،  
لأنه قطع عنه ، ثم قطعته ، فقال :

ما لحيتائنا جفتنا وإن أخذت الزايرين منقظيهم  
جاء في السبت زورهم فأتدنا من حفاظٍ عليه ما يكفيهم  
وجملناه يوم عيدٍ عظيمٍ فكأننا اليهود أو نخكبيهم  
وأراهم مصعبين على الهجاء فلم يسخطون من يرضيهم  
قدسبتنا وما أتدنا وكانوا لا يسبتون لا تأتيمهم

ولما وقع أبو فراس بن حمدان في أسر الروم أمر الملك أن الأمرى  
يتزاورون يوم السبت ، فقال :

جملوا الإلتقاء في كل سبت فجملناه للزيارة عيدا  
وشركننا اليهود فيه فكدنا رغبة فيه أن نعود يهودا  
وقال علاء لدين الوداعي فيمن رعدته بسمك :

يامالكاً صدق مواعيده خلّى لنا في جوده مظهراً  
لم نعد في السبت فما بالنساء لم تأتينا حيتاننا شرعاً  
وقال ابن الزقاق الأندلسي :

وحسب يوم السبت عندي أنني يفاديني فيه الذي أنا أحببت<sup>(٢)</sup>

(٢) ديوانه ١١٣ .

(١) ط : « المرندى » .

ومن عَجَبِ الأشياءِ أَنِّي مُسَلِّمٌ حَنِيفٌ ، ولكن خَيْرٌ أَيَّامِي السَّبْتُ

٣٥ - وَقَوْلُهُ : وَتَمَاطَيْتُ فَمَقَرْتُ .

يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۗ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ۗ فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۗ ﴾ (١) .

كانت ثمودُ هذه هي عادُ الأخرى ، وتسمى عادُ الصَّغرى ، وكان الله سبحانه وتعالى قد أهلك عادُ الأولى . ثم إنَّ الله سبحانه استخلف عادُ الأخرى ، وكانوا قوما عَرَبًا ، وكانوا يسكنون الحِجَازَ بينَ ؛ الحِجَارِ والشَّامِ إلى وادي القُرى ، فانتشروا في تلك الأرض وكفروا ، وعبدوا غيرَ الله ، فبعثَ إليهم صالحًا ، غلامًا شابًا ، فدعاهم حتى شَمِطَ ولم يتبعه منهم إلا قليلٌ مستضعفون ، فسأله أن يرِيهم آيةً ، فقال : وأى آيةٍ تُريدون ؟ قالوا : تخرج معنا إلى عيدنا وتدعو آلِهتنا ، وتدعو أنتَ إلَهك ، فن استجيب له اتبعناه . فخرجوا بأولادهم إلى عيدهم ، وخرج صالحٌ إلى الله تعالى ، فقال له جندع بن عمرو سيّد ثمود : يا صالح ، أخرج لنا من هذه الصَّخْرَةِ ناقةً جوفاءً ، وبراءَ عَشْرَاءَ (٢) ، فإن فعلت ذلك صدَّقناك ، وأما بك . فأخذ موافقهم على ذلك ، وصلى ركعتين ، ودعا ربّه ، فتمخضت الهَضْبَةُ ، فلما نظروا إليها وقد انتفضت تصدّعت عن ناقةٍ كما وصّفوا : جوفاءً ، وبراءَ عَشْرَاءَ ، بين جنبتيها ما يعلمه الله تعالى . فأمن به جندع ومن كان معه من رهطه ، وأرادت أشرافُ ثمود أن تؤمن ، فنهام ذؤاب بن عمرو ومن شايعه ، وردّهم عن الإسلام ، وكان لابن عمرو هذا ابن عمِّ يقال له : شهاب ، عزيز منيع أراد أن يُسلم فنهام ذؤاب ، ورباب والحباب ، وصاحبنا الأيمان (٣) ، وفي ذلك قال شاعرهم (٤) :

(١) سورة القمر ٣٧ - ٢٩ . (٢) حاشية الأصل : « العشراء التي تشبه البخت »

(٣) في ابن كثير : « ذؤاب بن عمرو والحباب صاحبنا أو نائهم ، ورباب بن صمير » .

(٤) ابن كثير : « مهرش بن غنمة بن الذميلة » .

وكانت عَضْبَةً مِنْ آلِ عَمْرِو  
 عَزِيزِ ثُمُودَ كُلِّهِمْ جَمِيعاً  
 لِأَصْبَحَ صَالِحٌ فِينَا عَزِيزاً  
 وَلَكِنَّ الْفُؤَادَةَ مِنْ آلِ حُجْرٍ<sup>(٢)</sup>  
 إِلَى دِينَ النَّبِيِّ دَعَا شِهَاباً<sup>(١)</sup>  
 فَهَمَّ بِأَنْ يَجِيبَ وَلَوْ أَجَابَا  
 وَمَا عَدَلُوا بِصَاحِبِهِمْ ذُؤَابَا  
 تَوَلَّوْا بَعْدَ رَشْدِهِمْ ذِابَا

ويقال : إن الناقة تمخضت بعد انفصالها ، وولدت سقبا ، فمكثت في أرضهم ترعى الشجر ، وتشرب الماء ، وأخبرهم صالح عليه السلام أن الماء قسمة بينهم ، لها يوم من الشرب ولهم يوم . وكانت تدخل رأسها في بئر لهم ، يقال لها : بئر الناقة ، فإذا رفعت رأسها تفاحت لهم ، فيحلبوها ويشربون ويدخرون ، وكانت تصيف بظهر الوادي ، فتهرب منها المواشي ، وتشتوا ببطن الوادي فتهرب منها المواشي . وكانت ترعى بوادي الحجر ، وكانت فيه امرأة يقال لها : عنيزة ، لها بنات حسان ومال ، وامرأة أخرى يقال لها : صدوق ، بنت الحميا صاحب أوثانهم ، وكانتا من أشد الناس لثمود عداوة لصالح ، وكان زوجها أسلم ، وأنفق ما لها على من آمن بصالح ، فدعت مصدع ابن بهرج بن الحميا<sup>(٣)</sup> ، وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة . ودعت عنيزة قدار ابن سالف - وكان رجلا أحر أزرق العين ، ولد لغير رشدة - فانطلقا واستنشدا غواة ثمود ، فاتبعهما تسعة نفر ، فرصدوها حين صدرت عن الماء ، وكن لها قدار في أصل صخرة ، ومصدع في أصل أخرى ، فرماها مصدع ، فانقطم عضلة ساقها ، وخرجت عنيزة ، وأمرت بنتها فسفرت عن وجهها لقدار ، ثم أمرته فشد على الناقة بسيفه ، فكشف عن قوائمها ، فخرت ، ورغت رغاء واحدة ، تحذر سقبا ، ثم طعن في لبتا فنخرها ، وانطلق سقبا حتى أتى جبلا ضيقا ، ثم أتى صخرة في أعلى الجبل . فأتهم صالح ، فلما رأى الناقة قد عقرت بكى ، وقال : انتهكتهم

(٢) ط : « آل عمرو » .

(١) البداية والنهاية ١ : ١٣٤ .

(٢) ابن كثير « مصدع بن مهرج » .

حرمة الله فأبشروا بمذاب الله. ثم اتبع السَّقْب أربعة نفرٍ من التسعة ، فرماه مصدع  
فانظّم قلبه ، ثم جرّه برجله فأنزله ، ثم ألقوا لحمه مع لحمها ، وقالوا الصالح : متى  
يكون ذلك؟ كالمستهزئين به، وما آيته؟ فقال : تُصَبِحون غداة مؤنس - يعني يوم  
الخميس - وجوهكم مصفرة ، وتُصَبِحون يومَ العُروبة - يعني يومَ الجمعة -  
وجوهكم محمّرة ، ثم تُصَبِحون يومَ شيار - يعني السبت - وجوهكم  
مسودة ، ثم يصبّحكم العذاب يومَ أوّل - يعني الأحد - ثم إن هؤلاء  
التسعة همّوا بأن يبنيوا صالحا ، وقالوا : إن كان صادقا كنا قتلناه ، وإن كان  
كاذبا كنا ألقناه بفاقته . فاتوه ليلا وقد منعهم الملائكة بالحجارة ، فلما  
أبطئوا جاءت أشياعهم ، فوجدوهم مشدّخين ، فقالوا : يا صالح ، أنت قتلتهم  
وهمّوا به ، فنعّمهم عشيرته . وأصبحوا صبيحة ليلتئذ مصفرة وجوههم ، فمهلوا  
أنه صدقهم ، فلما كانت ليلة الأحد ، خرج صالح ومن آمن معه من بينهم  
إلى أرض الشام ، فنزل رَملة بفلسطين ، فلما كان ضحى يوم الأحد أخذتهم  
الصيحة ، فلم يبقَ منهم كبير ولا صغير إلا هلك ، إلا جارية مُقَمَّدة  
كافرة بصالح ، أطلق لها رجلها بعد ما عاينت العذاب ، فأخبرت بما حلّ  
بشمود . ثم إنها استسقت الماء فشربت وماتت . وفيها قال بعض شعرائهم :

يا فملة ما أتت قوما بمردية  
كانوا شراراً وما كانوا بأخيار  
كانوا بأنعم عيش غير مكنتع  
في مجلس بين جنات وأنهار  
لا يرهبون من الأعداء بائقة  
وقع السيوف ولا نبضاً بأوتار  
فما حلوا ناقةً لله راتمة  
قد أنذروها وكانوا غير أبرار  
إذا تذكّرتُها رقت على كيدي  
حرارة مثل لدغ الكي بالنار  
قادوا قداراً ولحم السَّقْب بينهم  
هل للعجول وهل للسَّقْب من نار !  
ففاض دمي ولم أملك له عبرا  
إلا الدعاء وتصويتاً بأسجار

وقيل : إن الصاعقة لما أخذتهم ، صارت وجوههم كأنما طليت بالقار ،  
وكانوا يقبلون أبصارهم إلى السماء مرة ، وإلى الأرض مرة ، ولا يدرون من

أين يأتِيهم العذاب! وتقطَّعتْ قلوبهم في صدورهم ، ولم يسلم غيرُ الجارية  
المُتَّعِدَةِ الَّتِي أَتَتْ تُخْبِرُ أَهْلَ وَادِي الْقُرْمَى ، وَرَجُلٌ كَانَ بِالْحَزْمِ اسْمُهُ أَبُو رِغَالٍ ،  
مَنْعَهُ الْحَزْمُ مِنَ الْعَذَابِ ، فَلَمَّا خَرَجَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ ، فَذُفِنَ بِهِ وَمَعَهُ غُصْنٌ  
مِنْ ذَهَبٍ ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرِهِ ، فَابْتَدَرُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ ،  
فَحَفَرُوا عَنْهُ ، فَوَجَدُوا الْفُصْنَ .

وقيل إن صالحاً ابتصمه الله لهم ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، فأقام في  
دعوتهم عشرين سنة .

وقيل: إن صالحاً لما قيل له: أدرك الناقة فقد عقرت ، فأقبل ، وخرجوا  
يعتذرون إليه ، ويقولون: إنما قتلتها فلان ، فقال لهم: أدركوا سميتها ، فإن  
أدركتوه فمسي أن يرفع العذاب عنكم ، فأدركوه ، فرغاً ثلاثاً ، وانفجرت له  
الصخرة فدخلها ، فقال صالح: قد أنذركم ثلاثاً ، ويحلب بكم العذاب ، فلما  
كان بعد ثلاث وفتح بهم العذاب على ما تقدم ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ تَمْتَمُوا فِي  
دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ (١) ، وقوله تعالى: ﴿ إِذِ  
أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا ﴾ (٢) ، أصلُ الانبعاث الإسراع ، وأشقاها ثمود ، أى أشقى  
ثمود ، لأنه الذي باشر العقْر .

وقيل: في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ (٣) ضمير يرجع إلى قدار  
ابن سالف عاقر الناقة ، معناه فعل فعلته الذميمة ، وماخاف عاقبتها . وقوله  
تعالى: ﴿ فَمَا طَافِي فَعَقَرُ ﴾ (٤) ، أى أتى أمراً عظيماً ، يقال: فلان يطاعى المنكر .  
وقيل: إن جعفر بن سليمان كان شديد البخل على الطعام ، فرفعت المائدة  
يوماً من بين يديه ، وفيها دجاجة ، فوثب عليها بمض بنيه فأكل منها ،  
وأعيدت من الغد ، فآمارآها وقد أكل منها ، قال: من هذا الذي طاعى فعقر؟  
قالوا: ابنك فلان ، فقطع أرزاق بنيه كلهم ، فاما طال عليهم ذلك قال:

(٣) سورة الشمس ١٥ .

(٤) سورة القمر ٣٩ .

(١) سورة هود ٦٥ .

(٢) سورة الشمس ١٢ .



بعضُ بنيه : أقتله كُنَّا بما فعل السفهاءِ مِنَّا ؟ فردَّ عليهم بعضُ أَرْزاقِهِمْ .  
وقال عمارَةُ اليمانيّ :

لَا تَعَجِّبَا لِقَدَارِ نَاقَةِ صَالِحٍ فَلَسَكَلَّ عَصْرٍ نَاقَةٌ وَقَدَارُ

\* \* \*

٣٦ - وقوله : وَشَرِبْتُ مِنَ النِّهْرِ الَّذِي ابْتَلَى بِهِ جُنُودُ طَالُوتَ .

يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ (١) .

لَمَّا خَرَجَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ - أَوْ ثَمَانُونَ أَلْفًا - لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ إِلَّا كَبِيرٌ لُحْمِي ، أَوْ مَرِيضٌ ، أَوْ ذُو عُدْرٍ ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا التَّابُوتَ لَمْ يَشْكُوا فِي النَّصْرِ ، وَتَسَارَعُوا (٢) إِلَى الْجِهَادِ ، فَقَالَ طَالُوتُ : لَأَحَاجَةٌ لِي فِي كُلِّ مَا أَرَى ، لَا يَخْرُجُ مَعِيَ رَجُلٌ بَنِي شَيْئًا لَمْ يَفْرُغْ مِنْهُ ، وَلَا صَاحِبُ تِجَارَةٍ يَسْتَفِلُّ بِهَا ، وَلَا رَجُلٌ عَلَيْهِ دَيْنٌ ، وَلَا رَجُلٌ تَزَوَّجَ امْرَأَةً وَلَمْ يَبْنَ بِهَا ، وَلَا أَبْتغِي إِلَّا الشَّابَّ (٣) النَّشِيطَ الْفَارِغَ (٤) .

فاجتمع له ثمانون ألفاً من شرطه ، وكان حراً شديداً ، فشكوا إليه قلة الماء بينهم وبين عدوهم ، وقالوا : إِنَّ الْمِائَةَ لَا تَحْمِلُنَا ، فَادْعُ اللَّهَ يُجْرِي لَنَا نَهْرًا ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يُخْتَبِرُكُمْ بِنَهَرٍ - وَهُوَ نَهْرٌ بَيْنَ الْأُرْدُنِّ وَفِلِسْطِينَ - عَذَّبَ ﴿ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ ، أَي مِنْ أَهْلِ ذِمَّتِي ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ ، قِيلَ : كَانُوا أَرْبَعَةَ أَلْفٍ - أَوْ ثَلَاثِينَ وَبَضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا - وَهُوَ الصَّحِيحُ ، وَلَمْ يَتَجَاوَزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ .

(٢) م : « فسارعوا » .

(١) سورة البقرة ٢٥٠ .

(٤) تفسير الطبري ٥ : ٣٤٨ .

(٣) ط : « الشباب » .

(٩ - تمام المتن)

ولما وصلوا النهر وقد ألقى عليهم المطش ، شرب الكلّ إلا هذا العدد القليل ؛ ثم اغترف غرفةً بيده كما أمر الله تعالى . فموى قلبه ، وصح إيمانه ، وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوايه . والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم ، وغلبهم المطش ، ولم يرووا ، ووقفوا على شاطئ النهر ، وجبنوا عن لقاء العدو ، فلم يجاوزوا ولم يشهدوا الفتح ، أوجاوزوا ونكسهم لم يحضروا القتال ، إلا الذين لم يشربوا ، قال الله تعالى : ﴿ فلما تجاوزوا هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ . أي الذين خالفوا أمر الله ، وشربوا ولم يتجاوزوا . ﴿ قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ﴾ (١) .

ومن أبيات ربانية لشيخ الإسلام ابن دقيق العيد - قدس الله روحه في الجنة :

ويارب من أوفى على بعض قصده  
يُنَادِي لِمَنْ قَدْ أَمَّ بِحَرِّ جَنَابِهِ :  
كأننا وردنا نهر طالوت في الهوى  
وقال أبو إسحاق العمري :

ومن حسنات الوارد البحر أنه  
ولو كنت في أصحاب طالوت مبتلي  
وقال أبو العلاء المعري :

سقيًا ندجة والدينا مفرقة  
وبمدها لأريد الشرب من نهر  
حتى يعود أجماع النجم تسميًا (٢)  
كأننا أنا من أصحاب طالوتنا

## ٣٧ - قوله : وَقَدَّتْ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ .

يشير بذلك إلى ما أخبر الله تعالى عن أهل الفيل الذين قصدوا خراب مَكَّةَ ، وذلك أن أبرهَةَ بنَ الصَّبَّاحِ أبا يَكْسُومِ ، بنى كنيسةً بصنماء لأصحمة النَّجَاشِيِّ ، لأنه كان ملكَ اليَمَنِ من قبيل النَّجَاشِيِّ ، وأراد صرفَ الحاجِّ عن الكعبة إليها ، فخرج رجلٌ من كنانةَ ، فأحدث فيها ، وأطخها بالعذرة احتقاراً لشأنها . أو أن رُقُفَةَ من قريش خرجوا في تجارةٍ حتى نزلوا قريباً من تلك الكنيسة ، واحترقوا ناراً واشتروا ، ثم ارتحلوا ، فهبت ريحٌ فأحرقتها النار . فعصب النَّجَاشِيُّ لذلك ، فقال أبرهَةَ وحُجْرُ بنُ شَرَاهِيلَ : لا تحزن ، فنحن نهدم الكعبة . فطلب أبرهَةُ من النَّجَاشِيِّ فيله المعروف بمحمود ، وكان عظيماً جسيماً لم ير مثله ، فبعثه إليه ومعه غيره من الفيلة ، وجيشاً ليسير إلى الكعبة ، فلما قرب أبرهَةَ من مَكَّةَ أمر بالفارة على أهل الحرم ، فأخذوا لعبد المطلب مائتي بعير . وجهز أبرهَةَ برسولٍ إلى شريفِ مَكَّةَ يقول : لم آت لقتال ، وإنما أتيت لهدم هذه البنية . فجاء الرسولُ إلى عبد المطلب ، وبلغه الرسالة ، فقال : هذا بيتُ الله وبيتُ إبراهيمَ خليلِ الله ، ونحن مالنا يدٌ أن نقاتل هذا الملك . وتوجه مع الرسول إلى أبرهَةَ ، ودخل عليه بعد ما عرفوه بشرفه - وكان وسيماً جسيماً - فأكرمه أبرهَةُ وعظمه ، ونزل عن سريره وجلس معه على البساط ، وقال لترجمانه : قل له يسأل حاجته ، فقال : قل للملك يرُدُّ على الأباقر التي أخذها ، فقال أبرهَةَ : قل له قد زهدت فيك بعد رغبتى . أنا جئت إلى بيت - هو دينك ودينُ آبائك ، وهو شرفُكم وعصمتُكم - لأهدمَه ، لم تكلمني فيه ، وتسالني في ردِّ مائتي بعير ! فقال عبد المطلب : أنارب هذه الإبل ، ولهذا البنت ربٌ سيمئمه . فقال أبرهَةَ : ما كان ليمنعني منه فقال : دونك<sup>(١)</sup> فردَّ عاياه إبله ،

(١) ط : « دونك » .

فعاد عبد المطلب إلى مكة ، وأمر قومه أن يتفرقوا في رءوس الجبال ، وأتى هو إلى البيت وأخذ بحلقه الباب ، وقال :

يأربُّ لا أرجو لهم سواك يا ربُّ فامنع منهم حماك  
إنَّ عدوَّ البيت من عاداك امنفهم أن يُخربوا قرأك

وقال أيضاً :

يأربُّ إنَّ العبدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فامنع رِحالك<sup>(١)</sup>  
لا يفلين صليهم ومحالم غدوا محالك  
جمموا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك  
عمدوا حماك بجهلهم كيداً وما رقبوا جلالك  
إن كنت تاركهم وكمسبتنا فأمر ما بدا لك<sup>(٢)</sup>

ثم خرج عبد المطلب مع قومه إلى رءوس الجبال ، وأصبح أبرهة بجيشه وقد عبأه في فيلته - قيل : كانوا ثمانية أفيلة ، أو اثني عشر ، أو ألف فيل . وقيل : لم يكن معه غير الفيل المدعو محموداً<sup>(٣)</sup> - فقدموا الفيل المذكور وبعثوه إلى نحو الحرم فلم يندبعت ، فضربوه بالمعول في رأسه فأنى ، فوجهوه نحو اليمن فقام وهزول ، ووجهوه نحو الشام فهزول ، ونحو المشرق فهزول ، فوجهوه نحو الكعبة فبرك .

وزعموا أن عبد المطلب لم يزل آخذاً بحلقه الباب حتى نشأ من قبل اليمن من البحر طير ؛ عن أبي سعيد الخدرى ، أنه سأل عن الطير ، فقال :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٥١ وفيها : « فامنع حلاك » . والحلال : جمع حلة - وهي جماعة البيوت .

(٢) ابن هشام : « وقلنا » . (٣) ط : « بمحمود » .

حمام مكة ، مع كل طير ثلاثة أحجار ، أكبر من العدسة ، وأصغر من الحصاة .  
وعن ابن عباس رضى الله عنه ، أنه قال : رأى منه عند أم هانئ من ذلك  
نحو قفيز ، مخططة بحمرة كالجزع<sup>(١)</sup> الظفاري ، على كل حصاة اسم من يرمى  
بها ، أو كان الحجر كراس الرجل<sup>(٢)</sup> .

وروى أن عبدالمطلب لما رأى الطير ، قال : أرى طيراً ما أعرفها ، ما هي  
نجدية ولا تهمانية ، ولا عريية ولا شامية ، أشباه اليعاسيب<sup>(٣)</sup> قد أقبلت يكسع  
بعضها بعضاً ، أمام كل دُفعة طائر يقودها ، أحمر المنقار أسود الرأس ، طويل  
العنق . فجاءت الجيش وألقت على كل واحد حصاة ، وكانت الحصاة تقع على  
بيضة أحدهم فتخرقها حتى تقع في دماغه ، وتخرق الفيل والدابة وتغيب  
في الأرض من شدة رقعها ، وكانت تقع على رأس الرجل ، وتخرج من دبره .  
وروى أنه من أصابته منهم ، فكأنه أصابه جدري ، وهو أول جدري  
ظهر في الأرض ، فهلكوا .

وأما أبرهة فإنه كانت أعضاؤه تتساقط ، فسقطت أملكه أولاً ، وتبعها  
مدة ودم وقبيح ، حتى وصل صنعاء فيمن بقي كفرخ طير ، وبامات حتى  
انصدع صدره .

وعن بعض المفسرين أنه لم ينبج منهم إلا أبرهة ، فسار فوق الفيل ، وهو  
لا يشعر به حتى أتى النجاشي ، فقص عليه القصة ، فلما انتهى ألقى الطائر عليه  
الحصاة ، فمات بين يدي النجاشي .

وأخذ عبدالمطلب وأبو مسعود الثقفي من أموالهم شيئاً كثيراً .

(١) الجزع : الحرز اليماني . وظفاري : منسوب إلى ظفار من بلاد اليمن .  
(٢) ط : « الرجال » .  
(٣) اليعاسيب : جمع يعسوب وهو أمير النحل .

وعن عائشة رضی الله عنها ، قالت : رأيتُ قائدَ الفيلِ وسائمةَ أجمعيينِ  
يَسْتَطِهُانِ بِمَكَّةَ .

وَرَوَى أَنَّ أَبْرَهَةَ كَانَ جَدَّ النَّجَاشِيِّ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي الْعَامِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ .

وقال السكبي : قبل مولده بمشرين سنة ، أو بثلاثٍ وعشرين ، وقال  
مقاتيل : بأربعين سنة .

وهذه القصة دالة على شرف النبي صلى الله عليه وسلم ، ومُعْجِزَةٌ لَهُ فِي كَوْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ صَدَّ الْفَيْلِ وَأَصْحَابَهُ عَنِ بَلَدِ سَيْطَهْرٍ مِنْهُ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمُعْجِزَ يَتَقَدَّمُ عَلَى زَمَانِ الْبِعْثَةِ تَأْسِيسًا لِلنَّبِيِّ الْمُرْسَلِ فِيمَا بَعْدَ ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْغَامَةُ تُظَلِّهُ قَبْلَ مَبْعَثِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ خِلَافًا لِلْمَعْتَزِلَةِ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَجُوزُوا ذَلِكَ ، وَلِذَلِكَ قَالُوا : لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ نَبِيٌّ ، كَخَالِدِ ابْنِ سِفَانَ أَوْ قُسَّ بْنِ سَاعِدَةَ .

وفي قصة أصحابِ الفيلِ ، قلتُ أنا من جملةِ قصيدةِ مدحتُ بها النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

والبيت صارحمي إذ كان مظهره	وكل من رامه بالشوء محذول
فصان ساحتته <sup>(١)</sup> من كيد أبرهه	لما أتاه وفي أصحابه الفيل
بادؤا بأحجار سجيل ومارجموا	لما رمتهم بها الطير الأبايل

(١) ط : « صاحبه » .

## ٣٨ - وقوله : وعاهدتُ قريشاً على ما في الصحيفة .

يشيرُ بذلك إلى الصحيفة التي تعاهدتُ قريشَ على كتابتها ، وذلك أن كُفَّار قريشٍ لمَّا رأوا أن أصحابَ النبي صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا إلى الحبشة قد نزلوا بلداً ، وأصابوا قدراً وأمناً ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه قد أسلم ، وأصبح هو وحمزة رضى الله عنهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وصار الإسلامُ يَفْشُو في القبائل ، اجتمع المذكورون من كُفَّار قريش ، واثمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب ، على ألا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم .

ولمَّا اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثمَّ تعاهدوا وثائقوا على ذلك ، ثمَّ علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شعبه وخرج من بني هاشم أبو لهب إلى قريش فظاهرهم ، ولقي هنداً بنت عتبة ابن ربيعة حين فارق قومه ، وظاهر<sup>(١)</sup> عليهم قريشاً ،<sup>(٢)</sup> فقال لها : يا بنت عتبة ، هل نصرتُ اللاتَ والعزى ، وفارقتُ من فارقتما ، وظهرتُ عليهما ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة ؛ وفي ذلك يقول أبو طالب :

ألا بلغنا عني على ذاتِ بيننا  
لؤياً وخُصاً من لؤيِ بني كعب<sup>(٣)</sup>  
ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً  
نبياً كوسى خطَّ في أوَّل الكتبِ  
وأنَّ عليه في العبادِ محبةً  
ولا خيرَ ممن خصَّه الله بالحُبِّ

(٢) م : « يا ابنة » .

(١ - ١) ساقط من ط

(٣) ديوانه ٢٠

وَأَنَّ الَّذِي الصَّقَمُوا مِنْ كِتَابِكُمْ لَكُمْ كَائِنٌ نَحْسًا كَرَاغِيَةَ السَّقْبِ (١)  
أَفِيقُوا فِيهِ وَأَقْبِلْ أَنْ يُحْفَرَ النَّزَى

وَيُصْبِحُ مِنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذَى الذَّنْبِ

وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقَطُّعُوا أَوْ اصْرِنَا بِسَدِّ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ

وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوَانًا وَرُبَّمَا أَمَرَ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَلْبُ الْحَرْبِ (٢)

مُفْتَرِكِ ضَيْقِ تَرَى كِسْرَ الْقِنَا

بِهِ وَالنُّسُورِ الطُّخْمِ يَعْكُفُنْ كَالشَّرْبِ (٣)

أَلَيْسَ أَبُو نَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطَّعْمَانِ وَبِالضَّرْبِ!

وَلَسْنَا نَمَلُ الْحَرْبِ حَتَّى تَمَلَّنَا وَلَا نَتَشَكَّى مَا يُنُوبُ مِنَ التَّنَكُّبِ

وَلَكِنَّا أَهْلَ الْخَفَائِظِ وَالنَّهْيِ إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُهَّاتِ مِنَ الرَّهْبِ (٤)

وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهدوا ألا يصل إليهم شيء إلا سراً ، مستخفياً به من أراد صيتهم من قريش .

وقد كان أبو جهل - فيما يُذكر - لقي حكيم بن حزام ، ومعه غلام يحمله الحمار يريده به عنته خديجة بنت خويلد ، وهي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ، فتملق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ، فجاء أبو البختری فقال : مالك وله ! فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم ، فقال أبو البختری : طعامٌ كان لعمته عندك ، ثم أت إليه ، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ! خلَّ سبيل الرجل ، فأبى أبو جهل ، حتى نال أحدهما من صاحبه . فأخذ أبو البختری لحنى بعير

(١) السقب : ولد الناقة ، قيل إنه خاص بالذكر .

(٢) الحرب العوان : هي التي قوتل فيها مرة بعد مرة .

(٣) الطخيم : السود . والشرب : الجماعة الشاربون .

(٤) الكهات : الشجعان ، جمع كهي .



فَضْرَبَهُ فَشَجَّهَ ، وَوَطَّنَهُ وَطْنًا شَدِيدًا ، وَحَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَرِيبٌ يَرَى ذَلِكَ ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ ، فَيَشْتَمُوا بِهِمْ ، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ صَابِرٌ ] <sup>(١)</sup> عَلَى ذَلِكَ ، يَدْعُو قَوْمَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَسِرًّا وَجِهَارًا .

ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ . وَلَمْ يُبَيِّنْ <sup>(٢)</sup> فِيهَا أَحَدًا أَحْسَنُ مِنْ بِلَالِ بْنِ رُوْحَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حُبَيْبِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَسَلٍ - وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ ابْنُ أَخِي نَضْلَةَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ لَأُمِّهِ - وَكَانَ هَاشِمٌ لِبَنِي هَاشِمٍ وَاصِلًا ، وَكَانَ يَأْتِي بِالْبَعِيرِ قَدْ أَوْقَرَهُ طَعَامًا ؛ حَتَّى إِذَا أَتَيْتَهُ فَمِ الشَّمْبِ خَلَعَ خِطَامَهُ <sup>(٣)</sup> مِنْ رَأْسِهِ ، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى جَنْبَيْهِ ، فَيَدْخُلُ الشَّمْبُ عَلَيْهِمْ ، وَيَأْتِي بِهِ وَقَدْ أَوْقَرَهُ بُرًّا <sup>(٤)</sup> ، يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مَرَارًا .

ثُمَّ إِنَّهُ مَشَى إِلَى زُهَيْرِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ - وَأُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - فَقَالَ : يَا زُهَيْرُ ، أَرْضَيْتَ بَأْنَ تَأْكُلُ الطَّعَامَ وَتَلْبَسُ الثِّيَابَ ، وَتَنْكِحُ الذَّمَاءَ ، وَأُخْوَالُكَ حَيْثُ عَلِمْتَ ، لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ ، وَلَا يَنْكِحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ ! أَمَا إِنِّي أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَوْ كَانَ أُخْوَالُ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هَاشِمٍ ، ثُمَّ دَعَوْتَهُ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَدًا . فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا هَاشِمُ ! فَمَاذَا أَصْنَعُ ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ رَجُلٌ آخَرَ تَقَمَّتْ فِي تَقْضِيهَا حَتَّى أَنْقُضَهَا . فَقَالَ : قَدْ وَجَدْتُ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ أَنَا ، قَالَ زُهَيْرُ : ابْنُ ثَالِثًا . فَذَهَبَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا مُطْعِمُ ، أَرْضَيْتَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ ، مُوَافِقٌ لِقُرَيْشٍ فِيهِ ! أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَكُنْتُمُوهُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدُنَّهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ سِرَاعًا ، قَالَ : وَيْحَكَ ! مَاذَا أَصْنَعُ ؟ إِنَّمَا أَنَا

(١) تَسْكُمَةٌ مِنْ م

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ يُبَيِّنْ » ، وَمَا أُثْبِتُهُ مِنْ م ، ط ، وَابْنُ هَاشِمٍ .

(٣) الْخِطَامُ : حَبْلٌ يَشُدُّ بِهِ عَلَى فَمِ الْبَعِيرِ . (٤) أَوْقَرَهُ : حَمَلَهُ .

رجلٌ واحد . قال : قد وجدتُ ثانياً . قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال : ابغني ثالثاً ، قال : قد فعلتُ ، قال : من هو ؟ قال : زهير بنُ أبي أمية . قال : ابغني رابعاً . فذهب إلى أبي البخترى ، فقال له نحواً مما قال لمطعم بن عدى . قال : وهل من أحدٍ يُمينُ على هذا ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ هو ؟ قال : زهيرُ ابنُ أبي أمية والمطعمُ بنُ عدى ، وأنا معك . قال : ابغنا خامساً . فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، وكلمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمى له القوم ، فاتمدوا حطم الحجون<sup>(١)</sup> كَيْلاً بأعلى مكة .

فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا أمرهم ، واماهدوا على القيام في نقض الصحيفة . قال زهير : أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدو إلى أئديتهم ، وغدا زهير عليه حلة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس ، فقال : يا أهل مكة ، أنا كل الطعام ولبس الثياب ، وبنوها شم هلكي لا يُباعون ولا يُبتاع منهم ! والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطمة الظالمة . فقال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد : كذبت والله لا تشق ! قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، مارضينا كتابتها حيث كُتبت . قال أبو البخترى : صدق زمعة ، لا نرضى ما كُتب فيها ولا نقر به . قال المطعم بن عدى : صدقنا وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها وتماماً كُتب فيها ! وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمرٌ قضى بليلى ، تشوور فيه بغير هذا المكان ! وأبو طالب جالسٌ في ناحية المسجد<sup>(٢)</sup> ، فقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم » . وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ، فشلت يده - فيما يزعمون .

(١) الجحون : مكان بمكة .

(٢) ط : « المجلس »

وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ السَّيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي طَالِبٍ :  
يَا عَمُّ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَطَ الْأَرْضَةَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ تَدْعُ فِيهَا اسْمًا لِلَّهِ إِلَّا أَثْبَتَتْهُ  
فِيهَا ، وَنَفَتِ الْقَطِيعَةَ وَالظُّلْمَ وَالْبَهْتَانَ . قَالَ : أَرُبُّكَ أَخْبَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ،  
قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ أَحَدٌ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ،  
إِنَّ ابْنَ أَخِي أَخْبَرَنِي بِكَذَابٍ وَكَذًا ، فَهَلُمَّ صَحِيفَتَكُمْ ، فَإِنْ كَانَتْ كَمَا قَالَ فَاتَّبِعُوا  
عَنْ قَطِيعَتِنَا ، وَإِنْ كَانَ كَذَا بَدَعْتُمْ إِلَيْكُمْ ابْنَ أَخِي . قَالَ الْقَوْمُ : رَضِينَا ؛  
فَتَمَاقَدُوا عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ نَظَرُوا فَإِذَا هِيَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
فَرَادَهُمْ ذَلِكَ شَرًّا .

وَلَمَّا مَزَقَتِ الصَّحِيفَةُ وَبَطَلَ مَا فِيهَا قَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ  
أَوْلَادِكَ الَّذِينَ قَامُوا فِي تَمْزِيقِهَا يَمْدَحُهُمْ عَلَى فِعَالِهِمْ :

أَلَا هَلْ أَتَى بِحَرْبِنَا صَنَعَ رَبِّنَا عَلَى نَائِبِهِمْ ، وَاللَّهِ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ<sup>(١)</sup>  
فِيخْبِرُهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مُزَقَتْ وَأَنَّ كُلُّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللَّهُ مَفْسَدٌ  
تَرَاوَحَهَا إِفْكٌ وَسِحْرٌ مَجْمَعٌ  
وَلَمْ يُبْلَفْ سِحْرٌ آخَرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ  
جَزَى اللَّهُ رَهْطًا بِالْحَجُونَ تَتَابَعُوا<sup>(٢)</sup>

عَلَى مَلَأَ يَهْدَى لِحْزَمٍ وَيُرْشِدُ  
قَمُودًا لَدَى حَطَمِ الْحَجُونَ كَأَتَمِهِمْ  
مَقَاوِلَةٌ ، بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَجْدُ

(١) ديوانه ٦٣ ، والبحري : المنسوب إلى البحر ، والمراد به هنا من هاجر إلى مكة من الصحابة . وأرود ، أي غالب على أمره يفعل ما يشاء .

(٢) حطم الحجون : اللوح الذي حطم منه .

أَعَانَ عَلَيْهَا كُلَّ صَقْرٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَامَشَى فِي رَفْرِفِ الدَّرْعِ أَحْرَدٌ<sup>(١)</sup>  
 جَرَى عَلَى جُلِّ الخُطُوبِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بَكَفِّي قَابِسٍ يَتَوَقَّدُ  
 مِنَ الأَكْرَمِينَ مِنْ لُؤْيِ بْنِ غَالِبٍ إِذَا سِيمَ حَسْفًا وَجْهَهُ يَتَرَبَّدُ  
 طَوِيلُ النِّجَادِ ، خَارِجُ نَصْفِ سَاقِهِ ، عَلَى وَجْهِهِ يُسْقَى الفِهَامُ وَيَسْمَدُ  
 عَظِيمُ الرَّمَادِ ، سَيِّدٌ وَابْنُ سَيِّدٍ

يَحُضُّ عَلَى مَقَرِّ الضِّيُوفِ وَيَحْشُدُ  
 وَيَبِينِي لِأَفْنَاءِ العَشِيرَةِ صَالِحًا إِذَا نَحْنُ طُنْفَنَا فِي البِلَادِ ، وَيَمَهِّدُ  
 أَلْظَّ بِهَذَا الضَّلْحِ كُلِّ مَبْرَأٍ عَظِيمِ اللَّوَاءِ ، أَمْرُهُ نَمَّ يُخَمِّدُ<sup>(٢)</sup>  
 قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لَيْلِهِمْ نَمَّ أَصْبَحُوا

عَلَى مَهَلٍ ، وَسَائِرُ النَّاسِ رُقَدُ  
 هُمْ رَجَعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءِ رَاضِيًا وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَتَمَجَّدُ  
 مَتَى شَرِكِ الأَقْوَامِ فِي جُلِّ أَمْرِنَا وَكُنَّا قَدِيمًا قَبْلَهَا تَمُودِدُ!  
 وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُفَرِّ ظُلَامَةً وَتَرَكْ مَا شُنْنَا وَلَا نَتَشَدَّدُ  
 فَيَالِ قُصَى هَلْ لَكُمْ فِي نَفُوسِكُمْ وَهَلْ لَكُمْ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ غَدُ أ  
 فَيَانِي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ لَدَيْكَ البَيَانُ لَوْ تَسَكَّلْتِ ، أَسْوَدُ<sup>(٣)</sup>

أَسْوَدُ : اسْمُ جَبَلٍ ، كَانَ قَدْ قُتِلَ فِيهِ قَتِيلٌ لَمْ يُعْرِفْ قَاتِلَهُ ، فَقَالَ أَوْلِيَاءُ  
 المَقْتُولِ هَذِهِ المَقَالَةُ ؛ يَمَعُونَ بِهَا أَنَّ الجَبَلَ لَوْ تَسَكَّلَ لِأَبَانِ عَنِ القَاتِلِ ، وَلَعَرَّفَ  
 بِالجَانِي ، وَسَكَّنَهُ لَا يَتَسَكَّلُ ؛ فَذَهَبَتْ مَقَالَتُهُمْ مَثَلًا .

\* \* \*

(١) الأحرود في الأصل : الذي و مشيه تناقل . (٢) أظ ، أي ألح .

(٣) أسود ، أي يأأسود ، حذف منه حرف التداء .

٣٩ - وقوله : وتاولتُ في بيعة العقبة .

هكذا قاله ابن زَيْدُون ، وهكذا أثبتته ابنُ بَسَّام عنه في «الذخيرة»  
وكذا نقلته من خطِّ ابنِ ظافرٍ رحمة الله ، في كتاب «نفائس الذخيرة» .

بيعاتُ العقبات ثلاث : الأولى خروجُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في  
الموسم الذي لقي فيه التفر من الأنصار ؛ يعرض نفسه على قبائل العرب ،  
وكانو رهطاً من الخُزرج ، أراد الله بهم خيراً ، فقال لهم : من أتم ؟ قالوا :  
نفرٌ من الخُزرج . قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : لا ، قال : أفلا تجلسون  
أكلهم ؟ قالوا : بلى ، فجالسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض  
عليهم الإسلام . فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله أنه النبي الذي كان توعدكم  
به اليهود ، فلا يسبقنكم إليه أحد ، فأجابوه وصدقوه . وقالوا له : إننا كنا  
تركنا قومنا ، ولا قومَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فإن يجمعهم الله  
عليك فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا  
وصدقوا ، وكانوا ستة نفرٍ من الخُزرج .

وأما العقبة الثانية ، فلما كان في العام القابلِ قديم مكة من الأنصار اثنا عشر  
رجلاً ، منهم خمسة من الستة الذين ذكروا أولاً ، فتلا عليهم آية النساء  
« لا تُشركوا به شيئاً » ، ثم قال : « ومن أوفى فأجره على الله ، ومن أصاب  
من ذلك شيئاً فعوقب به في هذه الدنيا ، فهو طهرٌ له - أو قال : أو كفارة -  
ومن أصاب من ذلك شيئاً فستر الله عليه فأمره إلى الله ؛ إن شاء غفر له  
وإن شاء عذبه » .

وأما العقبة الثالثة فإنه خرج من خرج من الأنصار المسلمين إلى الموسم مع  
حجاج قومهم من أهل الشرك ؛ حتى إذا قدموا مكة ، واعدوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم للعقبة ، من أوْسط أيام التشريق ، فلما مضى ثلث الليل  
اجتمعوا في الشعب ، وهم ثلاثة وتسمون رجلا وأمرأتان : أم عمارة<sup>(١)</sup> إحدى  
بنى مازن بن النجّار وأسما بنت عمرو بن عدى ، فجاءهم النبي صلى الله عليه  
وسلم ومعه العباس بن عبد المطلب — وهو على دين قومه إلا أنه أحب  
أن يظهر على أمر ابن أخيه ويتوثق له — فلما جلس كان أوّل متكلم ، فقال :  
يا معشر الخزرج ، إن محمداً منا حيث علمتم ، وقد مّنعناه من قومنا ممن هو  
على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا  
الأحياز إليكم والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه  
إليه ، وما نعوه ممن خالفه فأنتم وما تحمّلتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم  
مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة  
من قومه وبلده . فقالوا : قد سمعنا ما قلت ، فتكلّم يا رسول الله ، فخذ لنفسك  
ولربك ما أحببت . فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعا إلى  
الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : « أبايكم على أن تمنعوني مما تمنعون  
منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم » . فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال :  
والذي بعثك بالحق لتمنّعتك [مما تمنع]<sup>(٢)</sup> منه أزرنا . وبايعوا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم .

وقال أبو الهيثم بن التيهان : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال  
جبالاً ، وإنّا قاطعوها — يعني اليهود — فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ،  
ثم أظنرك الله ، أن ترجع إلى قومك وتدعنا ! فتبسم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ثم قال : « بل الدّم الدّم ، والهذم الهذم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب  
من حاربتكم ، وأسلم من سالمكم ، أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا ، يكونون

(١) في عمون الأثر : « هي نسيبة بنت كعب » .

(٢) تسكّلة ن م .

على قومهم بما فيهم» . فأخرجوا تسمه من الخزرج وثلاثة من الأوس .

ولما انتهت البيعة صرّح الشيطان من رأس العقبة : يا أهل الجباغب ، هل لكم في مذمم والصباة<sup>(١)</sup> معه ، قد أجمؤا على حرّ بكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أذب العقبة<sup>(٢)</sup> ، اتسمع أي عدو الله ! أما والله لأفرغنّ لك . فاستأذنه العباس بن عباد في القتال ، فقال : لم تؤمر بذلك . ولما قدموا المدينة أظهروا الإسلام .

فهذه بيعات العقبات الثلاث ، حدّثني بها شيخنا الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيّد الناس اليعمرى ، مختصراً من سيرته<sup>(٣)</sup> .

وأما أنا فلم أقف ممّا علمته على أنّ أحداً من أهل العلم بالسّير تأوّل في بيعة من البيعات ، أو صدر منه بعد المبايعه فصل يُخالف قوله ، ولم أعلم لقول ابن زيدون وجهاً فيما ذكره مع هذه الوقائع التي سردها ، وأشار إليها ، وما بقي إلا أن يُتأوّل كلامه ، فنقول : إنه لاشكّ أنّ الذي يضع يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبايعه على نصرته على عدوه ، والإيمان بما جاء به ، هذه أعظم درجات الإيمان ، فإذا ناقض بعد ذلك وخالف فعله قوله يكون قد أتى بأمر عظيم ، وخطأ كبيراً ، فكأنه قال : « أو تأولت بعد مبايعتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخالفت قولي بفعل ناقض ما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وهذا ولاشكّ من الكبائر الموبقات .

(١) الصباة : جمع صابئ ، وفق ابن هشام : « الصباء » .

(٢) أذب العقبة : اسم شيطان .

(٣) هي السيرة المعروفة بعيون الأثر ، نقل المؤلف عنها باختصار ، وانظر الجزء الأول

صفحة ١٥٥ وما بعدها .

٤٠ - وقوله : ونهزتُ إلى العيرِ ببدر .

يشيرُ بذلك إلى وَقْمَةِ بَدْرِ الكَبْرِى ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سمع أن أبا سفيان بن حربٍ مقبلٌ من الشام ، في عيرٍ لقريشٍ عظيمة ، فندب الناس وقال : هذه عيرُ قریش فيها أموالهم ، فأخروا إليها لعلَّ الله يُنفلَكُموها . فانندب الناس <sup>(١)</sup> ، وكان أبو سفيان لما دنا من الحجاز يتحصنُ الأخبارَ من الزُّكبان ، فأصابَ من بعضهم استنفار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس له ، فحذِر عند ذلك ، وأستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ليخبر قريشاً بذلك ، ويستنفرهم إلى أموالهم . فخرج ضمضم سريعا ، ولما أتى إلى مكة صرخ ببطن الوادي واقفا على بعيرٍ ، قد جدَّعه ، وحوَّل رَحْلَهُ وشقَّ قَيْصَهُ ، وهو يقول : يا معشرَ قریش ، اللطيمة اللطيمة <sup>(٢)</sup> ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمدٌ في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ؛ الغوث الغوث ! فتجهز الناسُ سراعا ، فكانوا بين رجلين ؛ إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلا ، ولم يتخلف من أشرف قريشٍ أحدٌ إلا أبو لُهب ، تخلف وبعث مكانه العاصم بن هشام بن المغيرة ، وأجمع أمية بن خلف على القمود - وكان شيخاً جليلاً - فأتاه عتبة بن أبي مميظ ، وهو جالس في المجلس بين ظهرائي قوميه وبجمره فيها نار ، فوضمها بين يديه ، وقال : يا أبا علي ، استجمر ، فإنما أنت من النساء ! فقال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به ! ثم تجهز وخرج مع الناس .

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ليالٍ مضت من شهر رمضان في أصحابه ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أبيض ، وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب رضی الله عنه ، والأخرى مع بعض الأنصار ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صمصمة ، أخا بني مازن بن الجهار . وكانت

(٢) اللطيمة : الإبل تحمل الطيب .

(١) انتدب الناس ، أي خوفوا للقتال .



راية الأنصار مع سعد بن مُعَاذٍ فِي قَوْلِ ابْنِ هِشَامٍ <sup>(١)</sup> ، فَلَمَّا كَانُوا قَرِيبًا مِنَ الصَّخْرَةِ  
بَعَثَ بَسْبَسَ بْنَ عَمْرٍو وَعَدِيَّ بْنَ أَبِي الرَّغْبَاءِ إِلَى بَدْرٍ يَتَحَصَّنَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ  
عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَغَيْرِهِ ، فَضَيًّا حَتَّى نَزَلَا بَدْرًا ، وَتَقَدَّمَ أَبُو سُفْيَانَ الْعَيْرَ حَذْرًا ،  
حَتَّى وَرَدَ الْمَاءَ ، فَأَخَذَ مِنْ أَمْبَارِ بَيْرِي بَسْبَسَ وَعَدِيَّ وَفَتَّهُ ، فَإِذَا فِيهِ النَّوَى ،  
فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَانِيٌ يَثْرِبُ ، فَأَسْرَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَضَرَبَ وَجْهَ عَيْرِهِ عَنِ  
الطَّرِيقِ وَسَاعَلَ بِهَا ، وَتَرَكَ بَدْرًا يَبْسَارُ .

ثُمَّ أُرْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَتَى وَادِيًا يُقَالُ لَهُ : ذَفِرَانُ ،  
فَجَزَعَ فِيهِ <sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ نَزَلَ . وَأَنَاهُ الْخَبْرُ عَنْ قُرَيْشٍ ، فَاخْتَبَرَ النَّاسَ وَاسْتَشَارَهُمْ .  
فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ وَأَحْسَنُ ، ثُمَّ قَامَ الْمُقَدَّادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ وَأَحْسَنُ ، ثُمَّ قَالَ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، امْضُ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ ، فَتَحْنُ مَعَكَ ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ بَنُو  
إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup>  
وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مَقَاتِلُونَ ، فَوَالَّذِي بِيَمْنِكَ بِالْحَقِّ  
نَبِيًّا لَوْ سِرْتُ بِنَا إِلَى بَرِّكَ الْغَمَادِ <sup>(٤)</sup> لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ . فَقَالَ لَهُ  
خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : سِيرُوا ، أَبْشُرُوا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي  
إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ .

ثُمَّ أُرْتَحَلَ مِنْ ذَفِرَانَ وَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ . وَلَمَّا أَمْسَى بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ  
أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَلْتَمِسُونَ الْخَبْرَ ،  
فَأَصَابُوا زَاوِيَةَ لُقْرَيْشٍ فِيهَا عَلَامَانِ لِبَعْضِهِمْ ، فَأَتَوْا بِهِمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَالسَّلَامُ ، فَقَالَ : أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَا : هُمُ وَرَاءَ الْكَثِيبِ الَّذِي  
تَرَى ، قَالَ : كَمْ الْقَوْمُ ؟ قَالَا : كَثِيرٌ . قَالَ : كَمْ عِدَّتُهُمْ ؟ قَالَا : لَا نَدْرِي ،  
قَالَ : كَمْ يَنْتَحِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ قَالَا : يَوْمًا تَسْمَعُ ، وَيَوْمًا عَشْرًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥١ .

(٢) جزع فيه ، أى قطعه .

(٣) سورة المائدة ٤٤ .

(٤) برك الغماد : موضع بناحية اليمن .

صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسمائة والألف ، ثم قال : من فيهم من أشرف قريش ؟ قالوا : عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر ، وطعيمة بن عدى ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، ونبيه ومنبه أبنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود . فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، وقال : « هذه مكة ، ألتقت إليكم أفلاذ كبدها » .

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز غيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرّجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدرا - وكان موسما للعرب - فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقي الحمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب بمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فأمضوا . وقال الأحنس بن شريق : يا بنى زهرة - وكان حليفا لهم - قد نجى الله أموالكم ، وخلّص لكم صاحبكم محرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه [ وماله ]<sup>(١)</sup> فأرجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة ، لا ما يقول هذا - يعنى أبا جهل - فرجعوا ، ولم يشهد بدرا زهري واحد . ولم يكن من قريش بطن إلا وقد نفر منهم ناس إلا بنى عدى بن كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد .

ورجع طالب بن أبي طالب إلى مكة مع من رجع ، ومضت قريش فنزلت بالمدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل<sup>(٢)</sup> ، والقنبل بيدر في المدوة الدنيا إلى المدينة . وبعث الله عز وجل السماء - وكان الوادي دهسا<sup>(٣)</sup> - فأصاب

(١) من سيرة ابن هشام .

(٢) العقنقل في الأصل : السكيب من الرمل .

(٣) الدهس : المكان اللين لم يبلغ أن يكون رملا .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لا تبذلهم الأرض ، ولم يمنعه من  
 التيسير ، وأصاب قريشا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه . فخرج رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يُبادرهم إلى الماء حتى إذا جاءوا إلى أدنى ماء من بدر نزل به .  
 فذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجوح الأنصاري قال : يا رسول الله ،  
 أرايت هذا المنزل ، أمزلا أمزلا أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ،  
 أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » .  
 قال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم ،  
 فننزل به ، ثم نمرور<sup>(١)</sup> ماعداه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا فتماؤه ماء ،  
 ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « لقد أشرت بالرأي » ، وانهض بمن معه من الناس ، ونزل على أدنى ماء  
 من القوم ، وأمر بالقلب فعورت ، وبني حوضا على القلب الذي نزل به .  
 وملىء ماء ، وقذفت فيه الآنية ، وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش ،  
 فكان فيه .

وأقبلت قريش حين أصبحت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 تصوب من الكئيب الذي جاءوا منه ، قال : « هذه قريش قد أقبلت  
 بحيلاتها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولاك ، اللهم فنصرك الذي  
 وعدتني به ، اللهم أحنيهم<sup>(٢)</sup> الغداة » !

ولما نزل الناس أقبل نفر من قريش فيهم حكيم بن حزام ، حتى وردوا  
 حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « دعوهم » . فما شرب منه أحد  
 يومئذ إلا قتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل ، ثم أسلم  
 وحسن إسلامه ، وكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجاني يوم بدر .

(١) نمرور ماوراء من القلب ، أى نفسدها ، والقلب : جم قليب ، وهو البئر .

(٢) أحنيهم : أهلكتهم ، من الحين وهو الهلاك .

ولما اطمان القوم بعموا عمير بن وهب الجعفي ، فقالوا : احزرنا لنا أصحاب محمد ، كم هم ؟ فدار بفروسه حول العسكر ، ثم رجّع فقال : إن القوم ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، ولكن رأيتُ يا معشر قريش البلايا تحمِلُ المنايا ، فواضح يثرب تحمِلُ الموتَ لنا<sup>(١)</sup> ، قوم ليس لهم ملكجأ ولا منعة إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتلَ رجلٌ منهم حتى يقتلَ منكم رجلاً منكم ، فإذا أصابوا بأعدادهم منكم فما خيرُ في التمشي بعد ذلك ! [فروا رأيكم] .

ولما سمع بذلك حكيمُ بن حزام ، أتى عُتبة وقال : يا أبا الوليد ، إنك كبيرُ قريش وسيدها والبطاع فيها ، هل لك إلى الآتِزالِ تُدكر فيها بخيرٍ إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذلك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالفاس وتحمل أمرَ حاميةك عمرؤ بن أخضرى . قال : قد فعلتُ ، أنت على بذلك ؛ إنما هو حامية في فمِّ عَقْلِهِ ، وما أصيبُ من ماله ؛ فأت ابنَ الخنظلية<sup>(٢)</sup> - بمعنى أبا جهل .

ثم قام عُتبة خطيباً فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنمون بأن تاتمو أحمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزالُ الرجلُ ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه ، قتلَ ابنَ عمه أو ابنَ خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا واخلوا بين محمد وسائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تتعرضوا منه لما تُريدون .

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رأى عُتبة في النوم على جمالٍ أحمر ، فقال : « إن يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحبِ الجمالِ الأحمر ، إن يُطيعوه يرشدوا » .

ثم انطلق حكيمُ بن حزام إلى أبي جهل ، فقال له ما قاله عُتبة ، فقال :

(١) البلايا : جم بلية ، وهى الافة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تملف ولا تسقى حتى تموت . والنواضح : الإبل التى يسقى عليها الماء .  
(٢) قال ابن هشام : « والخنظلية أم أبي جهل ، وهى أسماء بنت مخزبة ، أحد بنى نهشل بن دارم .

تَنفَخَ وَاللَّهُ سَحْرَهُ حِينَ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى يَحْكُمَ  
اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، وَمَا بَعَثَهُ مَا قَالُ ، وَلَكِنَّهُ قَدِ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ  
أَكَلَّةَ جَزُورٍ ، وَفِيهِمْ ابْنُهُ ، وَقَدْ تَخَوَّفَكُمْ عَلَيْهِ .

ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الْخَضْرَاءِيِّ قَالُ : هَذَا حَلِيفُكَ يَرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ  
بِالنَّاسِ ، وَقَدْ رَأَيْتَ ثَارَكَ بَعَيْنَيْكَ ، قُمْ فَاشْهَدْ خُفْرَتَكَ <sup>(١)</sup> وَمَقْتَلَ أُخِيكَ .  
فَقَامَ عَمْرُو بْنُ الْخَضْرَاءِيِّ ، ثُمَّ صَرَخَ : وَاعْمَرَاهُ ! وَاعْمَرَاهُ ! فَحَمِيَّتِ الْحَرْبُ .  
وَأَمَّا بَلْعُ عُبَيْدَةَ قَوْلِ أَبِي جَهْلٍ : « انْتَفَخَ وَاللَّهُ سَحْرَهُ » <sup>(٢)</sup> قَالُ : سَيَعْلَمُ  
مُصَفِّرُ اسْتِهِ ؛ مَنْ انْتَفَخَ سَحْرَهُ ؛ أَنَا أَمْ هُوَ !

وخرج الأسود بن عبد الأسد - وكان شرسا سيء الأخلاق -  
وقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أولأهدمنه ! أو لأموتن دونه ،  
فلما خرج خرج إليه حمزة ، فلما التقيا ضربه حمزة ، فأطن قدمه بنصف ساقه ،  
وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب <sup>(٣)</sup> رجله دما ، ثم حبا إلى  
الحوض يريد أن يبرئ بيمنه ، فأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

ثم خرج هذه عبدة بن ربيعة ، بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عبدة ،  
ودعا إلى المبارزة ، فخرج إليه من الأنصار عوف ومعوذ ابنا الحارث ، وعبد الله  
ابن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار ، قالوا : ما لنا بكم من  
حاجة ، ثم نادى منادهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عبدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، قم  
يا علي ، فلما دنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ فذسموا لهم ، فقالوا : نعم الأكفاء  
السكران . فبارز عبدة عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز علي الوليد .

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ،  
واختلف عبدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكرّ علي

(٢) السحر : البرنة وماحولها .

(١) الحفرة : العهد .

وحزرة بأسيا فيهما على عتبة ، فذفقا<sup>(١)</sup> عليه ، واحتملا صاحبهما ، فحازاه إلى أصحابه  
فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم ،  
وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم<sup>(٢)</sup> عنكم بالنبل ، ورسول الله يومئذ في  
العرش ومعه أبو بكر . وكان شعار رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحد  
أحد » ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي ربه ما وعده من النصر  
ويقول فيما يقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » ، وأبو بكر  
يقول : يانبي الله ، بعض مؤامدتك لربك ، فإن الله سيُنجز لك وعدك .

وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة<sup>(٣)</sup> وهو في العرش ، ثم  
انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر ربك ، هذا جبريل آخذ بعنان  
فرس يقوده ، على ثناباه النقع » - يريد الغبار .

وروي مخرج مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ، وكان أول قتيل  
من المسلمين ، ثم روي حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار ، وهو  
يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتله . وخرج رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إلى الناس يحرّضهم ، فقال : « والذي نفس محمد بيده لا يُقاتلهم  
اليوم رجل فيقتل صابرا محسبا مقبلا غير مذبر إلا أدخله الله الجنة » .  
فقال عمير بن الحمام - من بني سلمة - وفي يده تورات يأكلهن : بخ بخ !  
فأبيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من  
يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل حتى قُتل .

وقال عوف بن الحارث ، وهو ابن عقرأ : يارسول الله ما يُضحك الرب  
من عبده ؟ قال : « غمسه يده في المدوّ حاسرا » ، فنزع درعا كانت عليه  
فذفها ، وأخذ سيفه وقاتل حتى قُتل .

(١) ذفقا عليه : أجهزا .

(٢) انضحوهم : ادفعوهم .

(٣) خفق خفقة : نام نوما يسيرا .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفْنَةً من الخِصْبَاءِ ، فأستقبل بها قُرَيْشًا ثم قال : شاهدت الوجوه ، ثم نَفَحَهُمْ <sup>(١)</sup> بها ، وأمر أصحابه فقال : شدُّوا ، فكانت الهزيمة ، وجعل الله تلك الخِصْبَاءِ عَظِيمًا شَأْنُهَا ، لم تترك رجلا من المشركين إلا ملأت عينيه ، وأستولى عليهم المسلمون يُقتلونهم ويأسروهم ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسیر من أسیر أشرافهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني قد عرفت رجلا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتال ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله ، ومن لقي العباس عم رسول الله فلا يقتله ؛ فإنه إنما أخرج مُستكرهاً » .

فقال : حذيفة : أنقذت آباءنا وأبناءنا وإخواننا ، وعشيرتنا ونترك العباس ! والله لئن وجدته لألحمته <sup>(٢)</sup> السيف ؛ فبانت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر فقال : يا أبا حفص - قال عمر : وإنه لأوَّلُ يوم كُناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص - أضرِب وجه عم رسول الله بالسيف ! فقال عمر : دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ بِالسَّيْفِ ، فوالله لقد نَأَفَقَ . فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بأَمِينٍ مِنَ تِلْكَ السَّكَمَةِ الَّتِي قَلْتُ يَوْمَئِذٍ ، وَلَا أَزَالُ مِنْهَا خَائِفًا إِلَّا أَنْ تُكْفَرَهَا عَنِّي الشَّهَادَةُ ، فُقُتَ يَوْمَ الْيَاقَةِ شَهِيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقاتلت الملائكة يوم بدر ، ولم تُقاتل إلا فيه وفي يوم حنين ، وإِنَّمَا يَكُونُونَ عِدَاً وَمَدَدًا لِأَضْرِبُونَ . وكانت سيّام يوم بدر عمائم بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم . وفي يوم حنين عمائم حمراء . وفي حديث علي رضي الله عنه : « إن جبريل كانت عليه عمامة صفراء » . وقال بمض بني ساعدة بعد أن ذهب بصره ، وكان قد شهد بدرًا : لو كنت اليوم ببدر ، وبصرى

(٢) قال ابن هشام : « ويقال : لألحمته » .

(١) نفحهم بها : رماهم .

معى لأرئيتكم الشَّعبَ الَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ ، لِأَشْكَّ فِيهِ وَلَا أَتَمَارَى .  
ولمَّا فرغ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِدْوِهِ ، أَمَرَ بِأَبِي جَهْلٍ أَنْ  
يُلْتَمَسَ فِي الْقَتْلِ ، وَقَالَ : « أَنْظِرُوا - إِنْ خَفِيَ عَلَيْكُمْ - فِي الْقَتْلِ إِلَى أَنْتَرِ جُرْحٍ  
فِي رُكْبَتِهِ ؛ فَإِنِّي أُرَدِّهْتُ يَوْمًا أَنَا وَهُوَ عَلَى مَادُبَةٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ ،  
وَحَنِّ غِلَامَانٍ ، وَكَمْتُ أَسْنَ مِنْهُ بِيَسِيرٍ ، فِدْفَعْتُهُ ، فَوَقَعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَجُجِحَتْ  
إِخْدَاهُمَا جَحْشًا ؛ يَزَلُ أُنْرُهُ بِهِ .

قَالَ هُوَذَا بِنُ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ : جَعَلْتُ أَبَا جَهْلٍ مِنْ شَأْنِي ، فَقَصَدْتُ  
نَحْوَهُ ، وَحَمَلْتُ عَلَيْهِ ، وَضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً أَطْمَتَتْ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ ، فَضَرَبَ بَنِي  
أَبْنِهِ عِكْرَمَةَ عَلَى عَاتِقِي ، فَطَرَحَ يَدِي ، فَهَمَلْتُ بِجِلْدَةٍ مِنْ جَنِينِي ، وَأَجْمَحَضَنِي <sup>(١)</sup>  
الْقِتَالَ عَنْهُ ، فَلَمَّا قَاتَلْتُ عَامَّةَ يَوْمِي وَإِنِّي لِأَسْجُبُهَا ، فَلَمَّا آذَنَتْنِي وَضَعْتُ عَلَيْهَا  
قَدَمِي ، ثُمَّ تَمَطَّيْتُ بِهَا عَلَيْهَا حَتَّى طَرَحْتَهَا . وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ مُعَاذٌ إِلَى زَمَنِ عُمَانَ .  
وَمَرَّ مُعَاوِذُ بْنُ عُمَرَاءَ بِأَبِي جَهْلٍ وَهُوَ عَقِيرٌ ، فَضَرَبَهُ حَتَّى أَثْبَتَهُ وَتَرَكَه  
وَبِهِ رَمَقٌ <sup>(٢)</sup> ، وَقَاتَلَ مُعَاوِذٌ حَتَّى قُتِلَ . فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ بِأَبِي جَهْلٍ حِينَ  
أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْتِمَاسِهِ ، فَلَجِحِقَهُ بِأَخْرِ رَمَقٍ ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ  
عَلَى عُنُقِهِ ، وَقَالَ : أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا عِدْوَةَ اللَّهِ ! قَالَ : وَبِمَاذَا أَخْزَانِي ؟ أَخْبِرْنِي لِمَنِ  
الدَّائِرَةُ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، ثُمَّ جَزَّ رَأْسَهُ وَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى . وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَتْلِ  
أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلْبِ ، فَطَرَحُوا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أُمِّيَّةِ بْنِ خَلْفٍ ؛ فَإِنَّهُ  
انْتَفَخَ فِي دِرْعِهِ فَمَلَأَهَا ، فَذَهَبُوا لِیَجْرُّ كُوهُ ، فَزَايِلُ ، فَالْقُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحِجَارَةِ  
وَالْتَرَابِ مَاغْيِيهِ .

ثُمَّ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى الْقَلْبِ وَقَالَ : « يَا أَهْلَ  
الْقَلْبِ ، بئسَ عَشِيرَةٌ لِي كُنْتُمْ ! كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقْتَنِي النَّاسُ ، وَأَخْرَجْتُمُونِي

(١) أجمحضى : غلبى (٢) الرمق : بقية الحياة .



وَأَوَانِي النَّاسِ ، وَقَاتَلْتُمُونِي وَنَصَرْتَنِي النَّاسَ . يَا أَهْلَ الْقَلْبِيبِ ، هَلْ وَجَدْتُمْ  
مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ، فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ! » .

فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُكَلِّمُ قَوْمًا مَوْتَى ؟ فَقَالَ لَهُمْ : لَقَدْ  
عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمْ رَبُّهُمْ حَقٌّ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ قَالَ : مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَسْ كُنْتُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ  
أَنْ يُجِيبُونِي .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ (١) :

عَرَفْتُ دِيَارَ رَبِيبٍ بِالْكَيْبِ	كَخَطِّ الْوَحْيِ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ (٢)
تَدَاوَلَهَا الرِّيحُ وَكَلَّتْ جَوْنِ	مِنَ الْوَسْمِيِّ مُنْهَرِ سَكُوبِ (٣)
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلْقًا وَأَمْسَتْ	يَبَابًا بَعْدَ سَاكِنِهَا الْحَيْبِ
فَدَعَّ عَنْكَ التَّدَاكُرَ كُلَّ يَوْمٍ	وَرَدَّ حَرَارَةَ الصَّدْرِ الْكَيْبِ
وَخَبَّرَ بِالَّذِي لِأَعْيَبِ فِيهِ	بِصَدَقِ غَيْرِ أَخْبَارِ الْكُفُوبِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِكُ غَدَاةَ بَدْرِ	لِنَافِي الْمَشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حَرَاءُ	بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الْفُرُوبِ
فَلَا قَيْنَاهُمْ مِمَّا بَجَمْعِ	كَأَسَدِ الْقَابِ مُرْدَانِ وَشَيْبِ
أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ آزَرُوهُ	عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي لَفْحِ الْخُرُوبِ
بَأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتِ	وَكَلُّ مَجْرَبٍ مَاضِي الْكُفُوبِ (٤)
بَنُو الْأَوْسِ الْفَطَارِفِ وَأَزَرَتْهَا	بَنُو النَّجَارِ فِي الدِّينِ الصَّلِيبِ
فَقَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيحًا	وَعُتْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ (٥)
وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا فِي رَجَالِ	ذَوِي نَسَبٍ إِذَا نُسِبُوا حَسِيبِ

(١) ديوانه ١٤ (٢) الكئيب : القطعة من الرمل . والوحى : الكتابة .

(٣) الوسمي : مطر الربيع ، والجون : السحاب الأسود .

(٤) الديوان : «فاطى الكعوب» ، أى أن كعوبه غليظة صلبة .

(٥) الجبوب : الأرض الغليظة .

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَدَفْنَاكُمْ كِبَاكِبَ فِي الْقَلْبِيبِ<sup>(١)</sup>  
 أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا وَأَمَرَ اللَّهُ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ  
 فَمَا نَطَقُوا ، وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا صَدَقْتَ وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبٍ  
 وَذَكَرَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ فِي دَلَالِهِ ، أَنَّ قَرِيشًا لَمَّا تَوَجَّهَتْ لِبَدْرٍ ، مَرَّهَا تَيْفٌ  
 مِنَ الْجِنِّ عَلَى مَسَكَّةَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَوْعَدَ بِهِمُ الْمَسْمُونِ ، وَهُوَ يُنْشِدُ بِأَنْفِهِ  
 صَوْتٌ لَا يُرَى شَخْصُهُ :

أَرَادَ الْخَنِيفِيُّونَ بَدْرًا وَقِيمَةً سَيُنْقِضُ مِنْهَا كُنْ كَيْسَرِي وَقَيْصَرًا  
 أَبَادَتْ رَجَالًا مِنْ لُؤْيٍ وَأَبْرَزَتْ خِرَائِدَ قَصْرِ بَيْنَ التَّرَائِبِ حُسْرًا  
 فَيَا وَبَيْحَ مَنْ أَمْسَى عَدُوًّا مُحَمَّدٍ لَقَدْ حَادَ عَنْ قَصْدِ الْمُدَى وَتَجَبَّرَا

فَقَالَ قَائِلُهُمْ : مَنْ الْخَنِيفِيُّونَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى  
 دِينِ إِبْرَاهِيمَ الْخَنِيفِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جَاءَهُمُ الْخَبْرُ الْيَقِينُ .

وَقَالَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَشْعَارًا كَثِيرَةً فِي يَوْمِ بَدْرٍ ، مِنْهُمْ حَمزةُ بْنُ  
 عَبْدِ الْمَطَّلِبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَكُتَيْبُ بْنُ مَالِكٍ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ ، وَضَرَارُ  
 ابْنُ الْأَخْطَابِ الْفِهْرِيُّ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَعُجَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ .  
 وَكَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ،  
 سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ .

وَفِي الْأَثَلِ : « لَا فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ » ، أَوَّلَ مَنْ قَالَهُ أَبُو سَفْيَانَ لِبَنِي  
 زُهْرَةَ ، لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى مَكَّةَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، فَلَقِيَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ : يَا بَنِي زُهْرَةَ  
 أَنْتُمْ لَا فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ ، فَأَرْسَلَهَا مَمْلًا .

وَتَلَاخَى يَوْمًا خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فِي قِصَّةٍ  
 فِيهَا طَوْلٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ لَخَالِدٍ : اسْكُتْ ، فَوَاللَّهِ مَا تَقَدَّمَ لَا فِي

(١) كِبَاكِبَ : جَمْعُ كِبْكِبَةٍ ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ .

العير ولا في النفير ، فقال خالد لعبد الملك : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل على الوليد وقال : وَيَحْكَمْ ! مَنْ فِي الْعَيْرِ وَالنَّفِيرِ غَيْرِ جَدِّي أَبِي سَفِيَانَ صَاحِبِ الْعَيْرِ ، وَجَدِّي صَاحِبِ النَّفِيرِ عُثْمَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، فَهَذَا الْمَثَلُ نَحْنُ أَصْلُهُ مِنَ الْجَانِبِينَ ، وَلَكِنْ لَوْ قُلْتُ : غَنِيَاتٌ وَحَبِيلَاتٌ وَالطَّائِفُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ عُمَانَ ، لَقُلْنَا : صَدَقْتَ .

قلت : يشير بذلك إلى الحُكْمِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَدَهُ إِلَى الطَّائِفِ ، فَكَانَ هُنَاكَ يَرَعَى غُنِيَاتٍ ، وَيَأْوِي إِلَى حَبَلَةٍ - وَهِيَ الْكِرْمَةُ - وَأَنَّ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَدَّ الْحُكْمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ . وَشِبْهُ هَذَا الْمَثَلِ قَوْلُهُمْ : لَافِي أَسْفَلَ الْقَدْرِ وَلَا فِي أَعْلَاهَا .

وَذَكَرْتُهَا بِيَتَيْنِ فِي مَلِيحِ بَجَالٍ :

أَحْبَبْتُ بَجَالًا كَبَدْرِ الدَّجِيِّ بِقَوْلِ لَمَّا عَادَ عَنْهُ الصَّفِيرُ  
لَا تَنْتَسِبُ يَوْمًا إِلَى عَشْقَتِي مَا أَنْتَ فِي الْعَيْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ  
وَكَانَ أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ يُحَرِّضُ قَرِيشًا بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، وَكَانَ يَرْتِي مِنْ قَتْلِ مَنْ قَرِيشٍ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

مَاذَا بَبَدْرٍ وَالْمَقْنَقِلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَعَّاجِجٍ (١)  
وَهِيَ قَصِيدَةٌ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَوَاتِبِهَا .

\* \* \*

٤١ - وَقَوْلُهُ : وَانْمَخَزَلْتُ بَشَلْتِ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ .

يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا رَجَعَ مِنْ بَدْرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ قَتَلَ الْمُشْرِكِينَ وَأَبُو سَفِيَانَ إِلَى مَكَّةَ ، فِي رَجَالٍ مِمَّنْ أَصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ

بدر ، كتموا أبا سفيان في ذلك ، وقالوا لمن كانت له تجارة في تلك العير : إن محمداً قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينوا بهذا المال على حربته ، لعلنا ندرِك ثأرنا بمن أصاب منا .

فوافقهم على ذلك وقالوا : نحن قد طابت نفوسنا بأن تُجهزوا بربح هذا العير جيشاً إلى محمد - وكانت ألف بعير ، وخمسين ألف ديناراً - فتسلم أهل العير رهوس أموالهم ، وأخرجوا أربابهم ، وكانوا يربحون في تجارتهم في كل دينار ديناراً ، وحزوا لذلك من أطاعهم من القبائل ، وخرجوا بخدمهم وعبيدهم وأحاديثهم ، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا بالظعن التماس الحفيظة<sup>(١)</sup> . وألاً يفرّوا .

ولما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في منابه بقرأً يذبح ، ورأى في ذباب سيفه تلمأ ، وأنه أدخل يده في درع حصينة ؛ فأولها أن البقر جماعة من أصحابه يُقتلون ، والتلم رجل من أهل بيته يُقتل ، والدرع الحصينة المدينة . فقص ذلك على أصحابه ، وذكر التأويل لهم ، وقال : « فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها » . وكان رأي عبد الله بن أبي موافقاً لرأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رجال من المسلمين ممن فاته يوم بدر : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أننا جئنا عنهم وضعفنا . فقال عبد الله ابن أبي : يا رسول الله ، أقم بالمدينة ولا تخرج منها ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه .

ولم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لأمته ، وذلك بعد فراغه من صلاة الجمعة ، وخرج الناس وقد ندموا ، وقالوا : يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فأقم ، فقال

(١) الظعن : جمع ظعينة ؛ وهي المرأة في الهودج . والحفيظة : الأثفة والغضب .

صلى الله عليه وسلم : « ليس للنبي إذا ليس لأُمَّته <sup>(١)</sup> أن يَصْعَها حتى يُقاتل » .  
 نخرج في ألف من أصحابه ، حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد ، انخزل عنه عبد الله  
 ابن أبي بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندري علامَ نقتل أنفسنا  
 هاهنا أيها الناس ! ورجع عن أتبعه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله  
 ابن عمرو بن حرام يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألا تتخذوا قومكم وبنيتكم  
 عند من حضر من عدوهم ! قالوا : لو نعلم أنك تقاتلون لما أسلمناكم ، وأبوا  
 عليه ، واستعصوا ، فقال : أبعدكم الله ؛ أعداء الله ، فسيُفني الله نبيّه عنكم !  
 ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرة بنى حارثة ، فذب  
 فرس بذنبه <sup>(٢)</sup> فأصاب كلاب سيف استله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « شِمَّ سيفك ؛ فإني أرى السيوف ستسئل اليوم » .

وتقبلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة رجل ،  
 وأمر على الرماة عبد الله بن جبير ، أخا بني عمرو بن عوف ، وهو معلم  
 يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً ، فقال : انضح <sup>(٣)</sup> الخيل عفا  
 بالتبل ، لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، أثبت مكانك لا تؤتينا  
 من قبلك . وظاهر <sup>(٤)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ، ودفع اللواء  
 إلى مصعب بن عمير أخى عبد الدار .

وتعميات قريش وهم على ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها <sup>(٥)</sup> ، وخالد  
 ابن الوليد على ميمنة الخيل ؛ وعلى الليسرة عكرمة بن أبي جهل ؛ وقاتل

(١) اللامة : الدرع

(٢) ذب فرس بذنبه : حرك ذنبه ليطير عنه الدباب .

(٣) انضحوا الخيل : اذفعوهم

(٤) ظاهر بين درعين : لبس درعا فوق درع .

(٥) جنبوها : نادوها .

الناس، حتى حَمِيَّتِ الحرب . وقاتل حمزةُ عمَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قتالا شديداً في ذلك اليوم، وكان جُبَيْرُ بنُ مُطِئِمٍ قد وعد غلامه وَحْشِيًّا بِالْمَتَّقِ إن قتل حمزة . قال وَحْشِيٌّ: فخرجتُ مع الناس - وكنت رجلاً حَبَشِيًّا؛ أَفْذِفَ الحَزْبَةَ قَذِفَ الحَبَشَةَ قَلَمًا أَخْطَى - فلما التقى الناسُ خرجتُ أنظر حمزة حتى رأيتُه في عُرْضِ الناسِ مِثْلَ الجَمَلِ الأورْقِ؛ يهدد الناسَ بِسَيْفِهِ<sup>(١)</sup> هَدًّا؛ ما يقومُ له شيء؛ فجَهِمَاتُ أُسْتَبْرَ منه بِشَجَرٍ أو حَجَرٍ؛ حتى مرَّ عليَّ، فَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حتى إذا رَضِيتُ منها قد قُتِلَتْهَا فوَقَعْتُ في ثُدَّتِهِ حتى خرجتُ من بين رِجْلِهِ . ثمَّ إنَّ وَحْشِيًّا أسلمَ فيما بعدُ؛ فقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إسلامه بعدما حدثته كيف قُتِلَ عمُّه، فقال: وَيْحَكَ! غَيْبٌ وَجْهَكَ عَنِّي . وكان وَحْشِيٌّ بموضع لا يراه إلى أن قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ ثمَّ إنَّه قُتِلَ مُسْلِمَةً بِحَرْبَتِهِ تلك، وكان يقول: قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ وَشَرَّ النَّاسِ، بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . وقاتل مُصَعبُ بنُ عُمَيْرٍ دونَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِلَ، فأخذ الراية رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ودفعها إلى عليِّ بنِ أبي طالب . وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأَنْصَارِ، واشتدَّتْ الحربُ، وأنزلَ اللهُ نصره على المُسْلِمِينَ، وصدَّقَهُم وَعَدَّهُ، بعد ما حَمَلَتْ خَيْلُ المُشْرِكِينَ على المُسْلِمِينَ ثلاثَ مَرَّاتٍ . ولما أبصر الرُّمَاءُ الحَمْسُونَ أنَّ الله قد فَتَحَ لإخوانهم قالوا: والله ما نجلسُ هُنَا، قد أَهْلَكَ اللهُ المَدْرَّ، وإخواننا في عسْكَرِ المُشْرِكِينَ! فَتَرَكُوا مَفَارِجَهُمُ الَّتِي عَاهَدُوا إِلَيْهِمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأَّ يتركوها وتنازَعُوا وَفَشِلُوا، وعصوا الرَّسُولَ، فأوجِفَتْ الخَيْلُ فِيهِمْ قَتْلًا، ولم تكن تقال منهم، وكان ذلك سبباً لهزيمة المُسْلِمِينَ بعد أن كانت لهم، وصَرَخَ صَارِخٌ: الأَّ إنَّ مُحَمَّدًا قد قُتِلَ، وكان الصَارِخُ الشَّيْطَانُ، وَخَلَصَ العَدُوُّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وقُدِفَ بالحجارة حتى وَقَعَ لِسِقِّهِ، فأصِيبَتْ رِباعِيته

(١) يهدد الناس: يهلكهم .

وَكَلِمَتِ شَفَّتُهُ ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ ، وَجَمَلُ الدَّمِ يُسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ ؛ فَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ الدَّمَ بِيَدَيْهِ وَيَقُولُ : « كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِدَمِهِ ! ؛ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ » ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١) .

وَكَانَ الَّذِي جَرَّحَ شَفَّتَهُ ؛ وَكَسَرَ رِبَاعِيَّتَهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ . وَشَجَّهَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَهَابِ الزُّهْرِيُّ فِي وَجْهِهِ ، وَجَرَّحَ ابْنَ قُمَيْتَةَ وَجَنَّتَهُ ؛ فَدَخَلَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حَلَقِ الْمَغْفَرِ فِي وَجَنَّتِهِ ؛ وَوَقَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَفْرَةٍ مِنْ الْخُفْرِ الَّتِي عَمَلَهَا أَبُو عَامِرٍ لِيَقَعَ فِيهَا الْمَسْلُومُونَ . فَأَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِيَدِهِ وَرَفَعَهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ حَتَّى اسْتَوَى قَائِمًا . وَمَصَّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ وَالِدُ أَبِي سَمِيْعٍ الْخُدْرِيُّ الدَّمَ مِنْ وَجْهِهِ ثُمَّ اذْدَرَدَهُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ خَالَطَ دَمِي لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ » . وَنَزَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِحْدَى الْحَلَقَتَيْنِ مِنْ وَجْهِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَقَطَتْ نَثِيئَتُهُ . ثُمَّ نَزَعَ الْأُخْرَى فَسَقَطَتْ نَثِيئَتُهَا الْأُخْرَى .

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا حَرَصْتُ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ قَطُّ حَرَصِي عَلَى قَتْلِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ - وَهُوَ أَخُوهُ . وَلَمَّا غَشِيَهُ الْقَوْمُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ رَجُلٍ يَشْتَرِي لِنَا نَفْسَهُ ؟ » ، فَقَامَ زِيَادُ بْنُ السَّكَنِ فِي خَمْسَةِ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عِمَارَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ - فَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا بَعْدَ رَجُلٍ ، يُقَاتِلُونَ دُونَهُ حَتَّى كَانِ آخِرُهُمْ زِيَادٌ أَوْ عِمَارَةُ ؛ فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْمَخَتْهُ الْجِرَاحَةُ . ثُمَّ فَاتَتْ (٢) فِتْنَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَجْهَضُوهُمْ (٣) عَنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَدْنُوهُ مِنِّي » . فَوَسَدَتْ قَدَمُهُ ، فَمَاتَ وَخَذَهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَتَرَسَمَ

(١) آل عمران ١٢٨ (٢) فاءت : رجعت (٣) أجهضوهم : أزالوهم .

أبو دُجَانَةَ الأَنْصَارِيُّ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقَعُ النَّبِيلُ فِي ظَهْرِهِ  
وَهُوَ مُنْعَنٌ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبِيلُ .

وَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ قَوْسِهِ ، حَتَّى انْدَقَتْ  
سَيْبَتُهَا ، وَأَصِيبَتْ يَوْمئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
بَعْدَ أَنْ سَالَتْ عَلَى خَدِّهِ ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَنْظَرَاهَا ، وَجُرِحَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ  
ابْنُ عَوْفٍ عَشْرُونَ جِرَاحَةً ، وَهَشِمَ فَمَهُ .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ ، وَتَحَدَّثَ  
النَّاسُ بِأَنَّهُ قَدْ قُتِلَ ، كَذَبَ بَنُ مَالِكِ الأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : عَرَفْتُهُ بِعَيْنَيْهِ تَزْهَرَانِ <sup>(١)</sup>  
تَحْتَ الْمَغْفَرِ ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ! فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَنْصِتَ وَلَمَّا عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ نَهَضُوا بِهِ ، وَنَهَضَ مَعَهُمْ نَحْوُ  
الشَّعْبِ ، مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَالْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ وَرَهْطٌ  
مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَأَمَّا أَسْمَدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّعْبِ ، أَدْرَكَهُ  
أَبِي بَنُ خَلْفٍ وَهُوَ يَقُولُ : أَيْنَ مُحَمَّدٌ ؟ لَانَجُوتُ إِنْ نَجَا ! فَقَالَ الْقَوْمُ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبْعَاطُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا ؟ فَقَالَ : دَعُوهُ ، فَلَمَّا دَنَا تَنَاوَلَ رَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُرْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَّةِ ، وَانْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً  
تَطَايَرُ عَنْهُ النَّاسُ تَطَايُرَ الشَّعْرَاءِ <sup>(٢)</sup> عَنِ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ  
بِهَا فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَاعَى مِنْهَا عَن فَرْسِهِ . وَكَانَ أَبِي يُبَلِّغُنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، عِنْدِي فَرَسٌ أُغْلِقُهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا <sup>(٣)</sup>  
مِنَ ذُرَّةِ أَقْتَمِكَ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلِ أَنَا أَقْتَمُكَ عَلَيْهِ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

فَلَمَّا رَجِعَ إِلَى قَرِيشٍ وَقَدْ خُدِشَ فِي عُنُقِهِ خَدَشًا غَيْرَ كَبِيرٍ ، فَقَالَ : قَتَلَنِي  
مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ لَهُ : ذَهَبَ وَاللَّهِ فَوَادِكَ ، وَاللَّهِ مَا بَكَتُ مِنْ بَأْسٍ ، قَالَ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ

(١) تزهران : تضيئان

(٢) الشعراء : ذباب له لدغ .

(٣) الفرق : نوع من السكايل .



قال لي بركة : أبا أفتأتك فوالله لو بصق علي لقتتاني ، فمات بسرف<sup>(١)</sup> وهم قافلون به . وعانت عالية من قريش ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني لا ينفي لهم أن يقاتلونا ، فقاتل عمرُ ورهطُ من المهاجرين حتى أهبطوهم ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ قاعداً من الجراحة ، وصلى المسلمون خلفه فهدوا .

وفي الصحيح من حديث البراء ، أن أبا سفيان قال : إن لنا العز ولا عز لكم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجيئوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : « الله مولانا ولا مولى لكم » .

وفيه أيضاً أن أبا سفيان أشرف فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال : أفي القوم ابنُ أبي قحافة ؟ قال : لا تجيبوه . قال : أفي القوم ابنُ الخطاب ؟ فلام يجهه أحد قال : إن هؤلاء قد قتلوا ، ولو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمرُ نفسه ، فقال : كذبت يا عدو الله ، قد أبقى لك ما يخزيك ، فقال أبو سفيان : هلم إلي يا عمر ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : آتِه فانظر ما شأنه ، فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ! قتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإني يسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندي من ابن قتيبة وأبر .

وأنصرف أبو سفيان ومن معه ، وقال : موعدكم بدر للعام القابل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل : نعم ، هو بيننا وبينك موعد » . وتوجه المشركون إلى مكة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة في القتلى ، فوجده ببطن الوادي ، قد بقر بطنه عن كبده ، وجدع أنفه وأذناه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

صفية ، وتكون سنة من بعدى ، لركته حتى يكون فى بطون السماع  
 وحواصل الطير ، وائن أظهر فى الله على قریش فى موطن من المواطن لأمتان  
 بثلاثين رجلا منهم » ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فاعقبوا بمثل  
 ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خیر للصّابرين \* واصبر وما صبرك إلا بالله  
 ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ﴾ (١) .

فمما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصبر ونهى عن المثلة ، ثم أمر به  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجى بئر حبرية ، ثم صلى عليه ، فكبر سبع  
 تكبيرات . ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى جنب حمزة ، وصلى عليهم وعليهم معهم ،  
 حتى صلى اثنتين وسبعين صلاة .

وأنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة راجعا ، وكان يوم  
 أحد يوم السبت النصف من شوال ، سنة ثلاث من الهجرة ، وكان مما أنزل  
 الله عز وجل من القرآن فى شأن أحد ستون آية من آل عمران ، فى طاعة من  
 أطاع ونفاق من نافق وصفته . واستشهد من المسلمين فى يوم أحد من  
 المهاجرين أربعة ، ومن الأنصار أحد وستون رجلا ، وقتل من المشركين  
 اثنان وعشرون رجلا .

وقال حسّان بن ثابت يجب عبد الله بن الزبيرى عن كلمة قالها يومئذ ،  
 وهو مشرك قبل إسلامه :

أشافتك من أمّ الوليد ربوع	بلاقع ما من أهلين جميع (٢)
عفاهن صيفى الرياح وواكف (٣)	من الدلو رجاف السحاب هموع (٤)
فلم يبق إلا موقد النار حوله	رواكد أمثال الحمام كنوع (٥)

(٢) ديوانه ٢٥٧ .

(٤) الدلوها : برج من بروج السماء .

(١) سورة النحل ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الديوان : صيفى الربيع .

(٥) الديوان : « وقوع » .

فَدَعُ ذَكَرَ دَارٍ بَدَدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا      نَوَى فَرَقَتْ بَيْنَ الْجَمِيعِ قَطْوَعُ  
وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمًا بِأَحَدٍ يَمُدُّهُ      سَمِيَهُ فَإِنَّ الْحَقَّ سَوْفَ بِشَمِيعُ  
فَقَدْ صَابَرَتْ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كَلِمَهُ

وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعُ  
وَحَامِي بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَصَابَرُوا (١)  
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَخْذُلُونَهُ  
لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعُ (٢)  
وَلَا يَسْتَوِي عَبْدٌ عَصَا وَمُضِيعُ (٣)  
فَلَا بَدَّ أَنْ يَرْدَى لَهُنَّ صَرِيعُ (٤)  
كَأَنَّ غَادِرَتَ فِي النَّقْعِ عَقِبَةٌ ثَاوِيَا (٥)  
وَقَدْ غَادِرَتَ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ مُسْنَدًا  
بِكَفِّ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى تَلْفُفَتْ  
أُولَئِكَ قَوْمٌ سَادَةٌ مِنْ فُرُوعِكُمْ  
بَيْنَ يَمِينِ اللَّهِ حِينَ يُعِزَّنَا  
فَإِنْ تَذَكَّرُوا الْقَتْلَى وَحِمْرَةَ فِيهِمْ  
فَإِنَّ جَنَابَ الْخُلْدِ مَنْزِلَةٌ لَهُ  
وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ (٦)  
وَسَمِعُوا صَرِيحًا وَالْوَشِيحُ شُرُوعُ (٧)  
أَبِيَا وَقَدْ بَلَ الْقَمِيصَ نَجِيعُ (٨)  
عَلَى الْقَوْمِ تَمَّا قَدْ يُبْزَنُ نَقْوَعُ  
وَفِي كُلِّ قَوْمٍ سَادَةٌ وَفُرُوعُ  
وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ يَأْسَخِينُ فَطَطِيعُ  
فَتَمِيلُ نَوَى لِلَّهِ وَهُوَ مُطِيعُ  
وَأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيعُ  
حَمِيمٌ مَعًا فِي جَوْفِهَا وَضَرِيعُ (٩)

\*\*\*

(١) الديوان : « وضاربوا » . (٢) الديوان : « سخين » ، أصله سخينة ، والسخينة : حساء يتخذ من دقيق وتمر ، وكانت قريش تكثر من أكلها ، فسميت به على طريق الزبر .  
(٣) حش الوغى : اشتد وقوى . (٤) الديوان : « عثمان ثاويًا » .  
(٥) الوشيح : الرماح ، وشروع : مائلة للطنن . (٦) العجاجة : العبرة . والنجيع : الدم .  
(٧) الحميم : الحار . والضريع : نبت بالحجاز ذو شوك .

٤٢ - وقوله : وتخلّفتُ عن صلاةِ العَصْرِ في بنى قريظة .

يشيرُ بذلك إلى مَنْ تخلّف عن صلاةِ العَصْرِ في بنى قريظة ، لأنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما انصرفَ عن أخذِ دق راجعا إلى المدينة ، والمسلمون معهم وقد عَصَهُم الحِصَار ، ورجعوا مجهودين ، فوضعوا السّلاح ، فلما كان وقت الظّهر أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم معجِزا بهامةٍ من إِسْتَبْرَق<sup>(١)</sup> ، على بظلةٍ عليها رِحالَةٌ ، وعليها قِطِيفَةٌ من ديباج ، فقال : غفّر الله لك ، أو قد وضعتَ السّلاحَ يا رسولَ الله ؟ قال : نعم ، قال جبريل : فما وضعتَ اللاتسكةَ السّلاحَ بعد ، وما رجعتُ الآنَ إلّا من طلبِ القوم ، إنّ الله بأمرِك ، يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة .

فقدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بنِ أبي طالب - كرّم الله وجهه - برايته إلى بنى قريظة ، وأبتدّرها الناسُ ، فسار على رضى الله عنه حتى إذا دنا من الحصون ، سمع منها مقالةً قبيحةً على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يا رسولَ الله ، لا عليك ألا تدنؤن من هؤلاء الأخابث . قال : « لم ؟ أظنك سمعت لى منهم أذى ؟ » قال : نعم ، قال : « لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا » . ولما دنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : « يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نِقْمَةً ؟ » قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جَهولا .

ومرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنهرٍ من أصحابه في طريقه قبل أن يصل إلى بنى قريظة ، فقال : « هل مرّ بكم أحدٌ ؟ » قالوا : يا رسولَ الله ، مرّ بنا

(١) الاعتبار : أن يعمم الرجل دون أن يلحق ، أى من غير أن يضم من عمامته شيئا تحت لحيته . والإستبرق : نوع من الحرير .

دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ عَلَى بَقْلَةٍ بَيْضَاءَ عَلَيْهَا رِحَالُهُ ، وَعَلَيْهَا قَطِيفَةٌ مِنْ دِيْبَاجٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَلِكَ جِبْرِيْلُ ، يُبْعَثُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يُزَلِّزُ بِهِمْ حَصُونَتَهُمْ ، وَيَقْدِفُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ » .

وَتَلَاَحَقَ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ لَمْ يُصَلُّوا الْعَصْرَ ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَصَلِّتَيْنِ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » ، فَصَلُّوا الْعَصْرَ بِهَا مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، فَمَا عَابَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ ، وَلَا عَنَّفَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقِيلَ : إِنَّ الْعَصْرَ أَدْرَكَتْ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، فَصَلَّاهَا بِبَعْضِهِمْ ، وَلَمْ يَصَلِّهَا بِبَعْضِهِمْ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ بَعْدَ أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ ، وَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يُعْنَفْ أَحَدًا مِنَ الطَّائِفِينَ .

وَحَاصِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي قُرَيْظَةَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً حَتَّى جَهِدَهُمُ الْحِصَارَ ، وَقَدْ قُدِّفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ . ثُمَّ لَأَنَّهُمْ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَحْرَزُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

### ٤٣ - وقوله : وَجِئْتُ بِالْإِفْكِ عَلَى عَائِشَةَ الصَّدِيقِيَّةِ

يشير بذلك إلى واقعة الإفك على عائشة رضي الله عنها ، وكان من أمرها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقبل من غزوة بني المصطلق حتى إذا كان قريباً من المدينة ، قال أهل الإفك في الصديقية المطهرة البرة ما قالوا .  
وحدث عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد السفر أفرغ بين نسائه ، فأتيتهنَّ خرجَ سَهْمُهُنَّ خَرَجَ بِهَا مَعَهُ ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ خَرَجَ سَهْمِيَّ عَلَيَّ مَعَهُ ، فَخَرَجَ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٢٥٢

وسلم ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً ؛ إنما يأكلن العلق<sup>(١)</sup> ، لم يهيجهن اللحم فيمقن . وكنت إذا رُحِل لي بهيرى جلست في هودجى ، ثم أتى القوم ويحملونى ؛ يأخذون بأسفل الهودج ويرفمونه ، وبضمونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير وينطلقون به . فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجه قاهلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فأرتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتى ، وفي عنقى عهدلى فيه جزع ظفارى ، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقى فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذى ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم الذين كانوا يرحلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أننى فيه كما كنت أصنع ، فاحتلموه وشدوه على البعير ، ولم يشكوا أنى فيه . ثم أخذوا برأس البعير وأنطلقوا به ، ورجعت إلى المعسكر وما فيه من داعٍ ولا محيب . فتلافقت بجبابي ، ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو أفتقدت لرجع إلى . فوالله إنى لمضطجعة إذ مررت بى صفوان بن المعطل السامى . وكان قد تخلف عن المعسكر لبعض حاجاته ، فلم يبيت مع الناس - فرأى سوادى ، فأقبل حتى رقف على ، وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! طعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأنا متلذذة في ثيابى . ثم قال : ما خلفك ، رحمك الله ! قالت : فما كلمته ، فترب البعير ثم قال : اركبى ، واستأخر عنى فركبت ، وأخذ برأس البعير وأنطلق سريعا يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، ولا أفتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودنى فقال أهل الإهك

(١) العلق ، جمع علقه ، وهى ما فيه بلعة من الطعام إلى وقت النداء؛ تريد أن طماهن كان قليلا .

ما ظنوا ، فارتجج السكر ، والله ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدِمنا للدينة ، فلم ألبث أن أشتكيتُ شكوى شديدة ، ولا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديثُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي موسى ، ولا يذكرُ أن لي منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنِّي قد أنكرتُ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بعضَ أظفهِ بي ، كنتُ إذا اشتكيتُ رَحِمَتِي ولَطَفَ بي ، فلم يفعل بي ذلك في شكواي تلك ، فأنكرتُ ذلك منه ، وكان إذا دخل عليّ وعندي أُمِّي تمرّضني قال : كيف تبيكنُ ؟ لا يزيد على ذلك ، حتى وجدتُ في نفسي حين رأيتُ ما رأيتُ من جفائه ، فقلت : يا رسولَ الله ، لو أذنت لي فأنتقلتُ إلى أُمِّي فرَضَتني ! قال : لا عليكِ ، قالت : فانتقلتُ إلى أُمِّي ، ولا علم لي بشيء مما كان حتى نَقَهْتُ من وجعِي بعدَ بضعِ وعشرين ليلةً ؛ وكنا قوماً غربا ، لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُفُ التي تتخذها الأعاجم ، نعاقيها ونكرهها ، إنما كنا نذهب في فسحِ المدينة ، وإنما كان النساءُ يخرجن في كلِّ ليلةٍ في حوائجهنّ ، فخرجتُ ليلةً في بعضِ حوائجِي ، ومعِي أُمُّ مِسْطَحَ (١) ، فلما فرغنا من شأننا وأقبلتُ ، عثرتُ أُمُّ مِسْطَحَ في مِرْطِهَا (٢) ، فقالت : تعسَ مِسْطَحُ ! قالت : فقالت : بنس ما قلتُ لرجلٍ من المهاجرين قد شهّدَ بَدْرًا ! قالت : أو ما بلفكِ الخبرُ يا بنتَ أبي بكرٍ ؟ قالت : قلت : وما الخبرُ ؟ فأخبرتني بالذي كان من قولِ أهلِ الإنك . قالت : قلت : أو كان هذا ؟ قالت : نعم ، والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أفضي حاجتي ورجعتُ ، فوالله ما زلتُ أبكي حتى ظننتُ أن البكاء سيصدع كَبِدِي ، وقلتُ لأُمِّي : يغفر الله لك ! تحدّث الناسُ بما تحدّثوا به ولا تدكرين لي من ذلك شيئا ! قالت : أي بُدَيَّة ؛ خَفَضِي عليكِ الشُّان ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجلٍ يحبها ، وها ضرائرُ ، إلا أكثرن وأكثر الناسُ عليها !

(٢) المرط : الكساء .

(١) أم مسطح كانت خالة أبي بكر الصديق .

قالت : وقد قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الناس فخطبهم ، ولا أعلمُ بذلك ، فحمد الله و أنبئني عليه ، ثم قال : «أيُّها الناس ، ما بال رجال يُؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحق ! والله ما علمتُ منهم إلا خيرا ! ويقولون ذلك في رجل ، والله ما علمتُ منه إلا خيرا ، وما يدخل بيتنا من بيوتى إلا وهو ممي» . قالت : وكان كبيرُ ذلك عند عبد الله بن أبي ، في رجالٍ من الخُزرج مع الذي قال مسطح وحنمة بنت جحش — وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصبني في المنزلة عنده غيرها . فأما زينب فعصمها الله بدنيا ، فلم تقل إلا خيرا ، وأما حنمة فأشاعت بذلك ما أشاعت تضادني لأختها — فشقيت بذلك . فلما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قام أسيد بن حُصير ، فقال : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكمهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخُزرج ، فؤرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم . فقام سعدُ بنُ عبادة فقال : كذبت لعمرك الله ، لا تضرب أعناقهم ! أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخُزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أسيد : كذبت لعمرك الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين . قالت : وتناور<sup>(١)</sup> الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخُزرج شرا .

قالت : ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد واستشارهما . فأما أسامة فأثنى على خيرا ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ، ولا نعم إلا خيرا ، وهذا الكذب والباطل . وأما علي فإنه قال : يا رسول الله ، إن النساء لكثير ، وإنك لتقدر أن تستخلف ، وسلي الجارية ستصدُوك . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بريرة لیسألها ، فقام لها علي وهو يقول :

(١) تناور الناس ، أي تار بعضهم إلى بعض .



أصْدُقِي رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كُنْتُ أُعِيبُ عَلَى عَائِشَةَ شَيْئًا ؛ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَعْجِنُ عَجِينِي ؛ فَأَمَرُهَا أَنْ تَحْفَظَهُ فَذَنَامَ عَنْهُ ، فَتَأْتِي الشَّاةُ فَمَا كُلَّهُ .

— قُلْتُ : نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةَ : أَنَّ بَرِيرَةَ إِنَّمَا اشْتَرَتْهَا عَائِشَةُ وَأَعْتَمَتْهَا بَعْدَ ذَلِكَ —

قَالَتْ : ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي أَبُو آيٍ ، وَعِنْدِي أَمْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَأَنَا أَبْكِي وَهِيَ تَبْكِي مَعِي ، فَجَلَسَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّهُ قَدْ كَانَ مَا بَلَغَكَ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ ، فَاتَّقِي اللَّهَ ، فَإِنَّ كُنْتَ قَارِفَتِ<sup>(١)</sup> سَوْءًا مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ فُتُوبِي إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَالَ لِي ذَلِكَ ، فَقَلَصَ<sup>(٢)</sup> دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسَسَ مِنْهُ شَيْئًا ، وَأَنْتَظَرْتُ أَبُو آيٍ أَنْ يُجِيبَا عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَتَكَلَّمَا .

قَالَتْ : وَإِيمُ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَحْقَرُ فِي نَفْسِي وَأَصْفَرَّ شَأْنَا مِنْ أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ فِيَّ قُرْآنًا يُتْلَى فِي الْمَسَاجِدِ ، وَيُصَلَّى بِهِ ؛ وَاسْكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَوْمِهِ شَيْئًا يَكْذِبُ اللَّهُ بِهِ عَنِّي ، وَبِمَا يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَتِي ، أَوْ يُخْبِرُ خَبْرًا ، فَأَمَّا قُرْآنًا يُنْزَلُهُ اللَّهُ فِيَّ ؛ فَوَاللَّهِ لَنَنْفَسِي كَانَتْ عِنْدِي أَحْقَرُ مِنْ ذَلِكَ .

قَالَتْ : فَلَمَّا رَأَيْتُ أَبُو آيٍ لَمْ يَتَكَلَّمَا ، قُلْتُ لَهَا : أَلَا تُحِبِّيانِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَا : وَاللَّهِ مَا نَدْرِي بِمَاذَا نَجِيبُهُ ! قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ دَخَلَ عَلَيْهِمْ مَا دَخَلَ عَلَى آلِ أَبِي بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ! فَلَمَّا اسْتَمَعَجَا عَلَيَّ اسْتَمَعَبَرْتُ فَبَكَيْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا ذَكَرُوا أَبَدًا ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ لَنْ أَقْرُرْتُ بِمَا يَقُولُ النَّاسُ - وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ مِنْهُ - لِأَفْتَوَانَ مَا لَمْ

(٢) قَلَصَ الدَّمْعُ : ارْتَفَعُ .

(١) قَارِفَتِ سَوْءًا ، أَيْ أَتَيْتِ ذَنْبًا .

يكن ، ولئن أنا أنكرتُ ما يقولُ الناسُ لا تصدَّقونني . ثمَّ التمسْتُ اسمَ يعقوبَ فما ذكرته . فقلتُ : ولكنتي أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ، حتى تفشاه من الله ما كان يتفشاه ، فسجى بثوبه ، ووضعت له وسادة أدم تحت رأسه . فأما أنا حين رأيتُ من ذلك ما رأيتُ ، فوالله ما فزعته ولا باليت ، قد عرفتُ أني بريئة ، وأن الله غيرُ ظلمي ، وأما أبواي ، فوالذي نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى ظننت لتخرجن أنفسها فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس ، ثم سرى عن رسول الله وجلس ، وأنه ليتحدّر منه مثل الجمان في يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول : أبشري يا عائشة ، قد أنزل الله علي من القرآن في ذلك .

ثم أمرَ بسطح بن أئانة وحمزة بنت جحش وحسان بن ثابت — وكانوا ممن أفصح بالفاحشة — فضربوا حدّهم . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل أمرى منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ (١) .

قيل : إنه حسان وأصحابه ، ثم قال : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ . أى هلا قُلتم إذ سمعتموه كما قال أبو بوب الأنصاري ، وصاحبه أم أيوب — وذلك أنها قالت لزوجها : يا أبا أيوب ، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ فقال : بلى ،

(١) سورة النور ١١ ، وما بعدها .

ذلك الكذب ، أ كنتِ يا أم أيوبَ فاعلمته ؟ قالت : لا والله ، ما كنتُ لأفعله . قال : فعائشة والله خيرُ منك — ثم قال تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتْرِ ﴾ وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علمٌ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيمٌ ﴿ .

فلما نزل هذا في عائشة قال أبو بكر — وكان يُنْفِقُ على مِسْطَحٍ لقرابته وحاجته : والله لا أنْفِقُ على مِسْطَحٍ أبداً ، ولا أنْفَعَهُ بِنْفَعٍ أبداً بعد الذي قال في عائشة ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْنُوا وَلِيَصْنَحُوا أَلَّا تَحْتَبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ : فقال أبو بكر رضى الله عنه : بلى والله ، إني والله لأحبُّ أن يغفرَ اللهُ لى ، فرجع إلى مِسْطَحٍ نفقته التي كان يُنفِقُها عليه ، وقال : والله لا أنزعها عنه أبداً .

وكان حسانُ قد عرضَ بصَفْوَانَ بنِ المَعْطَلِ بقوله :

أمسى الجلابيبُ قد عزّوا وقد كثروا

وأبن الفريعة أمسى بيضةَ البلدِ (١)

فلما بلغ ذلك صفوانُ اعترضَ حسانَ فضرَّه بالسيف ، ثم قال :

تلق ذبابَ السيفِ عنك فإننى غلامٌ إذا هوجيت لستُ بشاعرٍ (٢)

فانت عائشة : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا عائشة أما والله ، فقد برأك ؛ فقالت أمى : قومي إياه يا عائشة ، فقالت : والله لا قتُ إليه ، ولا أهد إلا الله .

(١) ديوانه ١٠٤ . والجلابيب : جمع جلباب ، وهو الإزار ؛ كنى بذلك عن النلة . وبيضة البلد ، أى واحدها .

(٢) سيرة ابن هشام ٣ : ٣٥٢ .

وعن أبي إسحاق ، أن أبا بكر قال لمسطح ، واسمه عوف :

يا عوف ، وبِحَدِّكَ هَلَّا قَلَّتْ عَارِفَةٌ      من الكلام ولم تتبع بها طَمَامًا  
أر أدركتكَ حَمِيًّا مَعْشَرًا أَنْفٍ      ولم تكن قاطعًا يا عوف مقطعا  
أما جريت من الأقسام إذ حَشَدُوا      ولا تقول ولو عابته قدعا  
لما رميت حصانًا غيرَ مُقْرِفَةٍ      أمينة الجيب لم نعلم لها خصما  
فيمين رَمَاهَا وَكُنْتُمْ مَعْشَرًا أَنْفَا

في سبب القول من لفظ الخنى سرعًا

فأنزل الله وحيًا في براءتها      وبين عوف وبين الله ما صنعنا  
فإن أعش أجزعوفًا عن مقاتله      شرّ الجزاء إذا ألقىته تبعا

ولما أنزل الله الآية : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ . . . ﴾

إلى آخرها ، قال أبو بكر : بلى ، والله أحب أن يفتر الله لى ، وعاد إلى ما كان  
عليه من البر لمسطح .

وما أحسن ما نقلته من خط أبي الحسين الجزار مما نظمته ، وأشار إلى هذه

الواقعة بقوله :

لا تقطن عادةً برِّ ولا      تجعل عقاب المرء في رزقه  
واصفح عن الجاني فإن الذي      ترجوه عفو الله عن خلقه  
وإن بدت من صاحب زلة      فاستره بالإغضاء واستنقه  
فإن إثم الإفك من مسطح      يحط قدر النجم عن أفقه  
وقد جرى منه الذي قد جرى      وعوتب الصديق في حقه

وقد روى أنه سئل عن صفوان ، فوجد رجلاً حصوراً لا يأتي السماء .

وقال بعض المسلمين في ذلك الوقت يذكر حسانا وصاحبيه في فريتهم

على عائشة رضي الله عنها :

تقد ذاق حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلُهُ وَحَمَّةٌ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمِسْطَحٌ  
تَعَاظَرُوا بِرَجْمِ الْغَيْبِ زَوْجِ نَبِيِّهِمْ  
وَسَخَطَةَ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَبْرَحُوا  
وَأَذَوْا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا لِحْلُوا مَخَازِي تَبَقَى عَمُّوهَا وَفَضَحُوا  
فَصَبَّتْ عَلَيْهَا مَحْصَبَاتٌ كَأَنَّهَا  
شَايِبٌ قَطْرٌ مِنْ ذَوِي الْمِزْنِ سُمِّعُ

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر أن قوما أنكروا أن يكون  
حَسَّانُ خَاضَ فِي الْإِهْلِكِ وَجُلِدَ فِيهِ . وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا  
بَرَأَتْهُ مِنْ ذَلِكَ .

قلتُ : وَحَسَّانُ هُوَ الْقَائِلُ فِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تَرَنُّ بِرَبِيَّةٍ وَتَصْبِحُ غَزَنِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَائِلِ (١)  
عَفِيلَةٌ حَيٍّ مِنْ لَوْيِّ بْنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلٍ  
مَهْدَبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خَيْمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلٍ  
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ فُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ

فَلَا رَفَعْتُ صَوْتًا إِلَى أَنَامِلِي !

وَحُكِيَ أَنَّ الْقَاضِيَ أَبَا بَكْرَ الْبَاقِلَانِيَّ ، تَوَجَّهَ رَسُولًا إِلَى بَعْضِ مَلُوكِ  
النَّصَارَى ، فَسَأَلَهُ بَعْضُ الْأَفْيَاءِ بِحَضْرَةِ الْمَلِكِ : مَا قَيْلٌ فِي أَمْرَةِ نَبِيِّكُمْ ؟ فَقَالَ  
بَدِيهَا : هِيَ أَمْرَتَانِ قَيْلٌ فِيهِمَا مَا قَيْلٌ ، أَنْتِ إِحْدَاهُمَا بَرَلَدٌ ، وَلَمْ تَأْتِ الْأُخْرَى  
بَوْلَدٌ ؛ أَوْ كَمَا قَالَ .

(١) ديوانه ، ٣٢ . والريزان : الملازمة موضعها ، ذات الثبات والوفاء ، ما ترن : ما تنهم  
والغوائل : جم غائلة ؛ يريد أنها لا ترتفع في أعراض النساء

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : أراد القاضي أبو بكر هذا أن ظهور  
براعة عائشة أفوسى من براءة مريم ، وكلاهما بريئتان رضى الله عنهما .

وحكى أن مساماً ناظر نصرانياً ، فقال له النصراني في خلال كلامه :  
يا مسلم ، كيف كان وجه زوجة نبيكم عائشة في تخلفها عن الركب عند نبيكم  
معتذرةً بضياح عقدها ؟ فقال المسلم : يا نصراني ، كان وجهها كوجه بنت  
عمران لما أتت بعيسى تحمله من غير زوج .

وقال الأرجاني :

ما في جفائكم إذا أنا لم أحن سبب يعاف حديثه ويعاب  
سخط النبي على البريء وما درى مما جناه الآله الكذاب  
حتى استبان له بوحي نارل أن الذي قال الوشاة كذاب

\* \* \*

٤٤ — قوله : وَأَنْفَتْ مِنْ إِمَارَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ .

يشير بذلك إلى أسامة بن حارثة رضى الله عنهما . وذلك أنه لما كان يوم  
الأثنين لأربع ليال بقين من صفر ؛ سنة إحدى عشرة . أمر رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الناس بالتهوض لغزو الروم . فدعا أسامة بن زيد ، فقال له : سير إلى  
موضع مقتل أبيك ؛ فأوطئهم الخيل . فقد وليتكم هذا الجيش فأغز صباحا  
على أهل أبي ؛ وحرقت عليهم ، وأسرع السير لتسبق الأخبار ؛ فإن أظفرك  
الله ، فأقل اللبث فيهم ، وخذمك الأدلاء ، وقدم العيون والطلائع .

فلما كان يوم الأربعاء بدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحد ، فحتم  
وصدع ، فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسامة لواء  
بيده ، ثم قال : «أغز باسم الله وفي سبيل الله ؛ وقاتل من كفر بالله » ؛ فخرج

بلوائه معقودا ، فدفعه إلى بُرَيْدَةَ بنِ الحَصِيبِ الأَسْمَعِيِّ ، وعسكرَ بالجَزْفِ ، فلم يبقَ أحدٌ من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزاة ، منهم : أبو بكر ، وعمر ، وأبو عُبَيْدَةَ بن الجراح ، وسعد بن زيد ، وقتادة بن النعمان ، وغيرهم ، فتكلم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين ! فغضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، وخرج وقد عصب رأسه بمصاصة ، وعليه قطيعةٌ ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد ، أيها الناس ، ما قاله بلقمتي عن بعضكم في تأميري أسامة ! وإن طعنتم في إمارة أسامة لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله . وإيمُ الله إنه كان خليفاً للإمارة ، وإن ابنه من بعده خليقٌ للإمارة ، وإنه كان لمن أحب الناس إلى ، وأتتهما لخلان لسكل خير . فاستوصوا به خيراً ؛ فإنه من خياركم » .

ثم نزل فدخل بيته ، وجاء المسلمون بخُرُوجٍ مع أسامة ، يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتقل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في المرض ، فجعل يقول : أنفذوا بنتَ أسامة . فلما كان يوم الأحد اشتد الوجع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل أسامة من مُسَكِّرِهِ ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم مغمور ، وهو اليوم الذي لُدَّ<sup>(١)</sup> فيه ، فطأطأ أسامةُ قُبَيْلَهُ ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم لا يتكلم ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها ، ثم دخل يوم الاثنين ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُفِيقٌ ، فقال له : اغدُ على بركة الله ، وودعه أسامةُ وخرج ؛ فأمر الناس بالرحيل ، فبينما هو يريد الركوب إذا أنته أمُّ أيمن تقول : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يموت ، فأقبل ومعه عمر وأبو عُبَيْدَةَ ، فانتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيموت ، فتوفِّي حين زاعت الشمس يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلةً خلت من شهر

(١) أي جعلوا الدواء في جانبفه .

ربيع الأوّل ، فدخل المسكر إلى المدينة ، ودخل بُرَيْدَةُ بِاللَّوَاءِ حَتَّى أَتَى بِهِ  
بَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ففرزه عنده ، ولما بُويعَ أَبُو بَكْرٍ أَمْرَ بُرَيْدَةَ  
ابْنَ الْحَصِيبِ أَنْ يَذْهَبَ بِاللَّوَاءِ إِلَى بَيْتِ أَسَامَةَ لِيَمْضِيَ لَوَجْهِهِ ؛ فَلَمَّا ارْتَدَّتْ  
العرب كُلَّمَا أَبُو بَكْرٍ فِي حَبْسِ أَسَامَةَ ، فَأَبَى (١) .

ولمّا كان هلالُ شهرِ ربيعِ الآخرِ ، سنةِ إحدى عشرةَ ، خرجَ أسامةُ إلى  
أهلِ أُبَيٍّ في عشرينَ ليلةً ، فشنَّ الغارةَ عليهم ، وكان شعارهم : « يا منصورُ أمت » ،  
فقتلَ من أشرفَ له ، وسبى من قَدِمَ عليه ، وحرّقَ في طوائفها بالنارِ وحرّقَ  
منازلهم وحرّثهم ونخلهم ، وصارت أعاصيرُ من الدّخاخين ، وأجال الخيلَ في  
عَرَصاتِهِمْ ، وأقاموا يومَهُمْ ذلكَ في قَمَحَةٍ ما أصابوا من الغنائمِ ، وكان أسامةُ  
على فرسٍ أبيه سبحةً ، وقتلَ قاتلَ أبيه في الغارةِ ، ولمّا أمسى أمرَ الناسَ  
بالترحيلِ ، ثمَّ أغدّ السيرَ ، فوردَ واديَ القُرْمَى في تسعِ ليالٍ ، ثمَّ بعثَ  
بشيراً إلى المدينةِ بسلامتهم ، ووصلَ إلى المدينةِ بهدستٍ ، وما أصيبَ من  
المسلمينَ أحدٌ ، وخرجَ أبو بكرٍ في المهاجرينَ ، وأهلُ المدينةِ يتلقونهم سروراً  
بسلامتهم ، ودخلَ على فرسِ أبيه سبحةً ، واللواءُ أمامه يَحْمِلُهُ بُرَيْدَةُ حَتَّى  
انتهى إلى مسجدِ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فدخلَ فصلى ركعتينِ ، ثمَّ  
انصرفَ إلى بيته .

قلت : قوله : « أُبَيٌّ » - بضمِ الهمزة ، وسكونِ الباءِ ، وبمدهانون مفتوحة ، وألف  
مقصورة - على وزنِ فُجُي . وبعضهم يقول : يُبَيٌّ - بياءٍ آخرِ الحروفِ بدلِ الهمزة -  
قال أبو داود : وسمعتُ ابنَ أبي عميرٍ المدنيّ ، قال : سمعتُ أبا مسررٍ ، قيل له : أُبَيٌّ -  
قال : نحنُ أعلمُ ، هي يُبَيٌّ فِلَسْطِينِ ، وهي التي بعثَ إليها رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) انظر عيون الأثر ٢ : ٢٨٢ .



عليه وسلم زيدا أبا أسامة مع جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة ، فقتلوا جميعا . انتهى .

قلت : الذي في الحديث يردّ هذا القول ، وإنما هي أُنْبَى البتقاء ؛ لأنّ لفظ الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دَعَا أسامةَ بنَ زيد وقال : « سِرْ إِلَى أُنْبَى مَوْضِعِ مَقْتَلِ أَبِيكَ » .

وبعضهم قال : أُبْلَى باللام مكان النون ، وليس بشيء ، وإنما يُبْنَى بالنون ، فإنّها بساحِلِ عَشَّةَ لَان ، وهي المشهورة الآن بأن فيها قبرَ أبي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه .

وقد ذكر المسعودي<sup>(١)</sup> في شرح المقامات : أنّ المهديّ لما دخل إلى البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبيّ ، وحلّفه وقُدّامه أربعائة طليسان من العلماء وغيرهم ، فقال المهديّ : أفٍ لهذه العتّانين ؛ أما كان فيهم شيخٌ يتقدّمهم غيرُ هذا الحدّث ! ثمّ قال له المهديّ : كم سنّك ؟ فقال : سنّي - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - سنّ أسامة بن زيد بن حارثة لما ولّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر . فقال : تقدّم ، بَارَكَ اللهُ فيك ، وكانت سنّه سبع عشرة سنة .

قلت : هذا غيرُ صحيح ؛ لأنّ إياسا توفّي في دولة بني أميّة سنة إحدى وعشرين ومائة ، والمهديّ تولى الخلافة ، وبُويع عليها بمكّة في المسجد الحرام عند وفاة المنصور في ذى الحِجّة ، سنة ثمانٍ وخمسين ومائة ؛ والذي يَصِحّ في مثل هذا أنّ يحيى بن أكشم وليّ القضاء في زمن المأمون ببغداد وله عشرون سنة ، ولما ولي قضاء البصرة استصغروه ، فقال أحدهم : كم سنّ القاضي ؟ فقال : أنا أكبرُ من عتاب بن أسيد الذي ولّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكّة ، وأكبرُ من مُعاذ الذي وجّه به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

(١) هو الإمام محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي الفنجديّ المتوفى سنة ٥٨٤ . وانظر كشف الظنون .

قاضيا على أهل اليمَن ، وأكبرُ من سوار بن كعب الذي وجه به عمر قاضيا على اليمَن !

\* \* \*

٤٥ — وقوله : وزعمتُ أن بيعةَ أبي بكرٍ كانت فلتة .

يشير بذلك إلى ماورد في كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . روى الزُّهرى عن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كفت أقرىُّ عبد الرحمن بن عوف في خلافة عمر بن الخطاب ، فلما كان في آخر حجة حَجَّها عمر ، أنانا عبدُ الرحمن بنُ عوف ذات ليلة ، ونحن بميِّ ، فقال : لورأيت أمير المؤمنين ؛ وقد أتاه رجل وقال : إن رجلا يقولون : لو قدمت أميرُ المؤمنين بايعنا فلانا ، فقالَ عمر : إني قائمٌ في الناس فحذِّروهم هؤلاء الرَّهط الذين يريدون أن يفضبوا الناس ببيعتهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الحجَّ يجمع رعاة الناس وغوغاءهم الذين يغلبون على مجلسك ، وإن قلت قولاً فهم القومُ مقالةً لم تحفظ ولم يهوها ، ولم يَضموها مواضعها ، فيطرون بذلك كلَّ مطير ، فلو أمهت حتى تقدّم المدينة وتنفرد بالمهاجرين والأنصار ، فقلت ماقات متمكنا ، كان أجدر بأن يحفظوا مقاتلك ، وأن يهوها ويضعوها . فقال : أما والله إن شاء الله تعالى ، لئن قدمت المدينة لأقومن بها في أول مقامٍ أقومُه بالمدينة .

قال : فقدِمنا المدينة في عقب ذى الحجة ، فلما جاءت الجمعة هجرتُ للذى حدثني ابن عوف ، ولا أرى أن أحداً قد سبقني ، فوجدت سميد بن عمرو ابن نفييل قد سبقني بالتهجير ، جالسا إلى جنب المنبر ، فصليتُ ، ثم جلستُ إلى جنبه تحكُّ ركبتى ركبتَه ، فقلتُ : أما والله ليقولَنَّ أميرُ المؤمنين على هذا المنبر مقالةً لم يقلها أحدٌ قبله ! فضضب سميد ، وقال : أئى مقالة عسى

أن يقولها أمير المؤمنين لم يقلها أحد قبّله ! فلما زالت الشمس خرج عمر رضي الله عنه ، وجلس على المنبر ، وأذن المؤذن في أذانه . فلما فرغ قام عمر فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

أما بعد ، أيها الناس ، فإني قائلٌ مقالةً قد قدّر لي أن أقولها ، ولعلها تكون بين يدي أجلى ، فن حفظها أو عقلها أو وعائها ، فليحدث بها حيث أتمت به راحلته ، ومن لا فإني لا أحلّ لأحد أن يكذب عليّ .

إن الله بعث محمداً وأنزل عليه الكتاب ، وكان فيما نزل عليه آية الرّجم ، فقرأناها ووعيناها ، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا بعده ، فأخشي أن يطول بالناس زمان ، فيقول قائل : لا نجد الرّجم في كتاب الله عزّ وجلّ ، فيصّلتوا بتزك فريضة أنزلها الله . ألا إن الرّجم حقّ على من زنى إذا أحصين ، وقامت البينة ، أو كان الخبل ، أو الاعتراف .

ألا وإنا كنا نقرأ : لا ترغبوا عن آباءكم ، فإنه كفرٌ بكم ، أن ترغبوا عن آباءكم . ألا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطأوني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبده ورسوله » وقد بلغني أن قاتلاً يقول : لو مات عمرُ بایعتُ فلانا ، فلا يفتنن امرؤ منكم أن يقول : كانت بيمة أبي بكرٍ فلتته ، وایس فيكم من تقطع الأعناقُ إليه مثل أبي بكر ، وأنه كان من خيرنا ؛ حين توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، وتخلف عليٌّ والزبير ومن معهما في بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحدّ الأنصار في سقيفة بني ساعدة مع سعد بن عبادة . فقلت : يا أبا بكر ، انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار ، فانطلقت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح تؤمّمهم ، ولقينا رجلاً صالحاً من شهد بدرًا : عويمر بن ساعدة ومغن بن عدي ، فقالا : ابن

تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا الأنصار . فقالا : لا عليكم  
 ألا تأتوهم ، وأبرموا أمركم بينكم . فقلت : والله لأفأتينهم ، فأتيناهم في  
 سقيفة بني ساعدة ؛ فإذا هم مجتمعون على رجل مزمل بالثياب ، فقلت :  
 من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ماله ؟ قالوا : مريض . فجلسنا  
 وقام خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فنحن  
 الأنصار ، وكتيبة الإيمان ، وأتم معاشر المهاجرين رهط منا ، وقد دقت  
 إلينا دافة<sup>(١)</sup> منكم .

قال عمر : وإذا هم يريدون أن يحتزِلونا من أصلنا ، ويختصوا بالأمر دوننا .  
 قال عمر : فلما سكت أردت أن أتكلم بمقالة قد كانت أعجبتني بين  
 يدي أبي بكر ، فقال أبو بكر : على رسلك ! وكنت أعرف منه الحد ،  
 فكرهت أن أغضبه ، وهو كان خيرا مني وأرفق ، وأوقر وأحكم . ثم تكلم ،  
 فوالله ما ترك كلمة أعجبتني مما قد زورت في نفسي إلا وقد قالها ، وأفضل منها  
 حتى سكت ، ثم قال :

أما بعد ، فما ذكرتم من خير فهو فيكم معشر الأنصار وأنتم أهله  
 وأفضل منه ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ،  
 فهم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم هذين الرجاين ، فباعوا  
 أيهما شئتم .

وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح ، فما كرهت شيئا مما قال غيرها ؛  
 وكان والله لأن أؤدبم فتضرب عنقى لا يقربنى ذلك إلى إثم ، أحب إلى من أن  
 أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، اللهم إلا أن تغفّر نفسى عند الموت .

قال : ثم قدم الحباب بن المذزر (رجل من الأنصار) ، فقال : أنا جند يلهيا

(١) الدافة : التوم يسرون جماعة . وانظر اللسان .

المُحَكَّكُ ، وَعُدَّيْقُهَا الْمَرْبَّبُ (١) ، مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ يَامِشُرُ الْمُهَاجِرِينَ ،  
وإِنْ شِئْتُمْ أَمَدْنَا الْحَرْبَ جَذَعَةً (٢) .

قال : وكثُرَ اللَّغَطُ ، وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف . فقلتُ :  
ابسأ يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، وبايعه أبو عبيدة ، وبايعه  
المُهَاجِرُونَ وبايعه الأنصار ، ونزلنا على سعد ، فقال قائل : فقتلتم سعدا . فقلتُ :  
قتل الله سعدا . قال عمر : فوالله ما وجدنا فيمن حضرنا أوفى من مبايعة أبي  
بكر ، وخشينا إن نحن فارقنا اليوم ولم تسكن بيعة أن يحدثوا بمدنا بيعة ؛  
فإما بايعناهم على ما لا نرضى ، وإما خالفناهم فيكون فساد .

رواه يونس بن يزيد بن الزهري مطوَّلاً ، وزاد فيه :

قال عمر : فلا يفترن أمرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت ،  
فإنها قد كانت كذلك إلا أن الله وثق شرها ، فن بايع رجلا من غير مشورة  
فإنه لا يبايع هو ولا الذي يبايعه تفرّة يقتلا .

\* \* \*

ومن أدلة القرآن على خلافة أبي بكر قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قَتِلَ  
انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَإِنَّ بِضْرَ اللَّهِ سَيَجْزِي  
اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ . ظهر تأويلُ هذا حين انقلب أهل الردّة على أعقابهم ،  
فلم يضر ذلك دين الله ولا أمة نبيه صلى الله عليه وسلم . وكان أبو بكر يسمّى  
أميرَ الشَّاكِرِينَ لذلك ؛ وفي هذه الآية دليلٌ على صحّة خلافته ؛ لأنه هو  
الَّذِي قَاتَلَ الْمُتَقَلِّبِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ؛ حَتَّى رَدَّهُمْ إِلَى الدِّينِ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ .  
وكان في قوله تعالى : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ دليلٌ على أنهم سيظفرون

(١) جذيل : تصغير جذل ، وهو عود ينصب الابل الجبرني تحتك به فتستقي . والمحكك  
الذي كثرت الاحتكاك به حتى صار أملس : والمرجب المدعوم بالرجبة ، وهي خشبة ذات شعبتين  
والمراد أنه من أصحاب الرأي الشديد .

(٢) الجذعة : الشابة الفتية ، يريد : الحروب والغارات .

بمن ارتد ، وتكفل النعمة عليهم فيشكرون ، فتحريضه إيانهم على الشكر والشكر لا يكون إلا على نعمة - دليل على أن بلاء الردة لا يطول ، وأن الظفر بهم سريع كما كان .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ <sup>(١)</sup> دليل على صحة خلافته . لأنه هو الذي دعَا الأعراب إلى جهاد بنى حنيفة ، وكانوا أولى بأسٍ شديد ، ولم يقاتلوا الجزية ، وإنما قوتلوا لئيسلوا ، وكان قتالهم بأمر أبي بكر وفي سلطانه .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَطَيَّرُوا بِؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أوجب عليهم الطاعة لأبي بكر رضى الله عنه ، وكان ذلك فى الآية كالنص على خلافته . وفى زواج على رضى الله بالحنفية أم ولده محمد بن الحنفية - وهى من سباباً عسكرياً أبي بكر رضى الله عنه من بنى حنيفة - دليل قوى فى الرد على الرافضة ؛ فإن علياً لو لم يعمد صحة خلافته لم يتزوج من سببه .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> . وقد بين فى سورة الحشر من الصادقون ؟ فأمر الذين تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ أن يكونوا معهم تبعاً لهم ، فحصلت الخلافة فى الصادقين بهذه الآية ، فاستحقوها بهذا الاسم ، ولكن ليس فى الصادقين من سماه الله تعالى الصديق إلا أبو بكر ، وكانت له خاصة ، ثم للصادقين من بعده .

ولابن زنجويه رحمه الله تعالى مُصَنَّفٌ كبير فى فضائل أبي بكر ، جود فيه ماشاء ، وما أحقَّ أبا بكر الصديق بقول مروان بن أبي الجفوب فى التوكل :

كانت خلافة جعفر كنبوة جاءت بلا طلب ولا يتبخل

وَهَبَ الْإِلَٰهَ لَهُ الْخِلَافَةَ مَتَمًّا وَهَبَ الرِّسَالَةَ لِلنَّبِيِّ الْمُرْسَلِ  
 وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ سِرَاجٍ: كَانَ جَوَارِي جَارٌ يُتَمُّهُمُ بِالنَّشِيعِ ، وَمَا بَانَ ذَلِكَ  
 عَلَيْهِ فِي حُلِّ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي هِجَاءِ امْرَأَتِهِ ، فَإِنَّهُ قَالَ وَقَدْ طَلَّقَهَا :

مَا كُنْتُ مِنْ شَكْلِي وَلَا كُنْتُ مِنْ  
 شَكْلِكَ يَا طَالِقَةَ الْبَيْتِ  
 غَلَطْتُ فِي أَمْرِكَ أَعْلُوطةً فَأَدْرَكْتَنِي بِبَيْمَةِ الْفَلْتَةِ  
 وَأَنْسَدَنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً صَفَى الدِّينُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَرَايَا الْحَلِّيُّ ،  
 مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى صَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْقَاسِمِ السَّلَامِيِّ :

فَلْتَةٌ كَانَ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ يَا أَبَا بَكْرٍ عَقْدَ بَيْعَةٍ وَوَدَى  
 فَلِهَذَا إِذَا تَمَّادَمَ عَهْدٌ بَيْنَنَا حَلَّتْ عَنْ وَقَائِي وَعَهْدِي  
 وَمَا أَخْرَجَهُ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ مَخْرَجَ الْأَلْفَازِ ، قَوْلُهُ :

شَهَدْتُ بَانَ السُّكْبَ لَيْسَ بِنَاجٍ  
 يَقِينًا وَأَنَّ اللَّيْثَ فِي الْغَابِ مَا رَأَى<sup>(٢)</sup>

وَأَنَّ قَرِيْشًا لَيْسَ فِيهِمْ خِلَافَةٌ  
 وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ شَكَا الْخَيْفَ مِنْ عُمرَ  
 وَتَفْسِيرُ هَذَا الْكَلَامِ : السُّكْبُ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ خَلْفَ الْجُوزَاءِ يُسَمَّى  
 كَلْبَ الْجَبَّارِ ، وَالْكَلْبُ مَسْمَارٌ فِي قَائِمِ السَّيْفِ ، إِلَى جَانِبِهِ مَسْمَارٌ آخِرٌ يُقَالُ  
 لَهُ الْمَجْزُوزُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَعَجُوزٌ رَأَيْتُ فِي فِمْ كَلْبٍ جَعَلَ السُّكْبَ لِلْأَمِيرِ جَمَالًا  
 وَالسُّكْبَ أَيْضًا مَسْمَارًا فِي الرَّحْلِ ، وَاللَّيْثُ : ضَرْبٌ مِنَ الْعَنَّاكِبِ قَصِيرٌ

(١) هَذَا الشَّعْرُ مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ فِي الدِّيَوَانِ ، وَذَكَرَهُ الْقَنْطَرِيُّ فِي إِنْبَاءِ الرِّوَاةِ : ٧٩ ،  
 وَذَكَرَ بَعْدَهَا :

وَأَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَصَلْ بِصَحْبِهِ وَمَا هُوَ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ مِنَ الْبَشَرِ

الأزجل ، كبيراً لعيون ، يصيد الذباب وثباً ، وقريش : دابة من دواب البحر ، جميع دواب البحر خاضعة لها ، وبها سميت القبيلة ، قال الشاعر :  
 وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا  
 والبكر : الفتى من الإبل ، وأبوه الحمل . وعمر جمع عمرة ، وهي زيارة البيت . ويقال : رجلٌ عمر إذا كان كثير الاعتار ، ورجلٌ عمر إذا كان طويل العمر .

قال الباسخرزي صاحب الدمية<sup>(١)</sup> : كتبتُ إلى الشيخ أبي بكر الإسفراييني :

أبو بكر الصديق في العهد مؤنسي  
 إذا غاربي خوف الممادين في الفار  
 عرّضت عليه دين ودي فما ناي  
 ولم يتلقتم من جُعود وإنكار  
 ولم تك مني بيمة الودّ فلتة  
 فيزعم أن الأمر متفق طار  
 لذلك لم أمتعه من خالص الهوى عقلا وإخلاص الهوى رشي الجارى  
 وبائع يزوي قبل هذا مُدهناً على أبا بكر وراويه في النار  
 وقد صُدتُ عن أمثال ذلك بيّمتي  
 ففي النصّح إعلافي موافق إسراري

قلت : فكتب هو إلى :

سماً على في سماء العلاء وغيره ملتصق بالزغام  
 أنا أبو بكر سيوى أننى [معتقد أن علياً إماماً]<sup>(٢)</sup>

(١) الدمية ١٦٩ . (٢) تسكاة من الدمية ، وهذا الشطر سقط من جميع الأصول .



وقال علاء الدين الكايلي :

خَضْرُكُ يَأْمَنُ حَوَى بِهَجَّتِهِ مَحَاسِنًا مَا اجْتَمَعْنَ فِي الْبَدْرِ  
أَضْعَفُ مِنْ حُجَّةِ النَّوَاصِبِ فِي أَنَّ إِمَامَ الْهُدَى أَبُو بَكْرٍ  
وقال القاضي زين الدين بن الوردي ردًا عليه :

خَضْرُكُ يَأْمَنُ حَوَى بِهَجَّتِهِ مَحَاسِنًا مَا اجْتَمَعْنَ فِي عَبْدِ  
أَضْعَفُ مِنْ حُجَّةِ الرَّوَافِضِ فِي دَعْوَاهُمْ أَنْ مِنْهُمْ الْمَهْدِيُّ

\* \* \*

٤٦ — وقوله : ورويت رمحي من كتيبة خالد .

يشير بذلك إلى قول أبي شجرة الشامي ، وهو بيتُ قاله في شعرٍ له :

ورويت رمحي من كتيبة خالدٍ وإني لأزجو بعدها أن أُعمرًا

وذلك أن العرب أما ارتدت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
تقدم أبو بكر إلى خالد بن الوليد ، وجبزه في جماعة من المهاجرين والأنصار  
والعرب لقتال أهل الردة ، وتوجه خالد إلى بني حنيفة ، وقاسى في قتالهم  
شدائد ، وقتل مسيلة الكذاب ، وقتل من المسلمين جماعة ، وبافت الأخبار  
أبا بكر ، فكتب إلى خالد بن الوليد :

أما بعد ، فإن أظفرك الله ببني حنيفة فأقلل اللبث فيهم حتى تنحدر إلى  
بني سليم ، فطأهمها رطاة يعريفون بها مامنهم ، فإنه ليس بطن من العرب  
أنا أعيط عليه مني عليهم ؛ قدم قادمهم يذكر إسلاما ، ويريد أن أعينه ؛ فأعنته  
بالظنر والسلاح ، ثم جعل يعترض الناس . فإن أظفرك الله فلا ألومك  
فيهم أن تحرقهم بالنار ، وتهول فيهم بالقتل حتى يكونوا نكالا لهم .

قالوا : فجعل ابن الواليد يبعث الطلاب أمامه ، وسمعت بنو سليم  
 بإقبال خالد ، فاجتمع منهم بشر كثير يعترضون له ، وهامهم بنو عَصِيَّةَ  
 فاستجلبوا من بقي من العرب مرتدًا ، وكان الذي يجمعهم أبو شجرة بن عبد  
 العزيز ، فاتمى خالد إلى جمعهم بالجوامع مع الضيغ ، فصاح خالد في أصحابه ،  
 وأمرهم بلبس السلاح ، ثم صمّهم ، وصمّت بنو سليم . وقد كلّ المسلمون  
 وعجف كراعهم وخفهم ، وجعل خالد يبلى القتال بنفسه حتى أئخن فيهم  
 القتل . ثمّ إنّه حمل عليهم حملة واحدة فهربوا ، وأسر منهم كثيرا ، فجعل  
 يضرب أحدهم على عاتقه فيجزله ، ويضرب الآخر في وسطه .  
 وفي حديث سُفْيَانَ بن أَبِي العُجَاجِ : أنه حطّر لهم حطائرًا ، فأحرقهم  
 بالنار ، وأصاب أبو شجرة السلمي يومئذ في المسلمين ، وجرح جراحات كثيرة ،  
 وفي ذلك يقول شمره الذي من جملة :  
 \* وَرَوَيْتُ رُنْحِي مِنْ كَتَيْبَةِ خَالِدٍ \*

وأما آدم خالد بن الواليد على أبي بكر رضي الله عنه ، كان أول ما سأل  
 عنه خبر بني سليم ، فأخبره خالد بما اتفق ، فحمد الله وأثنى عليه . ثمّ إن  
 أبا شجرة بعد ذلك أسلم ، ودخل فيما دخل فيه الناس ، وجعل يعذّر ويحمد  
 أن يكون هو الذي قال الشعر المذكور .  
 وكان أبو شجرة السلمي من فتاك العرب ، أتى إلى عمر بن الخطاب بعد  
 الردّة يستحمله ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا أبو شجرة السلمي ، فقال له عمر :  
 أي عدوّ نفسه ، ألسن القائل حين ارتدّت :

وَرَوَيْتُ رُنْحِي مِنْ كَتَيْبَةِ خَالِدٍ وَإِنِّي لِأَرْجُو بَعْدَهَا أَنْ أُعْرَأَ (١)  
 وَعَارَضْتُهَا شَهْبَاءَ تَخْطَرُ بِالْقَفْسَا تَرَى الْبَيْضَ فِي حَافَاتِهَا وَالسَّنُورَ (٢)

(١) من مقطوعة له في تاريخ الطبري ٣ : ٢٦٦ ، والبيتان في كامل المبرد ١ : ٣٨٨ .  
 (٢) شهباء ، من الشبهة ، وهو بياض في خلاله سواد ، وتخطر من الخطران ، وهو  
 الاهتزاز ، والسنور : كل سلاح فيه حديد .

ثم انحنى عليه عمر بالدرة ، فسمى إلى ناقته فحلَّ عقالها ، وأقبلها حرةً  
بني سليم ، يحث السير هرباً من الدرة ، وهو يقول :

قد ضنَّ عَنَّا أبو خنصٍ بفائله وكلَّ مخضبٍ يوماً له ورقٌ<sup>(١)</sup>  
ما زالَ يضرُّ بني حتى خذبتُ له وحال من دون بعض الرغبة الشنق<sup>(٢)</sup>  
ثمَّ التفتَ إليها وهي جاثية<sup>(٣)</sup> مثلُ الطريدة لم يبت لها ورق<sup>(٤)</sup>  
أوردتها الخلل من شوران صادرة<sup>(٥)</sup> إني لأرى عليها وهي تنطقي  
يُطيرُ مرواً خطاها عن مناسمها كما تنوقد عند الجهد الورق  
إذا يُعارضها خرقٌ تعارضه ورهأه فيها إذا استعجلتها خرق  
ينوء آخرها منها بأولها مريحُ اليدين بها نهضة العنق<sup>(٦)</sup>

\* \* \*

٤٧ - وقوله : ومزقتُ الأديم الذي باركت يد الله عليه .

يشير بذلك إلى قتل عمر بن الخطاب ، قال عبد الله بن الزبير ، عن أبيه :  
غدوتُ مع عمرَ بن الخطاب إلى السوق وهو متكئ على يدي ، فلقني  
أبو لؤلؤة ، غلامُ المفيرة بن شعبة ، فقال : ألا تكلم مولاى أن يضع عني  
من خراجي ؟ قال له : كم خراجك ؟ قال : دينار ، قال : ما أرى أن أفعل ،  
إنك لعامل محسن ، وما هذا بكثير . ثم قال له عمر : ألا تعمل لي رحي ؟  
قال : بلى . فلما وثى قال أبو لؤلؤة : لأعمان لك رحي يتحدث بها ما بين  
المشرق والمغرب . قال : فوقع في نفسى قوله ، فلما كان وقت النداء للصلاة  
الصبح ، خرج عمرُ إلى الناس يؤذنه للصلاة .

قال ابن الزبير : وأنا في مصلاى ، وقد اضطجع عدوُّ الله أبو لؤلؤة ،

(١) الأبيات في تاريخ الضري ٣ : ٢٦٧ والمخبط : ضرب ورق الشجر حتى ينجى عنه .

(٢) الشفق : الخوف وهو الإشتاق .

(٣) الطبرى : ثم اروعيت لإيها وهي جاثية .

(٤) الطريدة : أصل العنق . (٥) حرة شوران ، من حرار الحجارة

(٦) وفي البيت إقواء .

فضر به بالسكّين ستّ طعّفات ، إحداهنّ من تحت سرّنه وهي التي قتلتّه ، فصاح عمر : أين عبد الرحمن بن عوف ؟ فقالوا : ها هوذا ، فأمره أن يُصلّى بالناس ، واحتّموا عمر ، فدخلوا به منزله ، فقال لابنه عبد الله : اخرج فانظر من قتاني ، فخرج فقال : من قتل أمير المؤمنين ؟ فقالوا : أبو لؤلؤة غلامُ المميرة بن شُعبة . فرجع فأخبر عمر ، فقال : الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد رجلٍ يحاجّني بـ « لا إله إلا الله » .

وقال غيره : جاءه بسكّين له طرفان ، وطعن معه اثني عشر رجلاً . فقال عمر : دونكم السكّب ، فإنه قد قتلتني . وماج الناس بعضهم في بعض ، فرمى عليه رجل من أهل العراق برنسا ، ثم برك عليه ، فلما رأى أنه لا يستطيع أن يتحرك وجأ نفسه فقتلها .

وكان أبو لؤلؤة مجوسياً ، وقيل : نصرانياً أزرق ، واسمه فيروز .

وقال ابن عبد البر عن عمر إنه قال حين احتضر ، ورأسه في حجر عبد الله ابنه :

ظَلَمْتُ لِنَفْسِي غَيْرَ أَنِّي مُسْلِمٌ أَصَلَّيْ صَلَاتِي كُلَّهَا وَأَصُومُ  
وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : نَاحَتْ الْحِقْنَ عَلَى عَمْرٍ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ  
بِثَلَاثٍ ، فَقَالَتْ :

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت	له الأرض تهتزّ العضاة بأحوي !
جزى الله خيراً من إمامٍ وباركت	يدُ الله في ذلك الأديم الممزق
فمن يسع أوبركب جدّاحي نعامة	ليُدرك ما قدّمت بالأمنس يسقي
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها	بواثق في أكامها لم تُفتق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته	بكفّ سبنتي أزرق العين مطرق <sup>(١)</sup>

(١) السبتي : النمر الجريء . والمطرق : الحنق . والبيت في اللسان منسوب إلى الشماخ . وانظر الاستيعاب ١١٥٧ .

وما أحسن ما نقلت من خط علاء الدين الكندي الوداعي ، على  
لسان صديق يسمي عمر يهوى مليحاً في أذنه لؤلؤة :

قد قلتُ أما مرَّ بي مُفْرطٌ يحكي القمرُ  
هذا أبو لؤلؤةٍ منه خدوا فأرعز

وقالت عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نفيل ؛ امرأة عمر بن الخطاب  
ترثيه :

وأفجعني فيروز لادرّ دره بأبيض تالٍ للكتاب منيب  
رءوف على الأذن غليظ على المــــدا

أخي ثقة في النائبات مجيب  
متى ما يقل «لا» يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب

\* \* \*

٤٨ - وقوله : وضحيّتُ بالأشمط الذي عنوان الشُّجود به .

يشير بذلك إلى قتلة عثمان بن عفّان ، وسبب ذلك أنه قد كان وفد عليه  
قومٌ من مصر ، فيهم محمد بن حُدَيْفَة بن عتبَة بن ربيعة في جُند ، وكفانة بن  
بِشْر التَّحِيبيّ في جُند ، وابن عدس البلويّ في جُند ، ومن أهل البصرة حكيم  
ابن جبلة المبدئيّ ، وسدوس بن عيسى السنيّ ، ونفّر من الكوفة ، منهم  
الأشتر بن الحارث النخعيّ ، فاستعَبُّوه فأعتبهم وأرضاهم ، ثم إنهم وجدوا  
بعد أن انصرفوا إلى مكة كتاباً من عثمان ، عليه خاتمه إلى أمير مصر : إذا  
أتاك القومُ فأضرب أعناقهم .

فعادوا به إلى عثمان رضي الله عنه ، فحلف لهم أنه لم يأمر ويهولم يعلم ؛ قالوا :  
إن هذا عليك شديد ، يؤخذ خاتمك من غير علمك ! فإن كنت غلبت على  
أمرِك فاعتزل .

فَأَبَى أَنْ يَقْتُلَ وَأَبَى أَنْ يُقَاتِلَهُمْ ، وَنَهَى عَنْ ذَلِكَ ، وَأَغْلَقَ بَابَهُ ،  
فَحُوصِرَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ يَوْمًا وَهُوَ فِي الدَّارِ ، فِي سِتِّائَةِ رَجُلٍ ، وَقَالَ لِعَبِيدِهِ :  
مَنْ أَغْمَدَ سَيْفَهُ فَهُوَ حُرٌّ . ثُمَّ لَمَّا نَهَمَّ دَخْلُوا عَلَيْهِ مِنْ دَارِ بَنِي حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ ،  
فَضْرَبَهُ نَيْبَارُ بْنُ عِيَاضِ الْأَنْصَارِيِّ بِمِشْقَصٍ فِي وَجْهِهِ ، فَسَالَ الدَّمَ عَلَى مِصْحَفٍ  
فِي حِجْرِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِلِحْيَتِهِ ، فَقَالَ : دَعِ لِي لِحْيَتِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ  
كَانَ أَبُوكَ يَكْرَهُهَا ! فَاسْتَحْيَا وَخَرَجَ . ثُمَّ دَخَلَ رُومَانُ بْنُ سِرْحَانَ ، أَرْزُقُ  
قَصِيرٍ مَعَهُ خِنْجَرَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ بِهِ ، وَقَالَ : عَلَى أَيِّ دِينٍ يَا نَعْمَلُ ؟ فَقَالَ لَهُ :  
لَسْتُ بِنَعْمَلٍ ؛ وَلَكِنِّي عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَأَنَا عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا  
مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

قال : كذبت ، وضربه في صدغه الأيسر فقتله ، وأدخلته امرأته نائلةً  
بينها وبين ثيابه .

ودخل رجلٌ من أهلِ مصرَ معه السيفُ مصلتًا ، فقال : والله لأقطعنَّ  
أنفه ، فمالج المرأة ، فكشفت عن ذراعَيْها ، وقبضت على السيف ، فقطع لِنَهَامِها ،  
فقالت لِعَلَّامٍ لِعُثْمَانَ مَعَهُ سَيْفٌ ، يُقَالُ لَهُ رِبَاحٌ : أُعْنِي عَلَى هَذَا ، فَضْرَبَهُ  
بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ . وَأَقَامَ عُثْمَانُ يَوْمَهُ ذَلِكَ مَطْرُوحًا إِلَى اللَّيْلِ .

وقيل : إن الذي قَتَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِمِشْقَصٍ : وَقِيلَ : بَلْ قَتَلَهُ سُودَانُ  
ابْنُ حِرَانَ . قِيلَ : بَلْ رُومَانُ الْيَمَانِيُّ ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

وقال ابن عبد البر<sup>(١)</sup> : وَأَكْثَرُهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ قَطْرَةَ مِنْ دَمِهِ وَقَعَتْ عَلَى  
المِصْحَفِ ، عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾<sup>(٢)</sup> . انتهى .

وقيل : أَخَذَ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ بِلِحْيَتِهِ يَرْزَاهَا وَيَقُولُ : مَا أُغْنِي عَنْكَ مَعَاوِيَةُ !  
مَا أُغْنِي عَنْكَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ ! مَا أُغْنِي عَنْكَ ابْنُ عَامِرٍ !

(١) الاستيعاب ١٠٤٦ (٢) سورة البقرة ١٣٧ .

وقال كنفانة مولى صفية بنت يحيى : شهدتُ مَقْتَلَ عُثْمَانَ ، فأخْرِجَ من الدَّارِ في أربعة من شبابِ قُرَيْشٍ ، مَضْرَجِينَ بالدِّمَاءِ ، كانوا يَبْذُبُونَ عن عُثْمَانَ : الحسن بن عليّ وعبد الله بن الزُّبَيْرِ ومحمد بن حاطب ومروان ابن الحَكَمِ .

وقال أبو هريرة : إنِّي لمُحْصِرٌ مع عُثْمَانَ في الدَّارِ ، فرُمِيَ رجلٌ مِنَّا ، فقلت : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الآنَ طابَ الضَّرَابُ ، فَتَلَوْنَا رجلاً ، قال : عَزَمْتُ عَلَيْكَ يا أبا هُرَيْرَةَ إلَّا رَمَيْتَ سَيْفَكَ ، فرَمَيْتَهُ ولا أَدْرِي أينَ هو حتَّى السَّاعَةَ ! وكان معه في الدارِ مَنْ يُدافعُ عنه : عبد الله بنُ عمر وعبد الله بنُ سلام وعبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ والحسنُ بنُ عليّ وأبو هُرَيْرَةَ ومحمد بن حاطب وزيدُ بنُ ثابتٍ ومروان بن الحَكَمِ ، في طائفة .

وعن مالك ، أن عُثْمَانَ لما قَتِلَ ، أَتَى على المِزْبَلَةِ ثلاثةَ أَيامٍ ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

من سره الموتِ صِرْفًا لا مزاجَ به فليأتِ مَأْدُبَةَ في دارِ عُثْمَانَ (١)  
ومنها :

ضحوا بأشْمَطَ عَدْوَانِ السُّجُودِ يَقطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وقرآناً (٢)  
لنَسَمِنَ وشيكا في ديارهمُ اللهُ أَكْبَرُ يا ثاراتِ عُثْمَانَ  
وفيه يقول أيضا :

إن تَمَسَّ دارِ بنِي عُثْمَانَ مَوْحِشَةٌ (٣)

بابٌ صَرِيحٌ وِبابٌ مَوْحِشٌ خَرِبٌ (٤)

(١) ديوانه ٤٠٩ ، وفيه : «أسدنة» . (٢) الأشمط : أبيض الشعر .

(٣) الديوان : «دار ابن أروى» . (٤) ديوانه ٢٢ ، وفيه : « وِبابٌ مَوْحِشٌ » .

فقد يصادف باغى الخير حاجته فيها ويأوى إليها الجود والحسبُ  
وقيل : إنه كتب وهو محصور إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :  
أما بعد ، فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطيبين<sup>(١)</sup> ، وطمع في من  
لا يدفع عن نفسه ، ولم يعجزك كئيم ، ولم يبلغك كعلب ، فأقبل إلى علي أي  
أمر بك أحببت :

فإن كنت ما كولا فكن خيرا آكلٍ وإلا فأدركني ولما أمرت<sup>(٢)</sup>  
ومثل هذا البيت قول الآخر :

فإن كنت مقولا فكن أنت قاتلي فبعض منايا القوم أكرم من بعض  
وقال ابن عمر : أذنب عثمان ذنبا عظيما يوم التقى الجمان بأحد ، فعفا  
الله عنه ، وأذنب فيكم ذنبا صغيرا ، فقتلتموه .

وقال الحسن : سمعت عثمان يقول : يا أيها الناس ، ما تنقمون علي ، وما من  
يوم إلا وأنتم تنقمون فيه خيرا .

قال الحسن : شهدت مناديه ينادى : يا أيها الناس ، اغدوا على  
أعطياتكم فيمضون ، فيأخذونها وافية . يا أيها الناس ، اغدوا على أرزاقكم  
فيأخذونها وافية ، اغدوا على أكسيتكم فيمضون ، فيأخذون الحلال . اغدوا على  
السمن والعسل . أرزاق دارة ، وخير كثير .

ومن البين أن ما على وجه الأرض مؤمن يخاف مؤمنا إلا يوده وينصره  
ويألفه ، فلو صبر الأنصار على الأمر لو سبهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق ،  
ولكنهم لم يصبروا ، فسلوا السيوف فصار عن الكفار مفعودا ، وعلى المسلمين  
مسؤولا إلى يوم القيامة<sup>(٣)</sup> .

(١) الأطباء للخيل : موضع الأكل في الناقة .

(٢) البيت للمزق العبدى ، واسمه شأس بن نهار ، وانظر المؤلفات والمختلف الأحدثى ١٨٥ .

وكامل البرد ١ : ١٧ . (٣) الاستعجاب ٤١ .



قلت : يراد بهذا الكلام في الإسلام ، وإلا فقد تزوج بمقبوب عليه السلام  
بنتي خاله لابان بن بهرازد وراحيل هي أم يوسف وأخيه بنيامين .

وعثمان هو ذو الثورين ، وزوج الأبتين ، وصاحب الهجرتين .

ولما دُفن دفين بنيابه في ديمائه لم يُعَسَل ، ودُفن بالجميع . وقيل :  
صلى عليه مروان ، ونائلة وأم البنين زوجته ؛ وهما اللتان دلتاه في حفرة  
على الرجال الذين نزلوا في قبره ، ولحدوا له ، وغيبوا قبره .

وكانت قتلته بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة - أو سبع عشرة - خلت  
من ذى الحجة ، سنة خمس وثلاثين للهجرة ، وكانت ولايته اثنتي عشرة سنة  
إلا اثنتي عشرة ليلة .

وفي ذلك يقول أيمن بن خريم بن فائق الأسدي :

تعاقد الداجو عمان ضاحية	فأى ذبح حرام ويُلبهم ذبحوا ! <sup>(١)</sup>
ضحوا بثمان في الشهر الحرام ولم	يخشوا على مطمح الكف الذي طمحوا
فأى سنة كفر <sup>(٢)</sup> سن أوهم	وباب كفر على سلطانهم فتحوا !
ماذا أرادوا أهلاً الله سفيهم	بسفك ذلك الدم الزاكي الذي سفحوا
إن الذين تولوا قتله سفهاً	أقوا أناماً وخسرانا وما ربحوا

وقال بعضهم :

كفر أبيك فلا تكذبن	لقد ذهب الخير إلا قليلاً <sup>(٣)</sup>
لقد سفة الناس في دينهم	وخلى ابن عفاً شراً طويلاً
ودخل كعب بن مالك وحسان بن ثابت	والنعمان بن بشير على أمير

(١) الاستيعاب ١٠٥١ وروايته : « ضحوا بثمان في الشهر الحرام ضحى » .

(٢) الاستيعاب : « سنة شر » .

(٣) الاستيعاب ١٠٥٢ ونسبهما إلى بعض بني نهشل .

للمؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال كعب بن مالك : أخبرنا عن  
 عثمان : أقتل ظالما فنقول بقولك ، أم قُتِلَ مظلوما فنقول بقوانا ، أو نكلك  
 إلى الشبهة ؟ فالمعجب من يقيذنا وشكك ، وقد زعمت العرب أن عندك  
 علم ما اختلفنا فيه ، فهاتِه نعرفه ، ثم قال :

فَكَفَّ يَدَيْهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَيَقِنَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِضَائِلٍ <sup>(١)</sup>  
 وَقَالَ لِمَنْ فِي دَارِهِ لَا تُقَاتِلُوا عَمَّا اللَّهُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ لَمْ يُقَاتِلِ  
 فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ صَبَّ عَلَيْهِمُ الْمَدَاوَةَ وَالْبُقُضَاءَ بَعْدَ التَّوَاصُلِ  
 وَكَيْفَ رَأَيْتَ الْخَيْرَ أُدْبِرَ عَنْهُمْ وَوَلَّى كِبَادِبَارَ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ <sup>(٢)</sup>

فقال لهم علي رضي الله عنه : لكم عندي ثلاثة أشياء : استأثر عثمان فأساء  
 الأثرة ، وجزعتم فأستأتم الجزع ، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة .  
 فقالوا : لا ترضى بهذا العرب ، ولا تمذيرنا به . فقال علي رضي الله عنه : أترد  
 علي بين ظهراني المسلمين بلا نية صادقة ، ولا حجة واضحة ! اخرجوا عني فلا  
 تجاوروني في بلدنا فيه .

فخرجوا في يومهم حتى أتوا معاوية ، فقال : لكم الكفاية والولاية .  
 وأعطى حسان ألف دينار وكعب بن مالك ألف دينار ، وولى النعمان بن بشير  
 حصص ، ثم نقله إلى الكوفة بعدد .

قال إسحاق بن عيسى : أعيد عليا بالله أن يكون قتل عثمان ، وأعيد عثمان  
 بالله أن يكون عليا قاتله .

قلت : ذهب إلى معنى الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم : « أشدُّ أهل النار  
 عذابا من قتل نبيًا ، أو قتل نبي » .

(١) الاستيغاب ١٠٥٠ ، وقال : « وتنسب لحسان أو الوليد بن عقبة » .

(٢) الاستيغاب : « كبادبار السحاب الجوافل » .

قال ياقوت في مُعْجَم البلدان : وُجِدَ عَلَى خَشْبَةٍ مِنْ خَشْبِ عُمدان لما هدمه  
عُمان مَكْتُوبٌ بِرِصَاصٍ مُصِيبٍ فِي خَشْبَةٍ : « اسلم عُمدان ، هادِمُكَ مَقْتُولٌ »  
فهدمه عُمانُ فُقُتِلَ (١) .

وَحُكِيَ أَنَّهُ أَتَى بِهِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوانِ بِسُكْرانٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا شَرَبْتَ ؟ فَقَالَ :

مَعْمَقَةٌ كَانَتْ قَرِيشٌ تَمَافُهَا فَلَمَّا اسْتَحَلَّتْ قَتَلَ عُمانَ حَلَّتِ

فقال : مع من شربت ؟ فقال :

شَرَبْتُ مَعَ الشُّعْرا بِكُاسِ رَويَةٍ وَأُخْرَى مَعَ الْجُوزاءِ لَمَّا اسْتَقَلَّتِ

وقال له : فلم عز بدت ؟ فقال :

سَقَوْنِي وَقَالُوا : لَا تُفَنَّ وَلَوْ سَقَوْا جِبَالَ حُنَيْنٍ مَاسَقَوْنِي لَأَنْتِ

وقال ابن عَبدون في رائيته :

وَحَضَبْتُ شَيْبَ عُمانِ دَمًا

وَحَطَّتْ إِلَى الزَّبِيرِ وَلَمْ تَسْتَحْيِ مِنْ عُمرِ (٢)

\* \* \*

٤٩ - وقوله : وبذلتُ لِقِطامٍ :

ثَلَاثَةَ آلاَفٍ وَعَبْدًا وَقِينَةً وَضَرَبَ عَلِيٌّ بِالْحِسامِ الْمَسْمُومِ

بِشِيرٍ بِذَلِكَ إِلَى قَتْلَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا

قَاتَلَ الْخِوارجَ بِالنَّهْرِوانِ ، وَاسْتَأْصَلَ جَهورَهُمْ ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمُ إِلَّا الْيَسِيرُ ،

(١) معجم البلدان ٦ : ٢٠٣ .

(٢) البسامة ٣٠٠ .

انقلب له من بقاياهم عبد الرحمن بن ملجم ، وتمامه الخوارج على قتل علي بن أبي طالب ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم ، وخرج منهم ثلاثة نفر لذلك ، ودخل ابن ملجم الكوفة فاشترى لذلك <sup>(١)</sup> سيفاً ، وسقاه السم - فيما زعموا - حتى لفظه ، فقبل ذلك لعلي رضي الله عنه ، فأحضره ، فقال له : لم تسقى سيفك السم ؟ قال : لعدوي وعدوك . فحلى عنه ، وكان في خلال ذلك يأتي علياً فيسأله ويستحمله ، إلى أن وقعت عينه على قطام - وكانت جميلة رائعة - فأعجبته ، فخطبها : فقالت : لقد آتيتُ إلا أتزوج إلا على مهر لا أريد سواه ، فقال : ما هو ؟ فقالت : ثلاثة آلاف وعبد وجارية ، وقتل علي ابن أبي طالب ، فقال : والله ما أتيتُ إلا للفتك به ، ولا أفدني هذا المهر غير ذلك ؛ ولكن لما رأيتك آثرت تزويجك ، فقالت : ليس إلا الذي قلت لك ، فقال : وما بُقيتي منك ! إن أنا قتلت علياً أعلم أني لم أفُت ، فقالت : إن قتلته ونجوت ، فهو الذي أردت من تبيع شفاء نفسي ، وتهنئة لك العيش مني ، وإن قُتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها ، فقال لها : لك ما شرطت ، ثم قال :

ثلاثة آلاف وعبد وقينةٌ      وضرب عليّ بالحسام المسمم <sup>(٢)</sup>  
فلا مهر أعلى من عليّ وإن علا      ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

فقالت : أرى من يشد ظهرك ، فبهتت إلى ابن عم لها يدعى وردان ابن مجالد ، فأجابها . ولقى ابن ملجم شبيب بن شجرة الأشجعي ، فقال له : يا شبيب ، هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما هو ؟ قال : تساعدني على قتل علي بن أبي طالب ، فقال : شكلك أمك ! لقد جئت شيئاً إداً !

(١) ساقطة من ط

(٢) الاستيعاب ١١٣١ ، وفيه : « المسمم » ، وقيل هناك :

فلم أرَ مهراً ساقه ذو سماحةٍ      كمهر قطامٍ في فصيحٍ وأعجمٍ

كيف تقدر على ذلك؟ قال: إنه رجل لا حرس له، ويخرج إلى المسجد منفردا فتتمكن منه، وقد كنا له في المسجد فذقتله، فإن نجونا نجونا، وإن قتلنا فقد سمدنا بالذكر في الدنيا والجنة في الآخرة؛ فقال: ويلك إن عليا ذو سابقه في الإسلام مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ والله ما تنشرح نفسى لقتله، فقال: ويلك! إنه حكم الرجال في دين الله، وقتل إخواننا الصالحين، فذقتله ببعض من قتل: فلا تشكن في دينك. فأجابه، وأقبلا حتى دخلا على قطام، وهي معتكفة في المسجد الأعظم، في قبة ضربتها نفسها، فدعت لها، وأخذها سيفها، وجلسا قبالة السدة التي يخرج منها على رضى الله عنه. فخرج إلى صلاة الصبح، فبدره شبيب فضربه فأخطأه، وضربه ابن ملجم على رأسه وقال: الحكم لله يا علي، لالك ولأصحابك! فقال علي: فزت ورب الكعبة<sup>(١)</sup> لا يفوتنكم الكلب.

فشد الناس عليه من كل جانب فأخذوه، وهرب شبيب خارجا من باب كندة، فقال علي رضى الله عنه: فإن مت فاقتلوه ولا تملوا به، وإن لم أمت فالأمر لي في الفجور أو القصاص.

واختلف أهل العلم بالأخبار: هل قتله في الصلاة، أو قبل الدخول فيها؟ وهل استخلف من أتم بهم الصلاة، أو هو أتمها؟ والأكثر على أنه استخلف جمدة بن هبيرة، فصلى بهم تلك الصلاة.

وعن عثمان بن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: «من

(١) بعدها في ط: «قوله رضى الله عنه: «فزت» يحتمل أن يكون من قولهم: فاز الرجل، إذا مات، ويحتمل: من قولهم: فزت بالشهادة، وأصل المفازة الهلاك، وسميت المفازة بذلك على التنازل، كما يقال للدين: سليمان».

أَشَقَى الْأَوَّلِينَ؟» قال: الذي عَقَرَ الدَّاقَةَ، قال: «فمن أشَقَى الْآخِرِينَ؟»  
قال: لا أدري قال: «الذي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذَا<sup>(١)</sup>» - يعني نافوخه -  
«فَيَخْضِبُ هَذِهِ»، يعني لِحِيته .

وكان على رضي الله عنه إذا رأى ابن ملجم قال:

أريدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عذيرك من خَلِيلِكَ من مراد<sup>(٢)</sup>

وكان على رضي الله عنه كثيرا ما يقول: ما يمنع أشقاها أن يخضب هذه  
من هذا - ويشير إلى لِحِيته ورأسه - خضاب ديم لاخضاب عطر وعنبر .  
وعن سُكَيْن بن عبد العزيز، أنه سمع أباه يقول: جاء ابن ملجم يستعمل  
عليًا، فحمله ثم قال:

أريدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عذيري من خَلِيلِي من مراد

أما إن هذا قاتلي؛ قيل: فما يمنعك منه؟ قال: إنه لم يقتلني بعد .

وقال بكر بن حماد يري عليًا بن أبي طالب رضي الله عنه:

وهز عليٌّ بِالْعِرَاقِينَ لِحِيَّةَ مُصِيبَتِهَا جَلَّتْ عَلَى كُلِّ مَسْلِمٍ<sup>(٣)</sup>  
وقال سيأتها من الله حادِثٌ يُخْضِبُهَا أَشَقَى الْبَرِيَّةِ بِالْدَمِ -  
فباكره بالسيف شلت يمينه لشؤم قظام عند ذاك ابن ملجم  
فياضربة من خاسرٍ ضلَّ سَعْيُهُ تَبَوَّأَ مِنْهَا مَقْعَدًا فِي جَهَنَّمَ -

وأجتمع الأطباء لعلي رضي الله عنه، وكان أبصرهم بالطب أنير بن  
عمرو السكوني، وكان صاحب كسرى يتطبب له - وهو الذي تُنسب إليه

(١) د: « يضرب على هذا » . (٢) عمرو بن معبد بكر بن بكر؛ وانظر اللاسلي ١٣٨

(٣) الاستيعاب ١١٣١ .

صحراء أنبیر<sup>(١)</sup>، فأخذ أنبیر رثة شاة حارّة ، فتدبّع عرقاً منها فاستخرج به ، فأدخله في جراحه على ، ثم نفخ العرق فأستخرج به ، فإذا عليه بياض الدماغ ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أم رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اعهد عهدك فإنك ميت .

ولما مات على رضي الله عنه ، أحضر ابن ملجم ، وجاء الناس بالنفط والبورى ، وقطعت يده ورجلاه ، وكحلّت عيناه ، ثم قطع لسانه ، ثم أحرق في قوصرة .

وقيل إنّه قُطعت يده ورجلاه ولم يتأوه ، بل أخذ يتلو القرآن ، فلما أرادوا قطع لسانه ، أمتنع عن إخراجه ، فتدبّعوا في ذلك ، فقيل له : قُطعت يداك ورجلاك ولا تألّت وما امتنعت ؛ فما هذا الامتناع عند قطع لسانك ! قال : لئلا يفوتني من قراءة القرآن شيء ، وأنا حي . فشقوا شدقه ، وأخرجوا لسانه بكلاب وقطعوه .

وكانت قِتلته على رضي الله عنه ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، عند صلاة الصبح . وقد اختلف في تاريخ قِتلته وسنّته ، فقيل : لثلاث عشرة ليلة الجمعة . وقيل : لثمان عشرة . وقيل : أوّل ليلة من العشر الأواخر . وقيل : وعمره سبع وخمسون سنة . وقيل : ثمان وخمسون سنة . وقيل : ثلاث وستون ، وقيل : خمس وستون . وقيل : أربع وستون وتسعة أشهر وستة أيام - وقيل : أربعة عشر يوماً .

واختلف في مكان قبره ، قيل : في قصر الإمارة بالكوفة ، وقيل : في رحبة الكوفة ، وقيل : في نجف الحيرة ، وقيل : إنّه وُضع في صندوق ، وأكثروا عليه من الكافور ، وحمل على بعير يريدون به المدينة ، فلما كانوا

(١) صحراء أنبیر ، بالنصير ، بالكوفة ، ذكره ياقوت وأورد الخبر .

بيلاد طيبي أناخوا البمير،<sup>(١)</sup> فأخذته طيبي<sup>(٢)</sup>، ودفنوه بأرضهم .  
وقال المبرد عن محمد بن حبيب : أوّل من حوّل من قبرٍ إلى قبرٍ على بن  
أبي طالب رضى الله عنه .

وقالت عائشة لما بلغها قتله : لتصفع العرب ماشاءت بملءه ، فليس لها  
سنٌ بينهاها .

وكان ابن ملجم قد قرأ القرآن على معاذ بن جبل - وكان من العبّاد .  
قيل إنَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى عمرو بن العاص رضى الله  
عنه : أن قرّب الناس إلى دار عبد الرحمن بن ملجم ؛ ليعلم الناس القرآن والفتنة .  
فوسّع مكان داره ، ثم كان من شيمة على ، وشهد معه صفيين ، ثم فعل بعد  
هذا كلّ ما فعله .

وعند الخوارج أن ابن ملجم من أفضل الأئمة ، وكذلك النصيرية  
يعظمونه . قال أبو محمد بن حزم : يقولون إنَّ ابن ملجم أفضل أهل  
الأرض ؛ لأنه خلّص روح اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره .

وعند الروافض أنه أشقى الخلق في الآخرة ؛ وهو عند أهل السنة ممن  
ترجوه النار ، ويجوز أن الله تعالى يتجاوز عنه ، وحكمه حكم قاتل عثمان  
والزبير وطلحة وسعيد بن جبير وعمار وخارجة والحسين ؛ فكل هؤلاء  
نبرأ منهم وينفضهم في الله تعالى ، ونسكل أمورهم إلى الله تعالى .

وفيه يقول عمران بن حطان :

يا ضربةً من تقيّ ما أراد بها  
إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا<sup>(٣)</sup>

(١-١) ساقط من ط

(٣) كامل المبرد ٣ : ١٦٩ ، وفي زيادات طبعة أوروبا : «قلبه الفقيه الطبرى فقال : =



إني لأذكره يوماً فأحسبه وقال بكر بن حماد :

قل لابن ملجم والأقدار غالبية : هدمت وملك للإسلام أركاناً<sup>(١)</sup>  
 قتلت أفضل من يمشي على قدم وأول الناس إسلاماً وإيماناً  
 وأعلم الناس بالإسلام ثم بما سن الرسول لنا شرعاً وتبلياناً  
 صهر النبي ومولاه وناصره أضحت مناقبه نورا وبرهاناً  
 وكان منه على رعم الحسود له مكان هارون من موسى بن عمراناً  
 وكان في الحرب سيفاً ماضياً كراً لئناً إذا لقي الأقران أقراناً  
 ذكرت قاتله والدمع منحدر إني لأحسبه ما كان من بشر  
 إني لأحسبه ما كان من بشر أشقى مراد إذ عدت قبائلها  
 كما قر الفاقة الأولى التي جلبت قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها  
 فلا عفا الله عنه ما تحمله لقوله في شقي ضل مجترماً  
 يا ضربة من تقي ما أراد بها يا ضربة من تقي ما أراد بها

يا ضربة من شقي ما أراد بها  
 إني لأذكره يوماً فالعنه  
 وقال محمد بن أحمد الطيب يرد على عمران بن حطان :

يا ضربة من غدور صار ضاربها  
 أشقى البرية عند الله إنساناً  
 إذا تفكرت فيه ظلت ألمه وألن الكلب عمران بن حطاناً

بل ضربة من غويٍ أوردته لظي  
كأنه لم يرد قصداً بصريته  
فسوف يلقى بها الرحمن غضباناً  
إلا ليصلي عذاب الخلد ميزاناً

وما أحسن قول ابن عبدون في قصيدته :

وأيتها إذ فدت عمراً بخارجة  
فدت علياً بمن شاءت من البشر<sup>(١)</sup>

وقال البحتري :

ولا عجب للأسد إن ظفرت بها  
فحربة وحشيته قتلت حمزة الردي  
كلاب الأعدى من فصيح وأعجم<sup>(٢)</sup>  
وموت علي من حسام ابن ملحجم

وقال عماره اليماني يذكر الأربعة :

أودي عليّ وعثمان بمخالبها  
ومن أراد التأمي في مصيبتهم  
ولم يقيها أبو بكر ولا عمر  
فلسوري برسول الله مقتبر

وما أحسن قول شيخ الشيوخ شرف الدين :

أدرك كأس خمرٍ صرفاً فني  
ولا تهتلنها تكن ثالثاً  
حياة المدام حياة الأواد  
لأشقي ثمود وأشقي مراد

وأنشدني من لفظه شيخنا الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد

الذهبي فقال :

إذا قرأ الحديث على شخص  
فما جازي بإحسان لآتي  
وأخلى موضعاً لوفاة مثلي  
أريد حياتته ويريد قتي

فقيت عنه وجئته فأشدته لنفسي :

خليك ماله في ذا مراد  
فدُم كالشمس في عليا محال

وقضى أن تعيش مدي الأليالي وأنك لا تمل وأنت تمل  
فأعجبه قولي :

• خليلك ماله في ذا مراد •

لأنه تمام البيت الذي ضمنه .

• • •

٥٠ - وقوله : وكتبتُ إلى عمر بن سعد أن جمعِ الحسين .

يشير بذلك إلى قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وذلك أنه لما أخذت البيمة يزيد بن معاوية لم يبايئه الحسين ، وكان أهل الكوفة كتبوا إلى الحسين يدعونه إلى الخروج زمن معاوية وهو بأبي ، فقدم قومٌ منهم إليه ، ثم غلب على رأيه ، فخرج ومعه من أهل المدينة تسعة عشر رجلاً من نساء وصبيان ، وتبعه محمد بن الحنفية ، وأعلمه أن الخروج ليس برأى . فأبى الحسين ، فحبس محمد ولده ، وخرج من مكة متوجهاً إلى العراق في عشر ذي الحجة ، سنة [ ستين ]<sup>(١)</sup> .

فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد : إن حسينا صائرٌ إلى الكوفة ، وقد أبطلت به زمانك من بين الأزمان ، وبلادك من بين البلدان ، وعندها تهتق أو تعود عبداً .

فندب له عبيد الله بن زياد وعمر [ بن سعد ] بن أبي وقاص ، فقاتلهم ، فقال الحسين : يا عمر ، اختر مني إحدى ثلاث : أما تركتني أرجع ، أو سببتني إلى يزيد فأضع يدي في يده ، فيحكمني بما يرى ؛ فإن أبيت فسببتني إلى الترك فقاتلهم حتى أموت .

فأرسل<sup>(٢)</sup> عمر بذلك إلى ابن زياد ، فهم أن يسيره إلى يزيد ، فقال شمر

(٢) . د . « فأوصل » .

(١) من ط

ابن ذى الجوشن : لا أيتها الأمير ، إلا أن ينزل على حُكِّكَ ، فأرسل إليه ، فقال الحسين : والله لا أفعل . وأبطأ عمر عن قتاله ؛ فأرسل إليه ابن زياد أن جمع بالحسين — قال الأصمعي : معناه حبسه ، وقال ابن الأعرابي : صَيَّقَ عليه .

وجَهَزَ إليه شمرًا وقال : إن تقدم عمرُ وقاتل وإلا فاقْتُلْهُ ، وكن مكانه . فقاطوه إلى أن أصابه سهمٌ في حَفْصِكَ ، فسقط عن فرسه ، فنزل إلى الحسين<sup>(١)</sup> شمر بن ذى الجوشن - وقيل غيره - فاحتز رأسه . إنا لله وإنا إليه راجعون !

وُقُتِلَ معه يوم عاشوراء إخوته بنو أبيه : جعفر وعقيل ومحمد والمباس الأكبر بنو علي ، وابنة الأكبر علي ، وهو غير علي زين العابدين ، وابنة عبد الله بن الحسين ، وابن أخيه القاسم بن الحسن ، ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وأخوه عون ، وعبد الله وعبد الرحمن ابنا مسلم بن عقيل رضى الله عنهم .

وَحَمِلَ رأسُ الحسين إلى يزيد ، فوضعه في طست ، وجعل يَسْكُتُ ثناباهُ بقضيب في يده ، ويقول : إنه كان حسنَ الشَّعرِ ، فقال زيد بن أرقم : ارفع قضيبك ، فطالما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَلْثُمُ موضِعَهُ ، فقال : إنك شميخ قد خرفْت . فقام زيدٌ يجرُّ ثوبه .

وعن محمد بن سُوقة<sup>(٢)</sup> بن عبد الواحد القرشي ، قال : لما أتى يزيدُ برأس الحسين ، تناوله بقضيب ، فكشَفَ عن ثناباه ، فوالله ما البردُ بأبرد من ثناباه ، ثم قال :

(١) م : « فنزل إليه شمر بن ذى الجوشن » .

(٢) ط : « سراقه » .

نَفَلَقُ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعْرَةَ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَطْلَمًا<sup>(١)</sup>

فقال رجل كان عنده : يا هذا ارفع قضيبك ، فوالله لربما رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه ، فرفعه متذمماً منصباً .

وفي ذلك يقول شرف الدين المبارك مستوفى إزبل ، من جملة قصيدة :

أَتَجَحَّدُ قَتْلَهُ وَتَرَاهُ إِيمًا وَقَدْ أَقْبَلْتَهُ بِالطَّفِّ شِمْرًا  
وَتَفْرَعُ بِالْقَضِيبِ نَفْتِيمِيهِ أَرَاكَ أُنَيْتَهَا نَكْرَاءَ بَكْرًا

وذكر ابن سعد : أن جسده دُفِنَ حيث قُتِلَ ، وأن رأسه كَفَنَهُ يزيد ، وأرسله إلى المدينة ، فدُفِنَ عند فاطمة رضي الله عنها .

قال شيخنا شمس الدين الذهبي : وعلق الرأس - على ما قيل - بدمشق ثلاثة أيام ، ومكث الرأس في خزان السلاح حتى ولى سليمان ، فبمكث له فحجى به ، وقد بقي عظاماً أبيض ، فجعله في سَفَطٍ وطيبه وكفنه ، ودفنه في مقابر المسلمين ، فلما دخلت المسودة نبشوه وأخذوه ، والله أعلم بمكانه الآن من ذلك الوقت .

وروى عن عمر بن عبد العزيز ، أنه قال : لو كنت في قتل الحسين ، وأمرت بدخول الجنة لما فعلت ؛ حياءً أن تقع عيني على محمد<sup>(٢)</sup> .

لما قتل قالت مَرَجَانَةُ ابنة عُمَيْدِ اللَّهِ مِنْ زِيَادٍ : يَا خَيْثُ ، قَاتِلِ ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٣)</sup> لَا يَرَى الْجَنَّةَ أَبَدًا .

وقال أعرابيٌّ : انظروا ابنَ دَعِيَّهَا ، قَتَلَ ابْنَ نَفِيَّهَا .

(١) للحصين بن الحمام المرى ، ديوان الحماسة ١٩٩ - بشرح الرزوقي .

(٢) ط : « حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقع عيني على عينيه » .

(٣) م : « يا خيث ، قتل ابن بنت رسول الله »

وعن رأس الجالوت أنه قال : والله إن بني وبين داود سبمين  
أبا ، وإن اليهود كَتَلْتَانِي فَمَعَّظَنِي ، وَأَنْتُمْ لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّكُمْ إِلَّا آبُ  
وَاحِدٌ ، وَقَتَلْتُمْ وَلَدَهُ .  
وقيل : إن الحسين رمى بدمه<sup>(١)</sup> نحو السماء ، وقال : أطلب بدم ابن بنتي  
نبيك .

وكان قد توجه نحو الأنرات ، فدمر ضوالة ، وحالوا بينه وبين الماء . وأشار  
بذلك رجل من بني أبان بن دارم ، فقال الحسين رضى الله عنه : اللهم أظمته ؛ فما  
لبث الأباني إلا قليلا حتى رنى وإنه ليؤتى بعس يروى عدة ، فيشر به ، فإذا  
نزع عن فيه قال : استقوني فقد قتلتني العطش ، فانقد بطنه كأ نداد البعير .

وقال الزبير : قتله سنان بن أبي أس النجفي ، وأجهز عليه خوئي بن يزيد  
الأصبجي من حمير ، وقتل معه سبعة عشر شابا . قال محمد بن الحنفية : كلهم  
قد ارتكضوا في رحم فاطمة .

وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في نومه كأن كلبا أبقم ولغ في  
دمه ؛ فلما قتل الحسين - وكان شمر بن ذى الجوشن به وضح - ففسرت رؤياه .  
وقال أبو الأسود الدؤلي - ويروى غيره :

أيرجو ممشر قتلوا حسينا شفاعة جده يوم الحساب  
وقال بعض الشعراء :

عبد شمس قد أضمرت لبنيها شم حرا يشيب منه الوليد  
فأبن حرب المصطفى ، وابن هند لعلي ، ولالحسين يزيد  
وقال الخفاجي من أبيات :

يا أمة كفرت وفي أفواهاها القرآن فيه ضلالتها ورشادها  
أظلى المنابر تملنون بسبه وبسيفه نصبت لكم أحقادها

(١) د : « رمى بدمه » . (٢) م ، ط : « أضمه » .

تلك الضمآنُ بينكمُ بَدْرِيَّةُ  
وقال أبو الحسين الجزار :

وبعودُ عاشورًا يذكُرُنِي  
وَلَيْتَ عَيْنًا فِيهِ قَدْ كَحَلَّتْ  
رُزْءُ الْحُسَيْنِ فَلَيْتَ لَمْ يَعُدِ  
بِمَسْرَةٍ لَمْ تَخْلُ مِنْ رَمَدِ  
ويبدأُ به لثمانية خُضِبَتْ  
مَقْطُوعَةً مِنْ زَنْدِهَا بِيَدِي  
يَوْمٌ سَبِيلِي حِينَ أَذْكَرُهُ  
أَلَّا يَدُورُ الصَّبْرُ فِي حَلْدِي  
أَمَّا وَقَدْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ بِهِ  
فَأَبُو الْحُسَيْنِ أَحَقُّ بِالْكَمَدِ

ولقد أحسن في البيت الثالث والخامس كل الإحسان .

وقال أحمد بن عيسى الهاشمي من ولد الواثق ، يمتدِّر من الكحل في يوم  
عاشوراء :

لَمْ أَكْتَحَلْ فِي صَبَاحِ يَوْمِ -  
إِلَّا إِحْزَانٍ وَذَاكَ أَنِّي  
أُرْبِقَ فِيهِ دَمَ الْحُسَيْنِ  
سَوَدَتْ حَتَّى بِيَاضِ قَيْنِي

وقال عمارة اليميني :

غصبت أمةً لِرِثِّ آلِ مُحَمَّدٍ  
وَعَدَّتْ تَخَالَفَ فِي الْخِلاَفَةِ أَهْلَهَا  
سَفَهًا ، وَشَنَّتْ غَارَةَ الشُّنَّانِ  
وَتَقَابَلَ الْبِرْهَانَ بِالْبِهْتَانِ  
لَمْ يَقْتَنِعْ حُكَّامَهُمْ بِرُكُوبِهِمْ  
وَقَمُودِهِمْ فِي رُتْبَةِ نَبَوِيَّةِ  
ظَهَرَ التَّفَاقُ وَغَارَبَ الْمُتَدَرِّانِ  
لَمْ يَبْذِنِهَا لَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ  
حَتَّى أَضَافُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ  
أَخَذُوا بِشَأْرِ الْكَافِرِ فِي الْإِيمَانِ  
فَأَتَى زِيَادٌ فِي التَّقْبِيحِ زِيَادَةً  
تَرَكْتُ زَيْدًا يَزِيدُ فِي الضُّعْفَانِ

وقيل لابن الجوزي وهو على المنبر : كيف يقال إن يزيد قتل الحسين  
وهو بدمشق ، والحسين قتل بكر بلاء من أرض العراق ! فأُشِد :

سَتَهُمْ أَهْمَابٌ وَرَامِيهِ بَدِي سَلَمٌ  
مَنْ بِالْعِرَاقِ لَقَدْ أَبْعَدَتْ مَرَمَاكُ (١)

وقد رثاه من المتقدمين والمتأخرين خلق لا يعلمهم إلا الله ، وخسوا فيه القصائد المشهورة ، فمنهم الموفق الحكيم المعروف بالورل ، خمس الدريرية مرثية فيه ، والسراج الوراق خمس فيه قصيدتي أبي تمام إحداهما قوله :

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعًا<sup>(١)</sup>

والأخرى قوله :

أَيُّ الْقُلُوبِ عَائِكَ لَيْسَ تَنْصَدُعُ<sup>(٢)</sup>

وقال رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز الحنبلي : اجتمعت بمجد المرأة - يعني أبا العلاء الممرى - فقال لي : <sup>(٣)</sup> سمعت في مرثي الحسين بن علي رضي الله عنهما مرثية تكتب ؟ ، فقلت : قد قال بعض فلاحي بلادنا أبياتا تمجز عنها شيوخ تنوخ ، فقال : ماهي ؟ قلت : قوله <sup>(٤)</sup> :

رَأْسُ ابْنِ بِنْتِ مُحَمَّدٍ وَوَصِيهِ      لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى قَنَاقَةٍ يُرْفَعُ  
وَالْمُسْلِمُونَ بِمَنْظَرٍ وَبِمَسْمَعٍ      لَا جَاوِزَ فِيهِمْ وَلَا مُسْتَرَجِعُ  
أَبْقَضْتَ أَجْفَانًا وَكَنْتَ أَنْفَتَهَا      وَأَنْمَتَ عَيْنَانَا لَمْ تَكُنْ بِكَ تَهَجُّعُ  
مَارُوضَةً إِلَّا تَمَّتْ أَنْفَانَا      لَكَ تَرْبَةٌ وَيُخَطُّ قُرْبُكَ مَوْضِعُ  
فَقَالَ الْمَرِّي : مَسَمْتُ أَرْقًا مِنْ هَذِهِ .

\* \* \*

٥١ - قوله : وتمثلت عندما بلغني ما بلغني من وقعة الحرة :

ليت أشياخي يبدر شهدوا      جزع الخرج من وقع الأسل

(١) ديوانه ٣٧٤ وبقينه :

\* وَأَصْبَحَ مَنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَمًا \*

(٢) ديوانه ٣٧١ ، وبقينه :

\* وَأَيُّ دَمْعٍ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَمْتَنِعُ \*

(٣ - ٣) ساقط من ط .



يشير بذلك إلى يزيد بن معاوية وما فعله بأهل المدينة في واقعة الحرة ، وسبب ذلك أن أهل المدينة أخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، عامل يزيد بن معاوية من المدينة ، وخلعوا يزيد ، وابعوا عبد الله بن حنظلة [ الغسيل ] ، وحاصروا بني أمية ومن رأى رأيهم من قريش ، وكانوا نحواً<sup>(١)</sup> من ألف رجل ؛ حاصروهم<sup>(٢)</sup> في دار مزوان . فسكتب بنو أمية كتاباً إلى يزيد على يد حبيب بن كزرة ، وهو : أما بعد ، فإننا حصرنا في دار مزوان بن الحكم ، ومنعنا من التعذب ، ورمينا بالجبوب<sup>(٣)</sup> ، فياغوثاه ! ياغوثاه !

قال حبيب : فوصلت إلى يزيد ، فأدخلت عليه وهو على كرسي ، واضع رجله في ماء في طست من وجم النقرس ، فقرأه وقال :

لقد بدلوا الحلم الذي من سجيتي فبدأت قومي غلظة بليان  
ثم بعث إلى عمر بن سعد ، فأقرأه الكتاب ، وأمره بالسير إليهم ، فقال :  
إنما هي دماء قريش تهراق بالصعيد ، فلا أحب أن أتولى ذلك ؛ يتولاها من هو  
أبعد منها مني .

فبعث إلى مسلم بن عقبة - وهو شيخ كبير ضعيف - وخرج مُنادي يزيد بالفاس ؛ أن سيروا إلى الحجاز . وبعث مع مسلم اثني عشر ألف رجل ، وخرج يزيد يتصمخ الخيل ويُشد :

أبلغ أبا بكر إذا الليل سرى وهبط القوم على وادي القرى  
عشرون ألفاً بين كهل وفتى أجمع سكران من القوم ترى  
أم تجمع يقظان نفي عنه الكرى يا عجباً من ملحد يا عجباً!  
\* مُخادع بالدين يقفوا بالقرى \*

(١) الجبوب : الأرض الغليظة ، وفي الأصول : « الجبوب » ، وما أثبتته من تاريخ الطبري

وجَهَّزَ الحليش، وقال لمسلم بن عُقبة: أدعُ القومَ ثلاثاً، فإن هم أجابوك وإلا فمقاتلتهم؛ فإذا ظهرت فأبجها ثلاثاً بما فيها من مال أو زينة<sup>(١)</sup> أو سلاح أو طعام فهو للجنود. فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس، وأنظر إلى علي بن الحسين فاكفف عنه، وأسأوص به خيراً، وأذن مجلته، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه. ولما بلغ الجيش المدينة، خرج بنو أمية بأثقالمهم؛ حتى لقوا مسلماً بن عقبة بوادي القرى، وأنوا المدينة من قِبل الحرة. ولما أصبح نادى: يا أهل المدينة، إن أمير المؤمنين يزعم أنكم الأصل، ويقول: إنى أكره هراقة دِمائكم، وإنى أوججكم ثلاثاً، فمن أروعى ورحم قبلنا منه، وانصرفت عنكم، وسيرت إلى هذا المأجد الذي كان بمكة، وإن أبيتم كذا قد أعدرتنا إليكم.

ولما انقضت المدة قال: أتالمون أم تُحاربون؟ قالوا: بل نُحارب، وتقابل المريقان؛ فقتل عبد الله بن الفسيل وأخوه لأمه محمد بن ثابت ابن قيس بن شماس، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصارى وجماعة من كبار الصحابة وغيرهم.

وكان مسلم بن عُقبة ضعيفاً؛ فكان يجلس على كرسي ويحمله الغلمان بين الصنفين يحرص الناس على القتال، إلى أن كل أهل المدينة، وتفاى أكابرهم، وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثاً، يقتلون [الناس]<sup>(٢)</sup> رباحذون الأموال. ثم لأنه بايع الناس ليزيد، ومن تآبى أو تلسكاً قتله<sup>(٣)</sup>.

ولما فرغ مسلم بن عقبة من أهل المدينة، توجه إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، وخلف على المدينة رَوْح بن زنباع الجذامى. فوصل مكة، وحاصر ابن الزبير، وأدركته الوفاة فقال: اللهم إنى لم أعمل عملاً صالحاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله

(١) الطبرى . «أورقة»، والرفقة: الدراهم . (٢) من الطبرى .

(٣) انظر خبر الواقعة في تاريخ الطبرى ٥ : ٤٨٢ - ٤٩١ .

أحبَّ إلى من قَتَلَ أهلَ المدينة ، ولا أرجى عندي في الآخرة . ومات ، فكانت  
وقعة الحزرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاثٍ وستين .  
وقال محمد بن أسلم الأنصاري الساعدي يوم الحزرة :

إن تقتلونا يومَ حرةٍ واقمِ      فنحنُ على الإسلامِ أوّلُ من قتل<sup>(١)</sup>  
ونحنُ تركناكم ببدنٍ أذلةً      وأبنا بأسلابٍ لنا فيكمُ نقلُ  
فإن ينج منا عائدُ البيتِ سالما      فما نالنا منكم وإن شئنا جلالُ  
وكان يزيد قد كتب إلى أهل المدينة :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد يا أهل المدينة ، فإنني أنظر تسكماً حتى  
لا نظرة ، ورفقت بكم حتى عجزت عنكم ، وحملتكم على رأسي ثم على  
عيني ثم على نحري . وإني والله إن وضعتكم تحت قدمي لأطانكم وطأةً  
أجملكم فيها أحاديث ترتل مع أحاديث عادٍ وثمود . ثم قال :

أظنَّ الحليمَ دُلَّ على قومي      وقد يستجهل الرجلُ الحليم<sup>(٢)</sup>  
ومارستُ الرجالَ ومارسوني      فمـوجٌ على ومستقيمُ

وقيل : إن هذا البيتين لماوية رضى الله عنه ، قالها متمثلاً بهما  
في بعض وقائمه<sup>(٣)</sup> .

ولما استكمل يزيد ، حرّض جنده ، وأركبهم برية الحجاز ؛ وكتب ورقة  
لطيفة ، وأرسل بها رسولا إلى ابن الزبير مفردا ، ليسبق القوم ، وفيها  
من شعره :

استمقد ربك في السماء فإنني      أدعو إليك رجال عكّ وأشمر<sup>(٣)</sup>

(١) معجم البلدان ٣ : ٢٦٣ ، وحرة واقم ، إحدى حرق المدينة .

(٢) الصواب أن الشعر لقيس بن زهير العبسي من مقطوعة له في ديوان الحماسة ١ : ٣٩٧

(٣) السعدي ٣ : ٧٩ ، وفيه « ادعوا إليك في السماء فإنني » .

ورجال كلب والسكون وخذها      وجذام تقدمها كتاب حسيير  
كيف النجاة أبا خبيب منهم      فاحتل لنفسك قبل يأتي عسكري

وبانغ أبو بكر الخوارزمي فيما كتب به إلى جماعة الشيعة بنيسابور ، لما  
قصدهم واليهما محمد بن إبراهيم ، من جملة رسالة مطولة . قال أمير المؤمنين  
ويعسوب الدين عليه السلام : المجن إلى شيعةنا أسرع من الماء إلى الحدور<sup>(١)</sup> .  
هذه مقالة أسست على الحن ، وولد أهلها في طالع الهزاهز والفين ، لحياة  
أهلها نقص<sup>(٢)</sup> ، وقلوبهم حشوها غصص ، والأيام عليهم متحاملة ، والدنيا  
عنهم مائلة ، وإذا كنا شيعة أمتنا في بعض الفرائض والسنة ، ونسمع آثارهم  
في كل قبيل وحسن ؛ فينبغي أن نسمع آثارهم في كل المجن .

غصبت سيدتنا فاطمة صلوات الله عليها ميراث أبيها صلوات الله  
وسلامه عليه يوم السقيفة ؛ وأخر أمير المؤمنين رضي الله عنه عن الخلافة ،  
وسم الحسن رضي الله عنه سيرا ، وقتل أخوه كرم الله وجهه جبرا ،  
وصاب زيد بن علي بالكناسة ، وقطع رأس يحيى بن زيد في المعركة ،  
وقتل أبناء محمد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي ، ومات موسى  
ابن جعفر في حبس شارون الرشيد ، وسم علي بن موسى على يد المأمون ،  
وهزم إدريس بفتح<sup>(٣)</sup> حتى وقع إلى الأندلس فريدا ، ومات عيسى بن زيد  
طريدا شريدا ، وقتل يحيى بن عبد الله بعد الأمان والأيمان ، وبعد تأكيد  
العهود والضمان ؛ هذا غير فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان ، وغير  
قتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على أيدي آل ساسان ، وغير ما صنع  
أبو الساج في علوية المدينة ؛ حملهم بلا غطاء ولا وطاء ، من الحجاز إلى سامرا .  
وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن علي حين أخذه بأبويه ،

(١) الحدور : المكان يتعذر منه (٢) النقص : كدر العيش .

(٣) فتح : واد بركة .

وقد ستر نفسه ، ووارى شخصه ، بصانع حياته ، ويدافع وفاته ، ولا كما فعله الحسين بن إسماعيل المصعبى بجي بن عمر الزبدي<sup>(١)</sup> خاصة ، وما فعله مزاحم ابن خاقان بملوكة الكوفة كافة ؛ وحسبكم أن ليس فى بيضة الإسلام بلد إلا وفيها لتبيل طابى تربة<sup>(٢)</sup> ، تشارك فى قتلهم الأموى والعباسى ، وأطبق عليهم المدنانى والقحطانى .

فليس حتى من الأحياء نعرفه من ذى يمان ولا بكر ولا مضرب  
إلا وهم شركاء فى دمائهم كما تشارك أيسار على جزر  
وهذا البيت الذى أستشهد به يزيد فى وقعة الحرة ، وهو :

\* لَيْتَ أَشْيَاخِي بَيْدِرٍ شَهْدُوا \*

قائله عبد الله بن الزبعرى .

\* \* \*

٥٢- وقوله : ورجمت الكهبة ، وصلبت العائذ على الثنية .

يشير بذلك إلى واقعة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ؛ وذلك أنه كان فارس قریش فى زمانه ، بُوع بالخلافة سنة أربع وستين ، وحكم الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان وأكثر الشام ، فضاق عطن عبد الملك ابن مروان منه ، فجاء الحجاج إليه ؛ وقال : رأيت فى نومي كأنني علمت عبد الله بن الزبير وساخته ؛ فقال : أخرج إليه ، فأنت له .

فخرج الحجاج إلى مكة فيمن معه من العسكر ، فأحاط بها ، ونصب المنجنيق على أبي قبيس . وكان ابن الزبير قد نصب فسطاطا عند البيت فاحترق ، فطارت منه شرارة فاحترق البيت ، واحترق قرنا الكبش الذى فدّى به إسماعيل ، ثم إنه جدد عمارة البيت .

(١) فى الأصول : « الزبدي » ، وما أثبتته من الرسائل .

(٢) الرسائل : « ترة » .

ولما نصب الحجاج المنجنيق رمى به الكعبة على ابن الزبير  
وعلى من معه في المسجد ، وجعل ابن الزبير على الحجر الأسود بيضة ترد عنه ،  
ودام الحصار ستة أشهر وسبع عشرة ليلة .

ولما كان قبل قتله بمشيرة أيام دخل على أمه وهي شاكية ، فقال لها :  
كيف تجدينك يا أماه ؟ قالت : ما أجدني إلا شاكية ، فقال لها : إن في الموت  
لراحة ، قالت : لعلك تمنيت لي ! ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد  
طرزنيك ، إما قُتلت فاحسبنيك ، وإما ظفرت بعدوك فقُتلت عيني ؛ قال  
عروة : فالتفت إلى وضحك .

ولما كان في اليوم الذي قتل فيه دخل عليها في المسجد ، فقالت : يا بني ،  
لا تقبلنّ منهم خُطة تخاف فيها على نفسك الدّل مخافة القتل ؛ فوالله لَضربة  
بالسيف في عزّ خير من ضربة بالسوط في مدّلة ، فقال لها : إنما أخاف المُدلة ،  
قالت : يا بني ، إن الشاة لا يضرّها ساخها بعد الذّبح .

فخرج وقد جعل له مصراع عند الكعبة - وكان تحته - فأناه رجل من  
قريش فقال : ألا تفتح لك باب الكعبة فتدخلها ؟ فقال عبد الله : من كل شيء  
تحفظ أحاك إلا من نفسه ، والله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة لقتلوكم .  
وهل حرمة المسجد إلا كحرمة البيت ! ثم قال :

ولست بمبتاع الحياة بسبّة

ولأمرتي من خشية الموت سأمًا<sup>(١)</sup>

ثم شدّ عليه أصحاب الحجاج ، فقال : أين أهل مصر ؟ فقالوا : هم هؤلاء  
من هذا الباب ، فقال لأصحابه : اكسروا أعماد سيوفكم ولا تميموا عني ؛ فإني

(١) لابن حمام المري من الفضلية ١٢

في الرّعيّل الأوّل ، ففعلوا . ثمّ حمل عليهم وحلوا معه ، وكان يضرب بسيفين  
فلحق رجلا ففّطع يده . وانهمزوا ، فجعل يضربهم حتى أخرجهم من المسجد ،  
فجعل رجل أسود يسّبه ، فقال : اهْبِزْ يا بنِ حام ؛ ثمّ حمل عليه فصرعه . ثمّ  
دخل عليه أهل حصّ من باب بنى شيبه ، فشدّ عليهم ، وجعل يرتجز ويقول :  
لو كان قَرْنِي واحِداً كَفَيْتُهُ      أوردته الموتَ وقد رَكِبْتُهُ (١)

إلى أن أخرجهم من المسجد ، ثمّ دخل عليه أهل الأزدن من باب آخر  
فجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ، وهو يقول :  
لا عهد لي بفارّةٍ مثل السَّيْلِ      لا ينجلي فتأمّها حتى اللّيل  
فأقبل عليه حجرٌ من ناحية الصفا ، فأصابه بين عينيّه ، فنكس رأسه  
وهو يقول :

وَأَسْنَا على الأَعقابِ تَدَمَى كُلوْمُنا

وَأَسْكَنَ على أَقدامِنا تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ (٢)

ثمّ اجتمعوا عليه ، فلم يزالوا يضربونه حتى قتله ؛ ولما قُتِلَ كَبُرَ أهلُ  
الشام ، فقال عبدُ الله بنِ عمر : المكبّرون عليه يومَ وُلِدَ ، خيرٌ من المكبّرين  
عليه يومَ قُتِلَ .

قلت : لأنّه لما قدم المهاجرون المدينة أقاموا مدّة لا يُولد لهم ، فقالوا :  
سجّرنا اليهود ، حتى كثرت المقالة في ذلك ، فلما وُلِدَ عبدُ الله بنُ الزبير بعد  
الهجرة بالمدينة كَبُرَ المسلمون تكبيرةً واحدة حتى ارتجت المدينة .

وقُتِلَ معه مائتان وأربعون رجلاً ، منهم منّ سال دمه في جوف الكعبة

(١) لدويد بن زيد ، وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، ٢٨ ، والرواية هناك :

لو كان للدهرِ بليّ أبليّته      أو كان قَرْنِي واحِداً كَفَيْتُهُ

(٢) لالحسين بن حمّ ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ١٩٢ .

وأخذه الحجاج وصلبه منكساً؛ وآلى الحجاج أنه ما يُنزله حتى تَشْفَعَ فيه أمه؛ فلم تَفْعَلْ، فبقِيَ مصلوباً على الشَّيْثَةِ سَنَةً، فمَرَّتْ أمه بعد سنة تحت جذعه، فقالت: أما أن لهذا الراكب هذه المِطْيَةَ أن يترجّل! فيقال: إنه قيل للحجاج: إن هذا الكلام شفاةٌ فيه؛ فأنزله.

وقيل: بل رحل عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان، وسأله إنزاله عن الخُثَيْمَةِ؛ فأذن له.

ولما بُشِّرَتْ أمه بذلك؛ قال ابن أبي مُلَيْكَةَ: فدعت بمرثك<sup>(١)</sup> وشبَّ يمانى؛ وأمرتنى بنفسه، فكنا لا نتناول عضواً إلا جاء معنا؛ فكنا نَسِيلُ العضو ونضعه في أ كفانه، وتناول المصو الذي يابه فنفسله ونضعه في أ كفانه حتى فرغنا منه. ثم قامت فصلت عليه، وما أنى عليها بعد ذلك جمعة حتى مات رضى الله عنها. وكانت تقول: اللهم لا تُمَدِّني حتى تُقِرَّ عيني بجُثْمَتِهِ.

وقيل: إنه لما جاء به إليها وضعت في حجرها، فحاضت، ودَرَ ثديها. فقالت: حنَّت عليه مواضعه، ودَرَّت عليه مواضعه.

وكانت قتلته سنة ثلاثٍ وسبعين للهجرة.

وقيل: إن أمه صلت عليه وحملته إلى المدينة، فدفنته في المدينة في دار صفية بنت حبي؛ ثم زادت دار صفية في المسجد، فهو مدفون مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر رضى الله عنهم.

وكان كثير الصلاة، كثير الصيام، شديد البأس، كريم الجَدَاتِ والأُمّهات والخالات.

قال مالك: إن ابن الزُّبَيْرِ كان أفضل من مروان، وكان أولى بالأمر منه ومن أبيه.

(١) المرثك، كلمة فارسية، وهو دواء مجفف، وانظر العرب وحواشيه ٣١٧.



وقال علي بن زيد الجديعي : إلا أنه كان فيه خلل لا تصلح مع الخلافة ، لأنه كان بجيلاً ، ضيق العطن ، سيئ الخلق سوداً ، أخرج محمد ابن الحنفية ، ونفى عبد الله بن العباس إلى الطائف ، وكان يسمى حمامة المسجد للزمته له .

وقال عمرو بن دينار : كان ابن الزبير يصلي في الحجر وحجر المنجبى يصيب طرف ثوبه ، فما بلغت إليه .

قال ابن اسحاق : ما رأيت أحداً أعظم سجدةً بين عينيه من ابن الزبير .

وقيل : إنه جاءته شرفة من شرف المسجد ، فوقعت على رأسه فصرعته وهو يتمثل :

أسماء يا أسماء لا تبكيهني لم يبق إلا حسبي وديني

\* وصادمٌ لانت به يميني \*

وهو أول مولود ولد بالمدينة في الإسلام ، وأمه ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وخالته عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنهم أجمعين .

وكان يلقب بالعائد - يعني أنه عاذ بالبئيت ، وأستجار به ، ولهذا قال محمد ابن كثير يخاطبه ؛ لما حبس محمد بن الحنفية في سجن عارم :

تُخَبَّرُ مِنْ لَاقِيَتِ أَنْكَ عَائِدٌ

بل العائد المحبوس في بطن عارم (١)

وَمَنْ يَلْقَ هَذَا الشَّيْخَ بِأَخْيَفِ مِنْ مَنِي

من الناس يعلم أنه غير ظالم

(١) معجم البلدان : ٩٤ ، قال : « ولا أعرف موضعه وأرضه بالطائف » .

سَمِيَّ النَّبِيِّ انْصَطَقِي وَأَبْنُ عَمِّهِ  
 وَفَسَّكَكَ أَغْلَالٍ وَقَافِي مَغَارِمِ  
 أَبِي فَمَوْ لَا يَشْرِي هُدَىٰ بَضَلَالَةٍ وَلَا يَتَّقِي فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمِ

قلت : هؤلاء أدباء العرب ؛ هم الأدباء ، وكتابتهم هم الكتاب الألباء ،  
 قد تفرّدوا بهذه الطريقة العربية ، واستظلّوا هذه الفصون الوريقة ، وأسهبوا  
 حى هذه الرياض الأنيقة ، ووصلوا من مجازات هذه الصناعة إلى الحقيقة ،  
 وآووا المعاني الغربية ، وانتاشوا الألفاظ العربية ، وجلسوا من الآداب على  
 فرشها الوثيرة ، وتمسكوا بعراها الوثيمة . ألا ترى إلى ابن زيدون من قوله :  
 « وما أراني إلّا لو أمّرت بالشُّجود لآدمَ فأيدتُ واستكبرتُ .. » إلى آخر هذا  
 الفصل ، كيف سرد الذنوب الكائنة في الزمان ، والوقائع المتشابهة ؛ من  
 الآيب كل نقيصة وما آخاها ، وكل مصيبة وما والاها ، حتى أطرب الأسماع ،  
 وسلم يتفرده الإجماع .

وهكذا فعل الوزير الكاتب أبو بكر بن سعيد بن القبطارية البطانيوسى  
 فى رقعة كتبها إلى الوزير أبى الحسين بن سراج :

ولولا عوائقُ الزمانِ لطارتُ إليه بجَنَاحِ ، أو لا منَظِّيتُ أعناقِ الرِّياحِ ،  
 ولا سَمَبَطاتِ السَّلاهِيبِ ، وأستَهَجَّنتُ الجُرْدَ اليعابيبِ ، ولم أرضُ بالذى  
 يَنفُخُ فى البرى ، وأستَقَصَّرتُ بريدَ الشَّرعى بالليل خيلَ بربرا ، ولا رَتَحَاتُ  
 السُّكُوكِ ، وحماتُ إليك قلباً كقلبِ المقربِ ، ولا تَخَذتِ المجرّة سبيلا ،  
 وسُهَيْلا دليلا ، ولقدتِ البدرَ المنيرِ ، وركبتُ الشَّعْرَى العَبُورِ ، وتترَّستِ  
 بالثُّرَيَّا ، وطمنتِ بالسَّماكِ ؛ هذا لو أردتِ البرّ ، ومقاساةَ السَّهلِ منه والوعرِ .  
 ولا تَخَذتِ السَّمكةَ سفينةً ، وأقتتِ لها من النعامِ أواجا ، وعطارِدَ مَلاَحا ،

وشرعتها بالغيوم ، وسمرتها بالنجوم ، وجدفت بالنزقدين ، وحمت من  
 آمالي فيها من كل زوجين أندين ، واعتصمت بالقوة والحوول ، وخالفت كل  
 من سبق عليه القول ، واستعدت من شيطان الكسل وهو رَجِيم ، وقلت :  
 ﴿ بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ﴾ .

ومن رسالة لأبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، قال : فأومأت إلى  
 الجوزاء بكنتي أن تأملي ، وإلى المواء أن أقبلي ، وقلت : الهجرة في عيني  
 أن تكون لي مندبلا ، وصفر الزرقان عندي أن أتخذَه وكيلا<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

٥٣ — وقوله : لكان فيما جرى علي ما يحتمل أن يسمى نكالا ،  
 ويدعى ولو على المجاز عقابا .

وحسبك من حادث باصري ترى حاسديه له راحينا

يريد بذلك أنه لو كنت أتيت بهذه الذنوب التي عدتها ؛ من تكبر إبليس  
 على آدم وعدم السجود ، وكنت مثل ابن نوح ، ولم أركب معه في السفينة  
 وقلت ما قاله ، وكنت مثل فرعون الذي كفر وبني صر حاليطع فيه إلى  
 إله موسى ، وكنت مثل الذين عكفوا على المجمل ، فكفروا بحد الإيمان  
 بموسى ، ومثل الذين اعتدوا في السبت من بني إسرائيل ، وكنت مثل الذين  
 خالفوا طالوت من بني إسرائيل ، وشربوا من النهر الذي نهاهم عنه ، وكنت  
 كقنذار في ثمود الذي عقر الناقة ، وكنت كأبرهة بن الصبّاح صاحب  
 الفيل الذي قاده لحرب<sup>(٢)</sup> الكعبة ، وكنت من جملة قريش الذين تعاقدوا على  
 مهاجرة بني هاشم وبني عبد مناف ، ومنهم من نسكاهم ، وبمعهم  
 وشرائهم ، وكتبوا صحيفة بذلك ، وعلقوها في الكعبة ، وأقام رسول الله

(٢) ط : « لحراب » .

(١) « إكليل » .

صلى الله عليه وسلم هو وأهله في الشَّبِّ محصورين سنتين أو ثلاث ، وكنتُ  
 مِّنْ تَأْوِيلِ فِي بَيْمَةِ الْعَقْبَةِ ، وكنتُ مِّنْ نَّفَرٍ إِلَى الْعَيْرِ بَيْدَرٍ ، وكنتُ كَابِنِ  
 أَبِي رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِي انْخَزَلَ بِنْتُ الْفَاحِشِ يَوْمَ أَحُدٍ ، وكنتُ مِّنْ تَخَلُّفِ  
 عَنِ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي بَنِي قَرَيْظَةَ ، وكنتُ مِّنْ جَاءِ بِالْإِنْفَكِ عَلَى عَائِشَةَ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وكنتُ مِّنْ أَنْفِ مِنْ إِمَارَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وقد جَهَّزَهُ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ فِيهَا مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وكنتُ مِّنْ قَالَ:  
 إِنَّمَا كَانَتْ بَيْمَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً ، وكنتُ مِثْلُ الَّذِي قَالَ : « وَرَوَيْتُ رُمُحِي مِنْ  
 كَتِيبَةِ خَالِدٍ » ، وكنتُ مِثْلُ أَبِي لَوْلُؤَةَ الَّذِي مَرَّقَ الْأَدِيمَ الَّذِي بَارَكَتُ يَدُ اللَّهِ  
 عَلَيْهِ ، وقتل عمر بن الخطاب ، وكنتُ مِّنْ ضَجَى بِالْأَشْمَطِ الَّذِي عَنَوَانُ السَّجُودِ  
 بِهِ ، فقتل عثمان بن عفان ، وكنتُ مِثْلُ ابْنِ مَلْجَمِ قَاتِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي  
 طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكنتُ مِثْلُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِذْ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ  
 ابْنِ سَمْعَانَ جَمْعًا بِالْحُسَيْنِ ، وكنتُ مِثْلُ يَزِيدٍ ، وقد جرى بِالْحَرَّةِ مَا جَرَى ،  
 وَتَمَثَّلَ بِذَلِكَ الْبَيْتِ ، وكنتُ مِثْلُ الْحِجَّاجِ الَّذِي هَدَمَ الْكَعْبَةَ بِالْمَجْنُونِ ،  
 وَصَلَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْعَائِدَ بِالْبَيْتِ . . . لَكَانَ فِي الَّذِي جَرَى عَلَى مَا فِيهِ  
 جَزَاءٌ وَكَفَايَةٌ ، وَكَانَ نَكَالًا وَعِقَابًا وَلَوْ عَلَى الْمَجَازِ .

وقد اختصر هذه الأشياء الممدودة ، والذنوب للذكورة ، وزاد عليها  
 كلَّ مَا يُمْكِنُ زِيَادَتُهُ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَّقِنِيُّ ، وَاخْتَصَرَ هَذَا وَمَا بَدَأَهُ فِي بَيْتِ  
 وَاحِدٍ ، وَهُوَ :

وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلِّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ تَحَا الذَّنْبُ كُلِّ لَلْحَوْ مِنْ جَاءِ تَائِبًا<sup>(١)</sup>  
 وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ: رَبُّ ذَنْبٍ مَقْدَارُ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ إِعْلَامُ الذَّنْبِ بِهِ ، وَلَا يُجَاوِزُ  
 بِهِ حَدَّ الْارْتِيَاعِ إِلَى الْإِبْقَاعِ .

وأما قوله :

• وحَسْبُكَ من حادِثٍ بامرئٍ \* البيت

فهو للعتبي . وقال في مثل هذا ابنُ عَنِين :

صَنَيْتُ به حَتَّى رَمَيْتُ لِي عَوَازِلِي      وَرَقَّ لِيَا أَلْتَمَى العَدُوَّ المُنَاصِبِ  
وما كُنْتُ مَن يَسْتَكِينُ لِحَادِثِ      وَلَكِنَّ سُلْطَانَ الهَوَى لا يُعَالِبُ

وقال أبو تمام :

وَحَسْبُكَ حَسْرَةً لَكَ مِنْ صَدِيقِ      يَكُونُ زِمَامُهُ بِيَدَيْ عَدُوٍّ<sup>(١)</sup>

وقال أبو الطيّب :

كَتَبْتُ بِكَ دَاءَهُ أَنْ تَرَى المَوْتَ شَافِيَا      وَحَسْبُ الأَمَامِ أَنْ يَكُنْ أَمَانِيَا<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup> وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ السَّرَاحِ الوَرَّاقِ يَدْمَ عِبْدِهِ :

مَتَلَوْنَ الأخْلَاقَ حِرْبًا وَوَأْتَيْهَا<sup>(٤)</sup>      وَوَادَهُ يَمْتَارُ مِنْهُ القَارُ  
وَيْسَى آدَابًا عَلِيًّا وَدَائِي أَلِ      لِغَضَاهُ عَنْهُ، وَدَائِيهِ الإِصْرَارُ  
وَلَهُ ذِكَاةٌ إِيَّاسٍ فِي حَاجَاتِهِ      وَإِذَا قَضَى لِي حَاجَةً فَجِمَارُ  
وَرَقَادُ أَهْلِ الكَهْفِ دُونَ رُقَادِهِ      مَا جَنَّ لَيْلٌ أَوْ أَضَاءَ نَهَارُ  
وَلَهُ فَضْلٌ مَوْلَى الأَمَامِ الدُّجَى      مِمَّهْ وَلَا مَتَّحِدَيْنِ سِرَارُ  
وَمُسَائِلٌ : مَنْ ذَا ؟ وَمَا هَذَا الَّذِي      تَحْتَ النِّطَاءِ ؟ وَدَارُ مَنْ ذِي الدَّارِ ؟  
وَدَخُولُهُ بَيْنَ الَّذِينَ تَضَارَبَا      وَالْحُكْمَ بَيْنَهُمَا وَذَا مِدْرَارُ  
وَمَسِيرُهُ لِدَوِي النُّضُولِ لِمَلِّهِ      يَمْتَارُ بَيْنَ القُـُـومِ أَوْ يَمْتَارُ

(٢) ديوانه ٤ : ٢٨١

(١) ديوانه ٤٦٦

(٣) من هنا إلى الآخر ساقط من ط.

(٤) جمع حرباء : يريد أن أخلاقه متلوثة تلون الحرباء .

ومغيبه عني وإن ساءلته فجوابه لي صَجْرَةٌ ونِقَارٌ  
ولكم أقول ولا تفيءد مقالتي زنهارٌ من حرَّكاته زنهاراً!

\*\*\*

٥٤ - قوله: فكيف ولا ذنب إلا نَمِيمَةٌ أهداها كاشحٌ،  
ونبأ جاء به فاسق .

يريد بذلك: فكيف يصدر في حق منك هذا كله من الذل والإبعاد  
والجفاء والإقصاء والمضرب والإعراض والصدّة، ولا ذنب لي بعد هذا  
كله إلا نَمِيمَةٌ أهداها كاشح - والكاشح الذي يُضمر لك المداوة - ونبأ  
أتاك به فاسق، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ  
تَصِيدُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقد قرىء: «فتثبتوا»  
بالتاء ثالثة الحروف، وأيضاً بالتاء المثلثة، وبالباء الموحدة، والتاء ثالثة أيضاً.  
اغتاب الأعمش رجلاً من أصحابه، فطلع الرجل فغمه ذلك، فقال بعض  
أصحابه: أعلمه بما قلت حتى لا تكون غيبية، فقال الأعمش: اسكت أنت  
حتى لا تكون نَمِيمَةٌ!

وفي المثل: أنتم من الصُّبْح، وأنتم من جُلْجُل، كقول الشاعر:  
فإنسك يا بنى جنابٍ وجدتما كمن دبَّ يستخفي وفي العنقِ جُلْجُل<sup>(٢)</sup>  
وأنتم من زُجاجةٍ على ما فيها، وأنتم من ذُكَاء، وأنتم من جَوْزِي جُوَالِقِ.  
وقال الخفاجي:

أما الوُشاة فقد أصابوا عندكم سُوقاً ينفق كل قولٍ كاذبٍ<sup>(٣)</sup>

(٢) لأوس بن حجر، ديوانه ٧٢ .

(١) الحجرات ٦

(٣) ديوانه ٦٤

فَلْتُمُّ عَنْ صَابِرٍ، وَرَقٍ — لَدُنْمُ  
عَنْ سَاهِرٍ، وَزَهْدَتْمُ فِي رَاغِبٍ  
وَأَقْلَ مَا حَاكَمَ الْمَلَالُ عَلَيْكُمْ  
سَوْءَ الْقَلْبِي وَسَمَاعُ قَوْلِ الْمَائِبِ

وقد وضع الحريريُّ به ص. قلماته - وهي الثامنة عشر - في النِّمِمةِ وذمها ،  
فأجاد فيها ما شاء .

أوصت أعرابيةُ ابنها، وقد أَرَادَ السَّفرَ، فقالت: أَيُّ بُنْيَ ، إِيَّاكَ وَالنِّمِمةِ ؛  
فإنها تزرع الضَّغِينَةَ ، وتفرِّق بين الحَبِّينِ ، وإِيَّاكَ وَالْمَعْرُضَ لِأَمْيُوبَ ، فَتَتَّخِذُ  
غَرَضًا ، وَخَلِيقُ الْأَيُّبِ الْعَرَضَ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ .

وفي المنل : النِّمِمةُ إِرْثُ الْعَدَاوَةِ .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ولما التقينا سلمت وتبسمت  
أمن أجل واشٍ كاشحٍ بنميمةٍ  
وقالت مقال المعروض المتجنب (١)  
مَشَى بَيْنَنَا صَدَقْتَهُ لَمْ تُسْكَدْ  
قطعت حبال الوصل منا ومن يُطعم  
بِذِي وَدَّهٍ قَوْلَ الْحَرَّشِ يُعْتَبِ (٢)

وأحسن ابن الساعاتي فقال :

أَتَتْ فَتَلَّاقِي كُلَّ شَيْءٍ وَمِثْلَهُ  
فَجَسِمِي رَجَفْنَاهَا، وَوَجَدِي وَرَدِ فِيهَا  
وفود الدُّجَى من هامةِ الأفقِ مسودُ  
وقابِي وَقَرُّ طَاهَا، وَدَّةٌ مِي وَالْعَقْدُ  
لقد كتم الخُلخالُ وَالقَلْبُ وَالدُّجَى  
فَمَّ عَلَيْهَا الشُّعْرُ وَالْحُلَى وَالنَّهْدُ

وقال ابن التَّمَسَّانِي :

نَمَّ بِهَا حَلِيمًا وَمَبْسُمًا  
وطيبُ أنفاسِها وواشيها

(١) ديوانه ٤٢٧ ، فيه : « مقال المعروض » .

(٢) يعتب ، على البناء للمجهول ، أي يلام .

وأرى أنا أن هذا كله مأخوذٌ من قول أبي الطَّيِّب :

فَأَقِ الْمَلِيحَةَ ، وَهِيَ مَسْكٌ هَتَّكَهَا      وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاةٌ (٢)  
قِيلَ وَمَا لَأَبِي الْحَارِثِ : مَا شَتَّهِيَ ؟ فَقَالَ : أَعَيْنَ الرُّقَبَاءِ ، وَالسِّنَةَ الْوُشَاةَ ،  
وَأَكْبَادَ الْحَسَادِ ، أَخَذَ هَذَا بِمَضْمُونِهَا :

قَالَ لِي عُوْدِي غَدَاةٌ أَنْوَيْ      مَا الَّذِي شَتَّيْتَهُ ؟ وَاجْتَهَدُوا بِي  
قُلْتُ : مَقَلِي فِيهِ لِسَانُ وَشَاةٍ      قَطَّعُوهُ فِيهِ بِصُنْعِ عَجِيبِ  
وَأَضَيْفَتْ إِلَيْهِ كِبْدُ حَسُودِ      قُمَّتْ فَوْقَهَا عِيُونُ رَقِيبِ  
وَقَالَ آخِرُ :

عِنْدِي لَكُمْ يَوْمَ التَّوَاضُلِ دَعْوَةٌ      يَامَعِشْرَ الْخُلَطَاءِ وَالنَّدَمَاءِ  
أَشْرَى قُلُوبَ الْحَامِسِينَ بِهَا وَأُ      سَمَةَ الْوُشَاةِ وَأَعَيْنَ الرُّقَبَاءِ  
وَأَشْدَنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً الْقَاضِي زَيْنِ الدِّينِ عَمْرِ بْنِ الْوَرْدِيِّ ، فَقَالَ :  
لِي شَهْرَتَانِ أَحَبُّ لِي مِنْهُمَا      لَوْ كَانَتِ الشَّهَوَاتُ مَضْمُونَةً  
أَعْنَاقَ عَدَائِي مَدْفُوعَةً      وَمَفَاصِلَ الرُّقَبَاءِ مُدْفُونَةً  
وَقُلْتُ أَنَا فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ :

بِتَنَّا وَمَا نُقَلْنَا سِوَى قَبْلِ      وَرَيْقُ فِيهِ سُلَافٌ مَشْرُوبِي  
نَمْنَا وَمَا نَمَّتِ الْوُشَاةُ بِنَا      لَوْلَا فَضُولُ الْحَلِيِّ وَالطَّيِّبِ

\*\*\*



٥٥ -- قوله: وهم الهمَّازون المشاءون بنميمٍ ، والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا .

هذا تفسير لما تقدم ، يعني أن هؤلاء ذكروهم الله في القرآن العظيم في قوله تعالى : ﴿ هَمَّازٌ مَّشَاءٌ بِنَمِيمٍ ﴾ (١) .

الهمَّازُ المَعْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لِحُومَ النَّاسِ بِالطَّعْنِ عَلَيْهِمُ وَالنَّمِيمَةُ .  
وقال الحسن : يُؤَيُّ شِدْقِيهِ فِي أَقْفِيَةِ النَّاسِ . وَالنَّمِيمُ وَالنَّمِيمَةُ وَاحِدٌ ، وَهُوَ نَقْلُ السَّكْلَامِ السَّيِّئِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ فَتَّانٌ يَسْعَى بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ لِيُفْسِدَ مَا بَيْنَهُمْ .  
والمراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْعُمْ أَكْلُ حَالَافٍ مَّهِينٍ ﴾ (٢) الوليد بن المغيرة .  
وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَفْعُوثَ وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ .

وقد جاء في السنة النبوية أحاديث كثيرة في ذم النميمة ، منها ما هو متفق عليه ، وهو ما رواه حذيفة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة تمام » .

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بقرين ، فقال : « إِيْمَا يَمْدَبَانُ ؛ وَمَا يَمْدَبَانُ فِي كَبِيرٍ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِيُّ مِنَ الْبَوْلِ » . وهذا لفظ إحدى روايات البخاري . ومعنى « في كبير » هنا أنه صغير في زعمهما ، وإلا فهو كبير في نفسه .

وعن ابن مسعود ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَا أَنْتُمْ كَمَا مَا الْمُضَةُ ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ » (٣) . رواه مسلم بفتح العين المهملة ،

(٣) صحيح مسلم ٢٠١٢ - ١٥ - تمام المتن

(٢) سورة القلم ١٠

(١) سورة القلم ١١

وسكون الضاد ، وبمدها هاء ، على وَزْنِ الوَجْهِ . وَرُوي العِصَّةُ بكسر العين ،  
وفتح الضاد على وزن المِدة ، وهى الكَذِبُ والبُهْتان .

وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم : « لمن الله المثلث » ، فقيـل :  
يارسول الله ، وما المثلث ؟ قال : « الذى يَسْعَى بِصاحِبِهِ الى السُلطانِ فيهِلك  
نفسَه وصاحبَه وسُلطانَه » .

وقولُ ابنِ زيدونِ رحمه الله تعالى : « والواشوان الذين لا يلبثون أن يصدعوا  
العصا » : الأصل فيه قول كثير عزة :

لَعَمْرُ أبى الواشِينِ لا عَمُرُ غيرِهِمُ      لقد كَنَفُونى خُطَّةً لا أُرِيدُها  
ولا يَلْبِثُ الواشُونُ أن يصدعوا العَصا  
إِذا هى لم يَصْلُبْ على البرى عودُها

كان الخُلنجى القاضى عبد الله بن محمد ، ابن أختِ عَلَوِيه المغنى ، تَيَّاهَا صَليفاً ،  
تقلد القضاء للأمين . وكان عَلَوِيه عدواً له ، فجرت له قضيَّة فى بَداد ، فاستعفى  
من القضاء ، وسئل أن يولّى بعض الكُورِ البعيدة ، فتولّى قضاء دِمَشقِ أو  
حِص ، ولما تولّى المأمونُ الخلافةَ غناه يوماً عَلَوِيه بشعرِ الخُلنجى ، وهو :

بَرِئتُ من الإسلامِ إن كانَ ذا الذى      أتاكِ به الواشونُ عني كما قالوا  
ولكنهم لما رأوكِ غريبةً <sup>(١)</sup>      بهجرى توأصراً بالنميمة وأحتالوا  
فقد صرّتِ أذنًا للوشاةِ سَمِيعَةً      ينالون من عرَضِي ولو شئتِ ما فالوا

فقال المأمون : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قيل : قاضى دمشق ، فأمر المأمون  
بإحضاره ، فأشخص ، وجلس المأمونُ للشرب ، وأحضر عَلَوِيه ، ودعا بالقاضى ،  
فقال : أنشدنى قولك : « بَرِئتُ من الإسلام .. » الأبيات ، فقال : يا أمير

(١) غريبة : مواعة ، وفى تاريخ الطبرى : « سرية » .

المؤمنين ، هذه آيات قلتها منذ أربعين سنة ، وأنا صبي ، والذي أكرمك بالخلافة ، وورثك ميراث النبوة ، ماقلت شعراً منذ أكثر من عشرين سنة إلا في زهدٍ أو عتابٍ صدق . فقال له : اجلس ، وناوله قدح نبيذ كان في يده <sup>(١)</sup> ، فأرتعد وبكى ، وأخذ القدح من يده وقال : والله يا أمير المؤمنين ، ماغيرت الماء بشيء قط مما يختلف في تحاييله ، فقال : لعلك تريد نبيذ التمر ، أو نبيذ الزبيب ! فقال : والله يا أمير المؤمنين لا أعرف شيئاً من ذلك . فأخذ المأمون القدح من يده ، وقال : أما والله لو شربت شيئاً من هذا لضربت عنقك ، ولقد ظننت أنك صادق في قولك كلاً ، ولكن لا يتولى لي القضاء رجل ، بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام ؛ انصرف إلى منزلك . وأمر علويه فغير هذه السكامة ، وجعل مكانها : « حرمت منأى منك <sup>(٢)</sup> » .

قلت : ماجرى للمأمون مع هذا القاضي المسكين على خلاف المهود من حيله ، ومكارم أخلاقه ، وكان غير هذا الفعل أولى به وبرياسته ، ولكنه صان منصب القضاء وقره وأجله ، فعفا الله عنه . وأما هذا القاضي الخائن رحمة الله فقد اختلج في خاطره من الوشاة ما أضر به عند محبوبته وعند الخليفة ، وهذا من كمأة الشجر ، وتما يتفق للشاعر وقوسه بعد مدة مديدة . وأما علويه فأعله الله ، ولا أعلى له كمباً ، لقد أضر بحاله ، وعظله من حلي القضاء .

قال الواثق يوماً لابن أبي دؤاد : قد سمى بك عندي قوم ، قال : فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما قال صاحب عزة :

وسعى إلى بمئيب هرة نسوة جعل الإله خدودهن نعالها

(١) في الأغاني : « قدح نبيذ التمر أو الزبيب » .

(٢) الخبر في الأغاني ١١ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ . وتاريخ الطبري ٨ : ٦٥٦ .

ونقلتُ من خطِّ القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قوله :  
يا من يَمُنُّ ولا يُقَسِّمُ اللهُ منه ما خشي  
ما في اقتدارِكَ أن تُشأَّ ، وفي اقتدارِكَ أن تُشَيَّ

وقال أبو سعيد الرستمي :

مالي وللراشدين ، لا يهلبهم  
ما نمنموه من النميم وزحرفوا  
أعيانهم سبب التهاجر بيننا  
فتفاءلوا لي بالفراق وأرجفوا

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب :

صدتْ وعلمتِ الصدودَ خيالها  
فجرمتُ حتى في المنام خيالها  
ما زالَ واشيها بزورِ حديثه  
فأصددها عن عهدِها وأحالها  
وسعى فغيرها وغير في الهوى  
أخلاقها وطباعها وخالها

وقال غيره :

يانازحاً بوداده لما وشى  
ما كان أحسن شملنا ونظامه  
وايش ، وليس من الفؤاد بنازح  
لوم تسكن تصفي لقول الكاشح  
إني لأعجب كيف يعزب عنك ما  
أضمرتُ فيك وأنت بين جوانيحي

وقال ابن الساعاتي فأحسن :

ثلاثة منعتها من زيارتنا  
ضوء الجبين ، فوسواس الحلي ، وما  
إذا دجى الليلُ خوف الكاشح الخنق  
والجلى تنزعه ، ما الشأن في العرق !  
هَبِ الجبين بفضل السكم تسره

وقال عمارة اليماني :

وهاها لما نطق الواشون كم أذن  
سقى إليها بتزدد المحال فم

وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ السَّرَاحِ الْوَرَّاقِ :

كَمْ الزِّيَاةَ فِي الدُّحَى فُضِيَاؤُهُ      وَحُلَيْةَ وَشَدَاهُ ؛ كَلٌّ قَدْ وَشَى  
وَكَمَّمْتُ وَجَدِي فِيهِ لَوْلَا أَدْمَعُ      نَمَّتْ بِمَا أَخْفِيهِ حَتَّى قَدْ فَشَا

\* \* \*

٥٦ - وقوله : والغواة الذين لا يتركون أديماً صحيحاً .

يشير بذلك إلى قول القائل :

وَلَا تَنْفُسُ سِرِّكَ إِلَّا إِلَيْكَ      فَإِنْ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا  
فَأِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا      لَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا  
وَبَعْضُ النَّاسِ يَزْعُمُ أَنَّ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،  
وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ يَقْمَلُ بِهِمَا كَثِيرًا .

والغواة : جمع غاوي ، وهو اسمٌ فاعلٍ من الغي ، وهو ضدُّ الرُّشدِ .

وقوله : « لا يتركون أديماً صحيحاً » ، أي لا يدعون جليداً صحيحاً ، بل  
يفرونه ويمزقونه .

وقد جمع الأمير تميم بن المرزبانية ممن ينكر على الحب ، فقال :

أَوَانِسُ فِي أَثْوَابِنَ وَفِي الْمَلَا      غَصُونٌ ، وَفِي تَنْقِيهِنَّ بَدُورٌ (١)  
فَهِنَّ الْمَنَى لَوْلَا رَقِيبٌ وَحَاسِدٌ      عَدُوٌّ وَوَأَشٍ كَاشِحٌ وَغَيُورٌ

وقال أمير المؤمنين القائم بأمر الله :

بُجِمْتُ لَدَيْكَ مِنَ الْغَرَامِ عَجَائِبٌ      خَلَّتْ لِي قَلْبِي فِي إِسَارٍ مُوَحِّشٍ  
حَلٌّ يَصُدُّ ، وَعَاذِلٌ مَتَنَصِّحٌ ،      وَمَمَانِدٌ يُؤْذِي ، وَتَمَامٌ يَشِي

وما أحسن قول ابن الخياط :

فلا تعدل إلى الواشين سمعاً  
وإن الودّ عندهم نفاقٌ  
وللأقوال إن سميت سهامٌ  
فما نصحاً لمجدك بل مراداً  
فليتك تسمع القولين حتى  
فإن كلام أكثرهم كلامٌ (١)

إذا طأو عثهم والحمد ذامٌ  
تقتصر عن مواقعها سهامٌ  
لما قد ساءني قعدوا وقاموا  
أبين في من الحق الخصامٌ

وقول ابن عطية :

لا تسمعن من الحسود نميمةً  
إن كان قد أوحى إليك تحريصاً  
سل غيره عني لتعلم إفكهُ  
لا يذبت الحق المبين لحاكم

فكلامه ضربٌ من الهذيان  
فالناس قد كذبوا على الرحمن  
واسخط عليه ، فبالحال رماني  
في الحق حتى ينطق الخصمان

\*\*\*

٥٧ - وقوله: والسَّعَاةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، فقال:

مَا ظَنَنْتُكَ بِقَوْمِ الصَّدِيقِ مَحْمُودٍ إِلَّا مِنْهُمْ!

السَّعَاةُ: جَمْعُ سَاعٍ، مِنَ السَّيِّئِ، وَهُوَ الْحَرَكَةُ مَطْلَقًا، وَلَكِنْ قَدْ غَلَبَ هَذَا فِي الْمُرْفِ عَلَى مَنْ يَذْكُرُ النَّاسَ بِالشُّؤْمِ، وَهُوَ الَّذِي يَرِيدُ لِلنَّاسِ الْمَوَاقِعَ.

أَشَدَّنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً شَيْخُنَا الْإِمَامِ شَهَابِ الدِّينِ أَبُو النَّفَّاءِ مَحْمُودِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، مِنْ قَصِيدَةٍ مَدَّحَ بِهَا الصَّاحِبَ تَاجَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ حَنَّا:

خَرَسَ السَّعَاةُ وَكَانَ قَبْلَ زَمَانِهِ      لِكَلَامِهِمْ بَيْنَ الضُّلُوعِ كِلَامٌ  
وَتَجَنَّبُوا سُوقًا إِلَى سُوقٍ بِهِ      نَفَقَ الصَّلَاحِ وَبَارَتِ الْأَنَامُ  
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ:

سَعَى إِلَيْكَ بِي الْوَائِي فَلَمْ تَرِنِي      أَهْلًا لَتَكْذِيبِ مَا أَلْقَى مِنْ الْخَبَرِ  
وَلَوْ سَعَى بِكَ عِنْدِي فِي الدُّكْرَى      طَيْفُ الْخِيَالِ لِبِعْتِ النُّومَ بِالسَّهْرِ  
وَقَدْ وَضَعَ لِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ شَيْخُنَا شَهَابُ الدِّينِ مَحْمُودُ رَحِمَهُ اللهُ بَيْتَيْنِ أَوْلَيْنِ  
وَهِيَ قَوْلُهُ:

يَا مُلْزِمِي بَدَنُوبٍ مَا أَحْطَتْ بِهَا      عِلْمًا، وَلَا خَطَرَتْ يَوْمًا عَلَى فِكْرِي  
صَدَّقْتَ فِيَّ أَبَاطِيلَ الظَّنُونِ وَكَمْ      كَذَّبْتُ فِيكَ يَقِينَ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ

وَأَمَّا قَوْلُ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ: «مَا أَقُولُ فِي قَوْمِ الصَّدِيقِ مَحْمُودٍ إِلَّا مِنْهُمْ» فَهَذَا قَوْلٌ (فِي غَايَةِ الْبَلَاغَةِ الْجَامِعَةِ لَضُرُوبِ مِنَ الْمَعَانِي، لِأَنَّ هَذَا غَايَةٌ فِي<sup>١</sup>) الدِّمِّ لِلسَّعَاةِ، لِأَنَّهُمْ يَذَمُّونَ بِمَا يُحَمِّدُ بِهِ النَّاسَ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَمَّا تَمَاطَوْا هَذَا

الصِّدْقِ الَّذِي أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى مَدْحِهِ ، وَمَدَحَهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ (١) وَأَكْبَرُ  
النَّاسِ وَعِلْمَاؤُهُمْ ؛ وَتَلَبَّسَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْأَنْدَالُ الْأَوْبَاشُ صَارَ مَذْمُومًا عِنْدَ  
الْمَقْلَاءِ وَالرُّؤُوسَاءِ ؛ وَصِدْقٌ هَؤُلَاءِ السَّعَاةُ مَذْمُومٌ ، وَكَذِبُ الشُّعْرَاءِ مَحْمُودٌ .  
قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الشُّعْرَاءِ : مَا ظَنَنْتُكَ بِقَوْمٍ الْاِقْتِضَاءِ (٢) مَحْمُودٌ إِلَّا  
مِنْهُمْ ، وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ إِلَّا مِنْهُمْ .

وَدَقَعَ بَعْضُ السُّمَاءِ إِلَى الْأَمِيرِ (٣) السَّفَاحَ قِصَّةً بِسَاعِيَةٍ عَلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ ،  
فَوَقَّعَ فِيهَا : « هَذِهِ نَصِيحَةٌ (٤) لَمْ تُرَدِّدْ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَنَحْنُ لَا نَقْبَلُ قَوْلَ مَنْ  
آتَرَ نَاعَى اللَّهِ » .

وَكَتَبَ بَعْضُ شُهَدَاءِ الْأَهْوَازِ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي الْفَرَجِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ :  
قَدِمَاتِ فُلَانٍ ، وَخَلَّفَ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَيْنِي ، وَلَمْ يُخَلِّفْ غَيْرَ طِفْلةٍ ، فَإِنْ  
رَأَى أَسْتَعْرَضَ الْمَالَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الطِّفْلةُ ، فَفِي عَقَارِهَا وَأَمْلاكَهَا كِنْفَايَةٌ !  
فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِهِ : « الطِّفْلةُ جَبَرَهَا اللَّهُ ، وَالْمَالُ ثَمَرَهُ اللَّهُ ، وَالسَّاعِي لِعِنَةِ اللَّهِ ،  
لَا حَاجَةَ لِلسُّلْطَانِ إِلَى الْمَالِ » .

وَلَمَّا وُتِيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي أُمِّيهِ أَلْبٌ مِنْهُ  
فِي حَدَائِثِهِ سَنَنَهُ ؛ قَالَ أَهْلُ دِمَشْقَ : هَذَا غَلَامٌ شَابٌ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالْأُمُورِ ،  
وَسَيَسْمَعُ مِنَّا . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! عِنْدِي نَصِيحَةٌ ،  
فَقَالَ : لَيْتَ شِعْرِي ، مَا هَذِهِ النَّصِيحَةُ الَّتِي أَبْتَدَأْتَنِي بِهَا مِنْ غَيْرِ  
يَدٍ سَبَقَتْ مِنِّي إِلَيْكَ ! قَالَ : جَارِي عَاصٍ ، مُخْتَلَفٌ مَعَهُ (٥) . فَقَالَ : مَا اتَّقَيْتَ  
اللَّهَ ، وَلَا أَكْرَمْتَ أَمِيرَكَ ، وَلَا حَفِظْتَ جَارَكَ ، إِنْ شِئْتَ نَظَرْنَا فِيمَا تَقُولُ ،

(٢) م : « الاقتصاد » .

(٤) ط : « النصيحة » .

(١) ط : « رساله » .

(٣) ط : « أمير المؤمنين » .

(٥) م : « فيه » .



فإن كنت صادقاً فيما قلت لم ينفك ذلك عندنا ، وإن كنت كاذباً عاقبتك ،  
 وإن شئت أقلناك ؛ قال : أقلني ، قال : اذهب حيث شئت ، لا صحبتك  
 الله ! إني أراك شرَّ رجل . ثم قال : يا أهل دمشق ؛ لولا أنه لا ينهني لوالى  
 أن يعاقب <sup>(١)</sup> قبل أن يعاتب ، كان لي في ذلك رأي ، فلا يأتي أحدٌ منكم  
 بسماية على أحدٍ بشيء ؛ فإن الصادق فيها فاسق ، والكاذب فيها بهائم .

وحسبي أن أمير المؤمنين القادر بالله أحمد ، بينما هو ذات ليلة يمشي  
 في أسواق بغداد إذ سمع شخصاً يقول لآخر : قد طالت علينا دولة هذا  
 المشؤم ، وليس لأحدٍ منا عنده رزق . فأمر خادماً كان بين يديه أن يتوكل  
 به ، ويحززه بين يديه ، فسأله عن صفة <sup>(٢)</sup> فقال : إني كنت من السعاة  
 الذين يستمعون بهم أربابُ هذا الأمر على معرفة أحوال الناس ؛ فذو لي  
 أمير المؤمنين أقصانا ، وأظهر الاستغناء عنا ، فعمطت معيشتنا ، وأنكسر  
 جاهنا عند الناس ؛ فقال : أتعرف من في بغداد من السعاة ؟ قال نعم :  
 فأحضر كاتباً فكتب أسماءهم ، وأمر بإحضارهم . ثم إنه أجرى <sup>(٣)</sup> لكل  
 واحد معلوماً ، ونفاهم إلى الثغور القاصية ، ورتبهم هنالك عيوناً على أعداء  
 الناس ، ثم اتفقت إلى من حوله ، وقال : اعلموا أن هؤلاء ركب الله  
 فيهم شرّاً ، وملاصدورهم حقداء على العالم ، ولا بد لهم من إفراغ ذلك الشر ؛  
 فالأولى أن يكون ذلك في أعداء الدين ، ولا ينقض بهم على المسلمين .

قلت : وأعرف نظير هذه الواقعة [واقعة <sup>(٤)</sup>] ، اتفقت للسلطان الملك

(١) كذا في ط ، م ، وفي الأصل : « يعاقب » .

(٢) ط : « صفة » .

(٣) ط : « وأجرى » .

(٤) من ط .

الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله ، وهو أنه حضر في سنة ثمانٍ وعشرين  
وسبعمائة تاج الدين كاتب الفتاح أو غيره ، إلى الأمير علاء الدين مُغلطاي  
الجُمالي ، لما كان وزيراً ، وذكر عنده أناساً [معروفين] <sup>(١)</sup> بكلّ قبيح ،  
والترم <sup>(٢)</sup> فيهم جملة من الذهب إذا صُودِرُوا ، وأخذت منهم وظائفهم .  
فدخل الجُمالي إلى السلطان وحكى له ما قاله ، فقال : أحضره ، فلما استحضره  
سمع كلامه ، وقال له : هل لك علمٌ بأحدٍ في القاهرة يعرف شيئاً من هذه الأحوال ؟  
فقال : نعم ، جماعة ، وعدم . فقال للوزير : خذ هذا عندك واستحفظ به <sup>(٣)</sup> ،  
وأحسن إليه ، وإذا أحضر إليك كل هؤلاء الذين ذكرهم عرفني بهم .  
فخرجوا من عنده ، وذكر له جماعة وهو يُحضرهم إلى أن لم يبق منهم أحد ،  
ودخل على السلطان وعرفه بهم ، فقال : اخرج الآن في هذه الساعة ، وجّهز  
الجميع إلى قوص ، ولا تدع أحداً منهم في القاهرة فإن هؤلاء مناحيس ،  
يرافعون الناس ، فنفاهم أجمعين .

قال معاوية يوماً للأحنف بن قيس في أمرٍ بلغه عنه ، فأنكر الأحنف ؛  
فقال له معاوية : النِّمَّةُ بلغني عنك ، فقال : النِّمَّةُ لا يبلغ .

ووقع ذوالرياستين في رقعة ساع <sup>(٤)</sup> : « نحن نرى قبول السَّعَابَةِ شرّاً منها ؛  
لأن السَّعَابَةَ دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دلّ على شيء وأخبر به ،  
كمن قبّله وأجازَه ، فاتَّقوا السَّاعِي ؛ فإنه لو كان في سمائه صادقاً لكان في  
صدقه آمناً إذ لم يحفظ الحُرْمَةَ ، ولم يستر العورة » .

والمّا قبض أمير المؤمنين المستظهر بالله على الوزير أمين الدولة بن

(٢) م : « ألزم » .

(٤) ساقطة من ط .

(١) من د

(٣) ط ، د : « واحفظ به »

جَهِدٍ ، كَتَبَ إِلَيْهِ بِعِضِ الْأَشْرَارِ سِمَايَةَ فِي الْوَزِيرِ ، وَأَغْرَاهُ بِهِ غَايَةَ الْإِغْرَاءِ ،  
فَكَتَبَ الْمُسْتَظْهِرُ عَلَى الرَّقْعَةِ :

غَيْرَ مَا طَالِيَيْنِ ذَخَلَا وَلَكِنْ مَالَ دَهْرِي عَلَى أَنْيَسِ فَمَا لَوْ

وقال رجل المهديّ : عندي لك نصيحةٌ يا أمير المؤمنين ، قال : لمن هي ؟  
لنا أمّ لعامة المسلمين أم لنفسك ؟ قال : لك يا أمير المؤمنين ، قال : ليس  
الساعي بأعظم عورة ، ولا أقبح حالا من قابل سِمَايَةَ ، ولا تتخلو من أن تكون  
حاسدَ نعمة ، فلا نشفي غيظك ، أو عدوّاً فلا نعاقب لك عدوك . ثمّ أقبِل  
على الناس فقال : لا ينصح لنا ناصحٌ إلّا بما فيه رضا الله ، وللمسلمين فيه صلاح ،  
فإنّما لنا الأبدان ، وليس لنا القلوب ، ومن أسمةترلم نكسف له (١) ، ومن  
أخطأ أقلنا عثرته ، إنّي أرى التّأديب بالصّفح أبلغ منه بالعقوبة ، والسّلامة  
مع العفو أكثر منها مع المماحلة ، والقلوب لا تبتغي لوالٍ لا ينمطف إذا استمطف ،  
ولا يعمفو إذا قدر ، ولا يعفر إذا ظفر ، ولا يرحم إذا استرحم .

قلت : وقد كان الأمير سيف الدين سلار رحمه الله إذا جاءه أحد راتع  
في كتابه والمباشرين الذين في بابه ، قال : هؤلاء قد أخذوا وشبعوا ،  
لا تغفروهم ؛ فإنّ الذي يأتي من بعدهم يكون جوعان . وما أطف قول البهاء  
زهير وأرقه ! قال :

حبيبي ما هذا الجفاء الذي أرى وأين التفاضلي منكم والتعطف (٢)  
لك اليوم أمر - لا أشك - يريدني  
نعم نقل الواشون عني باطلا  
كانك قد صدقت في حديثهم

وقد كان قولُ الناسِ في الناسِ قبيلنا  
بمَيْسِكِ قُلِّ لِي مَا الَّذِي قَدْ صَنَعْتَهُ  
فإن كان قولاً صحَّ أُنِّي قَلْتَهُ  
وهبُ أَنَّهُ قولٌ من الله مُنزَلٌ  
وها أَنَا وَالوَأَشْيِ وَأَنْتِ جَمِيعُنَا  
وماكلُّ سَاعٍ وَلَا كُلُّ نَمَامٍ  
مِثْلُ سَاعِي سَيْفِ الدِّينِ بْنِ المَشْدَدِ بْنِ  
قَزَلٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَجَلَسَ رَاقٍ مِنْ وَايَشٍ يَكْدُرُهُ  
ومافيه سَاعٍ سِرْوَى السَّاقِي وَليْسَ بِهِ  
وَأُنْشِدُنِي صَفِيَّ الدِّينِ لِنَفْسِهِ إِجَازَةً :

أَقُولُ وَطَرْفِ النَّجْمِ الضُّشَاخِصُ  
يَا رَبِّ حَتَّى فِي الحَدَائِقِ أَعْيُنُ  
وَقَلْتُ أَنَا :

قَلْتُ وَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي رَوْضَةٍ  
بِاللَّهِ يَا مَنْشُورَنَا لِأَنْشِرِ  
وَأَنْتِ يَا رَجْسُ غَمَّضْ وَلَا  
بِهِمَا حَبِيبِي قَدْ قَفَصَى دَهْبِي  
بِأَصْبَحِ قَطُّ إِلَى البَيْنِ  
تُعَامِرُ النَّمَامِ بِالْمَعِينِ

وقد ذكر ابن المعتز أمثال هذه الجماعة الذين ذكرهم ابن زيدون في هذا  
الموضع ، فقال من أبيات :

قَوْمٌ هُمْ كَدَّرُ الحَيَاةِ وَسُقْمُهَا  
يَتَأْكَلُونَ ضَغْفِيَّةً وَحِيَامَانَةً  
وَهُمْ فِرَاشُ الشَّرِّ يَوْمَ مِلْمَةٍ  
عَرَضَ البَلَاءُ بِهِمْ عَلِيَّ وَطَالَا (٣)  
وَيَرَوْنَ لَحْمَ الغَافِلِينَ حَلَالًا  
يَتَهَانَتُونَ تَعَاشِيَا وَخَبَالًا

(١) الديوان : « وقد » .

(٢) ط : « وخنورا » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٠ ( مطبعة المحروسة ) .

وَهُمْ غَرَابِيلُ الْخُلَيْثِ إِذَا وَعَوْا سِرًّا تَنْظُرُ مِنْهُمْ أَوْ سَالَا  
وَلَمَّا اتَّصَلَ ابْنُ زَيْدُونَ بِخُدَمَةِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ ، وَحَسَنَتْ  
حَالَتُهُ عِنْدَهُ ، أُلْقِيَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْخُطْبَةِ رَقْعَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ :

لَا تَتَرَكَنَّ لِلنَّاسِ مَوْضِعَ شُبُهَةِ وَأَحْزَمُ فَمِثْلِكَ فِي الْمَطَايِمِ يَحْزَمُ (١)  
قَدْ قَالَ شَاعِرٌ كِنْدَةَ فِيمَا مَضَى بَيْتًا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُعْلَمُ :  
لَا يَسْلُمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُّ

فَوْقَ الْمُعْتَمِدِ عَلَى ظَهْرِهَا :

كَذَبْتَ مُنَاكِمَ صَرَحو أَوْ حَمَّجُوا الدِّينَ أَمْتَنُ ، وَالسَّحِيَّةُ أَكْرَمُ (٢)  
حَاوَلْتُمْ تَصْيِيبَ صَدْرِي لَمْ يَضُقْ وَالسَّمْرُ فِي نَعْرِ الصُّدُورِ تُحْطَمُ  
وَزَحَقْتُمْ بِمِحَالِكُمْ لِمَجْزَبِ مَا رَالَ يَثْبُتُ لِامْتِحَالِ فِيهِزَمُ  
أَلَى رَجْوَتُمْ غَدْرَ مَنْ جَرَّبْتُمْ مِنْهُ الْوَفَاءَ وَجَوْرَ مَنْ لَا يَظْلُمُ !  
أَنَاذِلِكُمْ ، لَا الْبَيْتِيُّ يُشْمِرُ غَرْسَهُ عِنْدِي ، وَلَا مَبْنَى الصَّنِيعَةِ يُثْلَمُ

وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ زَيْدُونَ ، فَصَنَعَ قَصِيدَةً لِلْمُعْتَمِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَشْكُرُهُ فِيهَا ، مِنْهَا :

قُلْ لِلْبَيْتَةِ الْمُتَنَتِّضِينَ قَسِيهِمْ سَتَرُونَ مَنْ نُصَمِيهِ تِلْكَ الْأَشْهُمُ (٣)  
أَسْرَرْتُمْ فَرَأَى نَحْيَ غَيُوبِكُمْ شَيْحَانُ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ مُلْتَمُ (٤)

وَهَذَا الْفَصْلُ مِنْ قَوْلِهِ : « فَكَيْفَ إِلَّا نَمِيمةٌ أَهْدَاهَا كَأَشْح . . . » ، إِلَى

آخِرِهِ ، قَدْ اسْتَعْمَلَ مِثْلَهُ ابْنُ زَيْدُونَ فِي رِسَالَةٍ أُخْرَى ، كَتَبَ بِهَا ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ (٥) ،

جَاءَ مِنْهَا : « وَاللَّهِ مَا اسْتَجَزْتُ هَذَا بِمَدِّ أَنْ هَتَكَ مِنْ سِتْرِي مَا هَتَكَ ، وَاتَّهَكَ

(١) مِنْ قَصِيدَةٍ فِي دِيْوَانِ ابْنِ زَيْدُونَ ٣٠٦ ، ٣١١ .

(٢) قِلَانَةُ الْعُقَيْبَانِ ١٧ .

(٣) دِيْوَانُهُ ٣١٤ .

(٤) الشَّيْحَانُ : الْحَازِمُ الشُّجَاعُ .

(٥) مِنْ رِسَالَتِهِ الْبَكْرِيَّةِ الَّتِي كَتَبَهَا إِلَى أَسْتَاذِهِ وَصَدِيقِهِ أَبِي بَكْرٍ مُسْلِمَ بْنِ أَحْمَدَ عَاتِبَا ،

وِشَارِحَا مَوْقِفَهُ ؛ وَهِيَ فِي الذَّخِيرَةِ ١ : ٣٠٥ ، وَهِيَ أَيْضًا فِي مَلْحَقِ دِيْوَانِهِ ٧٤٣ .

من حُرْمَاتِي مَا أَتَيْتَكَ ، إِذْ كُنْتَ أَقْوَلَ مَعْدُورًا ، وَأَنْفْتُ مَعْدُورًا<sup>(١)</sup> ،  
فَسَكَيْتَ ذَاكَ ، وَلَمْ يَخْذُ سَبَبًا ، وَلَا عَرَضَ مِنْ مَوْجِبٍ !  
\* وَمَالِي وَإِهْدَاءِ أَخْلَفِي نَمَّ مَالِيَا \*<sup>(٢)</sup>

وَلَمْ سَتُكْتَبْ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ<sup>(٣)</sup> . وَلَيْسَتْ هَذِهِ بِيَكْرٍ مِنَ الْفَنَاءِ  
الَّتِي دَخَلَ بِهَا بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا<sup>(٤)</sup> .

فَإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا لَ لَا يَبْتَرُ كُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاثِينَ تُسَلِّقُ مَسَامِعُهُ بِالسَّنَةِ حِدَادٍ<sup>(٦)</sup>

وَيَا سَيْدِي :

لَوْ بَغِيرَ الْمَاءِ خَلَقِي شَرْقًا كُنْتُ كَالْفَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي<sup>(٧)</sup>

وَاللَّهِ مَا تَوَهَّمْتُ أَنِّي أُولَى مَنْ يَزْعُمُ أَنِّي أَتَيْتُ مِنْهُ ، مَعَ انصَالِي بِهِ  
وَانْقِطَاعِي إِلَيْهِ ، وَارْتِسَامِي بِالْيَأْمِيلِ لَهُ ، وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهِ .

(١) المصدور : المريض بصدره .

(٢) لصخر بن عمرو ، أخى الخنساء ، وصدره :

« وَقَالُوا أَلَا تَهْجُوا فُؤَارِسَ هَاشِمٍ »

وبعدده :

أَبِي الْهَجْوِ أَتَى قَدَّ أَسَاءُوا كَرِيمَتِي وَأَنْ لَيْسَ إِهْدَاءِ أَخْلَفْنَا مِنْ شِمَالِيَا

(٣) سورة الزخرف ١٩ .

(٤) اللحاء : القشرة ، وأصله من المثل : « لاندخل بين العصا ولحائها » ، أى قشرتها .

(٥) قلبه :

وَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

والبیتان ینسبان لعلی بن ابی طالب .

(٦) لأبى تمام ، دیوانه ٨١ .

(٧) لهدى بن زینب ، وانظر الأغاني ٢ : ١١٤ .

« إِنَّ الْمَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمُّهُ » (١)

وقال ابن زيدون من جملة قصيدة :

كان الوشاة وقد بليت بأفكهم أسباط يعقوب وكنت الديباً (٢)

• \* \*

٥٨ - وقوله :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبٌ

هذا البيت من جملة أبيات فالها النابغة الذبياني - واسمها زياد بن معاوية -

يعتذر فيها إلى النعمان ويمدحه ، أو لها :

أتاني أبيت اللعن أنك لمغني وتلك التي أهتم منها وأنصب (٣)

فبت كأن العائذات قرشن لي هراساً به يعلى فراشي ويقشب (٤)

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبٌ

لئن كنت قد بلغت عني خيانةً كميلك الواشي أغش وأكذب

ولسكنني كنت امرأاً لي جانب من الأرض فيه مستراد وملعب (٥)

ملوك وإخوان إذا ما مدحتهم أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك أصطنعتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا

عن الشعبي ؛ قال عمر رضي الله عنه : من أشعر الناس ؟ قالوا : أنت

أعلم يا أمير المؤمنين ، قال : من الذي يقول :

(١) لامتنبي ، ديوانه ٣ : ٣٧٠ ، وصدره :

\* وبيننا لورعيتم ذلك معرفة \*

(٢) ديوانه ٣٣١ .

(٣) ديوانه ١٢ . وأبيت اللعن : أبيت أن تأتي امرأة تلعن عليه ، والنصب : لإعياء .

(٤) العائذات : الزائرات الإنسان في المرض . الهراس : نبت له شوك كثير . ويقشب :

مخاط ويحدد .

(٥) مستراد ومذهب ، أي إقبال وإدبار .

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ لِلْإِلَهِ لَهُ قَمِّ فِي الْبَرِّيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ (١)  
وَحَيْسِ الْجَنِّ إِنِّي قَدْ أَذْتُ لَهُمْ يَبْهِنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفْحِ وَالْعَمَدِ (٢)

قالوا: النابغة، قال: فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ:

أَتَيْتُكَ عَارِبًا خَلَقًا نِيَابِنَ عَلَى خَوْفٍ تَطْنُ بِي الظُّنُونُ (٣)

قالوا: النابغة، قال: فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً وَليْسَ وِراءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ

قالوا: النابغة، قال: فهو أشعر العرب.

وقد سَمِيَ الجاحِظُ هذا النوعُ من البديعِ بالذهبِ الكلاميِّ.

وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد منه شيء في الكتاب العزيز. وهو كثير فيه إلى الغاية، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (٤)، وقوله:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَذَّاهُ كُلِّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ...﴾ (٥)

الآية، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ

عَلَيْهِ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا

آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ (٧).

والنابغة كان يتحدث مع النعمان في هذه الأبيات، فيقول: أنت أحسنت

إلى قومٍ قمدحوك، وأنا أحسن إلى قومٍ فمدحتهم، فكأن مدح أولئك

لا تمدّه ذنباً، فكذلك مدحى لمن أحسن إلى لا يكون لي ذنباً عندك.

(١) ديوانه ٢١. والفند: الظلم، وفي بعض روايات الديوان «فازجرها عن الفند».

(٢) خيس، أى ذلل، ومنه سُمي السجن «مخيساً».

(٣) ملحق ديوانه، العقد الثمين ١٧٦.

(٤) سورة الأنبياء ٢٢.

(٥) سورة المؤمن ٩١.

(٦) سورة الروم ٢٧.

(٧) سورة الأنعام ٨٠ - ٨٣.



وقد روى عن ذى النون المصرى ، عن مالك بن أنس ، عن أبى الزبير ،  
عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تَنَصَّلَ إليه ، ولم يقبل  
لم يرد على الخوض » .

وسخط هارون الرشيد على حميد الطوسي ، فدعا له بالنظم والسيف - وهو  
واقف - فلما أخذ من بين يديه ليضرب عنقه ، بكى حميد ، فقال هارون  
الرشيد : ما يبكيك ؟ أجزعا من الموت ! قال : لا ، ولكن بكيت لأن أخرج  
من الدنيا وأمير المؤمنين على سخط ! فضحك هارون الرشيد ، وأشد :

\* إن الكريم إذا خادعته انخدعا \*

ثم أنه وهبه للحسن بن قحطبة . وذكرت هنا بقوله :

\* إن الكريم إذا خادعته انخدعا \*

قصية جرت لأبى الحسين الجزار ، وهى أنه توجه مرة إلى عند  
أبن يَمُور بالحلّة ، وأقام عنده مدّة ، ثم إنه أعطاه وزوده <sup>(١)</sup> ، وجاء ليمودّعه ،  
فاتفق أن حضر فى ذلك الوقت وكبل لأبن يَمُور على إقطاعه ، فقال له :  
ما أحضرت ؟ قال : كذا وكذا درهما <sup>(٢)</sup> ، فقال : أعطه للخازن دار ، قال :  
وكذا وكذا غلّة ، فقال : اجعلها إلى الشونة ، قال : وكذا وكذا خروفاً ،  
فقال : أعطها الجزار ، فقام الجزار وقبل الأرض ، وقال : يامولانا ، كم إحسان  
وكم تفضل <sup>(٣)</sup> ! فقبّس أبن يَمُور وانخدع ، وقال : خذها .

ومثل هذا البيت الذى أورده أبن زيدون ، قول العباس  
ابن الأحنف ، وهو :

(٢) د ، م : « دراهم » .

(١) ط : « ورده » .

(٣) ط : « كم وكم تفضل » .

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْفِدَى كُلَّ حُرَّةٍ لِنُفُوزِ الْمُؤْمِنِيِّ إِلَىٰ بِهَا كَالْمَذْبُوبِ<sup>(١)</sup>  
فَمَا دُونَهَا فِي النَّاسِ لِلْقَلْبِ مَطْلَبٌ  
وَلَا خَلْفَهَا لِلْقَلْبِ فِي النَّاسِ مَذْهَبٌ

\*\*\*

٥٩ - وقوله: والله ما غششتك بعد النصيحة.

الفشّ خلاف النصح ، كأنه شيء غطى عليه . والنصح ضد ذلك .  
والنصح : الإخلاص ، والناصح : الخالص لمن التسل . والغشّ أمر مذموم  
منهى عنه ؛ وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
قال : « من تحمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا » رواه  
مسلم<sup>(٢)</sup> .

وفي رواية : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على صبرة طعام ،  
فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بلبلا ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟  
قال : أصابتنا السماء يا رسول الله ، قال : « أفلا جعلتته فوق الطعام حتى يراه  
الناس ! من غشنا فليس منا »<sup>(٣)</sup> .

والنصيحة أمر واجب ، قال الله تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام :  
﴿ وَأَنْصَحْ لَكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وعن هود عليه السلام : ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ  
أَمِينٌ ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) ديوانه ١٣ .

(٢) صحيح مسلم ٩٩ . والصبرة : الكومة المجموعة من الطعام .

(٣) م « فأصاب » (٤) الأعراف ٦٢ . (٥) الأعراف ٦٨ .

وفي مُسلمٍ عن أبي رُقَيْةَ تميم بن أَوْسِ الدَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » ، قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِكُتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » (١) .

وفي البخاريّ ومسلم ، عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنَّصِيحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .

وفيها عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا بُؤْسَ مِنْ أَحَدِكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » (٢) .

حُكِيَ أَنَّ الْقَاضِيَ الْفَاضِلَ رَحِمَهُ اللهُ تَوَجَّهَ يَوْمًا إِلَى دَارِ الْعِمَادِ الْكَاتِبِ ، فَوَجَدَ آثَارًا أَنْكَرَهَا الْقَاضِلُ مِنْ آثَاتِ مَجَالِسِ الْأَنْسِ ، فَأَنْشَدَهُ :

مَا نَاصِحَتِكَ حَفَايَا (٣) الْوُدِّ مِنْ أَحَدٍ

مَا لَمْ يَنْتَلِكْ بِمَكْرُوهِ مِنَ الْعَدَلِ

مَحَبَّتِي فَيْكَ تَأْتِي أَنْ تَسَاحَنِي بَأَنْ أُرَاكَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الزَّلَلِ

فَأَسْتَحْيَا الْعِمَادُ الْكَاتِبَ رَحِمَهُ اللهُ ، وَلَمْ يَعاوِدْ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ

تِلْكَ الْحَالِ .

حُكِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى بْنِ الْأَجْدَعِ التَّمِيمِيِّ ، قَالَ : دَفَعْتُ لِي الْحِجَابَ أَزَادَ مَرْدُ بْنُ الْهَرَبِدِ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُسَخِّرَ مِنْهُ مَالًا وَأُعْطِيَهُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا انطَلَقْتُ بِهِ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ لَكَ شَرَفًا وَدِينًا ، وَإِنِّي لَا أُعْطِي عَلَى الْقَسْرِ شَيْئًا ، فَاسْتَادِنِي وَارْفُقْ بِي . قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ ، فَأَدَّيْتُ إِلَيْهِ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ

(٢) صحيح مسلم ٦٧ .

(١) صحيح مسلم ٧٤ .

(٣) ط : « حفايا » .

خمسائة ألف . فبلغ ذلك الحجاج فأغضبته واترعه من يديه ، ودفعه إلى رجلٍ  
غيري ، فذق يديه ورجليه ، فلم يُعطهم شيئاً . قال محمد بن المنقبي : فإني لأمر  
يوماً في الشوق ، إذا صائحٌ بي : يا محمد! فألفت إليه ، فإذا به ممرضاً على حمار  
مدقوق اليدين والرّجلين ، فقلت إليه ، فقال : إنك وليت مني ما وُلّي هؤلاء  
فأحسنت ، وإلّهم صتموا بي ما ترى ، ولم أعطهم شيئاً ، وها هنا خمسائة ألف  
عند فلان ، فخذها فهي لك ، فقلت : لا آخذُ على معروف صنمته أجراً ؛ قال :  
فأمّا إذ أتيت فاسمع حديثَ بعضِ أهلِ دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم  
قال : « إذا رضى الله عن قومٍ أمطرهم المطر في وقتِهِ ، وجعل المال في مُصْحابِهِمْ ،  
واستتمل عليهم خيارهم . وإذا سخط عليهم استعمل عليهم شيرارهم ، وجعل  
المال في بُحْلانِهِمْ ، وأمطرهم المطر في غيرِ وقتِهِ » . قال : فها وضعتُ ثوبي حتى  
طلبني الحجاج ، فألقيته جالساً والسيفُ في يده منتصباً ، فقال : اذنُ ، فدنوتُ  
فقال : اذنُ ، فدنوتُ ، ثم صاح الثالثة : وَبِكَ ! اذنُ لا أبالك ! فقلت :  
مالي حاجةٌ إلى الذنوّ والسيف هكذا ! فضحك وأغمدَ سيفه ، وقال :  
اجلسْ [ حدّثني ] ما كان من حديث الخبيث ، فقلت : والله أيها الأمير  
ما غشيتك منذ استنصحتني ، ولا كذبتك منذ استخبرتني ، ولا خمتك  
منذ أتممتني . . . ثم حدّثته الحديث ، ولما صرتُ إلى <sup>(١)</sup> ذكر الرجل  
الذي المال عنده ، أعرض عني بوجهه ، وأومأ إلى يديه ، قال : لا تسمه ،  
إن للخبيث نفساً ، وقد سمع الأحاديث .

وقال بعض الفضلاء :

أخلاقك الفُر السجايا مألها      حَمَلتُ قَدَى الواشين وهي سُلَافُ

(١) ط : « عند » .

والعش في مرآة ذهنك كيف لا يبدو وأنت الجوهر الشفاف  
وقال :

أنت عيني وليس من حتى عيني غَضُّ أجنانها على الأقداء (١)

٦٠ - وقوله : ولا انحرفتُ عنك بمد الصَّاعية .

الانحراف : الميل ، يقال : انحرف عنه وتحرف وأحزورف ، إذا مال ،  
أو عدل عنه .

والصاعية كأنها مصدر صَعَى ، بصموا صَفْواً وصاعيةً ، تقول : أصفيتُ  
إليه إذا ملت بسَمِّكَ نحوَه ، وأصفيت الإناء إذا أملتَه ، وأصفتِ الداقة إذا  
مَيَّلت رأسها للرجل .

قال الرَّشيد يوماً ليزيد بن يزيد ، في لعب الشطرنج : كن على مع علي بن  
عيسى ، فأبى ، وقال : إني حلفتُ ألا أكونَ عليك في جدِّ ولا هزل .

ومن هذه المادَّة قولُ الرشيد أيضاً : قلبُ العائقِ عليه مع مَمشوقته .  
قال الأصمعيّ : فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، قولك هذا أحسنُ من قول  
عروة بن حزام :

وإني لتمرُّوني لِذِكْرِكَ رَوْعَةً لها بين جِلْدِي والعظامِ دَيْبٌ (٢)  
وما هو إلا أن أراها فُجاءةً فُثِّبتَ حتى ما أكاد أُجيبُ  
وأصرفُ عن رأيي الذي كنتُ أرْتبِي  
ويَقْرُبُ منِّي ذِكْرُها وَيَفِيبُ

(١) لابن الرومي ، نقله في مختارات البارودي ١ : ٣١٧ .

(٢) انظر الأغاني ٢٠ : ١٥٤ ( ساسي ) ، واللآلئ ٤٠٠ ، ومصارع المشائق ٢٠٩ .

وَبُضِيرِ قَلْبِي ذِكْرَهَا فِيهِمِنَهَا عَلِيٌّ ، فَأَلِيٌّ فِي الْفَرَادِ نَصِيبٌ  
 فقال الرشيد : من قال ذلك وَهَذَا ، فقد قلته علماً .  
 وما أَحْسَنَ قَوْلَ الْحَمَاسِيِّ :

وَلَقَدْ أُرِدْتُ الصَّبْرَ عَنْكَ فَمَا قَنِي عَلَقَ بَقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ قَدِيمٌ  
 يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ وَرَبِيبِهِ وَعَلَى جَفَانِكَ إِنَّهُ لَسَكْرِيمٌ  
 وقوله : « ولا أَحرفُ عَنْكَ بَمَدِّ الصَّاعِيَةِ » ، أَنشَدَنِي فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ لِنَفْسِهِ  
 لِلشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَلِّيِّ سَفَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةَ ، قَالَ :

لِلتَّرْكِ مَالِي تَرَكَ مَادِينٌ حَبِيٌّ شِرْكَ  
 سَوَالِفٌ وَهُيُونَ تَشْكِي الْمَحِبِّ وَتَشْكُو<sup>(١)</sup>

يشير بذلك إلى قول ابن الرومي :

تَشْكِي الْمَحِبِّ وَتَشْكُو وَهِيَ ظَالِمَةٌ  
 كَالْقَوْسِ تُصَيِّبِي الرَّمَايَا وَهِيَ مِرْنَانٌ

وقلت أنا في هذه المادَّة الثانية :

تَشْكِي الْمَحِبِّ وَتَشْكُو فَالْقَلْبُ لَا يَطْمِينُ  
 كَالْقَوْسِ تُصَيِّبِي الرَّمَايَا وَبَعْدَ هَذَا تَبِينُ

\* \* \*

٦١ - وقوله : ولا نصبت لك بمد التشيع فيك .

النَّصْبُ فِي اللَّغَةِ : مَصْدَرٌ نَصَبْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَقَمْتَهُ ، وَنَصَبْتُ لِفُلَانٍ إِذَا  
 عَادَيْتَهُ ، وَنَاصَبْتَهُ الْحَرْبَ مُنَاصَبَةً ، وَالتَّشْيِيعُ هُوَ الدُّخُولُ فِي الشَّيْئَةِ ، وَهِيَ كُلُّ

(١) يقال : أشكيت فلانا ، إذا فعلت به فعلا أوجهه إلى أن يشكوك .

قومٍ أمرهم واحدٌ غيرُ مُختلف. وتشيع الرجل إذا ادعى دعوى الشيعة، وقال بمقاتلتهم. وقد جرى المَرْف بأن كل من انحرف عن عليّ وبذيه يستى ناصبياً، وكل من أحبّ عليّاً وبذيه يستى شيعياً، فالناصبى ضدّ الشيعى، وما أحسن قول الحظيرى الوراق فى ناصبى أسمه الفتح :

يا فتّح، يا أشهر كلّ الورى باللؤم والخسة والكذب<sup>(١)</sup>  
كم تدعى شيعة آل النبي وأسمك يُذيينا عن النصب

وكان إبراهيم بن المهديّ منحرفاً عن عليّ رضى الله، ولتأ مات إبراهيم ركب المعصم حتى صلّى عليه، ثم قال للوائق: قم يا بنى حتى تبيته، وقيل: بل لم يصلّ عليه تحرّجاً، وأمر الوائق بالصلاة عليه، وسأل عن وصيته، فوجده قد أمر بمالٍ عظيمٍ أن يفرّق على أولاد الصحابة كلّهم إلا أولاد عليّ رضى الله عنه. فقال الوائق: والله لولا طاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه، ولا أنتظرت دفته. ثم أنصرف وهو يقول: منحرّف عن شرفه وخير الأهل، والله لقد وارتبته فى قبره كافراً. وأمر الوائق أن يفرّق فى أولاد عليّ رضى الله عنه مالاً فاضل، فأصاب كل رجل منهم أضعاف ما أصاب غيرهم من وصية إبراهيم.

قال يحيى بن أكثم: لو يُحسّن أحدٌ من بنى العباس إلى آل أبي طالب إحسان الوائق؛ مامات فيهم فقير.

وكان المتوكل منحرفاً عن العلويين، فأمر فى سنة ست وثلاثين ومائتين بهدم قبر الحسين رضى الله عنه، وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع،

ومنع الناس من زيارته ، وحُرِّثَ وبقِي صَحْرَاءَ ، فتَأَلَّم الناسُ لذلك ، وكتبوا  
سببه على الحيطان ، وهجأه الشُّعْرَاءُ ؛ دِعْبِلٌ وغيره ، وفي ذلك يقول يعقوبُ  
ابن السَّكَيْتِ - وقيل : لعلي بن أحمد البسَّامِي :

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنتِ نبيها مظلوما  
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لتمرك قبره مهْدوما  
أيقنوا على أن يكونوا شاركوا في قتله ، فتتبعوه ربما

ودخل ابنه المنتصر رحمه الله عليه ليلة ، وقد أمه رجلٌ قد تزَّيا بزى علي  
ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد كبر بطنه ، فنبهن المَضْب في وجه المنتصر ،  
فقال منه المتوكل (١) . وكان ذلك أحد الأسباب الباعثة للمنتصر على قتل أبيه  
المتوكل ، على ما هو مذکور عند أهل العلم بالتواريخ وأيام الناس .

ولما تولى الخلافة المنتصر دَفَعَ إلى أحمد بن الخصب مالا جزيلا ،  
وقال : فرَّقْهُ في العَلَوِيِّين ، فقد نالهم جَفْوَةٌ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، سوف  
ترى ما أفعل معهم ، فقال : إذا تسعد عند الله وعندى ، فإني ما وليتكَ  
الوزارة إلا لتخلفني فيهم ، وتنفق أحوالهم ، وتفضي حوائجهم ، فقال يزيد  
ابن الهلب :

ولقد بررت الطالبيَّة بعد ما ذموا زمانا بدمهم وزمانا (٢)  
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم بعد المداوة بينهم إخوانا  
لو يعلم الأسلاف كيف بررتهم لرأوك أنقل منهم ميزانا  
وكان عبد الله بن المعتز منصرفا عن العلوِيِّين ، وله فيهم قصيدة  
مطولة أولها :

(١) كذا في م ، وهو الصواب ، وفي الأصل ، ط « فقال المتوكل » وهو خطأ .

(٢) المسعودي ٣ : ١٣٥ .



أَلَا مَا لَيْتَنِي وَنَسَكَيْهَا تَشَكَّى الْقَدَى ، وَبِهَا مَا بِهَا

وأجابه عنها صنئة الدين الحلي من أهل عصرنا . ولابن سُكْرَةَ الهاشمي قصيدة ميمية ، يفخر بها على الطالبين ، فردَّ عليه أبو فراس بن حمدان بقصيدة في وزنها ورويها . ولأبن المعتز غير قصيدة يذمُّ فيها الطالبين ، وهي موجودة في ديوانه .

وكان الملك الأفضل علي بن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب كامل الفضائل ، يتظاهر بالتشيع لأجل الإمام الناصر ، صاحب بغداد ، فمن ذلك أنه كتب إليه لما تفضَّب عليه عمه العادل أبو بكر وأخوه العزيز عثمان ، قال :

ذِي سُنَّةٍ بَيْنَ الْأَيَّامِ قَدِيمَةٍ أبدأ أبو بكرٍ يحورُ علي علي

وكتب إليه أيضا :

مولاي إنَّ أبا بكرٍ وصاحبَه عثمانَ قد غَصَبَا بالسيفِ حقَّ علي وهو الذي كان قد وُلَّاه والدُه عليهما ، فأستقام الأمر حين ولي خالفاه وحلَّاه عمَّ ————— د بيئته والأمر بينهما ، والنص فيه جلي

فانظر إلى حظَّ هذا الإمام كيف آتَى

من الأواخر ما لاقى من الأوَّل

فكتب الإمامُ الناصرُ إليه جوابا :

واقى كتابك يابن يوسف مُعلِنًا بالحقِّ يُخبرُ أنَّ أصلك طاهرُ غصَبوا عليًا حقَّه إذ لم يكنُ بعد النبي له بمكة ناصرُ فاصبر فإنَّ غداً عليَّ جزاءهم وابتسرُ فناصرُك الإمامُ الناصرُ

وكتب صاحبُ شرفِ الدين بن عُمَيْن من الهنْد قصيدةً يقول فيها :  
 هيات أن آتني دِمَشقَ ومُلْكُها      يعزى إلى غيرِ المليكِ الأفضَلِ  
 ومن العجائب أن يقومَ بها أبو بكرٍ      على علمِ الوصيةِ في علي  
 مهلاً أبا حَسَنٍ فذلكَ سَجَابَةٌ      صِيقِيَّةٌ عَمَّا قَلِيلٍ تَنْجَلِي  
 على أنه لما عاد إلى الشام ووجد المادِلَ في دِمَشقِ ، كتب له  
 قصيدةً أوَّلُها :

ماذا على طَيْفِ الأُحِبَّةِ لو سَرَى      وعليهمُ لو سَاحَحوُنِي بِالكَرَى  
 وقال في جملتها :  
 ما في أبي بكرٍ لمن رامَ الهدى      شكُّ يربُّ بأنَّه خَيْرُ الوَرَى  
 ومن نظم المَلِكِ الأفضَلِ نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف  
 ابن أيُّوب رحِمهم اللهُ تعالى يقول :

أما أن للسَّعدِ الَّذِي أنا طالبٌ      لإدراكه يوماً يُرَى وهو طالبي  
 وهلاً يُرَبِّي الدهرَ أيديَّ شَيْبَتِي      تمكِّنْ يوماً من نَوَاصِي النَوَاصِبِ  
 وما أحسنَ قولِ أبي الفتح نصر بن قلاقس رحِمه اللهُ تعالى :  
 وفي كِبِدِي - أسْتَغْفِرُ اللهُ - لَوْعَةٌ      إلى مَوْلَعٍ عَنِي بما هو مَوْلَعُ  
 يداصِبني في الحُبِّ والحُبِّ حَاكِمٌ      يَجُوزُ لِي في النَاصِبِ تَشْيِيبِي  
 وكان الصالح بن رُزَيْك قد أُلزم الأئبر بن بُنانٍ دفعَ عليه لكونه كان  
 يتولَّى أموالَ اله ، فأرسل إليه يَمْتُتُ بِقَدِيمِ الخِدْمَةِ ، والأشْيَعِ المَوافِقِ لِمَذْهَبِهِ ،  
 فقال الصالح :

أنى ابن بُنانٍ بِيَهْتَانِهِ      يحصنُ بالدينِ ما في يَدَيْهِ

برئت من الرّفص إلاّ لهُ وُتبتُ من النّصّب إلاّ عليّه

وكان قدر المال ستمين ألف دينار ، فأخذ منه اثني عشر ألفاً ، وترك له الباقي . وقال نصير الدين محمد بن الإخيميّ في شيميّ صُفيع بدمشق في سوق عليّ :

تَهْبُ عَلِيّاً كما تَدْعِي كَذِبَ وخالق مخلوقه  
فلو كنتَ تصدّق في حُبِّه حاكّ من الصّفْع في سُوقِه

قيل : إنّ جُعيفران المَوْسوس كان يتشيع ، فقيل له يوماً : أنشتم فاطمة وتأخذ لك درهماً ؟ فقال : لا ، إلاّ أتى أسبّ عائشة وأباها ، وأعطوني نصفاً .

وقيل يوماً لبهول : أيّما أفضل ، أبو بكر أو عليّ ؟ فقال : أمّا وأنا في كِنْدَةَ فَعَلِيّ ، وأمّا وأنا في بيّ ضَبّة فأبو بكر ؛ وكِنْدَةَ في الكوفة من غلاة الرّوافِص ، وبنو ضَبّة أهلُ نَصْبٍ ، وهم أصحاب الجمل .

قال سليمان بن زير<sup>(١)</sup> : اجتمعتُ أنا وعشرة من المشايخ في جامع دِمَشق ، فيهم أبو بكر بن أحمد بن سعيد الطائيّ ، فقرأنا فضائلَ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فوثب علينا قريب من مائة يَضْرِبوننا ، ويَسْتَحِبوننا إلى الوالي ، فقال لهم أبو بكر الطائيّ : يا سادة ، استمعوا لنا ، إنّما قرأنا اليوم فضائلَ عليّ ، وغداً نقرأ فضائلَ أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه ، وقد حضرتهنّ أبياتٌ فإن رأيتُمْ أن تسمّعوها ، فقالوا له : هاتِ ، فقال<sup>(٢)</sup> بديهاً :

حُبُّ عَلِيّ كَلِّه ضَرْبُ يَرْجِفُ من خَيْفَتِه القَلْبُ  
ومَذْهَبِي حُبُّ إِمَامِ المُهدِيّ يَزِيدُ ، والِدِينِ هُوَ النّصْبُ  
مَنْ غَيْرُ هَذَا قال فهو مرؤٌ ليس له عَقْلٌ ولا لُبُّ

(٢) ط : « فأنشأ » .

(١) م : « بن زيد » .

والناس من يَنْقَدُ لأهوائهم يَسْلَمُ ، وإلَّا فالقفسا نَهْبُ

قال : نَحَلُّوا عَنَا ، فقال أبو بكر الطائِي : والله لا أَمْتُ في بلدٍ يَجْرِي فيها ما جَرَى ، نَمَّ إِنْهُ خَرَجَ مِنْهَا وَسَكَنَ حِمَصَ .

قال البَاخْرَزِي رحمه الله مصَنَّف دُمِيَّة القَصْرِ ، في ترجمة علي بن محمد الجَزْرِي : وقع من بعض الجزائر إلى باخْرَز ، فارتبط بها للتأديب ، وبقى بين كبارها موفور النَّصِيب ، وبلغ من العلوِّ في النَّشِيع مَبْلَغًا حَفِزَهُ حتى أَدْرَعَ اللَّيْل ، وسَهَّر الذَّيْل ، وشدَّ الأفتاد ، وطوى البلاد ، وأقام في مجاورة قبر معاوية بالشام سنة جرداء<sup>(٢)</sup> ، يطوف بيئانه ، ويتبرك باستلام أركانه ، ووراء تملقه ذلك أمر ، وخلل رماده وميضُ جَمْر ، ولم [يزل] <sup>(٣)</sup> ينتهز الفرصة حتى خلا وجهه يوماً من الأيام ، وانتفض عنه بعض هؤلاء الأقوام ، فنفض على القبر عيابه ، وأسأل فوَّقه مزاربه<sup>(٤)</sup> ، وألقى به جَمِيدَه ، وخلط بذي بطنه طيمته ، وخرج منها خائفاً يترقب ، قال ربِّ نجني من القوم الظالمين . وفي هذا المعنى يقول :

رَأَيْتُ بَنِي الطَّوَامِثِ وَالزَّوَانِي بَمَقْتٍ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ شَزْرًا  
لَأَنِّي بِالشَّامِ أَقْتُ حَوْلًا عَلَى قَبْرِ ابْنِ هِنْدٍ كُنْتُ أُخْرَى  
انتهى ما أوردته البَاخْرَزِي .

وقلت أنا ردًا على هذا الشاعر الأحمق أخزاه الله تعالى :

أَنْحَسَبُ أَنْ ذَا يُرْفِضِي عَلِيًّا عَلَيْكَ وَقَدْ خَرَيْتَ جَزِيَتَ شَمْرًا  
وَكَيْفَ يَكُونُ وَجْهُكَ يَوْمَ تَأْتِي غَدًا ، وَيَقَالُ هَذَا وَجْهَ خَرًّا

(١) دمية القصر ٥٢ . (٢) في الأصل ؛ د : ه جوداء ه وما أثبتته من الدمية

(٣) كذا في الدمية .

(٤) من الدمية

ولكن كان هذا نقص عقل ودين ، من تحرى ما تجرأ

\* \* \*

٦٢ - وقوله : ولا أزمعتُ بأصا منك ، مع ضمان تكفلت به  
الثقة عنك .

قال الخليل : أزمعت على أمرٍ فأنا مُرْمِعٌ عليه ، إذا ثبتَّ عليه عزمك .  
وقال الكسائي : يقال : أزمعت الأمر ، ولا يقال : أزمعت عليه .  
والياس ضد الطمع . وتكفل تكفل من الكفالة ، وما أحسن قول أبي  
الغضائمية :

ولربما أستنيستُ ثم أقولُ لا إن الذي ضمن النجاح كريم  
وقول آخر :

لا زلت أسمعكم من واثق خجلٍ  
حتى أبتليتُ فكنت الواثق الخجلاً  
وقال أبو بكر الخوارزمي :

رَمَيْتُ بِكَ الْأَعْدَاءَ عَنِ قَوْسِ غَنِيَةٍ

وَأَصْبَحَ حُبَّ النَّاسِ مِنِّي مَطْلَفًا

وصفرت عندي الخلق حتى حسبتني على كل من خاطبته متصدقا

وكتمتني أنقل إلى أهل مجلسي ثمأ مجلس من فيك قمت متصدقا

وكنت متى ما أروعتك قصيدة غدوت بها أصفي نشيدا وأحذقا

وكنت إذا استفتحت بأسمك سفرة

تطائر عني نجهسها وتفرقا

وكنيت متى أذكرك والكأس في يدي

صفت ، وغدا الداذى فيها ممتقا<sup>(١)</sup>

وكنيت متى أحسُّدُ غَنِيًّا على الفنى

ذَكَرْتُكَ سِرًّا واستظلتُ لك البقما

وقال ابن الخياط الدمشقى :

أُبَعِدُ تَمَشُّكِي بِنَدَاكَ دَهْرًا وَحَبْلُ نَدَاكَ لَيْسَ لَهُ انْصِرَامُ<sup>(١)</sup>

وَكَوْنِي مِنْ دِفَاعِكَ فِي حُصُونِ مَنِيَمَاتِ الذَّوَابِ لَا تُرَامُ

وَأَخَذِي مِنْكَ مِيثَاقًا كَرِيمًا وَعَهْدًا مَا لِعُرْوَتِهِ انْفِصَامُ

يُنَالُ مُرَادَهُ مِنِّي حَسُودِي وَيُمْكِنُ عَادِيًّا فِيَّ اهْتِصَامُ

\* \* \*

٦٣ - وقوله : وَعَهْدٍ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ .

المهد لغة الأمان ، واليمين والمؤتيق والذمة والحفاظ والوصية ؛ والمراد به هنا المؤتيق ، وقد استعمار هنا الأخذ لحسن الظن عليه ، كأنه تناوَل حسن ظنه فيه ، وأخذَه عليه ، واقطعه منه ، وصار عنده في قبضته . وحسن الظن بالله أمر قد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، وحث عليه ، فمن ذلك يقول الله تعالى : « أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي خيرا » .

وقد روى أبو نواس الحسن بن هانئ عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله ، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة » .  
وروى عن بعض أهل البيت رضى الله عنهم أجمعين ، أنه قال عند نزاعه ،

(١) الداذى : نبت له حب مثل الشعير يتخذ منه شراب مسكر .

يا بَنِي ، اقرءوا على شَيْئَانِ مِنَ الرَّخِصِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَنَا أَحْسَنُ الظَّنِّ بِهِ .  
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ <sup>(١)</sup> كُلَّ عَهْدٍ  
 مِنَ الْعُقُودِ مِثْلَ عَهْدِ الْبَيْعِ وَالشَّرِكَةِ ، وَعَهْدِ النَّذْرِ وَالْيَمِينِ ، وَعَهْدِ الصَّلْحِ ،  
 فَإِنَّهُ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِأَيِّ شَيْءٍ وَقَعَ مِنْ هَذِهِ الْعُقُودِ تَمَّا يَجْرِي ذَلِكَ بَيْنَ إِنْسَانَيْنِ ،  
 إِلَّا إِذَا دَلَّ دَلِيلٌ مُنْفَصِلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ، أَي مَطْلُوبًا مِنَ الْمُعَاهِدِ إِلَّا بِضَيْعِهِ ،  
 وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُخْرَجٌ ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، هَذَا  
 سَوْأَلٌ لَهَا ، هُوَ تَقْرِيعٌ لِمَنْ وَادَّ الْبَنَاتِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ  
 اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾ <sup>(٣)</sup> هَذَا سَوْأَلٌ لَهُ ، وَهُوَ  
 تَقْرِيعٌ فِي الْبَاطِنِ لِمَنْ أَعْتَقَدَ ذَلِكَ وَتَوَبَّيخٌ لَهُ ، فَكَذَلِكَ سَوْأَلُ الْعَهْدِ نَفْسَهُ  
 إِنَّمَا هُوَ تَوَبَّيخٌ لِمَنْ لَمْ يَفِ بِهِ وَمَنْ نَكَّهَهُ ، وَإِلَّا فَالْعَهْدُ نَفْسُهُ غَيْرُ مَسْئُولٍ قَطًّا .  
 أُنشِدَنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً شَيْخُنَا الْعَلَمَةِ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَمِنْ  
 حَظِّهِ نَقَلْتُ :

قِيلَ مَا أَعَدَدْتَ لِلْحَافِئِ ، وَقَدْ جُمْتُ مَحَلَّهُ

قُلْتَ أَعَدَدْتَ مَعَ التَّوْحِيدِ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ

وَقُلْتُ أَنَا فِي ذَلِكَ :

ثَمَّنَ الْجَنَّةَ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى

فَهُوَ عِنْدِي رَأْسُ مَالِي أَشْتَرِي مِمَّا تَعَالَى

(٢) التَّكْوِينُ ٨ .

(١) الْإِسْرَاءُ ٣٤ .

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ١١٦ .

وقال عبد الصمد<sup>(١)</sup> بن بابك :

أصبحتُ ذائِقَةً بِالْوَفْرِ مِنْكَ وَإِنْ قَالَ الْمَوَازِلُ ظَنَّ رَبِّمَا كَذِبًا  
إِنَّ الْمُنَى صَمِمَتْ عَنْكَ الْفِي فَأَجِبْ

فَالْبَجْرُ يَمْنَحُ فَضْلَ الرَّيِّ مَنْ شَرِبَا  
فَحُسْنُ ظَنِّي<sup>(٢)</sup> اسْتَوْفَى مَدَى أَمَلِي وَحُسْنُ ذَلِكَ لَمْ يُبْقِ لِي أَرْبَا

وما أَلْطَفَ قَوْلَ السَّرَاجِ الْوَرَّاقِ :

أَقُولُ وَكَفَّنِي عَلَى خَضْرِهَا وَقَدْ كَادَ يَخْفِي سَقَامًا هَلِيَّ  
أَخَذْتُ عَلَيْكَ عَهْدَ الْهَوَى وَمَا فِي يَدِي مِنْكَ يَا خَضْرَ شَيْءٍ

ومن قول ابن زيدون رحمه الله تعالى : « وَوَاللَّهِ مَا عَشَّشْتُكَ بَعْدَ الْفَصِيحَةِ .. »  
إلى قوله : « وَعَهْدٌ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ » ، كما تسميه العرب وأربابُ البديع :  
الاستقصاء ، وهو أن يتناول البليغ معنى فيستقصيه ، ويأتي فيه بجميع عوارضه  
ولوازمه ، وأوصافه الذاتية ، ولا يترك فيه لمن بعده ممن يتأمله فضلة . وكذا فعل  
ابن زيدون رحمه الله تعالى لما أراد أن يتبرأ عند ابن جهور من الذنوب ،  
فقال : ما عَشَّشْتُكَ ، ولا أنحرفتُ عنكَ ، ولا نصبتُ لك ، ولا أزممتُ بأسا  
منك ، مع تقى بك ، وحسن ظني بك .. فقد استقصى في التبري من الذنوب  
التي يتوهم وقوعها ، ولم يرض بذلك حتى قال : ومع براءتي من ذلك أنا لم  
أياس منك لحسن ظني فيك ؛ وهذا [ كمال الاستقصاء ]<sup>(٣)</sup> لذلك ، حتى يقرر  
وجوب الرحمة له ، والمأطمة عليه . ومن أحسن ماورد في الاستقصاء ، قوله

(١) ط : « عبد الملك »

(٢) ط : « ظن » .

(٣) من ط و د



تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ (١) إلى قوله تعالى: ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾؛ لأنه بمد قوله: ﴿جَنَّةٌ﴾، لو اقتصصر على ذكرها لكان كافياً، فلم يقف عند ذلك حتى قال: ﴿مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾، لأن الجنة تطلق على كل شجرة يستر بظل ورقه الأرض. فإذا قال: ﴿مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ كان مُصَابُ رُبِّهَا أعظم. ثم لم يقف عند ذلك حتى قال: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، متمم الوصف فيها بذلك، ثم كمل وصفها بمد التثمين، بأن قال: ﴿لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾؛ وذلك لما علم أن الاقتصار على وصفها بالنخيل والأعناب، لا يكون ذلك وصفاً كاملاً، فأتى بكل ما يكون في الجنات ليشتد للأسف على فسادها. ثم قال في وصف صاحب الجنة: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾. ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم الجنات بقوله بمد وصفه بالكبر: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ﴾. ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف. ثم ذكر استئصال تلك الجنة - التي ليس لهذا الذي أصابه الكبر وليس لذريته الضمائم غيرها - بالهلاك في أسرع وقت، حيث قال: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾؛ فلم يقتصر على ذكر الإعصار للعلم بأنه لا يحصل به سرعة الهلاك، فقال: ﴿فِيهِ نَارٌ﴾. ثم لم يقف عند ذلك أيضاً حتى قال: ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾؛ لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تقوم بإحراقها لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار، فاحتترق عن هذا الاحتمال بقوله: ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾.

ومن أحسن ما وقع في الاستقصاء قول ابن الرومي:

وحدثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتعزز (٢)

(١) سورة البقرة ٢٦٦.

(٢) أمالي القائل ١ : ٤٨.

إِنْ طَالَ لَمْ يُنْمَلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْحَدِيثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجَزِ  
 شَرَكُ الْقَوْلِ وَنُزْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِلطَّمْثِ وَعُقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِرُ  
 وَمِنَ الْاسْتِقْصَاءِ قَصِيدَةُ ابْنِ الرَّوْحِيِّ الْقَافِيَّةُ ، الَّتِي يَصِفُ فِيهَا الْجَارِيَةَ  
 السَّوْدَاءَ ، مِنْهَا قَوْلُهُ :

أَكْبَبَهَا الْحُبُّ أَنَّهَا صُيِّفَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْمَدَقِ  
 فَإِنَّهُ اسْتَقْصَى فِيهَا جَمِيعَ مَا تُوصَفُ بِهِ السَّوْدَاءُ مِنَ الْحَاسِنِ .  
 وَمِنْهُ (١) قَصِيدَةُ الْقَاضِي نَاصِحِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ الْأَرْجَانِيِّ فِي الشَّمْعَةِ  
 الَّتِي أَوْلَاهَا :

نَمَتْ بِأَسْرَارِ لَيْلٍ كَانَ يُخْفِيهَا وَأَطْلَعَتْ قَلْبَهَا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا (٢)  
 فَإِنَّهُ اسْتَقْصَى فِيهَا جَمِيعَ مَا تُوصَفُ بِهِ الشَّمْعَةُ مِنَ الْحَاسِنِ .

\* \* \*

٦٤ - وَقَوْلُهُ : فَفِيمَ عَبَّثَ الْجَفَاءَ بِأَذْمَتِي .

فَفِيمَ أَصْلُهُ : « فَفِي مَا » ، وَهَذِهِ مَا الْاسْتِفْهَامِيَّةُ ، إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا حُرُوفُ الْجَمْرِ  
 حُذِفَتْ أَنْفُهَا ، فَيُقَالُ : عَلَامٌ ، وَإِلَامٌ ، وَعَمٌّ ، وَمِمٌّ .

قِيلَ : إِنْ بَعْضَهُمْ قَالَ لِبَعْضِ الْأَفْضَلِ : بِمَا تُوصِفِي ؟ فَقَالَ : بِنَمْوِي اللَّهِ ،  
 وَإِسْقَاطِ الْأَنْفِ .

وَقَوْلُهُ : « أَذْمَتِي » جَمْعُ ذِمَامٍ ، مِثْلُ زِمَامٍ وَأَزِمَةٍ ، وَسِنَانٍ وَأَسِنَّةٍ ،  
 وَالذَّمَامِ وَالذَّمَّةِ : الْحُرْمَةُ .

(٢) ديوانه ٤٢٥ .

(١) ط « ومن الاستقصاء » .

وكانت المربُ تُراعى أمرَ الذِّمَّةِ ، وتُحافظُ عليه ، ويتوخَّونُ الوفاءَ به ،  
ولو جرتِ الدِّماءُ ، وقامتِ الحروبُ ودامتُ ؛ فمن ذلك أمرُ كُذَيْبِ وإِبلِ ،  
فإنه كان يقول : قد أجرتُ وحشَ صحراءِ كذا وكذا ، فلا يتمرِّضُ له أحدٌ ،  
ولا يُقدِّمُ على صيِّدِ ذلك الوحشِ أحدٌ أبداً ، وكان يَمْنَعُ أن تردَّ إبلُ أحدٍ  
مع إبلِهِ حتَّى تصدُرَ إبلُهُ ، ثمَّ تردَّ إبلُ الناسِ بعد ذلك ، ولذلك قال عبدُ الله  
ابنُ محمد بنِ ورقاء الشَّيبانيُّ من قصيدته المشهورة :

وعزُّ كُذَيْبِ كان أحدوثَةً بها تَبَدَّى من العزِّ الأصيلِ المبانياً  
بُجَيْرٌ وحوشٌ اليبيدِ من أن تصيدها  
رجالٌ ويحيى للوحوشِ الصحاريِّ  
ويحتصرُ الوردَ المباحَ فنتهى الـ  
جماعةٌ عما عنه صرَّح ناهياً

وعمر بنُ سليمان ، قتل أخاه وفاء لجاره<sup>(١)</sup> الكلابيُّ ، حتَّى قال  
شاعرُ بني شَيْبان :

قَتَلْنَا أَخانا بِالوِفاءِ لِجارِنا وكان أبونا من تجيرِ مقابِرُهُ  
وقال غيره يردُّ عليه بما فعلوا :  
تعدُّ معاذراً لست بشيءٍ ومن يَقْتُلُ أخاهُ فقد أَلَمَّا

وقصة السَّموئل بنِ عادِياء مع الحارث بنِ أبي شَمْرٍ وقَتْلُ ولده بسببِ  
أذْرُعِ امرئِ القيسِ ، ولم يَدْفَعِ الأذْرُعُ ، وذبح ولده ، وهو يشاهدُه  
من الحصنِ .

(١) ط : « مجاوره » .

ومن ذلك ما ذكره صاحب الأغاني<sup>(١)</sup>، قال: كان المهلب بن أبي صفرة  
بخراسان، فخرج إليه زياد الأعجم فمدحه، فأمر له بمحاضرة، وأقام عنده أياماً،  
قال: فأنا المشية تشرب مع حبيب بن المهلب في دار له وفيها حمامة،  
إذ سحمت الحمامة، فقال زياد فيها:

تَقَى، أنتِ في ذِمِّي وعَهْدِي      وذِمَّةَ والِدِي أَلَا تُضَارِي<sup>(٢)</sup>  
وبَيْتِكَ أَصْلِحِيهِ وَلَا تُخَافِي      عَلَي صُغُرٍ مُزَعِمَةٍ صِفَارِ  
فإنَّكَ كَلِمًا غَنَيْتِ صَوْنَنَا      ذَكَرْتُ أَحَبِّي وَذَكَرْتُ دَارِي  
فإِذَا يَقْتُلُوكَ طَلِبْتُ نَارًا      لَهُ نَبَأٌ لَأَنَّكَ فِي جِوَارِي

فقال حبيب: يا غلام، هات القوس، هات القوس، فقال له زياد: وما تصنع بها؟ قال:  
أرمت جارئك هذه. قال: والله لئن رميتها لأستعدين عليك الأمير، فأتى  
بالقوس فنزع فيها سهمها فقتلها، فوثب زياد، ودخل على المهلب، فحدثه  
الحديث وأشدّه الشمر. فقال المهلب: على بأبي بسطام، فأتى بحبيب،  
فقال له: أعط أبا أمامة دية جارته ألف دينار، فقال: أطال الله بقاء الأمير  
إنما كنت ألقب: فقال: أعطه كما أمرت<sup>(٣)</sup>، فأعطاه، فقال زياد:

فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى كِفْضِيَّةً      فَضَى لِي بِهَا قَرَمَ الْعِرَاقِ الْمَهْلَبُ  
رَمَاهَا حَبِيبُ بْنُ الْمَهْلَبِ رَمِيَّةً      فَأُتِبَتْهَا بِالسَّهْمِ وَالسَّهْمُ يَعْزُبُ<sup>(٤)</sup>  
فَأَلْزَمَهُ عَقْلَ الْقَتِيلِ ابْنَ حُرَّةٍ      وَقَالَ حَبِيبٌ: إِيَّاهُ كُنْتُ أَلْقَبُ  
فَقَالَ: زِيَادٌ لَا يُرْوَعُ جَارُهُ      وَجَارَةٌ جَارِيٌّ مِثْلُ جَارِيٍّ<sup>(٥)</sup> وَأَقْرَبُ

قال: فحمل حبيب إليه ألف دينار على كرهه منه؛ وأنه ايشرب يوماً  
مع حبيب إذ عربد عليه حبيب - وقد كان حبيب اضطنع عليه مما جرى

(٢) الأغاني: « إن لم تطاري ».

(٤) أغاني: « قتلها في مكانها ».

(١) الأغاني ١٥: ٣٨٣، ٣٨٤.

(٣) الأغاني: « أمرك ».

(٥) الأغاني: « مثل جلدى ».

فأمر بشق قبأء ديباج كان عليه ، فقام وقال :

أَعْمُرُكَ مَا لَدَى دِيْبَاجِ خَزْرَقَتَ وَحَدَهُ      وَلَكِنَّمَا خَزْرَقَتَ جِلْدَ الْمُهَلَّبِ

فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره ، وقال : صدق زياد ، ما خزرت إلا جلدي ،  
فدعه يهجوني <sup>(١)</sup> إنهم طلب زيادا ، وسل سخيمته ، وأمر له بمال وصرقه .

وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : أخبرنا أبو أحمد ،  
أخبرنا أبو الحسن البرمكي ، أنبأنا أحمد بن جعفر : حدثني محمد بن ناجية  
الرضافي ، قال : كنت أحد من وقع عليه التهمة أيام الوائق بمال مصر ،  
فطلبني السلطان طالبا شديدا حتى ضاقت على الأرض برحمتها ، فخرجت إلى  
البلاد مرثادا رجلا عزيزا ، منيع الدار ، أعوذ به ، وأنزل عليه ، حتى اتهمت  
إلى بني شيبان بن ثعلبة ، فدفعت إلى بيت مشرف بظهر رابية ، وإلى جانبه  
فرس مرهوط ، ورمنح مركوز ، يلمع سفانه ، فنزلت عن فرسي ، وتقدمت  
فسلمت على أهل الخباء ، فردت على نساء من وراء السجف يرمقنني من خلال  
الستور ، بعيون كميون أخشاف الظباء . فقالت إحداهن : اطمن يا حضري .  
فقلت : وكيف يطمئن المطلوب ، أو يأمن المرعوب ، وقلما ينجو من السلطان  
طائبه ، والخوف غالبه ، دون أن يأوي إلى جبل يعصمه ، أو معقل يملئه !  
فقلت : يا حضري ، لقد ترجم لسانك عن قلب صغير ، وذنب كبير ، وقد  
نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ، ولا يجوع فيه كبد ، ما دام لهذا الحي  
سبد أو لبد . هذا بيت الأسود بن قنان ، أخواله كلب ، وأعمامه شيبان ،  
مملوك الحي في ماله ، وسيدهم في فماله ، لا يذاع ولا يدافع ، له الجوار ،

(١) الأغانى « تبث هذا على أن يهجوني » .

وموقد النار ، وطاب النار ، وبهذا وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبية  
حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل ممدى وكل يمان  
وفى يوم جوداً وحلماً وسودداً وبأساً ، فهذا الأسود بن قنان  
فتى كالفتاة الزود يسفر وجهه كأن تلالى وجه القمران  
أغرأ برأ ابني نزارٍ وبعبٍ وأوثقهم همداً بكل مكان  
وأوفاهم عهداً وأطولهم بدأً وأعلامهم فملاً بكل مكان  
وأضربهم بالسيف من دون جاره وأطمئهم من دونه بسفان  
كأن العطايا والمنايا بكفه سحبابان مقرونان مؤنلفان

فقلت: الآن ذهبت عني الوحشة، وسكنت عني الروعة، فأنتى لى به ابقالت :  
يا جارية ، اخزجى فنادى مولاك . فخرجت الجارية ، فما لبثت إلا هنيهة حتى  
جاءت وهو معها فى جمع من بنى عمه ، فرأيت غلاماً قد اخضر شاربه ، واختمط  
عارضه ، وحسن جانبه ، فقال : أى الفهمين علينا أنت ؟ فبدرت المرأة  
فقلت : يا أبا مرهف ، هذا رجل نبت به أوطانه ، وأزعجه سلطانة ، وأوحشه  
زمانه ، وقد أحب جوارك ، ورغب فى ذمتك . وقد ضميتا له ما نضمن لمثله على  
مثلك : فقال : بلى الله فاك ! قال : فأخذ بيدي ، وجلس وجلس ، ثم قال :  
يا بنى أبى وذوى رحى ، أشهدكم أن هذا الرجل فى ذمتى وجوارى ، فمن  
أراده فقد أرادنى ، ومن كاده فقد كادنى ، وما يلزمنى فى أمره من حال إلا  
ويلزمكم مثله . فليسمع الرجل منكم ما يسكن إليه قلبه ، وتطمئن إليه نفسه .  
فما سمعت جواباً قط أحسن من جوابهم ، قالوا بأجمعهم : ما هى بأول منة  
مننت بها علينا ، ولا أول يدٍ بيضاء طوقتنا بها ، وما زال أبوك قبلك فى

بِنَاءِ الشَّرْفِ لَنَا ، وَدَفَعَ الدَّمَّ عَنَّا ، فَهَذِهِ أَنفُسُهُ وَأَمْوَالُنَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، ثُمَّ ضَرَبَ لِي قُبَّةً إِلَى جَانِبِ بَيْتِهِ ، فَهَازَتْ عِنْدَهُ عَزِيزًا مَنِيمًا حَتَّى سَنَّحَ لِي مِنَ السُّلْطَانِ مَا أَمَلْتُ ، فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى أَهْلِي .

وكان حارثة بن مُرَّة يُسَمَّى مُجَبَّرَ الْجَرَادِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ بِفَنَائِهِ جَرَادٌ ، فَفَعَلَا الْحَيَّ<sup>(١)</sup> إِلَيْهِ لِيَدْفَعُوهُ عَنْهُمْ ، فَدَفَعَهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : مَا تَرِيدُونَ مِنْهُ ؟ قَالُوا : قَتَلَهُ ، لِأَنَّهُ نَزَلَ بِجَوَارِكِ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا إِذْ سَمَّيْتُمُوهُ جَارِي ، فَوَاللَّهِ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِ أَبَدًا ، وَطَرَدْتُمُوهُ عَنْهُ .

وَكَانَ قَوْزُ بْنُ شَحْمَةَ الْمَنْبَرِيِّ يُسَمَّى مُجَبَّرَ الطَّيْرِ ، وَكَانَتْ الطَّيْرُ لَا تُصَادُ بِأَرْضِهِ وَلَا تُنَارُ .

وَالَّذِي وَقَمَ فِي عَصْرِ نَا أَيْضًا ، وَهُوَ أَنَّ الْأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ قَرَأَ سُنُقُرَ لِمَا هَرَبَ مِنَ الْمَلِكِ الْفَاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ ، تَرَكَ رِفَاقَهُ وَجَمَاعَتَهُ لِمَا وَصَلَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ بِيوتِ مَهْتَأَ بْنِ عَيْسَى ، وَقَالَ : قَفُوا هُنَا ، وَلَا يَجِبُ مِنْكُمْ أَحَدٌ . وَتَوَجَّهَ هُوَ إِلَى الْبِيوتِ ، فَقَصَّدَ بَيْتَ مَهْتَأَ وَدَخَلَ إِلَى كَامِلَةَ أُمِّ أَحْمَدَ ، زَوْجَ مَهْتَأَ ، فَرَفَعَ تَوْبَهَا بِرَأْسِهِ ، وَدَخَلَ بِرَأْسِهِ تَحْتَهُ ، وَقَالَ لَهَا : الْحَيْرَةُ ! فَقَالَتْ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ لَهَا : قَرَأَ سُنُقُرَ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا مُحَمَّدَ ، إِنَّ اللَّهَ أَجَارَكَ . وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهَا إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، فَحَضَرَ مَهْتَأَ مِنْ مَضِيدِهِ<sup>(٢)</sup> ، فَتَلَقَّته أُمُّ أَحْمَدَ ، وَقَالَتْ : تَرَى أَبَا مُحَمَّدَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا وَأَنْبِي قَدْ أَجْرَتْهُ ، فَقَالَ : يَا كَامِلَةَ ، إِنَّ اللَّهَ أَجَارَ مِنْ أَجْرَتِهِ . وَأَجْتَمَعُوا وَتَلَقَّاهُ بِكُلِّ بَشَرٍ وَطَيِّبِ خَاطِرِهِ . فَلَمَّا حَضَرَ مُحَمَّدَ أَخُو مَهْتَأَ ، وَوَجَدَ قَرَأَ سُنُقُرَ ، قَالَ : يَا مَهْتَأَ ، أَبَشِرْ بِالْخَيْرِ وَالسَّمَادَةِ مِنَ الْمَلِكِ الْفَاصِرِ .

(١) ط : « فَعَلَى الْحَيِّ عَلَيْهِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَصِيدُهُ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ط ، م

والله لناخذن منه كلما أردنا ، فظهر لقراسنقر مئيل مهتأ إلى كلام محمد ، فقال : يا كاملة ، إني في جبرتك ا فقالت : يا مهتأ ، وأبش تتحدث عنك العرب غداً إلى يوم القيامة ، تجبر مثل قراسنقر ومن معه من الملوك ، وتفدر بهم ! والله النار ولا العار . فقال : معاذ الله ! إني أجرت من أجرته ، والله ما عاد يصل إليه أحد بعد اليوم . فقال أخوه محمد : الأحد حرمتنا يا مهتأ نسيم الشام وبلادته وخيره ! والله ما عاد أحد منا يرى الشام . فقال مهتأ : صار هذا الأمر وكان . فعندها عاد قراسنقر إلى جماعته ، وأحضر الأقرم والزردكاش ومن معهم ، وجاءوا ونزلوا في بيوت مهتأ ، وكتب من وقته إلى جرابند ملك التتار ، وقال : أحضرت ثلاثة ملوك من ملوك الشام ، فجهز لهم الأمانات لأحضرهم إليك ، فجهز ذلك ، وتوجه بهم مهتأ ، وسلمهم لجرابند ، وبقي مهتأ لا يدخل الشام مدة أربع وعشرين سنة ، إلى أن توجه بنفسه إلى السلطان الملك الناصر . ووفى بدمته لقراسنقر ، وجرى عليه ما جرى في هذه المدة من قطع إقطاعهم وإنعامه ، ومنا بدته لصاحب مصر .

\* \* \*

٦٥ - وقوله : وعاء المقوق في مواتي .

عائ يميت عيشا ، إذا فسد ، والمقوق ضد البر ، يقال : عاق والده وبره . والموات بنشد التاء ، جمع مائة ، وهي الخزمة والوسيلة ، يقال : فلان يمّت إليك بقرابة ، فالموات : الوسائل .

يروى أن الججاج جلس يوماً لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث ، فقام رجل منهم فقال : أصالح الله الأمير ! إن لي عليك حقاً ، قال : وما حقتك ؟ قال : سبك عبد الرحمن يوماً ، فرددتُ عنك ؛ فقال :



مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَنْشُدَ اللَّهُ رَجُلًا سَمِعَ ذَلِكَ إِلَّا شَهِدَ، فَمَقَامَ رَجُلٍ مِّنَ الْأَمْرِيِّ فَقَالَ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَقَالَ: خَلُّوا عَنْهُ. ثُمَّ قَالَ لِلشَّاهِدِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُنْكِرَ كَمَا أَنْكَرَ؟ فَقَالَ: لِقَدِيمٍ بُغِضِي فِيكَ! فَقَالَ الْحِجَّاجُ: وَلِيُخَلَّ عَنْهُ لِصِدْقِهِ.

دَخَلَ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ بِيحَى يَوْمًا حَاجِبُهُ، فَقَالَ: إِنَّ بِالْبَابِ رَجُلًا يَزْعُمُ أَنْ لَهُ سَبْعًا يَمُتُ بِهِ إِلَيْكَ، فَقَالَ: أَدْخِلْهُ، فَدَخَلَ شَابٌّ حَسَنٌ رَثَّ الْهَيْئَةِ، فَسَلَّمَ، فَأَوْصَى إِلَيْهِ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ، فَقَالَ لَهُ بَعْدَ سَاعَةٍ: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: أَعْلَمْتُكَ بِهَارِثَةَ حَالِي، قَالَ: نَعَمْ، فَمَا الَّذِي تَمُتُ بِهِ؟ قَالَ: وَوَلَادَةٌ تَقْرُبُ مِنِّي وَوَلَادَتِكَ، وَجَوَارِثُ يَدْنُونُ مِنِّي جَوَارِكَ، وَأَسْمٌ مَشَقُّوهُ مِنِّي مِنْ أَسْمِكَ، فَقَالَ: أَمَّا الْجَوَارِثُ فَيُمْكِنُ، وَأَمَّا الْأَسْمُ فَقَدْ يُوَافِقُ الْأَسْمُ الْأَسْمَ، وَلَكِنْ مَنْ أَعْلَمَكَ بِالْوِلَادَةِ؟ قَالَ: أَخْبَرْتَنِي أُمِّي أَنَّهَا لَمَّا وُلِدْتَنِي، قِيلَ لَهَا: وَوَلِدُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِيَحْيَى بْنُ خَالِدِ غَلَامٌ، وَسَمَّاهُ الْفَضْلَ، فَسَمَّيْتَنِي أُمِّي فَضِيلًا إِكْبَارًا لِأَسْمِكَ أَنْ تَدْحِقَنِي بِهِ، وَصَغَّرْتَنِي لِصِغَرِ قَدْرِي عَنِ الْقَدْرِكَ. فَتَبَسَّمَ الْفَضْلُ وَقَالَ: كَمْ أَنَى عَلَيْكَ مِنَ السَّنِينَ؟ قَالَ: خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً؟ قَالَ: صَدَقْتَ هَذَا الْقَدْرَ أَعَدَّ، قَالَ: فَعَمَلْتُ أُمَّكَ؟ قَالَ: مَاتَتْ، قَالَ: فَمَا مَنَعَكَ مِنَ الْإِحْقَاقِ بِنَا قَدِيمًا؟ قَالَ: لَمْ أَرَ مِنْ نَفْسِي لِلْقَائِلِ أَنَّهَا كَانَتْ فِيَّ عَامِيَّةً مَعَهَا حَدَائِقُ تَمَدَّنِي مِنَ الْإِحْقَاقِ<sup>(١)</sup> بِالْمَلُوكِ، وَعَلِقَ هَذَا بِقَلْبِي مِنْذُ أَعْوَامٍ، فَشَقِلْتُ بِمَا يَصْلُحُ لِلْقَائِلِ حَتَّى رَضِيتُ عَنِ نَفْسِي، قَالَ: فَمَا نَصَلِحُ لَهُ؟ قَالَ: لِلْكَبِيرِ مِنَ الْأَمْرِ وَالصَّغِيرِ، قَالَ: يَا غَلَامُ، أَعْطَاهُ لِكُلِّ سَنَةٍ مِضْتُ مِنْ سَنِيهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَأَعْطَاهُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، يَتَحَمَّلُ بِهَا إِلَى وَقْتِ اسْتِعْمَالِهِ. وَأَعْطَاهُ مَرَّكَوْبًا سَرِيًّا.

(١) ط: «الاحقاق».

وقد رُوِيَ عن جابر بن عبد الله ، أنه قال : جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن أبي أخذ مالي ، فقال صلى الله عليه وسلم : اذهب فأتني بأبيك . فنزل جبريلُ عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله عز وجل يُقرئك السلام ، ويقول لك : إذا جاءه الشيخُ فسَله عن شيءٍ قاله ما سمعته أذناه ، فلما جاء الشيخُ قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما بالُ أبنِكَ يشكوك ؟ أترِيد أن تأخذَ ماله ! فقال له : سَله يا رسول الله ؛ هل أنفقته إلا على عَمَانِه أو خَالَاتِه ، أو على نفسِي ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أيُّهَا الشَّيْخُ ، دَعُ عَنْكَ هَذَا ، أَخْبِرْنِي عن شيءٍ قُلْتَه في نَفْسِكَ ما سمعته أذُنكَ ! فقال الشيخُ : يا رسول الله ، ما زالَ اللهُ يزيِدُنَا بِكَ يَقِينًا ، لقد قلتُ في نفسِي شيئًا ما سمعته أذُنًا ، فقال : قل : فأنا أسمع ، فقال :

غَدَوْتُكَ مَوْلودًا وَعَلَّمْتُكَ يَا فَمَا  
 إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبِتْ  
 كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي  
 تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّي  
 فَلَمَّا بَاغَتِ السَّنَّ وَالنَّغَايَةَ الَّتِي  
 جَمَلْتَ جَزَائِي غِلَظَةً وَفَطَاظَةً  
 فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبُوتِي  
 تَعَلُّ بِمَا أَحْزَنُوا عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ  
 لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أُمَّتَكَ  
 طَرَقَتْ بِهِ دُونِي ، فَتَمَيَّنِي تَهْمَلُ  
 كَتَعَلَّمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مُوجَلُ  
 إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أُوْمَلُ  
 كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنِيمُ الْمَقْضَلُ  
 فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

قال : فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيبِ ابْنِه ، وقال : « أنت

ومالك لأبيك » (١)

\* \* \*

(١) الحديث والخبر والشعر في كشف الحقا ومزيل الإلباس ص ٢٠٧ ، نقله عن  
 اليهقي في الدلائل .

٦٦ - وقوله: وَتَمَكَّنَ الضِّيَاعُ مِنْ وَسَائِلِي !

الوسائل : جمع وسيلة ، وهي ما يُتَقَرَّبُ بها إلى الغير ، وما أحسن قوله :  
« وَتَمَكَّنَ الضِّيَاعُ » ، كأن الضياع شيء ثابت واطمأن وشدَّ أواخيه ،  
وأحكم عقده ، حتى لم يمدَّ يرحى زواله ، ولا يُطَمَعُ في تحوُّه . وما أحسن  
قول ابن الخيمي :

كل الشدائد دون ما يفضي إلى إسقاطٍ مثلك ، فهو مما يسهُلُ  
لست المعلوم إذا هجرت ولا أنا أيضا على طربي وصالك أعذلُ  
إن لم يكن منك الخنوُّ وسيلةً مني ، بأيةِ حالةٍ أتوسَّلُ !  
وقول أبي سميد محمد بن محمد الرُّشْتَمِيّ :  
إذا لم تكن لي أنتَ عوناً ومُعدياً

على الزَّمنِ العاديِّ على قفلٍ من لي !  
فإلى رجاءٍ في سواك ولا يرى بُمرُّ قريضي عند غيرك أو يُحلي  
وهل بارقٍ يُشْتامُ إلا من الحيا وهل عسلُ يُشْتارُ إلا من النحلِ !

وما أحسن قول ابن التماوي يمدح القاضي الفاضل :  
فاستجِلْ أبكارَ المدحِ عرائساً أبدين زببتن غيرَ عواطلِ (١)  
أبرزهن على علاك سوافرا وجمعتن إلى نذاك وسائلي  
فاجلس لها وارفع حجابك دونها واسمعْ إلى إنشادها وتطولِ  
واعرف لها تأميكها يامن يرى كرماً على المأمولِ حق الآملِ

وقد خالفت الناس في التوسلِ وقلت :

أردتُ حبلك يبدو إذ كان ذنبي هائلِ  
فهل رأيتُ خلافي خلتِ الذنوبِ وسائلي

\* \* \*

٦٧- وقوله : ولم ضاقت مذاهبي ، وأكذت مطالبي !

لم ضاقت ، استفهامٌ عن العلة في ضيق مذاهبه ، كأنه قال : ولأى علة ضاقت بي السُّبُل ، حتى ما أجد مضطرباً !

والمذاهب : الطُّرُق ، واحدها مذعب . وذهب فلانٌ مذهبا حسنا ، أى اختار طريقاً حسناً . وأكذت ، الإكداء المنع ، من قوله تعالى : ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْذَى ﴾<sup>(١)</sup> ، أى ومنع القليل . وأكذى الحافر ، أى بلغ الكذبة من الأرض ، فلم يمكنه أن يحفره بمسد ذلك ، وأكذت الأرض إذا أبطأ نباتها .

وقال بعض الأعراب :

لقد بَخِلْتُ - حتى لو أوى سألتهما  
قَدَى القَيْن من ضاحي التراب لَهَضْتِ  
فإن بَخِلْتُ ، فالْبَخْل منها سَجِيَّةٌ  
وإن بَذَلْتُ أعطت قليلاً وأكذتِ

وما أحسن قول شرف الدين بن عنين :

وأقبلتُ أجتأبُ البلادَ كأننى  
قَدَى حالَ دونَ الدَّومِ في أعينِ الرُّمِدِ  
أَكْذُ وُبِكْدى الدهرُ لى كلِّ مطلبٍ  
فيا بؤسَ دَهْرِي ، كم أكْذُ وكم يُكْدى !

وقال محمد بن أحمد الخياط الدمشقي :

نَهَيْتُ يَدِي مِنَ الْأَمَالِ لَمَّا رَأَيْتُ زَمَامَهَا بِيَدِ الْقَضَاءِ  
وَمَا تَنَفَّكَ مَعْرِفَتِي بِحَظِّي تَرْبِيَةِ الْيَأْسِ فِي نَفْسِ الرَّجَاءِ

وقال أبو إسحاق الغزي :

فَكَيْفَ عَلَى بَحْتِي غَفَلْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ  
غَوَادِيكَ غُمَّلًا ، وَهِيَ كَاشِفَةُ الْمَحْجَلِ  
وَمَا ظَافَنِي إِلَّا أَطْرَاحُكَ حَرَمَةً  
شَكَتْ مِنْكَ صَدَدُ الْعَاشِقِينَ عَنِ الْعَذْلِ

وَمَا يَنَابِسُ هَذِهِ السَّكَمَاتُ عَلَى الْجُمْلَةِ دُونَ التَّفْصِيلِ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

تَذَكَّرْتُ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَحُرْمَتِي وَمَا كُنْتُ تُؤَلِّينِي ، لَعَلَّكَ تَذَكَّرُ  
لِيَالِي تَذُنِّي مِنْكَ بِالْفَرْبِ بِجَلْسِي وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ يَقْطُرُ  
فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَى بَهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ !

وقال عبد الصمد بن بابك :

أَلَا يَا عَمَرَ الْأَمَالِ مَا لِي أَشِيمُ الطَّرْفَ فِي أَمَلِ خَرَابِ !  
أَفُوتُ مَطَارِحَ الْأَمَلِ انْتِظَارًا وَأَسْرَحُ بَيْنَ سُقْمِي وَاغْتِرَابِي  
أُرَاعُ وَلَا أُرَاعِي وَالْأَمَانِي لَقِي بَيْنَ اكْتِنَابِ وَأُرْتِيَابِ  
وَكَمْ كَسْرٍ جَبَّرَتْ فَكَانَ طَوْقًا عَلَى نَحْرِ الدُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ

٦٨ - وقوله : وعلام رضيتُ من المركبِ بالتعليق ، بل من  
الغنيمةِ بالإياب !

هذان مثلان أوردتهما يستفهم عن حاله ، فقال ذلك . والمثل الأول افطه :  
« أرض من المركبِ بالتعليق »<sup>(١)</sup> . معناه أرض من عظيم الأمرِ بصغيره ، وهو  
يُضرب في القناعة بإدراك بعض الحاجة . والمركب هنا يجوز أن يكون بمعنى  
الركوب ، أي أرض بدل ركوبك بتعليق أمتعتك عليه ، ويجوز أن يراد به  
الركوب ، أي أرض منه بأن تتعلق به أمتعتك .

والمثل الثاني ، وهو قولهم : « قنعت من الغنيمة بالإياب » ، أول من  
قاله امرؤ القيس نظماً ، وهو :

وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى قنعتُ من الغنيمةِ بالإيابِ<sup>(٢)</sup>

وهو من قصيدة أوها :

أرانا موضعين لأمرٍ غيبٍ ونُسجِرُ بالطعامِ وبالشرابِ  
والإياب هو العود والرجوع ، وهو مثل قولهم : قنع من الغنيمة بالسلامة ،  
ومنه قول الطفراني :

والدهر يَمَكِسُ آماليَ وَيُقَمَعِي من الغنيمة بعد الكدِّ بالقفَلِ

وهو أحسن من الأوّل ؛ لأنه زاد فيه قوله : « بعد الكدِّ » ، يعني أني قنعت  
من الغنيمة بعد ما كدّدت نفسي وأتعبتها بالقفَلِ ، وهو الرجوع . وقلتُ  
أنا رداً على الطفراني :

تقولُ « يَمَكِسُ آماليَ » وأنت كما تراه في عالمٍ في التُّربِ مُسْتَفِلِ

أما ترى الشمسَ تَلْقَى عَكْسَ مَقْصِدِهَا

في كلِّ يومٍ ، ولولا ذلك لم تقلِ

(١) الميداني ١ : ٣٠٠ ، قال : « أي أرض من عظيم الأمور بصغيرها ، يضرب في

(٢) ديوانه ٩٩ .

القناعة بإدراك الحاجة . »

وقلتُ في ذلك أيضا :

لا يمجَّب المرءَ لعكسِ العُنى      ما فِكرُهُ في مثلِ ذا نافعِ  
والأنجمُ السَّبْعُ المَلأَ ما نجتُ      من عكسِها بالفاكِ التاسعِ

وقال عبدُ الله بنُ أبي عَينَةَ :

إذا نحنُ أبناءُ سَالمينَ بأنفسِ      كرامِ رَجَتِ أمرًا نغابَ رجاؤها  
فأنفسنا خيرُ الغنيمَةِ أنها      تثوبُ ، وفيها ماؤها وحياتها

وما أحسنَ قولَ أبي الطَّيِّبِ :

أغرَّ ، أعداؤه إذا سَاموا      بالهربِ استكثروا الذي فَعَلوا<sup>(١)</sup>

وقولُ البَحرِيِّ :

ولكنني أعلِي حَمَلَكِ أن أرى      مدلاً ، وأستحييكَ أن أتعظَّمًا<sup>(٢)</sup>  
وكان رَجائي أن أعودَ مملِكا      فأضحى رَجائي أن أعودَ مسلماً

وقلتُ أنا في معنى قولِ امرئِ القيسِ : « قَدِمْتَ من الغنيمَةِ بالإيابِ » :

قَدِمْتُ بالعودِ إلى منزلي      وذاك دأبُ المرءِ في خِيبتِهِ  
كالخَجَرِ الملقى إلى صاعدِ      ليس له هَمٌّ سوى عودَتِهِ

وقد أخذته من قولِ أبي الطَّيِّبِ :

وما أنا غيرُ سَهْمٍ في هراءِ      يُعود ولم يجد فيه امتِساكا<sup>(٣)</sup>  
وقد اختلف أهلُ النظرِ في هذا الموضعِ ، فقال قومٌ : إنَّ السَّهمَ والخَجَرَ  
وغيرها إذا رمي به ، وصعد وتناهى صعودُهُ ، كان له في آخرِ صعوده ألبتة ،  
ثمَّ يتصوَّب منحدرا .

(١) ديوانه ٢ : ٢١٣ ، وأغرَّ خيرٌ لبتدأ محذوف ، أي هو أغرَّ . (٢) ديوانه ٢٢٨

(٣) ديوانه ٢ : ٣٩٦ .

وقال آخرون : لا بُدَّ له هناك ، وإنما أوَّل وقتٍ حُدوره آخر وقتٍ صُوده . والأوَّل ذهب إليه الرئيس أبو علي بن سينا ، وقد أوضحتُ هذا في شرح لامية المَجَم في قوله : « والدَّهرُ يَمُكسُ آمالي » ... البيت

\* \* \*

٦٩ - وقوله : وأنى غابني المغائب ، وفخر على العاجز الضعيف ، ولطمتني غير ذات سوار !

وهذه ثلاثة أمثلة من أمثلة العرب ، فالأوَّل من بيت شعرٍ لامرئٍ القيس ، وهو :

وإنَّك لم يَفخَرَ عَلَيْكَ كفاخِرٍ ضِعِيفٍ ، ولم يَغْلِبِكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ (١)

يريد بذلك أنه أشد ما على الإنسان أن يَفخَرَ عليه فاخر ضعيف ، وأن يَغْلِبَهُ مُغْلَبٌ ، وهو المغلوب ، وهذا من قصيدته التي أوَّلها :

خابلي مرَّابى على أمِّ جُنْدُبٍ نَقَضَ لُباناتِ الفؤادِ المِغْدَبِ (٢)

وبعد البيت الأوَّل :

وإنَّك لم تَقَطِّعْ لُبانةَ عاشِقٍ بِمِثْلِ غَدْوَةٍ أَوْ رِواحٍ مُؤَوِّبٍ (٣)

والبيت الأوَّل كذا روينا عن شيخنا الملامة أثير الدين أبي حيان رحمه الله تعالى ، صحفَه ابن زيدون ، فقال : « وفخر على العاجز الضعيف » ، فجعل ألفه عينا مهملة ، واخفاء المعجمة جيا ، والرَّاء زايًا ، وهو تصحيف حسن ، أفاد المعنى قوَّة لقوله : « العاجز الضعيف » .



وقول امرئ القيس :

وإِنَّكَ لَمْ يَفْلِكْ بِكَ مِثْلُ مُقَلَّبٍ .... البيت

قيل لأن القلب والماجز الضميف إذا قدر لم يُبقيا . وقيل : إن ذلك أشدّ ذلّا على المطلوب ، وهو الأقرب . وكان في الشعراء الأقدمين ومن بعدهم جماعة غلبهم من دونهم ، فإن نابغة بنى جمدة غلب عليه أوّس بن مغراء القريمى وليلى الأخيلىة ، ولم يكونا قريبين منه .

ومنهم الزُّبرقان بن بدر ، غلبه عمرو بن الأهتم ، وواقعهما بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورة (١) .

وقال يونس بن حبيب : وكان البميث مغلّبا في الشعر ، غلابا في الخطب .

ومن المغلّبين في الإسلام أيضا بشار بن بُرد ، غلبه حماد عجرد ولم يكن من أكتفائه ، وقد هجاه وأنكاه ، ومما قال فيه :

له مُقَلَّبَةٌ عَمِيَاهُ وَأَنْتَ بِصِيرَةٍ إِلَى الْأَيْزِمِ تَحْتَ الثِّيَابِ تَشَاهِدُ  
عَلَى وَدِّهِ أَنْ الْحَجِيرَ تَفْيِكُهُ وَأَنْ جَمِيعَ الْمَالِينَ حَجِيرُ

وغلبه أيضا أبو الشممق ، وليس بقريب منه ؛ وكان يصانعه في كل سنة بمائتي دينار ، ومن قوله فيه :

هَلَلَيْتُهُ هَلَلَيْتُهُ  
طَمَعُنُ قَشَاةٍ لَيْتِيهِ (٢)  
إِنَّ بَشَارَ بْنَ بُرْدٍ تَيْسٌ أَعَى فِي سَفِينَةٍ

ومنهم علي بن الجهم ، هجاه أبو السمط مروان بن أبي الجنوب فغلبه ، وهو دونه ، وهجاه البحترى أيضا ، فغلبه البحترى ، وكان على أفدع لسانا منه .

(١) انظر الخبر في الميداني ١ : ٢٧ (٢) الأغاني ٣ : ١٩٥ .

وأبو تمام هجاء ابن المذلل فعليه ، وأبو تمام هو ما هو . وهجا  
ابن حجاج أبا الطيب ، فعليه وأخرجه من بغداد .

وقولُ امرئِ القيسِ : « ولم يَفلِئِكِ مِثْلُ مُفَلِّبٍ » أخذه أبو تمام  
الطائيُّ فقال يصف الحمرَ :

وضميمةٌ فإذا أصابتُ فُدْرَةَ فَتَكَتْ كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضَّمْفَاءِ (١)  
وقال عُمارةُ اليمانيُّ :

وإزْحَمَتَا مِنِّي لِيَدِي جِلْدَةٌ صَحِيحَةٌ تَمْتَكُ بِالْأَجْرَبِ  
مِنْ سَمِّهِ الدُّنْيَا وَمِنْ لُؤْمِهَا جُرْأَةٌ مَغْلُوبٌ عَلَى أَغْلَبِ  
والمثل الثالث هو قولهم : « لو غيرُ ذاتِ سوارٍ لطمَنتي » .

قال الأصمعيُّ : هذا المثل يروى على هذا الوجه ، وذلك أن حاتمًا الطائيَّ  
مرَّ ببلادِ عَنزَةَ في بعضِ الأشهرِ الحُرْمِ فناداهُ أسيرُ لهم : يا أبا سَفْئَةَ ، أكلني  
الإسارَ والقَمَلَ ، فقال : ويحك ! أسأتُ أن نُؤهتُ باسمي في غيرِ بلادِ قومي .  
فساومَ القومَ فيه ، فقال : أطلقوه وخطوا يديَّ في القيدِ مكانه ، فجاءته امرأةٌ  
فلطمته ، فقال : لو غيرُ ذاتِ سوارٍ لطمَنتي ! يعني أنَّ لا أقتصمَ من النساءِ ،  
فمرفٍ ، فمَدَى نفسه فِداءً عظيمًا . ومعنى المثل : لو لطمَنتي من كان كُفئًا لي  
لَهَانَ عَلِيٌّ ، ولكن لطمَنتي من هو دوني . وقيل : في تفسيره : لو لطمَنتي حُرَّةٌ ،  
جَمَلُ السَّوَارِ علامةٌ للحُرَّةِ ؛ لأنَّ العربَ كانت قَلَمًا تُلبسُ الإماءُ السَّوَارَ ،  
ومن قولِ الشاعرِ :

ولو أنِّي بُبِيتُ بهاشمِيَّ خُمُولَتُهُ بنو عَمِيدِ المَدَانِ (٢)  
لَهَانَ عَلِيٌّ ما ألقى ولكنَّ تَمَالَوْا فَاَنْظُرُوا بَيْنَ ابْتِلَانِي

(١) ديوانه ٣ .

(٢) لدعبل المزاعي ، وانظر ديوانه ١٥٧ .

وقال الفرزدق :

ولئن حرّاماً أن أسبُ مقاعصاً      بأبائي الشُّمِّ الكرامِ الخضرِ  
أولئك أبائي فجنّني بمثلهم      وأبمد أن أهجو عبيداً بدارمِ  
ولكنّ نهضاً لو صببتُ وسببني      بنو عبدِ شمسٍ من منافٍ وهاشمِ

\*\*\*

٧٠ - وقوله: وَمَالِكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنِّي قَبْلَ أَنْ أُفْتَرَسَ، وتُدْرِكُنِي  
وَلَمَّا أَمْرَقُ .

هذا الاستفهام معناه الإغراء والحضُّ والحثُّ على إنجازِهِ ، والسرعة إلى  
إلى إنقاذه من هذه الشدة .

وما أحسن قول بعض العرب يرثي قومه :

وقد غادروني بعدهم لُحمة المدي      وطعمة ما تبغى الخصومُ الموابثُ  
أضامُ فلا بأوى لضيمي مانيعُ      وأظلم لا يأتي لصوبي غائثُ  
وأعطي بكفي للقليل من الأذى      وقد كان يخشاني الألدُ المماغثُ (١)  
وحيدٌ بنفسي لا الأئيمُ منزلاً

كما اعتزل النسك الإمام الطوامثُ (٢)

وقال أبو سعيد محمد بن محمد الرُّسْتَمِيّ :

فخذلي من أنيابِ دَهْرِي بما جلِ      من الفهردانِ، أكرمُ النصرِ عاجلهُ  
وقوله : « وتُدْرِكُنِي وَلَمَّا أَمْرَقُ » مأخوذة من بيت للمزق العبدي ، وهو :

(١) المماغث : الرجل الذي يلاح الناس وبلادهم .

(٢) الطامث : المرأة الحائض .

فإن كنتُ ما كولاً فكنْ خيراً آكل

ولما فأدركني ولما أمزق<sup>(١)</sup>

وقد تقدم في قصة عثمان بن عفان رضي الله عنه ما كتب به إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، ومن جملة هذا البيت . وهذا البيت لشأس بن نهار العبدي ، وبه لقب الممزق ، ولذلك قال عباد بن شأس بن نهار :

أنا الممزقُ أعراضَ اللثامِ كما كان الممزقُ أعراضَ اللثامِ أبي

ومن كلام القاضي الفاضل رحمه الله تعالى : فلولا أن الابل كان يستفيمت بدُجَاه ، وأدركني بالرجاء ولما أمزق ، والنهار أنضجني بالنداء ولما أخرقت ، لكان الزمن في زمنه قد خلّع الجديدين ، ولم تميز العينُ فيه بين الخليطين .

وحكى أن المجير السأولى هجا قوما من بني حنيفة ، فأقاموا عليه البينة عند نافع بن علقمة الكِنَاني ، فأمر بطلبه ليقم عليه الحد وقال لهم : إن وجدتموه فأقبموا عليه في ملا من الناس يشهدون ، لئلا يدعى عليهم كما تجاوز الحد ، فهرب المجير ليلا حتى أتى ناعما ، فوقف له متفكرا حتى خرج من المسجد ، ثم تملأ بثوبه ، وقال :

إليك سبقتنا السوط والسجن تحتنا حيالُ يسامين الظلال ولقح<sup>(٢)</sup>

إلى نافع لا نرتجى ما أصابنا تحومُ علينا السانجاتُ وتبرح

فإن كنتُ مجلودا فكنْ أنتَ جالدي

وإن أكُ مذبوحا فكنْ أنتَ تدبِحُ

فقال له : انجُ بنفسك ، فإنني سأرضي خصومك . ثم إنه بعث إليهم

وأرضاهم عنه .

(١) طيقات الثمراء ٢٣٢ ، واسم الممزق شأس بن نهار بن أسود .

(٢) الأغاني ، ٩٣ : ٦٠ . حيال جمع حائل ، والحائل : الناقة التي ضربها الفحل فلم تحمل .

ولقح : جمع لاقح ، واللاقح : الناقة الحامل . ويسامين الظلال : يبارينها .

وَحُكِيَ أَنَّ الصَّاحِبَ شَمْسَ الدِّينِ بْنِ السَّلْمُوسِ ، كَانَ يَكْرَهُ الْأَمِيرَ  
شَمْسَ الدِّينِ قَرَّاسُنُقَرَ ؛ فَحَضَرَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ إِلَى دِمَشْقَ ، وَبَلَغَ قَرَّاسُنُقَرَ  
عَمَلُ الْوَزِيرِ عَلَيْهِ ، فَحَمَلَ مِنَ التَّقَادُمِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَكَادِيشِ <sup>(١)</sup> الْمَلِيحَةِ ،  
وَالنِّيَاقِ الْفَرَبِيَّةِ ، وَحَضَرَ لَيْلًا إِلَى دِمَشْقَ ، وَمَا أَصْبَحَ السَّلْطَانُ  
الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ بِالْقَهْرِ الْأَبْلَقِ إِلَّا وَقَرَّاسُنُقَرَ قَدْ مَلَأَ الْمِيدَانَ الْأَخْضَرَ  
بِالْأَكَادِيشِ وَالنِّيَاقِ وَالهُجْنِ ، وَهَذَا أَخَذَ بَعْنَانَ إِيكَدِيشَ ، وَعَلَى رَأْسِهِ  
كُوفِيَّةَ الْأَوْشَاقِيَّةِ <sup>(٢)</sup> ، فَقَارَاهُ السَّلْطَانُ قَبْلَ الْأَرْضِ ، وَقَالَ : يَاخُونَدُ <sup>(٣)</sup> ، قَدْ رَجَعُ  
الْمَلُوكُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَةِ الْإِصْطِطِلَاتِ السَّعِيدَةِ ، كَمَا كَانَ أَوْلًا فِي  
أَيَّامِ الشَّهِيدِ ، وَهَذِهِ التَّقَدِيمَةُ قَدْ سَمَّيْتُهَا إِلَى الْإِصْطِطِلَاتِ وَالْمَفَاخِاتِ السَّعِيدَةِ .  
فَقَالَ السَّلْطَانُ : لِأَيِّ شَيْءٍ فَعَلْتَ هَذَا ؟ فَقَالَ : يَاخُونَدُ ، بَلَّغَنِي أَنَّ ابْنَ  
السَّلْمُوسِ يَحْمِلُ عَلَيَّ ، ، وَيُفَيِّرُ عَلَيَّ خَاطِرَ مَوْلَانَا السَّلْطَانِ ، وَقَدْ جِئْتُ أَنَا  
بِنَفْسِي ، وَيَا كُنْفِي السَّبْعَ ، وَلَا يَا كُنْفِي السَّكُّلِبَا فَأَعْجَبَ السَّلْطَانُ ذَلِكَ مِنْهُ ،  
وَقَبِلَ تَقَدِيمَتَهُ ، وَعَفَا عَنْهُ ، إِلَّا أَنَّهُ تَوَلَّى نِيَابَةَ حَلْبِ الْأَمِيرِ سَيْفِ بَلْبَانِ الطَّبَاحِيِّ ،  
وَتَوَجَّهَ هُوَ مَعَ السَّلْطَانِ إِلَى مِصْرَ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الصَّابِي فِي أَبِي الْوَرْدِ الْبَغْدَادِيِّ :

وَمَنْ عَجَبَ الْإِيَّامَ أَنْ صُرُوفَهَا تَسُوهُ أَمْرًا مِثْلِي بِمِثْلِ أَبِي الْوَرْدِ  
فِيَالَيْتَهَا أَخْصَارَتْ نَظِيرًا وَأَنَّهُ

رَمَانِي بِشَنْمَاءِ الدَّوَاهِي عَلَى عَمَدِ

فَكَمْ بَيْنَ مَقْمُورِ الْكَلَابِ وَإِنْ نَجَا

ذَلِيلًا وَمَقْمُولِ الضَّرَاعِمَةِ الْأَسَدِ

(١) الْأَكَادِيشُ : جَمْعُ أَكْدُوشَ ، وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ الْخَيْلِ . وَانظُرْ دَوْزِي .

(٢) كُوفِيَّةٌ أَوْ قَاشِيَّةٌ ، مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْأَوْقَاشِ ، وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى رُكُوبَ الْخَيْلِ لِلرِّيَاضَةِ .

صَبِيحُ الْأَعْمَشِيِّ ٩ : ٤٥٤ .

(٣) خُونَدُ : لَفْظُ تَرْكِي ، وَمِمَّنَاهُ السَّيِّدُ أَوْ الْأَمِيرُ ، وَانظُرْ حَوَاشِي السَّلُوكِ ٤٥٤ .

٧١ - وقوله: أَمْ كَيْفَ لَا تَتَضَرَّمُ جِوَانِحُ الْأَكْفَاءِ حَسَدًا لِي

عَلَى الْخِصُوصِ بِكَ .

تَضَرَّمُ : تَتَوَقَّدُ . وَالْجِوَانِحُ : جَمْعُ جَانِحَةٍ ، وَهِيَ الْأَضْلَاعُ الَّتِي تَحْتَ  
الضَّرَائِبِ تَمَّا يَلِ الصَّدْرُ .

وَالْأَكْفَاءُ : جَمْعُ كَافٍ ، وَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَكْتُمُ مَا أَمَّكَ مِنَ الْأُمُورِ ،  
وَالَّذِي هُوَ كُفٌّ لِقَبْرِهِ فِي الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَهُوَ عَدِيْبُهُ .  
وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ » ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : إِنْ  
أَنَّ أَبَا الرَّبِيعِ الْفَتْوَى ، قِيلَ لَهُ : أَيُسْرِكُ أَنْ تَحْتَكَّ ابْنَةُ زَيْدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ؟  
قَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ قِيلَ : وَلَكِ أَلْفُ دِينَارٍ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قِيلَ : وَلَكِ الْجَنَّةُ .  
فَأُطْرُقَ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : عَلَى الْأَنْتَلِدَ مِنِّي ، وَأَنْشَدَ :

تَأْبَى لِيَمْفُضُ أَعْرَاقُ مُمَدَّةً      مِنْ أَنْ تَفَاصِبَ قَوْمًا غَيْرَ أَكْفَاءِ (١)  
فَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ حَتْمًا لَا مَرَدَّ لَهُ      فَاذْكَرْ حُدَيْفَ فَإِنِّي غَيْرُ أَبَاءِ

وَيُقَالُ : فَلَانَ كَفَاءُ فَلَانٍ ، وَكُفُوهُ بَضْمُ الْكَافِ وَالْفَاءِ . وَقَدْ قَرِئُ  
بِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ . وَالسِّكْفَاءُ فِي النِّسْكَاحِ عِنْدَ  
الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاجِبَةٌ ، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ أَنْ يَرْوِّجَ  
الْمَرْأَةَ مِنْ غَيْرِ كَفَاءٍ إِلَّا بِرِضَاهَا ، وَرِضَا سَائِرِ الْأَوْلِيَاءِ ، فَإِذَا رَضُوا بِاسْتِقْطَاعِ  
السِّكْفَاءَةِ صَحَّ النِّسْكَاحُ ، خِلَافًا لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حَيْثُ ذَهَبَ  
إِلَى أَنَّ السِّكْفَاءَةَ شَرْطٌ فِي الصَّحَّةِ ، وَقَالَ الْأَصْحَابُ : وَسَبِيلٌ مِنْ سَلَكِ الطَّرِيقِ  
الْقَطْعِيِّ فِي بُلْطَانِ مَذْهَبِهِ ، وَأَضْمَحَلَّالُ رَأْيَهُ أَنْ يَقُولَ رَادًّا عَلَى التَّخْضُمِ : فَقَدْ  
تَزَوَّجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الشَّعْرُ وَالْحَبْرُ بِتَفْصِيلِ أَوْسَعِ فِي السِّكْمَالِ لِلْمَبْرَدِ ٢ : ٢٠٥ .

وأبوه كافر ، وأبوها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والكفاءة سبعة أمور ، وهي : الدين ، والنسب ، والصناعة ، والحربة ،  
والنقاء من العيوب ، واليسار على أحد الوجهين ، والألّا يكون الزوج  
مولى الزوجة أو أهلها ؛ فمولى قريش ليسوا بأكفائهم . وفي وجه أنهم  
أكفاء ، لأن موالى القوم منهم ، وقد نظّم ذلك بعض الأفاضل فقال :

شرطُ الكفاءة سبعةٌ قد حرّرتُ      ينبئك عنها بيتُ شعرٍ مفردُ  
نَسَبٌ ودينٌ صنعةٌ حُرْبَةٌ      فقدُ العيوبِ وفي اليسارِ ترددُ

وما أحسن قول القائل :

إِنْ يَحْدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لِأَمْمِهِمْ  
قَبَلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدْ حَسِدُوا (١)  
أَنَا الَّذِي وَجَدُونِي فِي حُلُوقِهِمْ  
لَا أُرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أُرِدُّ

ويقال : إن بعض الفضلاء حسده جماعة من أهل عصره ، واتفقوا أن  
كتبوا فيه محضرا ، وشهدوا عليه فيه بشهادات تؤدّي إلى تكفيره ،  
وأستفتوا عليه أهل القصر في ذيل المکتوب ، وأحضره إلى الشيخ تقي الدين  
ابن دقيق العيد ليكتب فيه بالتكفير ، فأخذه وكتب :

حَسَدُوا النَّفْسَ إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَمِّيَهُ      فَالْكُلُّ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ (٢)  
فَلَمَّا رَأَوْا مَا كَتَبَ بِهِ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَوَقَّفُوا ، وَتَفَلَّتْ شَوْكَتُهُمْ  
وَعَزَائِمُهُمْ ، وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ .

(١) أمالي المرتضى ١ : ٤١٤ ونسبها إلى الكميّ بن زيد ، وهما أيضا في شرح المختار من  
شعر بشار ٦٧ وشرح نهج البلاغة ١ : ٣١٨ من غير نسبة .  
(٢) لأبي الأسود الدؤلي ، ملحق ( ديوان ) ٥

وقال الشاعر :

إِنَّ الْقَدَّمَ فِي حِدْقِي بِهَيْئَتِهِ أَنَّى تَوَجَّهَ مِنْهَا فَهوَ مَحْسُودٌ  
وَأَشَدُّنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةُ الشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ عَبْدِ الْمُرِزِ الْحَلِيِّ :

مَوْلَاهُ دَهْوَةٌ عَيْدٍ غَيْرِ مَعْتَنٍ بِشِمْرِهِ ، وَهُوَ الْحُسَّادُ قَدْ شَهِدُوا  
قَدْ صُنَّتْ شَمْرِي وَكُلُّ النَّاسِ تَخَطَّبُهُ

وَذَاكَ لَوْلَاكَ لَمْ يَمْبَأْ بِهِ أَحَدٌ

بِكَ أَنْصَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مَنْتَهِيًا

وَصَارَ لِي فَوْقَ أَيْدِي الْحَادِثَاتِ يَدٌ

وَكَيفَ تَمَجَّزَ كَفِّي أَنْ أَنْالَ بِهَا

هَامَ السَّائِكِ ، وَأَنْتَ الْبَاعُ وَالْمَقْصُدُ

وَكُتِبْتَ أَنَا إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ ، أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ :

تُبَالِغُ فِي جَبْرِي إِذَا كُنْتُ حَاضِرًا فَأَزْدَادُ إِسْعَافًا بِذَلِكَ وَإِسْعَادًا

وَأَنْتَ تَنْتَنِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ فَيَزْدَادُ قَدْرِي بِالْمَرَاتِبِ إِسْعَادًا

وَكَانَ الْوَرَى مِنْ قَبْلِهِ أَيْرَحُونِي فَصَيَّرَهُمْ لِي بِمَدِّ ذَلِكَ حُسَادًا

\*\*\*

٧٢- وقوله : وَتَمَقَّطِعُ أَنْفَاسُ النُّظْرَاءِ مُنَافَسَةً فِي الْكِرَامَةِ

عَلَيْكَ .

أَنْفَاسُ جَمْعُ نَفْسٍ ، وَقَدْ تَمَقَّطِعُ الصُّعْدَاءُ ، وَكُلُّ ذِي رِيَّةٍ يَتَمَقَّطِعُ ، وَدَوَابٌّ (١)

الْبَحْرِ لِأَرْثَاتِ لَهَا . وَالنُّظْرَاءُ جَمْعُ نَظِيرٍ ، وَهُوَ الْمَائِلُ .

(١) ط : « وذرات الماء لارتها لها » .



والمناقسة : غاية الرغبة في الشيء ، على وَخه المباراة لعيرك .

كتب القاضي الفاضل رحمه الله إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد بلغه كلامه عن الملك العادل : قد بلغ للملوك ما أنكره المولى العادل من الإكرام ، وتوالى الإنعام بعد الإنعام ، وتسى أن آثار السيوف طاحت وبقية آثار الأفلام . وكم للخادم من موقف مشكور ، يعجز عنه السيف المشهور ، والعلم المنشور . والعادل يمتني نفسه ؛ فأدام الله أيام مولانا ما دامت السموات والأرض ، وإن تقدم الملوك فهو أكبر مراده ، وإن تأخر لشقوته فما يخرج الأمر عن السادة الملوك من أولاده .

قلت : إنما كتب القاضي الفاضل بهذا الفصل لأن العادل قال وقد بلغه تواتر الإنعام على القاضي الفاضل : وكم القاضي الفاضل ، القاضي الفاضل ! أيسر يعمل الفاضل حتى يستحق هذه الإنعامات !

وكان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله يقول : والله ما فتحت البلاد إلا بأقلام القاضي الفاضل .

وقال أبو الطيب في مدح كافور :

وغير كثير أن يزورك راجلٌ فيرجع ملكا للعراقيين واليا<sup>(١)</sup>

\* \* \*

٧٣ - وقوله : وقد زأني اسمُ خِدْمَتِكَ ، وَزَهَانٍ وَسَمُّ نِعْمَتِكَ

زَهَى : الزَّهْوُ : المنظر الحسن ، يقال : ذَهَى الشئُ لَعَيْنِكَ ، وَزُهَى الرَّجُلُ فهو مَزْهُوٌ ، أى تَكَبَّرَ ، وَالتَّرَبُّ لا تَنْطِقُ بهذا القِمْلِ إِلَّا مُمَيَّرًا لِما لم يُسَمَّ فَاعِلُهُ .

والوسم : العلامة ، هذا من باب المُعَالَظَةِ وَالمُكَاوَبَةِ ، وهو ضربٌ من سِحْرِ الكَلَامِ ، وهو أن يقول المُخاطَبُ لمن يريد استمالته للحنو عليه ، وَالاقتياد له مفاطاً : أتفصل لى هذا ، ومازلت فى بركٍ وَحُسْنِ صَنِيعِكَ ، وَجَمِيلِ مَعْرُوفِكَ ا وما أحسن قولَ أبى جهمر الخرازى فى المعتمد بن عباد :

ومازلت أُجْنِي مَفِكَ وَالدَّهْرُ مُجَلٌّ      وَلا تَمَرُّ يُجْنِي وَلا زَرَعٌ يُحْصَدُ  
تَمَارِ أَيْدِي دَانِيَاتٍ فَطُوفُهَا      لِأَعْصَانِهَا ظِلٌّ عَلَى مَدَدُ  
بُرْسَى جَارِيًا مَاءِ المِسْكَارِمِ تَحْتَهَا      وَأَطْيَارٌ شُكْرَى فَوْقَهَا تَفْرُدُ  
وقول البُحْتَرِيِّ :

أَلَنْتَ لى الأَيَّامِ مِنْ بَعْدِ قَصْوَةِ      وَعَاتَبْتَ لى دَهْرِى المِسىءِ فَأَعْتَبَا<sup>(١)</sup>  
وَأَلْبَسْتَنِى المُنْعَمَى الَّتى غَيَّرْتُ أُخِي      عَلَى ، فَأَمْسَى نازِحَ الوُدِّ أَجْنَبِيًا  
وقال أبو فِرَاسِ بنِ حَمْدَانَ :

أَمَّا أَيْدِيكَ عِنْدِي فَهِيَ وَاضِحَةٌ      مَا إِنْ تَرَأَلُ يَدٌ مِنْهَا تَسوقُ يَدَا  
لَمْ لا أُمْدٌ يَدِي حَتَّى أَنْالَ بِهَا      مَدَى الشُّجُومِ ، إِذا ما كُنْتَ لى عَضْدَا  
وقال أَيْضًا :

وَإِنَّكَ لَمَوْلَى الَّذى بَكَ أَقْتَدِي      وَإِنَّكَ لَلنَّجْمِ الَّذى بَكَ أَهْتَدِي<sup>(٢)</sup>

(١) ديوانه ١ : ٥٦

(٢) ديوانه : ٨٠ نشرة الدهان

وأنت الذي بلّغتنى كلَّ رتبةٍ  
فيا مُدبسي التَّمي التي جَلَّ قدرها  
وقال أيضاً :

ألبسْتَنِي نِعْمًا عَلَى نِعْمِهِمْ  
وعَلَوْتَ بِي حَتَّى مَشَيْتُ عَلَى  
وقال بمضنهم :

لا تَهْجُرُوا مِنْ لَا تَمُودَ هَجْرِكُمْ  
ورَفْتُمْ مِقْدَارَهُ بِالْإِتْسَادِ  
وقال أبو سعيد محمد الرُّشْتَمِيُّ :

وَوَسَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتَ وَايَةً  
هَذَا وَحُرْمَةَ خِدْمَةِ مَرْعِيَّةٍ  
مَازَلْتُ مِنْ أِبْرَادِهَا مَتَوَشِّحًا  
مَذَكْتُ أَعْمَدُهَا وَصَفْوُ وِدَادِ  
لِلْأَبْعَدِينَ قَرِيبَةِ الْمِيْلَادِ  
بِمَقْوَفٍ يُزْهِى عَلَى الْإِبْرَادِ  
وقال ابن المعلم :

أَمْوَالِي نَمَائِكَ الَّتِي مَلَأْتَ يَدِي  
فَطَالَتْ ، وَجَدْوَاكَ الَّتِي نَوَّهْتَ بِاسْمِي  
وَكَيْفَ - وَقَدْ شَيْدَتْ مَجْدِي وَزِدْتَنِي  
عَلَى الرَّسْمِ - لَا أَجْزِيكَ مِنِّي عَلَى الرَّسْمِ  
ومن رسالته كتب بها صالحُ بنُ صالحِ الشنتريني :

ولستُ أُضْرِبُ الْمَثَلَ فِي سُقُوطِي عَلَيْكَ ، وَأَجْذَابِي إِلَيْكَ ؛ وَاسْكَنْتَنِي  
أَقُولُ : أَسْقَطُ سُقُوطَ الطَّلِّ عَلَى الرِّيَاضِ ، وَأَتَزَيَّنُ بِمَجْدِمَتِكَ تَزَيُّنَ  
الْجَمَالِ بِالْبَيَاضِ .

٧٤ - وقوله : وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي سِمَاطِكَ ، وَقُمْتُ الْمَقَامَ  
الْمَحْمُودَ فِي سِمَاطِكَ .

أبليت : جربت وأختبرت ، والبلاء : الاختبار ، والمقام بين السامطين  
من المقامات الزلاقة الداحضة ، حتى قال أعرابي :

بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ  
أَصَاحِبُهُ إِلَّا حَسَّاسَ بْنَ نَائِلٍ<sup>(١)</sup>

وطني به بين السامطين أنه سينجو بصدق أو سينجو بباطل

وقال أبو سعيد محمد بن محمد الرشتعي :

وما كنتُ - لولا طيبُ ذكركُ - شاعراً

ولا مُنْشِداً بين السامطين في حقل

ولكنني أفضى به حقَّ نعمةٍ سرتَ مملاً لما وسمت به عقلي

وقال كمال الدين بن التبييه :

ألم ترني بين السامطين مُنْشِداً كأتى على شاه أزمَن أنثر الدرّاً<sup>(٢)</sup>

فقوله : « وأبليتُ البلاءَ الجميلَ » أي بمدصيره عليه ، واختباره له ، وتجربته له  
في مواطن البلاء .

وما أحسن قول الأمير شديد الملك بن مُعَيد :

يَجِنِّي فَأَعْرِفُ مَا يَجِنِّي فَأُنْكَرُهُ      وَيَدْعِي أَنِّي الْجَانِي فَأَهْتَرِفُ

وَكَمْ مَقَامٍ لِمَا يُرْضِيهِ قَتُّ عَلَى      جَمْرِ الْغَضَى وَهُوَ عِنْدِي رَوْضَةُ أَنْفُ

(١) العقد ٣ : ١٥ من غير نسبة ، وفيه « عراق بن نائل » .

(٢) ديوانه ٥١ .

وقول أبي الحسين الجزار :

لست أنسى وقد وقفتُ فأنشُدُ  
كل بيت يزرى على خلف الأح  
ببديع يحار في نظمه الطأ  
ومديح مانال جودته قد  
فمت وسط الإيوان بين يدي مَد  
ت قصيداً يفوق نظم الجمان  
مر بالحسن وهو شيخ ابن هاني  
تُ بل مُسلم صريع النواي  
ما زياد في خدمة النُمان  
ك تسمى على أنوشروان

وما أحسن مامت به أبو تمام بقصائده ، فقال :

وأين قصائد لي فيك تأتي  
من السخر الحلال لمجتميه  
وتأنف أن أهان ، وأن أذالاً<sup>(١)</sup>  
ولم أر قبيلها سحراً خللاً

وقال ابن قلاوس من مرثية :

ولما رمى بي نحوه الوجدُ قاعداً  
وقت بها بين السماطين مفعولاً  
ولم أستطع عقراً عقرت القوافياً  
أقل المراني أن تسد المرازيا

وقال ابن الساعاتي :

أردد لحظ ظني في وجوه  
وقد أعدت جفون الغيد حظي  
من الآمال كاسفة الصبح  
ولبت بالمرض ، ولا الصبح  
وكم لي فيك من عذراء زفت  
من الغيا الحسان بلا شبيه  
فكيف يفوتها حظ القباح

٧٥ - وقوله :

أَلَسْتُ الْمُوَالِي فَيْكَ غُرَّ قَصَائِدِ هِيَ الْأَنْجُمُ أَقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا  
تَنَابُهُ يُظَنُّ الرُّوضُ مِنْهُ مَنْوَرًا صُحَّى وَيَخَالُ الْوَشْيُ فِيهِ مَنْمَمًا

الموَالِي : اسمُ فاعل ، من وَآلَى الشَّيْءَ ، إِذَا اتَّبَعَهُ بِعَقْبِهِ .

وَأَقْتَادَتْ : « افْتَمَلَتْ » من الْقَوْدِ . مَنْوَرًا « مَقْلًا » من التَّنْوِيرِ المَوْشَى ،

وهو الزَّهْرُ .

وَالْوَشْيُ هُوَ ضَرْبٌ مِنْ حُلْمِ الْحَرِيرِ ذُو أَلْوَانٍ ، وَالْمَنْمَمُ هُوَ النَّوْبُ  
المَوْشَى ، وَهُوَ ذُو الْأَلْوَانِ ، وَلَا يَدَّ فِي تِلْكَ الْأَلْوَانِ مِنْ لَوْنِ الْبَيَاضِ .

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْبُحْتَرِيِّ ، يَعَاتِبُ بِهَا الْفَتْحَ بْنَ خَلْقَانَ

أُولَاهَا :

يَهُونُ عَلَيْهَا أَنْ أُبَيِّتَ مُتَيْمًا أَعَالِجُ وَجَدًّا فِي الضَّمِيرِ مَكْتَمًا (١)  
وَقَدْ جَاوَزَتْ أَرْضَ الْأَعَادِي وَأَصْبَحَتْ

حَمَى وَصَلَهَا مَذَى جَاوَزَتْ أَبْرَقَ الْحَمَى

وَقِيلَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، يَلِيقُ بِهِذِهِ الرَّسَالَةُ لَوْ أوردَهُ ،

وهو :

أَعْيْذُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ تَبَيَّنَ أَوْ جُرِّمَ إِلَيْكَ تَقَدَّمَ

(١) القصيدۃ فی دیوانہ ٢ : ٢٢٧ - ٢٣٠

وبعد البيتين اللذين في الرسالة يقول البحترى :

ولو أنني وفرت شعري وقاره  
 لأكبرت أن أومي إليك يا صبح  
 وكان الذي يأتي به الدهر هيناً  
 أعذ نظراً فيما تسخطت هل ترى  
 حياء فلم يذهب بي الفى مذهبا  
 ولم أعرف الدنب الذي سؤتى به

فأقتل نفسي حصرة وتندما  
 ولو كان ما خسرتة أو ظننته  
 لما كان غرواً أن أوم وتكرماً

وهذا البيتان لأبي عبادة البحترى مأخوذان من قول أبي تمام (١) :

ووالله لا أنفك أهدي شوارداً  
 تخال به برُداً عليك محبراً  
 ألدن السأوى وأطيب نفحة  
 أخف على قلب وأثقل قيمة  
 إليك تحملن النساء البجلاً  
 وتحبها عقداً عليك مفصلاً  
 من المسك مفتوناً وأيسر محلاً  
 وأقصر في سماع المجلس وأطولاً

وقوله : « هي الأنجم أفتادت مع الليل أنجا » أخذته البحترى أيضاً :

منه في قوله :

أصيح تستمع حر القوافي فإنها  
 ولا تمكن الإخلاق منها فإنما  
 كواكب إلا أنهن سمود  
 يلد لباس البرد وهو جديد

إلا أن البحترى قصر عن أبي تمام كل التقصير .

٧٦ - وقوله : وهل لبس الصباح إلا بُرداً طرزته بفضائك .

قد جرت العادة بين البلغاء وفرسان البيان وأرباب النثر والنظم أن يستعمروا للثناء - وهو شيء يُدرك بالسمع - أشياء تُدرك بحاستي البصر والشم ، فيقولون : ثناء كأنه المسك الأذفر ، أو زهر الروض الأنصر ، أو كالنجوم الزاهرة ، أو البرود المرقومة ، أو كأنفاس النسيم السحرية . ومن هذا وأمثاله ، لأنهم يريدون المبالغة فيما وصفوه <sup>(١)</sup> .

قال الإمام نحر الدين : الاستمارة ذكر الشيء بأسم غيره ، وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه ، ووجه تشبيه الثناء بالمسك ، وبأنفاس الرياض في السحر ، هو أن الثناء الحسن يقال فيه : فلان طيب الثناء ، فأستعاروا له رائحة المسك ، وأنفاس الرياض ، فقالوا : ثناء كالسك ، ووجه تشبيه الثناء بالكواكب وبالصباح وبغير ذلك ، هو أن الثناء الحسن يقال فيه : إنه لا يخفى وصف فلان على أحد ، ولا أوضح للعين من النجوم ، ومن الصباح . ووجه تشبيه الثناء بالبرود المرقومة هو أن الثناء الحسن يقال فيه : فلان يحوك أوصاف فلان ، وينسجها على منوال غريب ، ويرقم برودها ؛ وما يريدون بذلك إلا المبالغة ، لأنه صار بحيث يدرك بعد حاسة السمع بحاستي البصر والشم .

وما أحسن قول محمد بن غالب الرضائي :

أجري حديثك ثم أعلم أنه قول يقال وعرفه مسموم  
أما إذا قالوا : ثناء يهز الأعطاف ، ويضطرب الأسماع ، فهو على أصله فيما  
يدرك بحاستي السمع ؛ نعم يستعمرون له سجع الحمام وتفريده ، وأصوات  
المنان والمثالث ، ونفثات الألمان .

(١) م : « وصف » .



فقول ابن زيدون رحمه تعالى : « وهل لبدس الضبيح إلا بُرداً طرزته  
بنضائك » ، من هذا الباب الذي قدمته ، وكذلك ما بعده إلى قوله : « وبث  
السك إلا حديثنا إذعته عن محمديك » .

وما أحسن قول ابن عنين :

يُهدى إليك من الشاء ملبساً      تَصْفُو وتَصْفُو من قذَى الأَطْمَاعِ (١)  
مصنولة الألفاظِ يلتأها القتي      من كلِّ جارحةٍ بسمع واعٍ .

\* \* \*

٧٧ - وقوله : وَتَقَلَّبَتِ الْجُوزَاءُ إِلَّا عِقْدًا فَصَلَّتُهُ بِمَا تَرِكَ .

الجوزاء أحد البروج الاثني عشر ، وهي عدة كواكب ، ومن  
صورته ثلاثة كواكب ، صُفِّت على قدر واحد في الهيئة والبعد يسمى منطقة  
الجوزاء ، وإياها قصد ابن زيدون .  
وفصلته : جعلته فضولاً .

والمآثر جمع مآثرة ، وهي الكرامة ، لأنها تؤثر ، أى يتحدث بها وتذكر  
في الناس .

وما أحسن قول أبي بكر يحيى بن بقی الأندلسي :

عليك أبا عبد الإله خلفتها      لها البدر طوق والنجوم دلائل  
وماهى إلا الدهر في طول عمرها      وإن لم يكن فيها الضحى والأصائل  
قلت : إلا أنه هبجن البيت الثاني بنقى الضحى والأصائل عنها ؛  
ولو قال :

(١) ديوانه ٢٥ .

\* وَحُسْنُ الثَّنَا فِيهَا الضُّحَى وَالْأَصَائِلُ \*

لَسَكَانٌ قَدْ كَمَلَ نَسَجُهُ ، وَحِمْلٌ نَهَجُهُ .

وقال شرف الدين بن عدين :

ومقتصرٍ عن بعض ما أنشدته

شُكْرِي وَإِنْ كُنْتُ الْفَصِيحَ الْمُسْتَهْبَأَ (١)

ولو أننى نظمتُ فيكُ قلائدُ الـ  
بجوزاء كنتُ أجلُّ منها منصبا

وقال حسان بن المصمى الشبلي :

وجدتُ معاليكُ أصلاً لشعري وهل يُنظَّمُ الدرُّ لولا النَّصَاحُ (٢)

لك الفضلُ إنْ طابَ شُكْرِي ونَشْرِي

بَطِيبِ الرِّياضِ تَطِيبُ الرِّياحِ

\*\*\*

٧٨ - وقوله : وامتملى الربيع إلا ثناء مَلَأَتْهُ من محاسنك .

تقول : أمليتُ الكتابَ أمليه ، وأملاتهُ أمله ؛ لغتان جيدتان جاء بهما القرآن الجيد . وأستمليةُ الكتاب ، سألتُه أن يملِيه علي ، أى يقول لك بما فيه ، وقد أتى بالجِناس بين قوله : «ملاته» و«أستملى» ، وهو جناس اشتقاق على قول ، واستعمار الاستملاء للربيع ، والمحل للمحاسن ، فأحسنَ في كلِّ ذلك . وما أحسن قولَ أبي فراس بن حمدان :

وما زالتُ رِياحُ الشُّعْرِ شَتَّى      فَمِنْ رَيَّا المِبوبِ وَمِنْ سَمومِ  
مَنَحْتُكَ مِنْ مَحاسِنِها بَدِيماً      مَقِمْ الزَّهْرَ سَيَّارَ النَّمِيمِ

(١) ديوانه ٤٠ . (٢) النصاح : السلك الذى ينظم الخرز .

وقال أبو سعيد محمد بن محمد الرُّسَمِيُّ :

فَرِيضٌ كَسَاهُ الْمَزْنُ أَنْوَابَ رَوْضَةٍ

فَرَأَتْ أَعَالِيَهُ وَرَقَّتْ أَسَافِلُهُ

يَطِيبُ عَلَى الْأَيَّامِ رَبِيًّا نَشِيدِهِ وَأَطِيبَ مِنْ رَبِيَاهُ مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ

وقال ابن المعلم :

وَلَمْ يَكُ إِلَّا عَاطِلًا فَكَسَوْتَهُ حُلِيَّ بِيَوَاقِيتِ الْمَلَاءِ تَرَصَّعُ

كَذَلِكَ أَكْتَسَى مِنْ تَشْرِكِ الشَّمْرِ نَفْحَةَ

وَمَا هِيَ فِي أَعْطَافِهِ تَنْضُوعُ

وقال بضمهم :

حَدَّثْتُ عَنْكَ غُصُونِ الْبَانِ فَاَنْعَطَتْ

وَمَالَ بِالشُّكْرِ مِنْهَا كُلُّ مَيْتَادٍ

لَمْ يَبْقَ فِي الرَّكْبِ مِنْ لَاهِزِهِ طَرْبٌ

إِلَى لِقَائِكَ حَتَّى سَرُّحَةُ الْوَادِي

\* \* \*

٧٩ - وقوله : وبثَّ المسكُ إلَّا حديثًا أذعته في محامدك .

بثَّ الخبَرُ وأبثه بمعنى نشره ، يقال بثنتك سرى ، أى أظهرته لك وبثنت

الخبَرُ فأنبثت ، أى أنتشر . وذاع الخبَرُ ، يذيع ذبيما وذبيوعا وذبيوعَةً

وذبيمانا ، أى أنتثر ، وأذاعه غبره ، أى أفشاه . وفي الحديث « لَيْسُوا

بالمذابيع البذر » .

والمحامد جمعُ مَحْمُودَةٍ ضدَّ المذمَّةِ ، وقد استعمارَ الحديثَ لرائحةِ المسك ، وهى

استعمارةٌ حسنةٌ .

(١) البذر : جمع بذور ، يقال : بذرت الكلام بين الناس كما تبذر الحبوب ، والحديث في

ابن الأثير ١ : ١١٠ .

وما أحسن قول أبي عبد الله محمد الرضا رحمه الله :

هدى مساعى ابن حربون وكيف بها

فبارها شرفاً يا نجم أو سار  
فهل نسائمٍ منك تنثرون معي  
حتى لقد خلتني شمسيت بينهم  
خمرأ فن بين محبورٍ وختار  
وقوله أيضاً :

أجرى حدبك ثم أعجب أنه  
فكل أرض من ثنائك شائع  
يسرى فلا يخفى على مستنشق  
بطوى فينتثر الثناء بطيه  
وقال ابن حمّوس :

وطيب ثناء طبق الأرض فاكنت

مشاركها من عرفه والغارب<sup>(١)</sup>

وقوله أيضاً :

أعانت على إدراك ما تسمعقه  
طريقك المثلى وهمتك البكر<sup>(٢)</sup>  
والثناء هو العمر الثاني المديد الباقي الخلد .

وقال الحادرة :

فأئمنوا علينا لا أبا لأبيكم  
بأحساننا إن الثناء هو الخلد<sup>(٣)</sup>  
وقال الشاعر :

وإذا التفتي لاقى الحمام وجدته  
لولا الثناء كأنه لم يولد

(١) ديوانه ١ : ٢٦٠ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٤٥ .

(٣) البيان والبيان ٣ : ٣٢٠ .

وقال عمرُ بنُ الخطَّابِ رضِيَ اللهُ عنه لابنةِ هَرَمِ بنِ سِفانِ المرِّيِّ :  
 ما وَهَبَ أبوكَ لزهيرٍ ؟ قالت : أعطاهُ مالاً وأنا نائماً أفناه الدهرُ ، فقال عمرُ  
 رضِيَ اللهُ عنه ، لكنَّ ما أعطاكُموه لا يُفنيه الدهرُ .

وقال الشريف الرضي :

أودى وما أودت مناقبه ومن الرجال معمرُ الذِّكرِ (١)  
 وقال معاوية رضِيَ اللهُ عنه لابن الأشعث بن قيس : ما كان جدُّك  
 قيسُ بنُ معدِي كَرَبَ أعطى الأعشى ؟ فقال : أعطاهُ مالاً وظهراً ورقيقاً  
 وأشياءَ نسبتها ، فقال معاوية : لكنَّ ما أعطاكم الأعشى لا يُنسى .  
 وقال أبو الطيب :

ذَكَرَ النَّبِيَّ عُمَرُ الثَّانِي وَحَاجَّتُهُ مَا قَانَهُ ، وَفُضُولَ المَيْسِ أَشْفَالِ (٢)  
 وقال الفسَّرون في قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾ : (٣)  
 أي ثناءً حسناً .

وقال أبو إسحاق الفري :

الدالُ يُفنيه الزمان وإنسا يَبقى لكم ما خلدته شواردي  
 وقوله أيضاً :

فشُهَبُ الدَّارِي للأفولِ طُلوعها وشُهَبُ القَوافي ما لهنَّ أفولُ  
 وقد خالف الناس أبو تمام الطائي في هذه الطريقة ، فقال :  
 لَنْ بَقِيَتْ لِي فِيكَ آثَارُ مَنْطِقِي لَقَدْ بَقِيَتْ آثَارُ كَفَيْكَ فِي دَهْرِي (٤)

(٢) ديوانه ٣ : ٧٨٨

(١) ديوانه ٣٧٣

(٤) ديوانه ١٤٤

(٣) مسورة الشعراء ٨٤

لَقِيتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ دُونِي تَابِعًا  
 لِأَمْرِ الأَمَلِ وَأَخْتَرْتَ شُكْرِي عَلَى عُدْرِي  
 فَأَوْلَيْتَنِي فِي النَّائِبَاتِ صِنَائِمًا كَأَنَّ أَيْدِيهَا فُجِرْنَ مِنَ البَحْرِ  
 خَلَاتِقِي لَوْ كَانَتْ مِنَ الشَّمْرِ سَمَّجَتْ  
 بَدَائِعُهَا مَا اسْتَحْسِنَ النَّاسُ مِنْ شِعْرِي  
 فَمَلَّمَتْنِي أَنْ أُلْبِسَ الحَدَّ أَهْلَهُ وَذَكَرْتَنِي مَا قَدِ نَسِيتَ مِنَ الشُّكْرِ  
 وَقَالَ عُمَارَةُ اليَمَعِي فِي المَادَّةِ الأُولَى :

وَأَيْنَ الثِّيَابِ المَذْهَبَاتِ قَشِيمَةً      وَلِي مَذْهَبَاتٍ فِيكَ لَيْسَتْ بِأَسْمَالِ  
 سَمِيئَلِي عَلَى قُرْبٍ جَدِيدٍ فَعَالِكُمْ      وَتَبَقَى عَلَى مَرِّ الجُدَيْدِ بَيْنَ أَقْوَالِي  
 وَيُعْطَلُ جِيدِي مِنْ حُلِيِّ نَدَاكُمْ      وَجِيدٌ مَعَالِكُمْ بِهَا أِبْدَاءُ حَالِي  
 وَقَالَ ابْنُ دَرَّاجِ القَسَطَلِيُّ :

أَبَا الأَصْبَعِ المَعْنَى هَلْ أَنْتِ مُصْرَخِي؟  
 وَهَلْ أَنْتِ لِي مَعْنٍ وَهَلْ أَنْتِ لِي مُعَلِّ (١)  
 فَأَكْسُولَكَ الأَيَّامِ مِنْ خَزْمِ مَا شِئِي      وَأَمَلَا سَمِعَ الدَّهْرُ مِنْ مِحْرَمَائِي!

\*\*\*

٨٠ - وقوله: ما يومٌ حليلةٌ بسيرٍ .  
 هذا مثل من أمثال العرب ، وأصله أن حليلة بنت الخارث بن أبي  
 شير ، كان أبوها قد وجه جيشاً إلى المنذر بن ماء السماء ، فأخرجت لهم حليلة  
 في مِرْكَنٍ فطَيبتهم .  
 قال اللبرّد : هو أشهرُ أيامِ العرب ، يقال : ارتفع في هذا اليوم من

العجاج ما غطى عين الشمس ، حتى ظهرت الكواكب . وهو يُضرب في كل أمرٍ متعاضدٍ مشهور ، قال النابغة في وصف السيف :

تُورُّن من أزمان يوم حليلة

إلى اليوم قد جربن كلَّ التجارب<sup>(١)</sup>

تقدُّ السلووق المضاعف نسجه وُوقِدن بالصفاح نارَ الحباب

وذكر عبد الرحمن بن الفضل عن أبيه ، قال : لما غزا المنذر بن ماء النساء غزاه التي قُتل فيها ، وكان الحارث بن جبلة الأكبر ملك غسان يخافه ، وكان في جيش المنذر رجلٌ من بني حنيفة يقال له : شير بن عمرو ، وكانت أمه من غسان ، فخرج يتوصل بجيش المنذر ، يريد أن يحاق بالحارث بن جبلة ، فلما تدانوا سار حتى لحق بالحارث ، فقال : أتاك ما لا تطيق ، فلما رأى ذلك الحارث ، ندب من أصحابه<sup>(٢)</sup> مائة رجل اختارهم رجلاً رجلاً ، فقال : انطلقوا إلى عسكر المنذر فأخبروه أنا ندين له ، ونعطيه حاجته ، فإذا رأيتم منه غيرةً فأحلووا عليه . ثم أمراً ابنته حليلة بنت الحارث فأخرجت لهم مراكباً فيه خلوق<sup>(٣)</sup> ، فخرجت إليهم فخلقتهم ، وهي من أجمل النساء ، حتى مر عليها فتى منهم ، يقال له : لمبيد بن عمرو ، فذهبت لتخلقه ، فلما دنت منه قبلها ، فلطمته ، وأنت أباه فأخبرته الخبر ، فقال لها : ويلك ! اسكتي عنه ، فهو أراجهم عندي ، وأكفؤهم . ومضى القوم ومعهم شير بن عمرو الخنفي ، حتى أتوا المنذر ، فقالوا : له أتيتهك من عند صاحبنا ، وهو يدعينك ، ويُعطيك

(١) ديوانه ٦ .

(٢) ط : « رجاله »

(٣) المركان : لئاء يتخذ الماء وغيره ، والخلوق : ضرب من الطيب ؛ قيل هو الزعفران .

حاجتك ، فتباشر أهل عسكر المنذر بذلك ، وغفلوا بعض الغفلة ، فحملوا على المنذر فقتلوه ، فقيل : ليس يوم حليمة بيسر ؛ فذهبت مثلاً .  
قال أبو الهيثم : « إن العرب تسمى بلقيس حليمة العرب »<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

٨١ - وقوله : وإن كنت لم أكسك سليماً ، ولا حليمتك عطلاً ،  
ولا وسمتكَ غفلاً .

أكسك : أصله أكسوك من الكسوة ؛ ولكن حذفت الواو لدخول الجازم على الفعل المضارع ، تقول : لم أغزكم ، ولم أجفكم ، ولم أنحكم ، وأصله : أغزوكم ، وأجفوكم ، وأنحوكم .

سليماً أى مسلوباً ، تقول : سلبت الشيء أسلبه سلباً إذا عرَيْته<sup>(٢)</sup> عما كان عليه . وقولهم : نخل سليب لا حمل عليه ، وشجر سليب لا ورق عليه ، وسليب « فمیل » بمعنى مفعول ، مثل : قتيل وجريح ، بمعنى مفعول وجروح .

حليمتك ألبستك الحلي ، [ والمطل المصدر من العطل ، تقول : عطلت المرأة إذا خلا جيدها من القلائد<sup>(٣)</sup> ] فهي عطيل ، وعاطل ، ومعطال .  
والوسم : العلامة ، تقول : ووسمته وسماً وسمته ، إذا أثرت فيه بسمته أو كتي .

والمغل ، يقال : أرض غفل لا علم بها ؛ ولا أثر عمارة ، ودابة غفل

(١-١) ط : « إن بلقيس تسمى حليمة العرب » .

(٢) ط : عربته .

(٣) تسكة من ط .



لأسمه عليها ، وقد أغفلتها إذا لم تسمها . وقد أستمع الكسوة والتحلية للنساء ، والمطلة والإغزال له ، وهي أستمارة جيدة . وما أحسن قول أبي الحسين الجزار رحمه الله تعالى :

ولقد كسوتك من قريضي حلةً جلت من التضييق والتزفيم-

حسنت برقم من خللك فأغمدت

كالتروض في التسهيم والتوسيع

والأصل في هذه المادة كلها قول أبي الطيب :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه

- وإن لم أشأ - تملني على وأكتب<sup>(١)</sup>

وقوله أيضا :

وما أنا وحدى قلت ذا الشبر كله

ولكن اشعري فيك من نفسه شعر<sup>(٢)</sup>

وقول المعزى :

يداي نكتب ما تملني مطاقبه

في خاطري قبل كتب المدح في صحنه

وما أحسن قول الأمير تميم ابن المعز :

وسار بمدحي فيك كل مهجر

وغنى به في السهل والوعر من يغدو<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ١ : ١٨٩

(٢) ديوانه ١ : ١٥٨

(٣) ديوانه ١٠٥

وصاعَتْ له عَنِيكَ حُسْنًا وَزِينَةً  
 وَحِيكَ لَهَا مِنْ حَتَّى الْفَاظِهِ بُرْدُ  
 وَبِئْسَ لِكُلِّ النَّاسِ يُسْتَحْسَنُ النَّأَى  
 كَمَا لَيْسَ فِي كُلِّ الطُّلَى يَهْسُنُ الْمَقْدُ (١)

ومن هذه المادّة قولُ أبي الطَّيِّبِ :

أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعْزَى عَنِ الْأَخْ  
 وَبِالْفَاظِكَ أَهْتَدَى فَإِذَا عَزَّ  
 بِأَبِ فَوْقِ الَّذِي يُعْزِيكَ عَمَلًا (٢)  
 كَقَالَ الَّذِي لَهُ قَلْتِ قَبْلًا  
 وَقَالَ :

لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لِنَفْظِهِ  
 وَهُوَ مَا خُوذُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :  
 فَإِنَّكَ مُمْتَطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمٌ (٣)  
 وَدُونِكَ مِنْ أَطْوَبِي مَدِيحًا  
 وَقَوْلِ ابْنِ الْمَعْلَمِ :

بِحَمْدِهِ صَاعَ حُلَى الْمَجْدِ لَهُ  
 أَيْ فَضْلَ لِي بِشِعْرِي عِنْدَ مَنْ  
 فَالْحَلَى بِإِلَالِيهِ الْمُحَلَى  
 فَضْلُهُ عِنْدِي أَعْلَى سِعْرَ فَضْلِي  
 وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ :

أَنَا مِنْ كَسَاكَ مَحَبَّةً لَا حُلَّةَ  
 مَتَمَحَّلٌ هَلَاكَ نَظْمِ قِصَائِدِ  
 حَبَرَ الْقِصَائِدِ فُوِّتَتْ تَقْوِيهَاً (٤)  
 صَارَتْ لَأَذَانِ الْمَلُوكِ سُفُوفًا

(١) الطلَى : جم طلية ، وهي العنق .

(٢) ديوانه ٣ : ١٢٣ .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٩١ .

(٤) ديوانه ٢٠٨ .

وقوله أيضا :

لقد زِدْتَ أَوْضاحِي امتداداً ولم أكنُ  
بِهَيْمًا ولا أرضِي من الأرض مَجْهلاً<sup>(١)</sup>  
ولكنْ أيايِ صادفتني جِساءُها  
وقال أبو إسحاق الفزري :

والواصفوك بما خُولتَ من شيمِ  
مَثُوا إِلَيْكَ بِشَيْءٍ مِنْكَ مُسْتَرْقٍ<sup>(٢)</sup>  
وقوله أيضا :

مَعانِيكَ فِي الْأَشْمارِ تَنْظِمُ نَفْسَها  
ومن لَمْ يَخْفِه السَّجَلُ وَالشُّطْنُ اسْتَقَى  
وقوله أيضا :

وما أنا فِي مَدْحِيكَ إِلَّا كاسِحِ  
وقال أبو نُخَيْلَةَ فِي مَسْأَلَةِ بِنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَنْ أُنَيْتُكَ زائِرًا  
عَلَى رِداءِ سابِغِ الطُّولِ وَالرَّضِ<sup>(٣)</sup>  
وَنَوَّهْتَ مِنْ ذِكْرِي وما كانَ  
خاملاً  
ولكنْ بَعْضُ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

وقال أبو الفتيان بن حَيُّوس :

وَهَلْ بِالَّذِي يَأْتِي إِلَى الْوَصْفِ حاجَةٌ  
وأخْبَارُهُ فِي الْقَرْبِ وَالشَّرْقِ نُشْرُ<sup>(٤)</sup>  
ولكنَّهُ بِالشُّعْرِ يَزْدَادُ بَهْجَةً  
كَمَا زِدَادُ حُسْنِ الرُّوضِ وَهُوَ مَنْوَرٌ

وقال أيضا :

يا عاطفَ النُّعمَى عَلَيَّ اصْبِغْ لِمَا  
يَهْتَرُ مِنْ طَرَبٍ لَه عِطْفًا كَأَنَّ

(١) ديوانه ٢٥٢ ، والأوضح : الفرر .

(٢) أمالي القالي ١ : ٣٠ .

(٣) ديوانه ٢٧٣ .

(٤) ديوانه ٤١٩ .

مِدْحًا إِذَا نَشِرتْ تَضَوِّعْ نَشْرُها  
 كرهتُ بدائِها سِواكَ وأَقْبَلتُ  
 قَالِيومَ أَلْفِي دُرٌّ وَصَفكَ نَاطِمًا  
 قَد كِدتْ أَطوِي ذِكرَها لَوْلَا كَا  
 تَنقُلُ فِيكِ لِأَنها تَهوَا كَا  
 مَنِي ، وَصَادِفِ دُرِّه سَبَا كَا

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الخازن :

وَمِن سُمِّيَا سَحَابِكَ جَادَ طَبِيعِي  
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ سَنَاءِ الأَهْلِكِ :  
 وَلَوْلَا النِّعْتُ لَمْ يَنْبُجْ قَلْبِي

وَأَحْسَنُ الخُلِيِّ حَلِيٌّ صَبِغَ مِنْ عُطَلِ  
 خِصَامِ مَا بَيْنَ ذَلِكَ الخِصْرُ وَالسَّكْفَلِ  
 حُلِيَّتُهَا مِنْ حِلَاها وَهِيَ عَاطِلَةٌ  
 وَإِنْ تَحَلَّتْ فَوَسْوَسُ الخُلِيِّ بِها  
 وَقَوْلُ ابْنِ الشَّيْبِلِ البَغْدَادِيِّ :

مَلِكٌ تُمِينُ المَادِحِينَ صِفَاتِهِ  
 وَالسَّيْفُ لَوْلَا جَوْهَرُهُ فِي حَدِّهِ  
 فَيَصِيبُ قَائِلَهُمْ بِغَيْرِ تَقْوِيلِ  
 لَمْ تَبْدُ مِنْهُ فَضِيلَةٌ لِالصَّيْلِ

\* \* \*

٨٢ - وقوله : بَلْ وَجَدْتُ أَجْرًا وَجِصًّا فَبَنَيْتُ ، وَمَكَانَ  
 القَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَقُلْتُ .

بمعنى أنه لا فضل لي في مدائحك ، لأنني فيها كمن وجد أجرًا وجصًا  
 فبني بيتًا<sup>(١)</sup> من ذلك ، وشيد مكانا ، ولكن لي في ذلك بعض فضل ، كما  
 قال الخفاجي :

وَلِي فِيكِ مِنْ غُرِّ القَوَافِي قِصَائِدُ  
 تَقْبَلُ أَفْوَاهُ الرِّوَاةِ لها رَشْفًا<sup>(٢)</sup>  
 يَنْبِغُ بِها طَيِّبُ الأَسِيمِ إِذَا هِفا  
 وَيُنشِرها نُورُ الرِّياضِ إِذَا رَقَا  
 وَمَا أَدْعِي هَذَا السَّكَّامَ لِأَنَّهُ  
 صِفَاتِكَ إِلا أَنِّي أَحْسَنُ الوَصْفِما

وقول ابن المعلم :

أخذتُ منك الذي أُتيتُ عليك به فأنت لا أنا بالثَمَمِي مؤلفه

فما أمتَ بِشِعْرِ فيك أنظِمُه للمدح فيك ؛ ولا سَجَعُ أصنِفُه

وقوله : « وجدتَ آجراً وجِصاً فَبَنيتُ » . جاء مثل هذا لأبي حَفْص

ابن بُرْد الأكبر القرني ، فقال من جملة رسالة : وأبو الرِّبيع مِن علم لسانه

قال ، وبني به صرحاً وطال ، وأنه أشدُّ بناه الكلام حِرْصاً ، ما وجدَ آجراً

وجِصاً ، فن أوثقه برّاً ، طَوْقه تَبراً ، ومن حَتَم عليه ثياب الفضل من طراز

الإكرام ، نزع إليه بحِماة الحمد من مرابط الكلام .

وقوله : « وكان القول ذاسمةً » هو معطوفٌ على قوله : « بل وجدتَ

آجراً » ، وهو يشير بهذا إلى قول أبي الطيب :

وقد وجدتُ مكانَ القول ذاسمةً فإن وجدتَ لساناً قائلاً فقل

وهذه من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة ، وأولها :

أجابَ دَمِي وما الداعي مَوِي طَليل دَعَى فلباه قبلَ الرُّكْب والإِبِل<sup>(١)</sup>

وقبل البيت الذي أشار إليه :

ليت للدائحَ تَسْتوفِي مَنابِيسَه فما كُتِبَ وأهلُ الأعْصَرِ الأوَّلِ

خذ ماترأهُ ودعْ شيئاً سمعتَ به في طلعةِ الشَّمْسِ ما يُغْنِيكَ عن زُحَلِ

وكنتم قد كتبتُ جواباً إلى شيخنا الإمام الحافظ ، فتح الدين محمد

ابن محمد بن سيّد الناس رحمه الله تعالى ، عن كتابٍ بمثله إلى من الديار

المصريّة ، وأنا يومئذ مُعَيِّمٌ بصنّدي ، فجاء من جملة جوابي إليه<sup>(٢)</sup> :

(١) القصيدة في ديوانه ٣ : ٧٤ - ٨٨

(٢) من رسالة له ذكرها في الواقي بالوفيات ١ : ٢٩٩

وقد أثبتت على تلك الروضة ، ولو وفقت لأثبتت وما أثبتت ، ووقفت  
عند قدرتي فما أجبت ، ولكن اتقحت وما استحيت ، على أني لو وجدت  
لساناً قائلاً لقلت : فإني وجدت أول البيت .

ومن مادة ابن زيدون ماقاله ابن المعلم :

أرئيتي ما أصوغُ هلاكَ مدحي وعلمي سماحك ما أقول  
فجنتك بالذي أوليت أني بما أنا عن سواك به بخيل  
وقوله أيضاً :

علمتها أيامكم مذهب الشكر ر فيها نحن بينكم وقد شكر  
وأرئتنا طرق المديح معاليكم ، ومنها جاءت معاني الشعر  
وقول أبي إسحاق الفزري :

ولما جال في عليك فكري وسابقتي المديح وصار لتظي  
وجدت القول متسع المجال به أجرى من المال الزلال  
وقول ابن حيوس :

ولو في غير بحرك غصتُ عاماً لأعوز فيه ذ الدر الثمين<sup>(١)</sup>  
وقوله أيضاً :

لما اعتمدتُك بالقرين أطاعني  
وقول الرضمي :

وإذا مادعوتُ شعريَ فيه طرب المدح وأستهلّ النسب

(١) ديوانه ٦٦٢

(٢) ديوانه ٦٤١

وقال عمارة اليماني :

مَلَكَ الجوارح فاللسان بِحَمْدِهِ      مستخدمٌ وكذا الفؤاد لودِّهِ  
وقمتُ مدائحُنَا عليه لأنَّها      ما عندها إلا الذي من عنده

وقال ابن قلاؤس :

ومنكَ وفيكَ تلتئمُ القوافي      ومن وجدَ المقالَ الرُحْبَ قالَا

وأشدني لنفسه أجازة الشيخُ صفيُّ الدين عبدُ العزيزِ الحليُّ :

استجَلِ درًا أنت لُجَّةُ بحرِهِ      وألبس ثناءً أنت ناسجُ برِّهِ  
يزدادُ حُسْنًا كلما كررته      كالتمرٍ يظهر حُسْنُهُ في نَقْدِهِ

وأشدني له أجازة أيضًا :

لا فَضَلَ لي في نظمي دُرٌّ فَضليكمُ      بقيمة الدرِّ لا بالسلكِ يُمتَبَرُ  
لَمْ تَزُهْ صنمتهُ إلا بصنعتكمُ      تزهي الخائلُ أني يهطل المطرُ

وأشدني له إجازة أيضًا :

ليس لي من صفاتِ مجدِكَ فخرٌ      هي أبدتُ أنا بديعَ المعاني  
كلما أبدعتُ سبحانَكَ معني      نظمتُ فسكرتني وخطتُ بناي  
وقول ابن حَيُّوس :

ولئن شمعتُ فإنَّ أثرَ ما أرى      من مائرتِكَ يُنطقُ الجلودَا (١)  
ألفيتهنَّ جواهرًا منشورةً      وعلى القوافي أن يصرنَّ عُقودَا  
فلكَ الفريدُ وقد وجدتُ نظامه      ولي النظامُ وقد وجدتُ فريدا  
وقال محمد بنُ الحدادِ المغربي :

ومنكَ أخذنا القولَ فيكَ جلاله      وما طاب ماءُ الوردِ إلا من الوردِ

## ٨٣ - قول: وَحَاشَاكَ أَنْ أَعَدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةَ

يقال: حاشاك، وحاشا فلان. يقال: حاشا لله، وقرىء ﴿حاشَ اللهُ﴾<sup>(١)</sup>. بلا ألف اتباعاً للكتاب، والأصل «حاشا» بألف، وحاشا كلمة يُسْتَفْتَى بِهَا. وقوله: «أعد من العاملة الناصبة» يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>، المراد بذلك وجوه اليهود والنصارى، أو جميع الكفار، وجوه عملت في الدنيا ونصبت، أي تعبت في أعمال لا تنفعها في الآخرة؛ لأن الرهبان ينصبون بصيام النهار وقيام الليل، ويتروكون ملاذهم.

وقيل: عاملة ناصبة في النار، تجرّ سلاسلها وأغلاها في النار كخوض الإبل في الوحل.

وقال الحسن: لم يعمل لله في الدنيا، فأعملهم وأنصّبهم في الآخرة، يفتلهم من عذاب إلى عذاب، أو يجرون على وجوههم، ويكلفون ارتفاع جبل من حديد في النار. أو تكبروا في الدنيا عن طاعة الله، فأعملهم وأنصّبهم في الآخرة بأنواع العذاب.

وما أحسن قول هبة الله بن الفضل الطلميب:

أمدحهُ طَوْرًا، وأهدى به      طَوْرًا، ولا أطمعُ في رِفْدِهِ  
مِثْلَ إِمَامٍ بَيْنَ أَهْلِ الْقُرَى      صَلَّى بِهِمُ وَالزَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ  
وما أحسن قول القائل:

ذَاكَ الَّذِي قَرَحَتْ بَطُونُ جَفْوَنِهِ      مَرَهَا وَتَرَبُّهُ أَرْضِهِ وَنُ أَمْدِ  
وقول البحتري:

وبدراً أضاء الأرض شرقاً ومغرباً      وموضع رجلٍ منه أسودُهُ ظم<sup>(٣)</sup>

(٢) الفاشية ٢، ٣

(١) سورة يوسف ١٣

(٣) ديوانه ٢: ٢٧٢



وتول الآخر:

أنا في ذمّة السحاب وأظنى ! إن هذا لوصمة في السحاب

وقد ذكرت بهذا البيت مالى في هذه المادة :

يا حبيبي الذي أرى فيه محمري ضاع منى وضاق بالصد صدري  
أنت أظلائني ووجهك بادٍ أفهنا يلقى قط بمدر!

وقال أبو سعيد محمد بن محمد الرستمي :

من الناس من يعطى المزيد على الغنى  
ويحرم ما دون الغنى شاعرٌ مثلي  
كما ألفت واوٌ بعمرٍ ومزينة  
وضوبق بسم الله في ألف الوصل

\*\*\*

٨٤ - وقوله : وأكون كالدُّبالة المنصوبة تضيء للناس وهي  
تحترق .

الدُّبالة : الفتيلة ، والجمع الدُّبال ؛ ويشير بذلك إلى قول الميِّاس بن  
الأحنف :

أحرم منك ما أقول وقد نال به العاشقون ما عشيقوا<sup>(١)</sup>  
صرت كأتى دُبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

(١) ديوانه ١٩٧

قال الرِّياشي - وقد ذُكر عنده العباس بن الأحنف : والله لو لم يُقل  
إلا هذين البيتين لكفاه .

وقال الشاعر :

وفتية الصباح تحرق نفسها وتضيء لاسارى وأنت كذاكا  
ومن هذه المادة قول أبي الحسين الجزار :

أحمل قلبي كل يوم وليلة هو ما على من لا أفوزُ بخيره  
كما سودَّ القصارُ في الشمس وجهه حريصاً على تبييض أثواب غيره  
ويقرب من هذا :

ومن أين لي صبرٌ وفي كل ساعة  
أرى حسناتي في موازين أعدائي  
ومنه أيضاً :

إذا تحاسن اللاتي أمت بهما

عدت مساوي قل لي كيف اعتذرنا

وما أحسن ما قاله ابن المظفر محمد بن علي الواعظ الدوري :

يتوب على يدي قوم عصاة أخاقتهم من البارئ ذنوب  
وقلبي مظلم من طول ما قد جنى ، فأنا على يد من أتوب !  
كأنني شمعة ما بين قوم تضيء لهم وبحرقها اللهم  
كأنني مخيط يكسو أناساً وجسني من ملايسهم سليب

وقال أبو طالب بن زيادة :

تستضيئون بي فأهلك وخذى فسكاني ذبالة في سراج

وقد ذكر الحافظ شهر يار بن شيرويه في كتاب الفردوس الأعلى : أنبأنا  
 أبي حمه الله تعالى ، أنبأنا أبو علي بن البناء البغدادي ، حدثنا أبو علي بن  
 شاذان ، حدثنا محمد بن الحسن بن مقسم العطار ، حدثنا إدريس بن عبد الكريم  
 القرني ، حدثنا الحكم بن موسى ، حدثنا محمد بن مسلمة الحراني ، عن  
 جعفر بن مخارق ، عن إبراهيم ، عن الحسن ، عن جندب بن عبد الله  
 رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العالم بغير عمل  
 كالصباح يحرق نفسه ويضي للناس » . وقال : « مثل العالم الذي يعلم الخير  
 ويلسى نفسه كمثل السراج يضي للناس » ويحرق نفسه . رواه الطبراني عن  
 أحمد بن المعلى الدمشقي ، عن هشام بن عمار ، عن علي بن سليمان الكلابي ، عن  
 الأعمش ، عن أبي تميمه ، عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم . . . الحديث .



٨٥ - وقوله : فَكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَهُوَ بِكَ وَبِي - فيك - أولى .

يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ وَآلُ الْمَثَلِ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَهُوَ الْقَزِيرُ الْكَرِيمُ ﴾ (١) . وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى الصِّفَةُ الْمُعْلِيَا ، قال ابن عباس  
 رضى الله عنهما : هي أن ليس كئله شيء ، أو هي أنه لا إله إلا هو .

وما أحسن قوله : « وَهُوَ بِكَ وَبِي فِيكَ أَوْلَى » ؛ كأنه يقول : هو بك  
 أولى وهو بى كذلك إذا كان فيك ، فكلا الحائنين مخصوص بك .

وما أحسن ما ينسب إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه :

قالوا يزورك أحدٌ وتزوره  
إن زرتَه فلفِضْله ، أو زارني  
قلتُ الفضائلُ لا تُفارقُ منزلةً  
فبِفِضْله ؛ فالفضلُ في الحالين له

وقال ابن سردر :

لك المثل الأعلى بكل فضيلة  
لآلى من بحر الفضائل إن بدت  
إذا ملاً الراوي بها الفور أهما  
إغانصها صلى عليها وسدا

وقال أبو بكر بن عمار :

لك المثل الأعلى وما أنا حادث  
أظن الذي بيني وبينك غيرت  
ولا أنا ممن غيرته الحوادث  
حلاوته عنى الرجال الأخابث

وقال الوزير أبو حفص عمر بن شهيد :

لك المثل الأعلى إذا ذكر الندى  
وقلت أنا من جملة أبيات :

كريم تخطى الناس من أهل عصره  
إذا غضبة ما بينما ذكر الندى  
أجأهم قولاً ، وأحلامهم فملاً  
يكون له من جوده المثل الأعلى

٨٦- وقوله : وَلَعَمْرُكَ مَا جِئْتَنَا بِالرَّأْيِ أَنَّا نَحْوَلُ ، إِذَا  
بَلَفْتَنِي الشَّمْسُ وَنَبَأَ بِي الْمَنْزِلَ .

لَعَمْرُكَ ، اللامُ لنا كيد الابتداء ، وتقديره « وَحَيَاتِكَ قَسَمِي » .  
نَبَأَ بفلانٍ مَنزِلَهُ إِذَا لم يُوافِقْهُ ، وكذلك فِرَاشُهُ ، وهو يشير بذلك إلى  
قول أبي تمام من قصيدة مَدَحَ بها محمد بن عبد الملك الزيات وبُعَاثِهِ :  
وَإِن صَرِيحَ الرَّأْيِ وَالخُرْمَ لَامرئٍ  
إِذَا بَلَفْتَهُ الشَّمْسُ أَن يَتَحَوَّلَا<sup>(١)</sup>

وهذا من قصيدة عاتب فيها ابن الزيات ، وأولها :

هَلْ نَ عَلَيْنَا أَن نَقُولَ وَتَقْمَلَا  
وَنَذْكُرَ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ فَتَفْضَلَا

ومنها :

سَأَقْطَعُ أَمْطَاءَ الْمَطَايَا بِرِحْلَةٍ إِلَى الْوَطَنِ لِلْفَرْبِيِّ هَجْرًا وَمَوْصِلًا  
وَقَفْتُ بِهَلُولٍ عَلَى رَجُلٍ فَقَالَ لَهُ : خَبَّرْتَنِي عَنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

\* وَإِذَا نَبَأَ بِكَ مَنْزِلًا فَتَحَوَّلِ \*

كَيْفَ هُوَ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : جَيِّدٌ ، قَالَ : فَإِنْ كَانَ فِي الْخُبْسِ كَيْفَ يَتَحَوَّلُ ؟  
فَانْقَطَعَ الرَّجُلُ ، قَالَ بِهَلُولٍ : الصَّوَابُ قَوْلُ الْآخَرِ :

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ يَسُوءُكَ أَهْلُهَا  
وَلَمْ تَكُ مَكْبُولًا بِهَا فَتَحَوَّلِ

وما أحسن قول مثنى بن أوس العزني :

وفي الناس إن رمت جبالك واصل

وفي الأرض عن دار القلي متحول<sup>(١)</sup>

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته

على طرف الهجران إن كان يعقل

ويزكب حد السيف من أن تضيئه

إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وكنت إذا ما صاحب رام ظنتي

وبدل سوءا بالذي كان يفعل

قابت له ظهر الميجن فلم أقم على ذاك إلا ريمًا تحول

وقال عنزة العبسي في رواية بعضهم :

وإذا نبأ بك منزل فتحول<sup>(٢)</sup>

احذر محل السوء لاتحلل به

وقول ابن الخياط الدمشقي :

ليس الكريم على ضيم بصبار<sup>(٣)</sup>

لا تكبرن رحيلي من دياركم

حبرت من غرر تهدي وأشمار

يأبى لي الضيم فرسان الخلاج وما

وقول ابن العميد :

وسرت ولي منها ومن أهلها بد

متى لفظتني دار قوم تركتها

وقول الآخر :

قفا محناها بمحنته

ونبت بنا أرض العرا

(١) ديوانه ٥٩ ، ٦٠

(٢) المقدئين ١٨١

(٣) ديوانه : ١٥٦

غير الرّحيل كَفَى البلاء دَ برحلة الفُضلاء هُجِنَه

وقال ابنُ المنذر الطّرا بلسِي من أبيات طويّلة في هذا المعنى :

وإذا الكريمُ رأى الخمولَ زبيلَه في منزلٍ فالجزمُ أن يتحوّلاً  
كاليدرّ لما أن تضاعلَ جدّ في طلب السكّالِ فحازَه متنقلاً  
سَفها لحملك إن رضيت بمشرب

رَنَقِي ، ورزقُ الله قد ملأ الفلأ

فارق ترُق كالسيفِ سُلّ فبان في

متنّيه ما أخفى القرابُ وأخلا

للفقر لا للفقر هبها إنسا مَمفناك ما أغفناك أن تتوسلا

لا ترض من دُنياك ما أدناك من دَنسٍ ، وكن طئفا جلا ثم انجلى

وقال أبو بكر الخورازمي :

لِمَ لا أجانس دَهري في قلبه لم لا أبادِلُ إنساناً بإنسانِ

لِمَ لا أحاكي حَميياً في مقالته

ما اليومُ أوّلَ توديعي ولا الثاني

لِمَ لا أقارض ما قد قاله حَسَنُ

وصلاً بوصلي وهجراناً بهجران

وأنشد أبو محمد غانم من شعراء الذخيرة هذين البيتين :

وإذا الدّيارُ تنفّرت عن حالها فذرِ الدّيارَ وأسرعِ التّحويلاً<sup>(١)</sup>

ليس المقامُ عليك حتماً واجباً في بلدةٍ تدعُ العزيزَ ذليلاً

وسئل الزيادة عليها فقال :

لا يرتضي حرُّ بمنزلٍ ذلّةٍ لو لم يجد في الخلفين مقبلاً

فاخصص لودك من خبرت وفاءه  
لا تتخذ إلا الوفي خليلاً  
فلقد خبرت الناس منذ عرفتهم  
فأريت جنس الأوفياء قليلاً

وقلت أنا:

سافر تنل عزاً فما مسك الورى  
إلا دماً في سرة الغزلان  
والرمح لما فارق الوطن اغتدى  
بذوابة خفتت وتاج سينان

وقلت أيضاً:

سافر تنل رتب المفاخر والعلاء  
كالدّر سار فصار في التيجان  
وكذا هلال الأفق لو ترك الشرى  
ما فارقت ممرّة النقصان

وقلت أيضاً:

سافر فإن الليث لما غاب عن  
غاب حواه أشبع الأشبالاً  
والسيف لو لزم المقام بجفنه  
ماراع أعناء وراق صقالاً  
وكذاك بدر التّم لو ترك الشرى  
أبصرته طول الزمان هلالاً



٨٧ - وقوله : واصفح عن المطامع التي تقطع أعناق

الرجال .

يشير بذلك إلى قول البهيمث المجاشعي :

طَمِمتَ بِلَيْلِي أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ لِلطَّامِعِ<sup>(١)</sup>

وقول أبي الفتح البستي :

فَكَمْ دَقَّتْ وَشَقَّتْ وَأَسْتَرَقَتْ فَضُولُ الْعَيْشِ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ  
قال أبو عبيدة : وفي بعض الأحاديث : « إن اللهفة الزلاء التي لا تثبت  
عليها أقدام العلماء الطمع »<sup>(٢)</sup> .

وفي الأمثال المولدة : أخرج الطمع من قلبك ، تحل القيد  
من رجلك .

وفي الأمثال الحكيمة : أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع .

وقال أبو العتاهية :

\* أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ \*<sup>(١)</sup>

قال ابن عائشة : عتبت على ابن شبرمة يوماً في شيء ، فلقيته داخلًا  
من باب المسجد يريد مجلس الحكم وأنا خارج ، فقلت معرضاً له :

طَمِمتَ بِلَيْلِي أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَا ... الْبَيْتِ

فقال معرضاً ، وتركت<sup>(٢)</sup> ما قصدت :

(١) في أبيات ستة في معجم البدان ٧ : ١٣٢

(٢) ديوانه ٥٥ ، وأوله :

\* تَعَالَى اللَّهُ بِاسْمِ بْنِ عَمْرٍو \*

(٣) م : « تاركاً » .

وبابت ليلي في الخلاء ولم يكن

شهودي على ليلي عدول مقانسع

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : إن الآمال قَطَّعتْ أعناق الرجال ؛  
كالسراب غرَّ مَنْ رآه ، وأخلف مَنْ رجاه .

وقال الشريف الرضي :

لم يشتمل قلبى الزجاء ولم يكن طأرفى جنبية كلِّ برقي نارٍ (١)  
وأبيتُ أن تردَّ المطالب همتي  
أو أن يسفَّ إلى المطامع طأرفى

وقال أبو الفتح البستي :

يامن عادتُ به الزجاء ولم يكن لي منه إرفادٌ ولا إيناسُ  
إن كان قد جرح المطامع عفتي  
فوراء ذلك الجرح يأسٌ يأسو

وتما ينسب إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه :

إذا عوفى المرء في جسمه وخوله الله قلباً فنوعا  
وألقى المطامع عن نفسه فذاك الغنى ولو مات جوعا

وقال ابن نباتة السعدي :

أرضى وأقنع بالآمال كاذبة فما يضرُّك لو ألقيت أطاعي  
قد كان يعرف وجه الدلِّ في نظري ويظهر الجزُّ والتقصير في باعي

وقال أبو رَوْح ظفر الهروي :

ولو أن أطراف الرماح وفين لي لأخذتُ حقَّ الدهر من أبنائه

هَمَّ مَوْرِقَةً جَفُونِي كَمَا أَرَحَى الظَّلَامَ عَلَى ذَيْلِ خِيَابِهِ  
هَمَّ النَّفُوسَ مَنُوطَةً بَعْنَاهَا وَالْمِرَّةَ يَخْدَعُهُ لِسَانُ رَجَائِهِ

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

دَعِ الحِرْصَ وَأَقْنَعِ بِالكِفَافِ مِنَ الفَنَى  
فَرَزَقُ الفَتَى مَا عَاشَ عِنْدَهُ بِعَيْشِهِ  
وَقَدْ يَهْلِكُ الإِنْسَانُ كَثْرَةَ مَالِهِ  
كَأَيُّذْبِجِ الطَّائِوسِ مِنْ أَجْلِ رَيْشِهِ

وعن عبد الله بن الحسن قال : أنشد للأمن بن أبي العهية يخاطب  
سما الخاسر :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحِرْصَ أعناقَ الرجال

فقال : إن الحِرْصَ لَمُفْسِدَةٌ للدين والبروة ، والله ما عرفتُ من رجل  
قطَّ حِرْصًا ولا شرها ، فرأيتُ فيه مُصْطَنَمًا ؛ فبلغ ذلك سلمًا فقال : وويلي على  
الحِثِّ الزَّئِدِيقِ ، جَمَعَ الأموالَ فسكنزها ، وعبأ البِدْرِ في بيته ، ثمَّ تزهد  
رياءً ونفاقًا ، وأخذ يهتف بي إذا أنا تصيبت للطلب .

قال المدائني : كان أبو الأسود يدخل على عُميد الله بن زياد ويشكو  
أنَّ عليه دينًا لا يجد إلى قضاائه سبيلًا ، فيقول له : إذا كان غدًا فارفع إلى  
حاجتك ، فإني أحبُّ قضاءها ، فيدخل عليه من غدٍ فيذكره وعده ،  
فيتنأقل عنه ، ثمَّ يعاودُه فلا يصنع في أمره شيئًا ، فقال أبو الأسود :

دعاني أميري كي أقول بحاجتي فقلتُ فمأردَّ الجوابَ ولا استمع<sup>(١)</sup>

(١) ديوانه ٣٠ ، وروايته : « ما صين » .

فقلتُ ولم أحسُن بشيءٍ ولم أصُنْ  
 كلاي ، وبعضُ القَوْلِ ماضراً أو نفعاً  
 وأجمعتُ يأساً لا لبساً بعده ، ولليأسُ أدنى للعَفافِ من الطمَعِ

وفي المَثَلِ : الطمَعُ الكاذبُ يدُقُّ الرِّقْبَةَ ، قاله خالد بن صفوان لأنَّهُ  
 كان قد بنى دكاناً مرتباً لا يسعُ غيره ، ولا يصلُ الرجلُ إليه . وكان إذا  
 تقدى قعد عليه وحيداً يأكلُ لُبخله ، فجاء أعرابيٌّ على جملٍ ساوى الدَّكانَ  
 ومدَّ يده إلى طعامه ؛ فبينما هو يأكلُ إذ هبتُ ريحٌ فحركتُ شيئاً هنا لك ،  
 فنَفَرَ البعيرُ فانذقتُ رقبتهُ ، فقال خالد : الطمَعُ الكاذبُ يدُقُّ الرِّقْبَةَ .

\* \* \*

٨٨ — وقوله : فلا أستوطئ العَجْزَ ، ولا أطمئنُّ إلى الغرورِ .

استوطأتُ المرَّكبَ إذا وجدته وطيباً ، أى لتيئنا سهلاً .

والمعْزُ ضدُّ المُدْرَةِ ، والطمأنينةُ : السَّكونُ ، والغرورُ : ما اغتربه من  
 متاعِ الدنيا . وفي المَثَلِ : المعْزَ وطىء ، أى وثير ، يُضْرَبُ لمن استوطأ  
 مرَّكبَ العَجْزِ ، وقعد عن طلبِ المكاسبِ ، ولمن ترك حقه مخافةً الخصومةِ .

وفي المَثَلِ أيضاً : المعْزُ ريبيةٌ ؛ يعنون أن من أقرَّ بالعجْزِ على نفسه ،  
 فهو مُريبٌ ، قال بعضُ الشعراءِ :

خاطرُ بنفسِكَ لا تقعدُ لِمُعْجَزَةٍ	فليس حُرّاً على عَجْزٍ بمعدور
إن لَمْ تَنَلْ في مقامٍ ما تطالبه	فأبلِ عذراً بادلاجٍ وتهجِيرِ
لَمْ يَبْلُغِ المرءُ بالإحجامِ هَمَّتَهُ	حتى يُباشِرَها منه بتفْهِيرِ
حتى يواصلَ في أنحاءٍ مَطْلَبِهَا	سهلاً بحزنٍ وإيجاداً بتغويرِ

وفي المثل : أغرّ من الدُّبَاءِ في الماء . الدُّبَاءُ : القرع .  
ويقال أيضا : لا يُغَرِّتُكَ الدُّبَاءُ ، وإن كان في الماء .  
قال حمزة الأصفهاني : لا أعرفُ معنى هذين المثلين .

قال الميبداني : معنى الأول منتزع من الثاني ؛ لأنَّ أعرابياً تناول قرعاً مطبوخاً ، وكان حاراً فأحرقَ قَمَهُ ، فقَالَ : لا يُغَرِّتُكَ الدُّبَاءُ ، وإن كان [ نشوءه ] في الماء (١) .

ويقال أيضا : أغرّ من سراب .  
ويقال أيضا : أغرّ من الأمانى .  
وقال الشاعر :

إِنَّ الْأَمَانِيَّ غَرَّرَ      وَالذَّهْرُ عُرْفٌ وَنُكْرٌ

• من سابق الدهر عتر •

ويقال أيضا : أغرّ من ظبي مقمر ، لأنَّ الخِشْفَ (٢) يفتقرُ بالليل القمر ، فلا يجترز حتى تأكله السباع .  
وقال ابن سناء الملك :

ولكم وجدتُ الموتَ حُلماً      وأ حينَ ذُقتُ اللذَّةَ مرّاً  
ولكم أعيرٌ بالفروور      نهمٌ ففطنتُ وكنتُ غرّاً  
سأسيرُ عنهم طائماً      فمسي اللالُ يعودُ بدراً  
وأجدُّ لي رزقاً وإخوا      نا ومـنـزلـةً وعمرا

(١) الميبداني ٢ : ٦٤

(٢) الخشف : الظبي أول ما يولد .

## ٨٩ - وقوله : ومن الأمثال المضروبة : خامري أم عامر

وهذا من الأمثال المضروبة تقول العرب : خامري حَصَاجِرُ ، أتاك ما تُحاذِرُ<sup>(١)</sup> . وحَصَاجِرُ اسمٌ للضَّبُعِ يقع على الذَّكَرِ والأنثى . ومن أَسْجَاعِهِمْ في مثل هذا : لِمَ تُرْعِ يا حَصَاجِرُ ، كَفَأَكِ ما تُحاذِرُ ، ضَبَارِمٌ مُخاطِرٌ ، ترهبهم القَساورُ - يعني الأسود - وهذا جَمِيلٌ مَثَلًا لمن عَرَفَ الدُّنْيَا في نَقْضِها عَقودَ الأمورِ بإيرادِ البلاءِ عَقِيبَ الرِّخاءِ . ثم يسكن إليها مع علمه بأن من عاداتها أن تسلب ما وهبت كما تغتَرِ الضَّبُعُ بقول القائل : خامري أم عامر<sup>(٢)</sup> ، وأم عامر كُنْيَةُ الضَّبُعِ ، وهي من أشهر كُنْياها .

وقوله : « خامري أم عامر » : هذا من الأمثال المضروبة للغانفل المغرور . وفي المثل أيضا : لا أكون كالضَّبُعِ تَسْمَعُ اللَّذْمَ فتُخْرِجُ حَتَّى تُصَادَ .

وقوله : « خامري » ، أي تَسْتَرِي ، كأنه من الخمار ، وزعموا أنها أحق الدواب ؛ لأنهم إذا أرادوا صيدها رموا في جحرها بحجر ، فتَحْسِبُه شيئا تصيده ، فتخرج لتأخذه فتُصَادُ . ويقال لها : أبشري بجرادٍ عِظالٍ<sup>(٣)</sup> ، وكر الرجال ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها رجل ، وهو يقول : خامري أم عامر ، فيربط يديها ورجليها ، ثم يجرها إلى خارج الجحر .

وما أحسن قول البهاء زهير :

يا هذه لا تَمْلُطِي والله مالي فيكِ خاطر<sup>(٤)</sup>

(١) الميداني ١ : ٢٣٩

(٢) الميداني ١ : ٢٣٨

(٣) الجراد العِظال : الذي ركب بعضه نعضاً كثرة .

(٤) ديوانه ٧٤

خدموكِ بالقول المُحسَّـلِ فصَحَّ أَنَّكَ أُمُّ عَامِرٍ

وذكرتُ هنا إلى بَيْتَيْنِ نَظَمْتَهُمَا في مَعْنَى اقْتِضَعَتْهُ الحَالُ ، وَهِيَ :  
وَعِائِيَةٌ عُلِقَتْهَا ظَمِيمَةٌ وَمَذَى غَدَتِ ضَمِيمًا سَلِمَتْهَا مِنْ ضَمَائِرِي  
فَبِالْأُنْسِ كَانَتْ أُمُّ عَمْرٍو جَمِيلَةً فَمَا بِالْمُسَاقِدِ أَصْبَحَتْ أُمُّ عَامِرٍ !

\*\*\*

٩٠ - وَقَوْلُهُ : وَإِنِّي مَعَ المَعْرِفَةِ بِأَنَّ الجَلَاءَ سِبَاءٌ ، وَالنَّقْلَةُ مُثَلَّةٌ

وَمَنْ يَفْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى

مِصَارِعَ مَظْلُومٍ مِجْرًا وَمَسْحَبًا

وَتُدْفَنُ مِنْهُ المَصَالِحَاتُ وَإِنْ يُسَأَلُ

يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارِ فِي رَأْسِ كِبْكِبَا

الجلاء : الخروجُ من البلدِ والوَطَنِ .

والسبَاءُ والسَّبْيُ والإِسْبَاءُ كُلُّهُ بِمَعْنَى الأَسْرِ ، تَقُولُ مِنْهُ : سَبَيْتُ المَدْوَةَ  
حَبْئِيًا ، وَسَبَاً ، وَاسْتَبَاءَ . وَالنَّقْلَةُ : الأَنْتِقَالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ . وَالمُثَلَّةُ  
التَّنْكِيلُ ، مِثْلُ بِالنَّقِيلِ جَدَّعَهُ .

وكبكب : اسمُ جَبَلٍ عَالٍ ، وَقَدْ صَرَّفَهُ امرؤُ القَيْسِ فِي قَوْلِهِ :

فَرِيقَانِ مِنْهُمُ جَارِعٌ بَطْنِ نَخْلَةٍ وَأَخْرَ مِنْهُمُ قَاطِعٌ نَجْدِ كِبْكِبِ

وقوله : الجلاء سبَاءٌ ، أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ المِثْلِ .

وأما قوله : النَّقْلَةُ مُثَلَّةٌ ، فليس هو من أمثال العرب ، وإنما هو من أمثال

المولدين .

والجلاء من الأمور الشاقة التي لا تقبل عليها النفوس ولا تتجرع  
مرّ مذاقها ، وقد قرنه الله بالقتل في قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ  
اقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلاّ قليلاً منهم ﴾<sup>(٢)</sup> : وقوله  
تعالى : ﴿ كَتَبْنَا ﴾ أى أوّجبنا وفرضنا . كما أمر بنى إسرائيل من قبل  
بقتل أنفسهم وبخروجهم من ديارهم . وهذه الآية نزلت في ثابت بن قيس  
ابن شماس ؛ لأنه كان قد سمع يهودياً يقول للمقداد : قاتل الله هؤلاء ، يزعمون  
أنه نبيّ ، ويتهمون في الحكم بينهم ، والله لقد أذنبنا مرة في حياة موسى ،  
فدعانا إلى التوبة ، فقال : ﴿ اقتلوا أنفسكم ﴾ ، فبلغ قتيلانا سبعين ألفاً في طاعة  
ربنا حتى رضى عنا . وقال اليهودي ذلك لما رأى الأنصارى قد سخّط من  
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال شماس عند ذلك : والله لو أمرنى  
محمد أن أقتل نفسى لفعلت .

ولما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود  
وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم القليل : والله لو أمرنا  
بذلك لفعلنا ، فالحمد لله الذى عافانا ؛ فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال : « إن من أمتى رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي » .  
وما أحسن قول القاضى الفاضل رحمه الله تعالى : الخروج من الديار  
مقرون بالقتل في كتاب الله سبحانه وتعالى ، وإذا كان الناس كما قال الشاعر  
نفوس الديار ، فخرجهم منها قتلها ، وانتقال ولايتهم عنها عزها .  
وأما المثل الأوّل المولّد وهو قوله : النُّقْلة مُنْلة ، فقد قلت أنا : النوى  
توى ، الأوّل بالنون ، والثانى بالتاء ثمانية الحروف وهو الهلاك ، والغربة  
كربة ، والشتات ممت ، والافتراق احتراق .

ومن كلام الحكماء : الغريب كالفرس الذى زايل أرضه ، وفقد شربه ،



ما من غريب وإن أبدى تجلده إلا سيذكر عند الغربة الوطن  
وهذان البيتان الأذان أوردتهما ابن زيدون ، من شعر عروة بن الورد ،  
وبعضهم ينسبهما إلى الأعمى ، والمزبة عندهم في نظير الفقر .  
قال شاعر باهلة<sup>(١)</sup> :

سأعمل نص العيس حتى يكفني غنى المال يوماً أو غنى الحدان  
فلاموت خير من حياة يرى لها على الحر بالإقلال وسم هوان<sup>(٢)</sup>  
متى يتكلم يبلغ حر كلامه وإن لم يقل قالوا عديم بيان  
كان الغنى في أهله بورك الغنى  
بغير لسان ، ناطق بلسان  
وقلت أنا مضمنا :

تمتع من الأوطان بالظل بالذرى  
فلم يلق رفقاً من تجافى رقيقه  
ولا تناعن أرض ألفت ربوعها فمن يفترب يحصب عدواً صديقه

\*\*\*

٩١ - وقوله : عارف بأن الأدب الوطن لا يخشى فراقه ،  
والخليط لا يتوقع زياره .

الخليط : المخلط ، كالتدويم والمناديم ، والجليس والمجالس ، وهو واحد  
وجمع ، وقد يجمع على خلطاء وخلط . والزيال : مصدر زايله مزايلة وزيالاً  
إذا فارقه .

(١) الكامل للمبرد ١ : ٣١٥ (٢) الكامل : « مس هوان » .  
( ٢١ - تمام المتن )

وقوله: «عارفٌ»، خبر «إنَّ» في قوله: «ولاني مع المعرفة بأنَّ الجلاء سياء» وما بعده إلى آخر البيتين. وقوله: «بأنَّ الأدب» إنَّ وأسمها.

وقوله: «الوطن لا يخشى فراقه»، هذه الجملة من المبتدأ والخبر في موضع الخبر؛ لـ «إنَّ» في قوله: «بأنَّ الأدب» كأنه قال: الأدب ألا يخشى فراق الوطن؛ وهذا كثير في كلامهم.

\*\*\*

٩٢ - وقوله: والنَّسِيبُ لا يُجَنِّي، والجَمالُ لا ينجي.

النَّسِيبُ: ذو النَّسَبِ. وفي المَثَلِ: القَريبُ من تَقَرُّبٍ لا من تَنَسُّبٍ، أي ادَّعوا أَنَّهُ نَسِيبُكَ. هذه الجُمَلُ كُلُّها معطوفة على قوله: الوطنُ لا يَخْشَى فِراقَهُ.

وقال المغيرة بن حنبله:

ليسَ المَزيُّ بِمَن تُنْفِى تَحارِمُهُ  
ولا الكَريمُ بِمَن يُجَنِّي وَيُهْتَمَرُ

\*\*\*

٩٣ - وقوله: ثمَّ ما قرانُ السَّمدِ للكواكبِ أهدى أثرا، ولا أسنى خطرا، من أقرانِ غنى النَّفسِ به، وانتظامها نسقا معه.

أقرن الشيء بغيره وقارنته قرانا: صاحبته، ومنه قران الكواكب، والقران أن تجمع بين تمرتين في الأكل.

أهدى، أفصل من البهاء، وهو الحسن. والسقاء، محدود: الرِّفعة. والشرف.

الخطَر: رَجُلٌ خَطِيرٌ ، أَيْ لَهُ قَدْرٌ وَخَطَرٌ ، وَقَدْ خَطَرَ ، بِضَمِّ الطَّاءِ .  
وَالنَّسَقُ مِنَ الْكَلَامِ : مَا جَاءَ عَنْ نِظَامٍ وَاحِدٍ . وَثَفَرَ نَسَقًا ؛ إِذَا كَانَتْ  
الْأَسْدَانُ مُسْتَوِيَةً .

وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي زَيْدُونَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : « ثُمَّ مَا قِرَانُ السَّمَدِ لِلْكَوَاكِبِ  
أَبْهَى أَمَّا » فَأَخُوذٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِيِّ :  
وَأَتَمُّ الْأَشْيَاءِ نُورًا وَحُسْنًا      بَكَرَ شُكْرٍ زُفَّتْ إِلَى صِهْرٍ بَرٍّ  
مَا قِرَانِ السَّمَدِيِّنَ فِي الْجَوَابِ بَيْهَى      مَنظَرًا مِنْ قِرَانِ بَرٍّ وَشُكْرٍ

\*\*\*

٩٤ - وَقَوْلُهُ : فَإِنَّ الْحَازِرَ لَهُمَا ، الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا ، وَقَلِيلٌ  
مَا هُمُ .

الْحَازِرُ : اسْمٌ فَاعِلٌ ، مِنْ حَازَ حَوْزًا وَحِيَازَةً ، وَكَلَّ مِنْ فَمٍّ شَيْئًا  
إِلَى نَفْسِهِ فَقَدْ حَازَهُ .  
الضَّارِبُ وَالضَّرِبُ : الَّذِي يَضْرِبُ بِالْقِدَاحِ الَّتِي يَقْسِمُ بِهَا ، وَهُوَ الْمَوْكَلُ بِهَا .

\*\*\*

٩٥ - وَقَوْلُهُ : أَيْنَمَا تَوَجَّهَ وَرَدَ مَنهَلَ بَرٍّ ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ  
قَبُولِ .

وَرَدَ مَنهَلَ بَرٍّ ، أَيْ آتَى عَيْنَ إِحْسَانٍ وَخَيْرٍ ؛ لِأَنَّ اللَّيْرَ ضِدُّ الْعُفُوقِ .  
وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولِ ، أَيْ نَزَلَ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ يُقْبَلُ عَلَيْهِ ، وَلَا يُدِيرُ عَنْهُ ،  
وَقَدْ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

إذا صديقٌ نَكَرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعَيِّنِي فِي فِرَاقِهِ الْحَيْلُ<sup>(١)</sup>  
 فِي سَمَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلٌ  
 وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ :

شَرْقٌ وَغَرْبٌ تَجِدُ مِنْ غَادِرٍ بَدَلًا  
 فَالْأَرْضُ مِنْ تَرْبَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ شَرَفِ الْقَيْرَوَانِيِّ :

وَصَيَّرَ الْأَرْضَ دَارًا وَالْوَرَى رَجُلًا  
 حَتَّى تَرَى مَقْبِلًا فِي النَّاسِ مَقْبُولًا  
 وَمِنْ هَذِهِ لِلْمَادَّةِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامِ الطَّائِيِّ :

وَمَا رُبِعُ الْقَطِيعَةَ لِي بِرَبْعٍ وَلَا نَادِي الْأَذَى مَنِي بِنَادِي<sup>(٢)</sup>  
 وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَقْدِسِيِّ :

يَا وَاقِعًا بَيْنَ الْفِرَاتِ وَدِجْلَةَ عَطْشَانَ يَطْلُبُ شَرْبَةً مِنْ مَاءِ  
 إِنَّ الْبِلَادَ كَثِيرَةً أَنْهَارُهَا وَسَجَابُهَا وَغَزِيرَةُ الْأَنْوَاءِ  
 مَا اخْتَلَتِ الدُّنْيَاءُ وَلَا عُدِمَ النَّدَى فِيهَا وَلَا ضَاقَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ  
 أَرْضٌ بِأَرْضٍ وَالَّذِي خَلَقَ الْوَرَى قَدَ قَسَمَ الْأَرْزَاقَ فِي الْأَحْيَاءِ  
 وَقَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ :

مَالِي لَا أَرْغَبُ عَنْ مَنْزِلِ يُكْتَرُ فِيهِ الدَّهْرُ حُسَادِي<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ٣ : ٢١١ ، ٢١٢ .

(٢) ديوانه ٨٠ .

(٣) ديوانه ٢٢٩ ، وروايته :

مَالِي لَا أَرْغَبُ عَنْ بِلْدَةٍ تَرغِبُ فِي كَثْرَةِ حُسَادِي

ما الرزق في الكرخ مقيم ولا طوق العلاء في جيد بغداد  
قال أيضاً :

أبغداد مالي فيك نهاية شارب من العيش الآ والخطوب مزاجها<sup>(١)</sup>  
وقال ابن سناء الملك :

لِمَ لا أهـين كِبَارَهُم وصِفَارَهُم تِهًا وكِبَرًا  
ما النيل من ماء الحياة ولا جميع الأرض مصرًا

كل هذا مستمد من قول ابن أخي أبي دلف العجلي ، وهو :

دعيني أجوب الأرض في طلب الغنى

فما الكرخ بالدنيا ، ولا الناس قائم

\* \* \*

٩٦ - وقوله :

وضوحك قبل إنزال رحله ، وأعطى حكم الصبي على أهله .  
وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح ومقبل

ضوحك قبل إنزال رحله ، إشارة إلى قول عمرو بن الأهم المنقري .  
والذي أعرفه من هذا البيت أنه :

فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح وصديق<sup>(٢)</sup>

وقوله : «وضوحك قبل إنزال رحله» من قول عمرو بن الأهم - وقيل

(٢) الذي في مفضليته ٢٣

(١) ديوانه : ١٨٢

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا صبح رهن وصديق

لحاتم الطائي :

أضاحكُ ضيفي قبل إنزال رحله  
ويخصبُ عهدي والزمانُ جديبُ  
وما لخصبُ للأضياف أن تكثر القرى  
ولكنما وجهُ الكريم خصيبُ  
كانوا يمدون تلقى الأضياف بالبشر وتهلل الوجه وإظهار التمرور به  
من كمال مروءتهم ، ولهذا قال :  
بشاشة وجه المرء خير من القرى  
فكيف إذا أهدى القرى وهو ضاحك !

وقال الفرزي :

يا بنت من بقرى الضيوف تبسمي  
إن التبسم من قرى الأضياف

وقال أبو تمام الطائي :

فتطلق مع المنايا إن البشر  
إنما البشر روضة فإذا كا  
مر في أكثر الأمور بشير<sup>(١)</sup>  
ن ببدل فروضة وغدير

وقال أبو الأسود :

إذا ما ناه السائلون توقدت  
عليه مصابيحُ الطلاقة والبشر

وقال أبو تمام الطائي :

يعطى عطاء المحسن الخليل الندي  
عفواً ويعتذر اعتذار المذنب<sup>(٢)</sup>

ومرحب بالزائرين وبشره يُفنيك عن أهلٍ لديه ومرحَبٍ  
وقال أيضا :

إذا أتمه العاقونَ ألفوا حياضه ملاء وألفوا روضه غيرَ مُجَدِبٍ<sup>(١)</sup>  
إذا قال أهلاً مرحباً نَبَتَ لهم مِياهُ النَّدى من تحتِ أهلٍ ومرحَبٍ  
وقد صَمِنْتُ أنا صدرَ ذلك البيتِ في الجون ، قلت :

وجاريةٌ تُلهي النديم إذا علا عليها بطول الدهر في حالٍ فعليه  
تقول كذا لي عادةٌ مستمرةٌ أضاحك ضئيفي قبل أنزالِ رحله  
وقوله : « وأعطى حُكْمَ الصَّبِيِّ على أهله » ، كانت العرب تقول : نزلنا  
على فلان ، فجعل لنا حُكْمَ الصَّبِيِّ على أهله .

وقال ابن القبطرية في رُقْمَةٍ كتبها :

يحق لي أن أذهب شظا ، وأنكلم منبسطا ، وأبين غرضي كله ومذهبي ،  
وأتحكم على مكارمك تحكم الصبي ، وأبلغ بك كل أملٍ وأرب ، وأملأ  
دلوى من جاهك إلى عمق الكرب<sup>(٢)</sup> .

وكان أبو سُفْيَانٍ إذا نزل به جار قال له : يا هذا إنك قد اخترتني  
جاراً ؛ واخترت دارى داراً ، فحناية يدك على من دونك ، وإن جنت عليك  
يدفاحتكم حكم الصبي على أهله .

قل الشاعر :

ولا تحكما حكم الصبي فإنه كثيرٌ على ظُهر الصديقِ جَاهِلُهُ

(٢) الكرب : الجبل الذى شد على الدلو .

(١) ديوانه ٢٤ .

وقال أبو تمام الطائي :

ظلل عمّاقه يحب زائرَه  
إذا أناخوا بيبابه أخذوا  
حبّ الكبير الصغير من ولده<sup>(١)</sup>  
حَقُّهم من لسانه وبده

وقال أبو فراس :

ونفقدى الكوم أشتاتاً مروعة  
ويصبح الضيف أولانا بمغزينا  
لأنامن الدهر إلا من أعادينا<sup>(٢)</sup>  
نرضى بذلك ويمضى حكمه فينا

وقال شاعر الحماسة :

نزلت على آل المهلب شاتياً  
فأزال بي إحسانهم وجميلهم  
غريباً عن الأوطان في زمن المجل<sup>(٣)</sup>  
والطافهم حتى حسبتهم أهلي

أخذَه القاضي الرَّشيد بن الزبير فقال :

فلم نزلنا في ظلال يومهم  
ولو لم يزد إحسانهم وجميلهم  
أمتنا ونلنا الخصب في زمن مجل  
على البر من أهلي حسبتهم أهلي

وأشدنى لنفسه إجازة الشيخ صفي الدين الحلي :

وكيف بهادي من ممان ألفتها  
وقضيت فيها الأربعين مجاوراً  
وأفنت عمرى بينها وشبابياً  
أصيف وأشتو بينهم فكأنتي  
نزلت على آل المهلب شاتياً  
مُلوك البرايا والبحور الطواميا

(١) ديوانه ٩٢ (٢) ديوانه ٣٩٥ .

(٣) ليكبر بن الأحنس ، وهما في ديوان الحماسة - بشرح المرزوق ٣٠٣ .



٩٧ - وقوله : غيرَ أَنَّ الوطنَ محبوبٌ ، والمنشأُ مألوفٌ .

أخذَ الآنَ في نَقْضِ ما فرَّرَ من أَنه الأَدبُ ، ألا يَخْشَى من فِرَاقِ الوطنِ ،  
وما عَظِفَ عليه من تِلْكَ الجُمَلِ ، فقال : غيرَ أَنَّ الوطنَ محبوبٌ ، لِما طَبِعَتِ  
النفسُ عليه . وقد جاءَ في الحديثِ : « حُبُّ الوطنِ مِنَ الإِيمانِ » .

وتأوَّلَه بعضُ العارفينَ بأنَّ قالَ : المرادُ بذلكَ حُبُّ النفسِ وَطَنِها  
الأوَّلِ وعالمِها القديمِ مِنَ الإِيمانِ ، فأخْرَجَه بذلكَ عن المعنى المتعارفِ به ،  
وما يُفهمُ من ظاهرِهِ .

وقالَ بعضُ الأُدباءِ : كانَ الناسُ يَتَشَوَّقونَ إلى أوطانِهِمْ ، ولا يَفهمونَ  
العلةَ في ذلكَ إلى أنَ أوضحها ابنُ الرُّومِيِّ في قصيدته لسليمانَ بنِ عبدِ اللهِ  
ابنِ طاهرٍ يَسْتَعِدِّيه على رجلٍ مِنَ التَّجَّارِ ، يُعرَفُ بأبنِ أبي كاملٍ ، أَجْبَرَه  
على بيعِ دارِهِ ، وأغْتَصَبَه بعضَ حُدودِها ، فقالَ :

ولى وطنٌ آليتُ الأبا أبيعهُ	والأأرى غيري له الدهرَ مالِكا
عهدتُ به شرخَ الشبابِ وبعمةً	كنعمة قوم أصبَحوا في ظلالِكا
وحبَّبَ أوطانَ الرجالِ إليهمُ	ماربُ قضاها الشبابُ هُنالِكا
إذا ذكروا أوطانَهُمْ ذكرتهمُ	عهودَ الصِّبَا فيها فحَنُّوا لذلِكا

وقالَ أيضاً يَتَشَوَّقُ إلى بَقْدادِ :

بلدٌ صَحِبْتُ به الشَّيبَةَ والصِّبَا	ولبستُ ثوبَ العيشِ وهو جَدِيدُ
فإذا تَمَثَّلَ في الضميرِ رأيتُهُ	وعليه أغصانُ الشبابِ تَمِيدُ

وقالَ رجاءُ بنُ هارونَ المَكِّيُّ :

أحنَّ إلى وادِي الأراكِ صِباةً	بمهدِ الصِّبَا فيه وتَذْكارِ أوْلِي
--------------------------------	-------------------------------------

كَانَ نَسِيمَ الرِّيحِ فِي جَنَابَاتِهِ نَسِيمُ حَمِيدٍ أَوْ لِقَاءِ مُؤَمِّلٍ

وقال أبو سرح: سَمِعَ أَبُو دُؤْلَفٍ قَوْلَ الْقَائِلِ:

لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ الْعَيْشِ فِي دَعَاةٍ نَزُوعَ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ  
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَحِيرَانًا بِحِيرَانِ

فقال: هذا الأُمُّ بَيْتِ قَالَتِهِ الْعَرَبِ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى قَوْلِهِ  
رِعَابُهُ، وَشِدَّةِ قَسَاوَتِهِ، وَحَنِينِ الرَّجُلِ إِلَى وَطَنِهِ إِحْدَى مَنَاقِبِهِ الَّتِي يَمْتَدُّ بِهَا،  
وَهَذَا مِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى كَرَمِ الطَّيْنَةِ، وَوُفُورِ الْعَقْلِ.

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ: حَنِينُ الرَّجُلِ إِلَى وَطَنِهِ مِنْ عِلَامَاتِ رُشْدِهِ.

وقال بُرْزُجْمَهْرٌ: مِنْ عِلَامَاتِ الْعَائِلِ بِرِّهَ بِإِخْوَانِهِ، وَحَنِينُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ،  
وَمُدَارَاتُهُ لِأَهْلِ زَمَانِهِ.

وقال أبو هلال المسكري:

إِذَا أَنَا لَا أَشْتَاقُ أَرْضَ عَشِيرَتِي فَلَيْسَ مَكَانِي فِي النَّهْيِ بِمَكِينِ  
مِنَ الْعَقْلِ أَنْ أَشْتَاقُ أَوَّلَ مَنْزِلِ غَنِيَتُ بِخَفْضِ فِي ذَرَاهُ وَلَيْنِ  
وَرُوضِ وَعَاءٍ بِالْأَصَانِلِ نَاطِرِي وَعُصْنِ نَسَاهِ بِالْفِدَاةِ يَمِينِي  
وَإِنِّي لَا أَتَسَى الْمَهْوَدَ إِذَا أَتَتْ بَنَاتُ النَّوَى دُونَ أَخْلِيطُودُونِي  
إِذَا أَنَا لَمْ أَرَعْ الْمَهْوَدَ عَلَى النَّوَى فَلَسْتُ بِمَأْمُونٍ وَلَا بِأَمِينِ

\*\*\*

٩٨ - وَقَوْلُهُ: وَاللَّيْبُ يُحِنُّ إِلَى وَطَنِهِ، حَنِينِ النَّجِيبِ إِلَى

عَطْنِهِ.

اللييب، فَمَيْلٌ مِنَ اللَّبِّ، وَهُوَ الْعَقْلُ، وَأَوَّلُ الْأَبْيَابِ: أَصْحَابُ الْمَقُولِ.

والحنين : الشوق وتوقان النفس ، تقول : حنَّ يحنُّ حينئذٍ فهو حانٌّ .  
والحنين : ترجيع الناقة صوتها إثرَ وادِّها .

والوطن : محل الإنسان ، وأوطنتُ الأرضَ ووصفتُها توطيئاً ، وأستوطنتُها ؛  
إذا اتخذتها وطناً .

والنجيب : الواحدُ من الإبل ، والجمع النجُب والنَّجائب . والنَّجيب  
من الإبل ، هو النَّخْل الكريم .

والمطن والممطن واحد الأعطان والممطين ، وهي مبارك الإبل حول الماء  
لشرب عدلاً بعد نهـل ، فإذا رويت ردت إلى المرعى . وفي اللؤلؤ : لولا  
حُبَّ اوطن نخرت الوطن السوء .

وفيه أيضاً : مَيْلِكَ إِلَى مَوْلِدِكَ ، من كَرَّمَ مَحْمَدِكَ .

ويقال : إنه ليس في الحيوان الطائر أشدَّ وفاءً من الفاختة ؛ فإنها إذا ماتت  
إنفها ؛ لا تزالُ تندُّبه ، ولا تألفُ غيره حتى تموت . وما أرقَّ قول مُرار بن  
هَبَّاش الطائي :

سَقَى اللهُ أَطْلالاً بِأَخْبِيَةِ الحِمَى وَإِنْ كُنَّ قَدْ أَبْدَيْنَ لِلنَّاسِ مَا بِيَا

مَنَازِلَ لَوْ مَرَّتْ بِيَهِنَّ جَسَازِي

لَمَالَ صَدَائِي : حَامِلًا انزلاً بِيَا

\*\*\*

٩٩ - وقوله : والكريمُ لا يجفو أرضاً فيها قوا بله ، ولا  
ينسى بلدأ فيها مراضه ، قال الأول :

أحبُّ بلادِ اللهِ ما بينَ منجِجِ إلىَّ وسامِي أن يصبَّ سحابها  
بلادُها عَقَّ الشَّبابُ تماثي وأول أرضٍ مسَّ جِلدي تراها  
وهذان البيتان يشبهان قول الآخر :

ذَكَرْتُ بِلادِي فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِي لِشَوْقِي إِلَى عَهْدِ الصَّبَا لِلتَّقَادِمِ -  
حَنَنْتُ إِلَى أَرْضِهَا أَخْضَرَ شَارِي وَقَطَّعَ عَنِّي قَبْلَ حَلِّ النَّامِ -  
وقال ابن ميادة :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أبيتُ لَيْلَةَ بَحْرَةَ لَيْلِي حَيْثُ رَبَّتْنِي أَهْلِي  
بِلادُهَا نَيْطَتْ عَلَيَّ تَمَائِي وَقَطَمَنَ عَقْلِي حِينَ أَدْرَكَنِي عَقْلِي  
وقال محمد بن غالب الرُّصافي :

بِلادِي الَّتِي رَبَّيْتُ قَوَيْدَمَتِي بِهَا فُرَيْحًا وَأَوْتَيْتِي قَرَارَتَهَا وَكَرًّا  
قِيادِي لَيْنَ التَّمِيشِ فِي رَوْقِ الصَّبَا إِلَى اللَّهِ أَنْ أُنْسَى اغْتِرَارِي بِهَا غَرًّا  
لِبَسْنَا بِهَا ثَوْبَ الشَّبَابِ لِبَاسِهَا وَلَكِنْ عَرِينَا مِنْ حِلَاهِ وَلَمْ يَعْرَا  
وهذان البيتان اللذان أوردهما ابن زيدون رحمه الله تعالى لها أول ، وهو :  
أَلَمْ تَعْلَمِي يَادَارَ مَلْحَاءَ أَنْفِي إِذَا أَحْصَبْتُ أَوْ كَانَ خِصْبًا جَنَابُهَا

وقوله : « والكريم لا يجفو أرضاً فيها قوا بله » . في الأمثال المضمومة :  
لَا تَجْفُ أَرْضًا بِهَا قَوَا بَلُّكَ ، وَلَا تَنْسَ بِلْدَأَ فِيهَا قَبَائِلُكَ .

وقال ابن عُمير :

وَلَوْ أَنِّي خَيْرْتُ فِي هَذِهِ الدُّرِّ يَا لَمَّا أَخْتَرْتُ غَيْرَ قَوْمِي وَدَارِي

وقوله : « ولا ينسى بلداً فيها مرضه » الرضاع له حق وذمة تجب  
رعايتها . لما قدم زهير بن سرد الجشمي السدي على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يوم حنين وهو بالجرانة قال : يا رسول الله ، إنما سديت  
منا عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كفلنك ، ولو أنا ملحننا<sup>(١)</sup> للحارث  
ابن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منا أحدهما بمثل ما نزلت به ،  
رجونا فضله وعائدته ، وأنت خير المكفولين ، ثم أنشد :

أمنن علينا — رسول الله — في كرم

فإنك المرء نرجوه وننتظر<sup>(٢)</sup>

أمنن على بيضة قد عافها قدر  
مشتت شملها في زهرها غير  
إذ أنت طفل لأم كنت ترضعها  
إذ فوك تملؤها من مخضها الدرر  
لا تجملنا كمن شالت نعمته  
وأستبق منا فإننا ممشر زهر  
فالبس العفو من فدكمت ترضعه  
من أمهاتك ، إن العفو مشهر

في أبيات أكثر من هذه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كان لي  
وليبي عبد المطلب فهو لكم » ، وقالت قريش : ما كان لنا فهو لله ورسوله .  
وقالت الأنصار : ما كان لنا فهو لله ورسوله .

وما أحسن قول ابن سناء الملك :

وكم حن صبري خشية لتماهي  
وكم مس جليدي مسكه ، لا ترابه  
وفي غرب ذباك العذيب وبارق  
وما ذاك إلا نقره ورضابه

\*\*\*

(١) ملحننا : أرضعنا .

(٢) عيون الأثر ١ : ١٩٦ .

١٠٠ - وقوله : هذا إلى مُغَالَا تِي بِمَقْدِ جَوَارِكِ ، وَمُنَافَسَتِي

لِلْخُلَطَّةِ مِنْ قُرْبِكَ .

المُغَالَاةُ ، مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْمَلُوقِ . وَالْمُنَافَسَةُ ، مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْمُنَافَسَةِ .

كان عند العرب في رعاية الجوار ما هو أعجب المَجَبِّ ؛ وذلك أن  
الإنسان إذا لمس طنب يفتنه طنب بيت آخر لزمه حرمة الجوار والذمة ،  
وإذا علق له دلو بدلو آخر في بر لزمه حرمة الجوار والذمة ، وإلى هاتين  
الفضيلتين أشار أبو تمام يُخاطِبُ ابْنَ الزُّبَايَاتِ :

لِي حُرْمَةٌ بِكَ لَوْلَا مَا رَعَيْتَ وَمَا أَوْجَبْتَ مِنْ حَقِّهَا مَا خِلْتُمَا تَعَجِبُ (١)  
بَلَى لَقَدْ سَلَفَتْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ لِحَقِّ لَيْسَ كَحَقِّ نَصْرَةٍ عَجَبُ  
إِنْ تَمَلَّقَ الدَّلُوبُ بِالدَّلُوبِ الْقَرِيبَةَ أَوْ  
بِلَا مِسُّ الطَّنْبِ السُّتْحَمِ الطَّنْبُ

وقال أبو إسحاق الغزني :

مَا بَعْتُ فَيْكَ أَنْ تُلْقَ حَتَّى زُرْتَهُمْ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ فَوْقَهُمْ مَتِينًا  
وَمَخَافَتِي أَلَّا يَكُونَ لِرَغْبَتِي أَثْرًا فَا بَقِيَ ، لَا هُنَاكَ وَلَا هُنَا  
لَا تَرْمِنِي رَمِي الْقَلَامَةِ وَأَرْمِي فِي مَطْلَبِ رَمِي الْجَارِ إِلَى مِيقَى  
إِنِّي أهُودُ بِمَا حَوَيْتَ مِنَ الْمَلَا مِنْ أَنْ يَجْرُبَ فِي رَأْيِكَ مَا بَقِيَ

\*\*\*

١٠١ - وقوله : وأعتقادي أَنَّ الطَّمعَ في غَيْرِكَ طَمَعٌ ، وَالغِنَى  
مِنْ سِوَاكَ عَنَاءٌ .

الطَّمع بتحرك الباء : الدَّنس . والعناء بالمد : التَّعب ، وفي المثل : ربَّ  
طَمَعٍ يُدْنِي إلى طَمَعٍ ، قال الشاعر :  
لا خَيْرَ في طَمَعٍ يُدْنِي إلى طَمَعٍ      وَغُنْفٌ من قَوامِ المَيْسِ تَكْفِينِي (١)  
الغُنْف : القوت ، وأصلها الفأرة ، سُميت بذلك لأنها قوتُ السَّنور ، وهي  
بالفَين المعجَّمة والغناء . ويجوز أن تكون بالعين المهمله ، وهو تصحيف  
حَسَنٌ وألتيق بالبيت ، لأنَّ الغُنْفَ والعُقَافَةَ بالضمَّ فيهما : بقية اللبن في الضرع .  
قال الأعشى :

ماتمادي عنـه النهار ولا يـهـ      جـوه إلا عُقَافَةٌ أو فُواقُ (٢)

وقوله : «واعتقادي أَنَّ الطَّمعَ في غَيْرِكَ طَمَعٌ» . هذا يَهْدُهُ بمضُّ أربابِ  
التبديع من الجناس المَطْمَع ، وهو متى فَرَّغَ من ركنه الأول وابتدأ بالثاني  
أطمع السامع أَنه موافق لحروف الأول ، فإذا كَمَلُ الرُّكن الثاني خالفت  
الأول ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ ﴾ (٣) ، وكقوله  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « انْخَلِيلُ مَمْقُودٌ بِنِوَاصِيهَا انْتَبِيرٌ » .

وهذا النوعُ من أعلى هذا الجناس . ودونه أن يُخالِفَ الرُّكنُ الثاني الأول  
بحرفٍ في وَسَطِهِ ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ وإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَبِيرِ

(١) البيت في اللسان ( غنْف ) من غير نسبة .

(٢) ديوانه ٧١١ . تمادي : تتباعده . تعجوه : تؤخ . رضاعته . الفراق : ما بين الحلبتين

من الوقت . (٣) سورة النساء ٨٣ .

لشديد ﴿١﴾ . وكقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ (٢) .

وقوله : « الطَّمَعُ فِي غَيْرِكَ طَبَعٌ » من هذا القسم .

ومن مادة قول ابن زيدون قول الأَول :

وَإِنِّي وَتَرْكِي لِلْأَكْرَمِ نَ وَقَدْ حَى بَكْفِي زَنْدًا شَحَاخَا

كَتَارِكَةٍ بَيْضَهَا بِالرَّاءِ وَمُنْجِقَةٍ بَيْضِ أُخْرَى جَفَاخَا

وقال ابن حَيَّوس :

وَمَا أَنَا ثَاوٍ فِي جَنَابِكَ لَمْ أَمِلْ إِلَى أَمَلٍ يُبْحَى وَلَا مِنَّةً تُسَدَى (٣)

يَمَافُ وَرُودَ الطَّرِيقِ مَنْ وَجَدَ الْحَيَا

وَيَأْتِي الرُّضَا بِالرَّشْحِ مِنْ جَاوِرِ الْعِدَا؟ (٤)

وقال أبو هلال المسكوي :

كَأَنِّي إِذَا أَمْسَكْتُ مِفْكَ بِمُرْوَةٍ أَخَذْتُ بِأَهْدَابِ الصُّيُومِ السَّوَاكِبِ

وقال أبو الطيب المتنبي :

وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يَرُدُّ

مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَابِ يَنْظُمُ (٥)

\* \* \*

(١) سورة العاديات ٧ ، ٨ . (٢) سورة الأنعام ٢٦ .

(٣) ديوانه ١٥٠ . (٤) والطرق : الماء الذي خوضته الإبل . والحيا : المطر .

والرشح : تحاب الماء . والند : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع .

(٥) ديوانه ٤ : ١٣٩ .



## ١٠٢ - وقوله: كلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا

الْفَرَا حِمَارُ الْوَحْشِ ، وَأَصْلُ الْمَثَلِ أَنَّ ثَلَاثَةَ فَرَّ خَرَجُوا مَتَّصِدِينَ  
فَاصْطَادَ أَحَدُهُمْ أَرْنَبًا ، وَالْآخَرَ طَيْبًا ، وَالثَّالِثَ حِمَارَ وَحْشٍ ، فَاسْتَبَشَّرَ  
صَاحِبُ الْأَرْنَبِ وَصَاحِبُ الطَّيِّ بِمَا نَالَا ، وَتَطَاوَلَا<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ ، فَقَالَ الثَّالِثُ :  
« كَلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا » ، أَي هَذَا الَّذِي رَزَقَتْ وَظَفِرَتْ بِهِ يَشْتَمَلُ عَلَى  
مَا عِنْدَكَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يَصِيدُهُ [النَّاسُ] <sup>(٢)</sup> أَكْثَرُ مِنْ حِمَارِ الْوَحْشِ -  
وَقَدْ تَأَلَّفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا سَفْيَانَ بِهَذَا الْقَوْلِ حِينَ اسْتَأْذَنَ  
عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَجَّجَهُ قَلِيلًا ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ :  
« كَيْدٌ تَأْذَنُ لِحِجَارَةِ الْجَلْمِ تَيْنِ » . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الصَّوَابُ « الْجَلْمِ تَيْنِ »  
وَهَاجِرًا نَبَا الْوَادِي ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَا أَبَا سَفْيَانَ ، أَنْتَ كَأَقِيلٍ ؛ كَلُّ  
الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا » ، بِتَأْلُفِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ . وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : مَعْنَاهُ إِذَا  
حَبَّبْتَكَ فَنَسَّ كُلُّ مَحْجُوبٍ ؛ يَضْرِبُ لَنْ يَفْضَلَ عَلَى أَقْرَانِهِ <sup>(٣)</sup> .

وقال العميد أبو بكر علي بن الحسين القهستاني :

أَنَا قَبِضْتُ <sup>(٤)</sup> عَبْدِي لَكَ عَدَّ عَن غَيْرِي ، فَكَلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا  
وَقَالَ الصَّاحِبُ شَرَفُ الدِّينِ بْنِ عَمْرٍو :

نَسَخْتُ خَلَاتِقَهُ الْكَرِيمِ \_\_\_\_\_ مَا أَتَى

فِي الْكُتُبِ عَن كَثِيرِي الْمَلُوكِ وَفِيهِمْ <sup>(٥)</sup>

لَا تَسْمَعَنَّ حَدِيثَ مَلِكٍ بِمِثْلِهِ

يُرَوَّى ، فَكَلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا

(١) تكملة من ط

(١) م ، ط : وتطاولا .

(٢) ط : « قبضت » .

(٣) الميداني ٢ : ١٣٦ .

(٤) ديوان ٦ .

وقال أبو إسحاق الفزري :

لا تسأن سيوى السعاده <sup>اللا</sup> سيبا ، فكل الصيد في جوف الفراء  
وقال ابن المعلم :

طوى الورى شعري عني وانثى يقول كل الصيد في جوف الفراء  
وقال أحمد بن حسن المتصوف الأوبى :

لو كان ظلم الشيب ظلما يتقى لرجوت لأمدوى الوزير الأكبيرا  
إني اكنفت من الورى بلفائه إذ كان كل الصيد في جوف الفراء

وقال أبو الحسين الجزار يمدح كمال الدين بن القديم :

وطالما حدثت نفسي بالفنى منك وما كان حديثا يفتري  
ولست أختار كريما بعدها عنك ؛ وكل الصيد في جوف الفراء

وذكرت هنا ما أنشدنى لنفسه الشيخ صفى الدين الحلى رحمه الله فى  
حليح لابس شمل قروة .

بصروا بفرؤك فازدروك لحالة أضغى هام معروف حنينك منكر  
كل أدار الطرف عنك محاولاً صيدا ، وكل الصيد فى جوف الفراء

وكدت أنشدته لبعض الناس فأسكروه ، وقال : الفراء حار الوخش  
— بفتح الفاء — وكلام الصفى لا يصح معه التورية إلا بكسر الفاء ؛ فقلت :

الفراء مفتوح الفاء ، مقصور مَهْمُوز — هو الحار الوخشى ، ويجمع على  
فراء مَمْدُود ، مكسور الفاء ، كجبل وجبال .

قال الشاعر<sup>(١)</sup>

(١) البيت لملك بن زغبة ، وبقية :

• بَضْرَبِ كَأَذَانِ الْفِرَاءِ فَضُولَهُ •

\* \* \*

١٠٣ - وقوله: والبَدَلُ منك أعور، والعِوَضُ لَفَاءٌ.

وإذا نظرتُ إلى أميرِ زَادِنِي  
صَنَّا بِهِ نَظْرِي إلى الأَمْرَاءِ

بَدَلُ أعور، أصلُ هذا التَّمَثُّلِ أنْ يَزِيدَ بنُ المَهَلَّبِ لما صُرِفَ عن خُرَاسَانَ  
بِمُتَبِعَةِ بنِ مُسَلِّمِ البَاهِلِيِّ - وكان شَحِيحًا وشَيْخًا أعور - قال الناس: هذا بَدَلُ  
أعور، فصار مَثَلًا لكل من لا يُرْتَضَى به بدلًا من الذَّاهِبِ، وفي ذلك  
يقول الشاعر:

كانت خُرَاسانُ أَرْضًا إذْ يَزِيدُ بها  
وكلُّ بابٍ من الخُفَرِ مَفْتُوحٌ (٧)  
حقُّ أَتَانَا أبو حَفْصٍ بِأَمْرِهِ  
كَأَنَّا وَجْهُهُ بِأَنْتَلِّ مَنضُوحٌ

واللَّفَاءُ: الشيء الخَسِيسُ، يقال: فلانٌ رَضِيَ من الوَفَاءِ بِاللَّفَاءِ، أي عن حَقِّهِ  
الوافِرِ بالقَلِيلِ الخَفِيرِ.

ومن مَقاماتِ الحَرِيرِيِّ: أَرْضِي من الوَفَاءِ بِاللَّمَاءِ وأَفْعَسَ من الجُزْءِ

• وطعن كبايزاغ الخاض تبورها •

(٧) الشمر والنمل في الميدان ١: ٩٠.

بأقل الأجزاء ، ولا أنظلم حين أظلم ، ولا أضم ولو لدغني الأرقم<sup>(١)</sup> .  
والأصل في هذا قولهم في التمثل : أعطاني اللقاه ، يضرب لمن يبخلك  
حكك ، ويظلمك فيه .

وقال أبو الطيب :

وما لاقني بـ \_\_\_\_\_ بـمَدِّكُمْ  
ولا اعتضتُ من ربِّ نَعْمَى رَبِّ<sup>(٢)</sup>  
ومن ركبِ الثَّورِ بـمَدِّ الجِوَا  
د أنكَرَ أطلاقَه والـنَّيْبِ<sup>(٣)</sup>

وقال ابن حيوس :

وما المرء إلا من يرضن بنفسه إباء ولا يرضى من العز باللقاه  
ومن لا يعيف الطير إن سمنحت له وإن خالط الماء امتنان تعيفا  
يبوه بخسر بائع العز بالمنى وأخسر منه مشري الدر بالوفا  
وهذا البيت الذي أورده ابن زبدون رحمه الله تعالى ، هو لمدي بن  
الرفاع ، وبعده :

بل ما رأيت جبان أرض تستوى  
فيا غشيت<sup>٤</sup> ولا نجوم سماء<sup>(٤)</sup>

(٢) المقامة الرابعة من ٣٤ . والأرقم : الثعبان .

(١) ديوانه ١ : ٩٨ . وما لاقني ، أى ما أمكنى .

(٢) النيب من الثور : ما تدلى تحت حنكه .

(٣) ديوانه ٣٩٢ .

(٤) الشعر والشعراء ٦٠٣ ، والذي بعده هناك :

تَسْمُو الصيُونُ إليه حين يروونه كالبدْرِ فَرَجَ بُهْمَةَ الظُّلْمَاءِ  
والأصلُ يَنْبِتُ فَرَعُهُ مَثَانِلاً والكف ليس بجانها بسواء

كَالْقَوْمِ مِنْهُ وَابِلٌ مُقْتَابِ بِيْعٍ<sup>(١)</sup>  
 عَدَقٌ وَآخِرٌ لَا يَجُودُ بِمَاءٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَالْحَرُّ يُورِثُ مَجْدَهُ أَبْنَاءَهُ<sup>(٣)</sup>  
 وَيَمُوتُ آخِرٌ وَهُوَ فِي الْأَحْيَاءِ

\* \* \*

١٠٤ - وقوله: وفي كلِّ شجرٍ نارٌ، واستمجد المرخ والعقار

استمجد استعمل، من المجد.

والمرخ، بالراء الساكنة والحاء المعجمة: شجر مريع الورى. والعقار  
 بالعين المهملة والفاء وبعده الألف راء: ضرب من الشجر كثير النار.  
 والمرخ الزئدة، والعقار هو الزئد الأعلى، وإذا حك الأعلى بالأسفل خرج

منها النار، قال السكيت:

إذا المرخ لم يُور تحت العقار ر ضنَّ بقَدَحٍ فلم يُعقب<sup>(٤)</sup>  
 وقال أبو زيد: ليس في الشجر كله أورى ناراً من المرخ، وربما  
 كان المرخ متجمماً ملتفاً، وهبت الريح فاحتك بهضه يبيض، فأورى النار  
 واحترق كله، ولم يُر ذلك في سائر الشجر.

قال الأعشى:

زنادك خيرُ زناد الملو كخالط فيهنَّ مرخٌ عقاراً<sup>(٥)</sup>

والقوم أشباه وبين حلومهم بونٌ، كذلك تفاضل الأشياء

(١) في الشعر والشعراء: «والبرق منه وابل».

(٢) في الشعر والشعراء: «جود وآخر ما يبيض بماء».

(٣) الشعر والشعراء: «المرء».

(٤) اللسان - مرخ، من غير نسبة.

(٥) ديوانه ٥٣.

ولو بَيْتٌ تَقْدَحُ فِي ظُلْمَةٍ حِصَاةً بِنَبْعٍ لِأَوْزَيْتِ نَارًا  
ومعنى «استمجد المرخ والقفار»، أن كل شجر أخذ منه عودان وحكًا،  
خَرَجَ مِنْهُمَا نَارٌ، ولكن تَقَرَّدَ بِالْمَجْدِ فِي هَذَا الشَّانِ لِلْمَرخِ وَالْقَفَارِ. وقال  
أبو القاسم علي بن جلاب :

ولا تَحْسَبَنَّ كُلَّ عُوْدٍ يَرِيهِ      لك ما أنت مُورٍ من التَّقْدَحِ نَارًا  
فما كلُّ وَحْشٍ يُرَى ضَيْفَمًا      ولا كلُّ عُوْدٍ يُسَمَّى عَقَارًا



١٠٥ — وقوله : فما هذه البراءة ممن يتولاك ، والميلُ يحمنُ  
لا يميلُ عنك !

البراءة : مصدرٌ من بَرِيَ من الدِّينِ والتَّيْبِ ، يَبْرَأُ بَرَاءَةً .  
ويتولاك ؛ فعلٌ مضارعٌ من تولاه ، أى صار واليّه ، والميلُ ضدُّ المدول .  
وما أحسنَ قولَ علي بن أحمد الجوهري :

وأقسِمُ لو رَوَيْتَ سَيْفَكَ مِنْ دِي      لأورق بالودِّ الصَّريحِ وأثمرًا  
فكم مُدْبِرٍ بالودِّ تَلْقَاهُ مُقْبِلًا      وكم مُقْبِلٍ بالودِّ تَلْقَاهُ مُدْبِرًا  
وما أحسنَ قولَ السراجِ الرَّاقِ :

ومَهْفَهِ عَنِّي يَمِيلُ وَلَمْ يَمِيلْ      يومًا إلى ، فَصَحْتُ مِنْ أَلْمِ الْجَوِي :  
لَمْ لَا تَمِيلُ إِلَيَّ يَا عُسْنَ النَّقَا      فأجاب : كيفَ وأنتِ من جِهَةِ اللَّهِوِي !  
وقال آخر :

أقولُ له : عَلَامَ تَنِيهِ عُجْبًا      على ضَعْفِي وَإِي قَلْبُ سَقِيمٌ ؟  
فقال : تَقولُ عَنِّي : فِي مَيْلٍ      فقلتُ له : كذا تَقولُ الذَّسِيمُ

وقلتُ أنا في هذا المعنى ، وهو من قديم نظمي (١) :

كَلَامُ الْعِدَا رِيحٌ إِذَا مَا سَمِعْتُهُ أَقُولُ : وَكَمَا لَتَ مَعَ الرِّيحِ أَغْصَانُ

وقريبٌ من هذه المادّة قولِي أيضا :

أَقُولُ يَا غُصْنُ ، هَلَامِلْتِ نَحْوَفَتِي فُوَادُهُ طَارَ حَتَّى لَيْسَ يَأْلَقُهُ

فَقَالَ : مَنْ قَالَ قَدْدِي مِثْلَ غُصْنٍ نَقَا قَلْتُ النَّسِيمَ الَّذِي مَازَالَ يَعْطِفُهُ

وقلتُ أيضا :

لَمَّا تَدَنَّنِي ثَمَلًا قَلْتُ لَا تَمَلْ فِهَذَا التَّمِيلُ مَنقُولُ

وَأَنْتِ تَدْرِي أَنَّ قَوْلَ الصَّبَا فِي حَرَكَاتِ الْعُصْنِ مَقْبُولُ

وقلتُ أيضا :

قَالَ لِي لَا تَفُهُ بِعَمِيلِ قَوَامِي إِنْ تَدَنَّنِي وَاسْتَرْهَ خَوْفَ الْعُمُومِ

قَلْتُ قَوْلٌ لِلصَّبَا الَّتِي قَدْ أُشَاعَتْ عَنْكَ هَذَا الْحَدِيثَ بَيْنَ الْفُصُوفِ

\* \* \*

١٠٦ - وقوله : وهلا كان هواك فيمن هواه فيك ، ورضاك

لمن رضاه لك !

هلا كلمة تحضيض . والهوى : ميل النفس إلى الشيء إذا كان مقصورا .

والهواء ، تمدود : الريح التي تتموج في البحر . وما أحسن قول أبي إسحاق :

إِذَا جَاسَتِ الرِّيحُ الْبَلِيلُ دِيَارَكُمْ وَصَحَّتْ فُسُومُ النَّازِحِ الْبَرَحَاءِ

فَكُلَّ هَوَاءٍ يَسْتَنْبِرُ الْجَوِي هَوَى وَكُلُّ هَوَى يَشْفِي النَّفْسَ هَوَاءِ

ومن السمادة والتوفيق أن يكون هوى الإنسان فيمن هواه فيه ، ورضاه

لمن رضاه له ، ومن الشفاوة والحِرمان عكس القضية .

(١) ط : ه من شعري القديم .

وقال الحجاج يوماً لرجل من الخوارج : والله إنى لأبغضكم ؛ فقال :  
أدخل الله أشدنا بغضنا لصاحبه الجنة . وقال :

لا تطعموا أن شهيمونا ونكرمكم وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا  
كل له رية في بغض صاحبه بفضة الله تغليبكم وتقولونا  
وقال الشريف الرضي :

يا قلبُ ليك حين لم تدع الهوى علفت مثل هواك من يهواك<sup>(١)</sup>  
لا بل شجيت بمن بيت سلما خال الضلوع ولا يحس شجاكا  
يا ليت شئتك بالاسى أعدائهم أولا ، فليت فراغهم أعداكا  
أهوى ودلاً في الهوى وطاعة أبدأ ، تمال الله ما أشقاكا !

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماسة رحمه الله :

ومغرب قبح سلوانه حسناء تهواه ويهواها  
عاقبها مرثعاً نقرها يبيكي فحلته وحلاها

قلت : الأول من الخلاوة ، أى ريقها حلوة ، والثانى من الخلق ، أى ومعه  
عقيق أو مرجان أو ياقوت أحمر .

وقال أبو العتاهية :

الره ما لم تزره لك مكرم فإذا ازدرت له تهون عليه  
وكا يكون لذك من عاشرته فكذلك فارض بأن تكون ليد

• • •

١٠٧ - وقوله :

يا من يمز علينا أن نفارق قوم  
وجدنا كل شيء بعدكم عدم



هذا البيت من قصيدة<sup>(١)</sup> لأبي الطيب أو لها :

واحر قلباه ممن قلبه شومٌ ومن بحسبي وحالي عنده سقمٌ  
 وكان سيف الدولة بن حمدان إذا تأخرت عنه مدائح أبي الطيب ،  
 شق ذلك عليه وألقاه ، وأكثر معاتبته إذا حضر ، وتقدم إلى من يحضرته  
 بالتعريض بالمكروه ، ومخاطبته بما لا يحسن ، فكبر ذلك على أبي الطيب ،  
 وآلمه غاية الإيلام ، فأشده هذه القصيدة بحضرة من العرب والتعجب ،  
 وكان سبب الوحشة بينهما وفساد الحال . وبعد البيت الذي أورده  
 ابن زبدون :

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أن أمركم من أمرنا أممٌ  
 إن كان سرركم ما قال حاسدنا فما لجزح إذا أرضاكم ألمٌ  
 ومنها قوله :

يا أعداء الناس إلا في ماملتي  
 فيك الخصام وأنت الخضم والحكم  
 أعينها نظراتٍ منك صادقة  
 أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورَم  
 وما اتضع أخى الدنيا بساظره

إذا استوت عنده الأنوار والظلم  
 ولم أورد هذه الأبيات إلا لأنها يليق بهذه الرسالة أن تدرج في أمثالها ،  
 وتنجرط في سلكها .

وما أحسنُ ما أنشدَنيهِ لنفسه إجازةُ الشيخِ الملامَّةِ شهابِ الدِّينِ  
أبو النَّشاءِ محمودِ صاحبِ ديوانِ الإنشاءِ بالشَّامِ :

قلِّ للَّذينِ رَجَونا والأُمورُ لها  
حُكْمٌ بَأنا سَنَحَقُّ أن نَرافِقَهُمُ

أوحِشْتُمونا وعزَّ الصَّبرُ بَمدَكُمُ  
يا مَنْ يَقرُّ عَلينا أن نُفارِقَهُمُ !

\* \* \*

١٠٨ - وقوله: أعيذك ونفسي أن أشيم خلباً، أو أستمطر  
جهاًما.

شام البرق، إذا زار إلى سحابته أين تمطر.  
والخلب: البرق الذي لا غيث معه كأنه خادع.  
والجهاًم: السحاب الذي لاماء فيه.

وقد بشار بن بُردٍ على خالد بن برمك وهو بفارس، فدحاه، فوعده  
ومطله، فوقف على طريقه يوماً وأخذ بلجام بقلته، وأنشد في الحال:

أطلت علينا منك يوماً سحابةً      أضاءت لنا برقاً، وأبطلت رشاشها  
فلاغفوها يجلي فيمئس طامعٌ      ولاغفيتها يهوى فيروى عطاشها  
وقال المفيرةُ بن حَبْنَاء:

أراني إذا استمطرتُ منك سحابةً      لثمطرتني عادت عجاجاً وسافياً  
وأدأيتُ دلوِي في دلاء كثيرةٍ      فأبْن ملاء غير دلوِي كاهياً  
وقال عمرو بن ميمون يكره:

لا تُهني بهد إكرامك لي      فشديد عادةً متزعةً  
لا يَكُنْ برقك برقاً خلباً      إن خير البرق ما القيث ممةً  
وما أحسن قول الحسين بن الفضل: وقد تقدم:

أنا في ذمة السحاب وأظمي! إن هذا لوصمةٌ في السحاب (١)

وقال شرف الدين بن عنين :

يا كعبة الفضل الذي ناديتُهُ  
ما كان برقك خلباً إذ شمتهُ  
بالحج أفدنى إليها محرمنا  
فلام بت وقد هي أشكو الظما

وقال أبو الطيب :

أنت الحبيب ولكني أعودُ به  
من أن أكون محبباً غير محبوب (١)

وقال ابن المعلم رحمه الله :

وانت دعوتُ فكن محبباً إنني  
بك عائدٌ من خيبة الردود

وقال السراج الوراق - ومن خطة نقلتُ :

مضى الناس الذين عهدتُ قديماً  
فلا يخلبك بشرٌ من وجوه  
وقديماً قيل إنَّ الدهر قلبٌ  
فكم برق برؤفك وهو خلبٌ

وقال ابن خيوس :

راموا المودات من أعدى عدائهم  
وفارقوا عارضاً عمت مواطره  
وذلك رأى إلى غير الصواب صياً (٢)  
ويتموالمع برقي طاملاً كذباً  
يبغى سبخاً يرجى الفيت والمُسبأ  
كطارِدِ إبله والأرض مُحصبةٌ

\*\*\*

١٠٩ - وقوله : وأكرم غير مكرم ، وأشكوشكوى الجريح  
إلى العقبان والرحم .

هذا عجز بيت لأبي الطيّب ، وصدره :

\* ولا تَنَكَّ إلى خلقٍ فَتَشْتَمِهِمْ \*

وهذا من قصيدته<sup>(١)</sup> التي أوَّلها :

حَتَّامَ نَحْنُ نَسَارَى النَّجْمِ فِي الظُّلَمِ      وما سُرَّاءُ على ساقٍ ولا قَدَمِ .

قال أبو الطيّب هذه القصيدة عند قدومه من بغداد إلى الكوفة ،  
ويذكر مسيره من مصر إلى العراق . وقبل البيت الذي أورد عجزه  
ابن زيدون :

هَوَّنَ على مَنظَرٍ ماشقٍ مَنظَرُهُ      فإنما يَمَطَّاتُ التَّيْنُ كالحُلَمِ .

وبمـده :

وكنْ على حذرٍ للناسِ تَسْتُرُهُ      ولا يَفْرَكُ منهمُ نَفْرُ مُبْتَدِمِ .

غاض الوفاة فما تلتاه في أحدٍ      وأعوذ الصّدق في الأخبار والقسمِ

وقوله : « وأكرم غير مكرم » هو مأخوذ من قول زهير بن أبي سلمى :

ومن يَفْتَرِبْ يَغْضِبْ عَدُوًّا صَدِيقُهُ      ومن لا يَكْرِمُ نَفْسَهُ لا يُكْرِمُ .

وهذا البيت من قصيدته المأمة<sup>(٢)</sup> ، وأوَّلها :

أَمِنْ أُمَّ أَوْ فِي دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ      بحومانة الدّراجِ فَلَئِمْتَلِّمْ

(٢) ديوانه ١ : ٤ - ٣٢ .

(١) ديوانه ٤ : ٥٥١ - ١٦٣ .

وفي هذه القصيدة أبيات حكم، وهي :

ومن لم يُصانع في أمورٍ كثيرةٍ      يُضرسن بأنيابٍ وُوطاً بِمَنَسَمِـ  
 ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلُ بفضلهِ      على قومِهِ يُسقمَنَ عنه وَيُدَمَمِـ  
 ومن يجعلُ المعروفَ من دونِ عِرضِهِ      يَفِرُهُ ومن لا يَتَّقِ الشُّنَمَ يُشْتَمِـ  
 ومن لمْ لا يَبدُذْ عن حوضِهِ بِسِلاحِهِ      يهدمُ ، ومن لا يظلمُ النَّاسَ يظلمُ  
 ومن هابَ أسبابَ المَنَيا يفلتهُ      ولو رامَ أسبابَ السَّماءِ بِسُلْمِـ  
 ومن يَمصُّ أطرافَ الزَّجاجِ فَإِنَّهُ      يُطِيعُ العِوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْدَمِـ  
 ومن يُوفِّ لا يَدَمَمُ ومن يُفَضِّ قلبَهُ      إلى مُطمئنِّ الِبرِّ لا يَتَجَمَّعُ بِهِـ

ومن يفترب بحسب عدوا صديقه . . . . البيت ، وبمده :

ومَهَمَّاتِ كُنْ عِنْدَ أَمْرِيهِ مِنْ خَلِيقَةٍ      وَإِنْ خَلَطًا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ  
 ومن لا يَزَلْ يَسْتَجِملُ النَّاسَ نَفْسَهُ      وَلَمْ يُفْنِها يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يُسَامُ

هذا الذي ظهر لي من قول ابن زيدون ، ويحتمل أنه أراد : كدمت  
 غيرَ مَكْدَمِ . الكدَمُ : العَضُّ ، والمكدم موضع العَضِّ ؛ يضرب لمن يطلب  
 شيئاً في غيرِ مطلبِهِ .

\* \* \*

١١٠ - وقولُهُ : فإِ أَبَسَّتْ بِكَ إِلاَّ لِتَدِرَّ ، وحرَّكتُ لك

الحِوَارِ إِلاَّ لِتَحْنِ

الإبساس عند الحلب أن تقول للناقة الحلوب : «سِسْ سِسْ» وهو صوت  
 الراعي يسكن به الناقة عند الحلب . وفاقَةُ بَسُوسٍ ، إذا كانت لا تَدِرُّ  
 على الإبساس .

وقال أبو عبيدة: بَسَّتْ الإِبِلُ وَأَبْتَسَتْ ، لُفْتَان . وفي المثل :  
 الإِبْناسُ قَبْلَ الإِبْناسِ . الإِبْناسُ مِنَ الأُنسِ وَهُوَ ضِدُّ الوَحْشَةِ ، وَالإِبْناسُ  
 الرِّفْقُ بِالنَّفَاقَةِ عِنْدَ الحَلْبِ ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ : بَسَّ بَسٌّ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :  
 وَلَقَدْ رَفُتُ فَمَا حَظِيَتْ بِطَائِلٍ لَا يَنْفَعُ الإِبْناسُ بِالِإِبْناسِ  
 تَدِرُّ ، فِعْلٌ مُضَارِعٌ ، مِنْ دَرَّ اللَّبَنُ يُدِرُّ .

والحوار : وَوَلَدَ النِّفَاقَةَ ، وَفِي المَثَلِ «حَرَكْ لَهَا حُورًا تَحْنُ» (١) ، وَلَا يَزَالُ  
 الحُورُ حُورًا حَتَّى يَفْضَلَ عَنْ أُمَّةٍ ، فَهُوَ فَصِيلٌ . وَهَذَا المَثَلُ قَالَهُ عَمْرُو بْنُ  
 العَاصِ لِمَاوِيَةَ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَسْتَبْصِرَ بِأَهْلِ الشَّامِ . وَمَعْنَى المَثَلِ : ذَكَرَهُ  
 بَعْضُ أَشْجَانِهِ يَهْبِجُ لَهَا ، وَقَالَ الحُطَيْئَةُ :

لَقَدْ مَرَّ بِكُمْ لَوْ أَنَّ دِرَّكُمْ      يَوْمًا يَجِيءُ لَهَا مَسْحِي وَإِسَامِي (٢)  
 لِمَا بَدَأَ مِنْكُمْ عَيْبُ أَنْفِكُمْ      وَلَمْ يَكُنْ لِجِرَاحِي مِنْكُمْ آسِ  
 أَرَمَّتْ بِأَسَا مَرِيحًا مِنْ نَوَالِكُمْ      وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالهَامِيسِ  
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي الفَتْحِ البُسْتِيِّ :

قَالَتْ وَقَدْ رَأَوْتَهَا عَنْ قَبْلِي      تَشْفِي بِهَا قَلْبًا كَثِيرًا مُفْرَمًا  
 قَدَّمَ يَدًا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْنِي يَدًا      وَمِبرَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْنِي قَدَمًا

\*\*\*

(١) المبدئي ١: ١٩١

(٢) ديوانه ٥٢

١١١ - وقوله: وما نَهَيْتُكَ إِلَّا لِأَنَّا مَ ، وما سَرَبْتُ لَكَ إِلَّا لِأَحَدِ السَّرَى إِلَيْكَ .

هذا فيه إشارة إلى المثل السائر ، وهو : « نَبَّهَ لَهَا عُمَرَا ثُمَّ نَمَّ » .

وقال بشار بن بُرْد في أبي عمرو العلاء :

إِذَا أَيْقَظْتِكَ حُرُوبُ الصِّدَا فَنَبَّهَ لَهَا عُمَرَا ثُمَّ نَمَّ  
فَتَى لَا يَنْصَامُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمِّ

وقال شرف الدين مستوفي إربيل :

إِذَا أَيْقَظْتِكَ صِحَابُ الْأُمُورِ فَنَبَّهَ عَلَيَّهَا لَهَا عُمَرَا  
وَنَادَى بِهِ مُسْتَهْبِئًا يُجْبِكُ فَتَى عَزَمَهُ كَالْيَمَانِيِّ الذَّاكِرِ

وما أحسن قول ابن قلافس :

وَوَزِيرٍ تَمَلَّكَ غَدَاً وَزَرَاً لَهَا وَسِوَاهُ وَزَرَاً  
يَقْظَانُ إِنْ نَهَيْتَهُ عُمَرَا ، أَوْ اسْتَنْجَدَتْ عُمَرَا

ونقلت من خط السراج الوراق :

سُيُوفٌ لَهَا نَاطِرٌ نَامَ عَنْ حَـدِيثِي وَأَيْقَظِي لِلْأَلَمِ  
كَانَ ابْنُ بُرْدَ لَهُ قَائِلٌ فَتَى لَهَا عُمَرَا ثُمَّ نَمَّ

وقال ابن قلافس أيضاً :

وَإِخْدَامٌ بِتَقْبِيلِ الْبِسَاطِ لِمَنْ بَاتَ الزَّمَانُ لَهُ مِنَ الْخِدْمِ  
وَاعْرَضَ عَلَيْهِ حَالِ خَادِمِهِ سَرًّا وَنَبَّهَهُ لَهَا وَنَمَّ

وعكسه فقال :

فَمَا اسْتَجَارَتْ بِمَمْرٍ وَحَالِ مِظْلَمَةٍ بَلْ حِينَ جَاءَتْكَ سَمَى صَادَفَتْ عُمَرَا

وما أحسن قول مجير الدين بن تميم :



يَطالِباً حَاجَةً قَدْ عَزَّ مَطْلَبُهَا      وَفعلَهَا فِي مَبَادِي نَجْحِهَا عَسِيرٌ  
نَبَّهَ عَلَيْهَا أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ قَضَيْتَ      وَمَا عَلَيْكَ إِذَا لَمْ يَنْقَمِبِهِ عُمَرُ

وقول ابن شمس الخليفة بمدح العزيز عثمان :

صَبْرٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ وَلَمْ أَرْزَلْ  
عَلَيْهِ أَخَا صَبْرٍ وَمِثْلِي مَنْ صَبَرَ  
وَبَهَتْ عَمَانًا لَدَفَعَ خَطُوبَهُ      وَأَعْرَضَتْ عَنْ قَالِ نَبَّهَ لَهَا عُمَرُ  
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

لَا أُسْتَرِّدُكَ تَمَّاضِكَ مِنْ كَرَمٍ      أَنَا الَّذِي نَامَ مَذْنَبَتْهُ بِقَطَانَا<sup>(١)</sup>  
فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهِيَتُ السِّكْرَامَ بِهِ      وَرَدَّ سَخَطِي عَلَى الْأَيَّامِ رِضْوَانَا  
وَكَتَبَ الرَّشِيدُ الْفَارِقِيُّ إِلَى الصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ :

وَقَائِلٍ قَالَ لِي نَبَّهَ لَهَا عُمَرَا      فَقُلْتُ : إِنَّ عَالِيَا قَدْ نَدَّبَهُ لِي  
مَالِي إِذَا كُنْتُ مُحْتَاجًا إِلَى عُمَرٍ      فِي حَاجَةٍ فَلَيْنَمُ حَسْبِي أَنْبِتَاهُ عَلَيَّ  
وَقَالَ الشَّاطِطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ أَبِي ثَوْبٍ بِحَطِّهِ ، مِنْ إِمْلَاهِ  
الْقَاضِي الْفَاضِلِ عَلَيْهِ ، كِتَابًا إِلَى أَخِيهِ لِلَّكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ :

عَظِيمَةٌ قِيلَ لِي نَبَّهَ لَهَا عُمَرَا      فَقُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ نَدَّبَهُ لِي  
زَمَانًا عُمَرَى الْفَتْحِ لَا سِيمَا      وَالِدِّينِ مِنْ سَيِّفِهِ قَدْ هَزَّ سَيْفَ عَلَيَّ  
وَقَالَ الْخَفَاحِيُّ :

سَلَّتْ مِنْهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ مَرَهَقَةٌ      لِمَشْلُومٍ كُنْتُ تَقْنَاهَا وَتَدَخَّرُ<sup>(٢)</sup>  
يَقْظَانُ مَا عَلِقَتْ بِالنَّوْمِ مَقْلَتُهُ      وَلَا تَدْبِيهِ فِي حَرْبِ الْعِدَا عُمَرُ

(١) ديوانه ٤ : ٢٣٠ . (٢) ديوانه ٤٥ .

وقال شيخُ الشيوخ :

لولا تلافى الظنِّفِ أن يسرا      سَلَّتْ من جَفْنِي غرَارَ الكَرَى  
لكنني أُمَلْتُ من زَوْرَةٍ      تَجْفِيْفَ أَجْفَانِي إنْ زَوْرَا  
لولا سُرى طَيْفِكُمْ لم أكنُ      أَحَدُ من قِبَلِ الصَّبَاحِ الشُّرَى

وَأُنشِدُنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً شَيْخُنَا الإِمَامِ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو التَّنَاهِ مُحَمَّدٌ :  
وَلَقَدْ حَدَّثْتُ بِبَابِهِ صُبْحَ الشُّرَى      فَقَدَا وِراءَ الشُّوقِ وَهُوَ إِمَامٌ  
وَحَلَلْتُ عَنْ أَنْصَاءِ عَزْمِي عِنْدَهُ      فَظَهَرَ رَهْنًا عَلَى الرَّجَالِ حَرَامٌ

وقوله : « وما سرَّيتُ لك لأحمد الشُّرى لَدَيْكَ » .

هذا مثلُ أصله من قول خالد بن الوليد رضي الله عنه ، لما بعث إليه أبو بكر رضي الله عنه ، وهو باليمامة أن سر إلى العراق فأراد سُلوكَ المفازة . فقال له رافع الطائي : قد سَدَّ كُنُفُهَا في الجاهليَّة ، هي خَمْسٌ للإبل الوارِدة ، ولا أَطْنُكَ تَقْدِيرُ عَلَيْهَا إلا أن تَحْمِلَ من الماء . فَأَشْتَرِي مائَةَ شَارِفٍ فَمَقَطُشُهَا ، ثُمَّ سَقَاهَا المَاءَ حَتَّى رَوَيْتُ ، ثُمَّ كَبَيْتُهَا وَكَمَّمْتُ أَفْوَاهُهَا ، ثُمَّ سَلَّكَ المَفَازَةَ ، حَتَّى إِذَا مَضَى يَوْمَانِ وَخَافَ المَقَطُشَ عَلَى النَّاسِ وَالخَيْلِ نَحَرَ الإِبِلَ ، وَأَسْتَخْرِجَ المَاءَ مِمَّا فِي بَطُونِهَا فَشَرَبُوا ، وَمَضَى . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ قَالَ رَافِعٌ : انظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ سِدْرًا عَظَمًا ، فَإِنْ رَأَيْتُمُوهَا وَإِلَّا فَهِيَ المَلَاكُ ، فَانظُرُوا النَّاسَ ، فَرَأَوْا السِّدْرَ ، فَأَخْبَرُوهُ ، فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ ، ثُمَّ هَجَمُوا عَلَى المَاءِ ، قَالَ خَالِدٌ :

لِلَّهِ دَرٌّ رَافِعٌ أَنِّي أَهْتَدِي      فَوَزَّ من قُرَاقِرٍ إِلَى سُورَى  
خِيسًا إِذَا سَارَ بِهِ الجَيْشُ بِكِي      مَا سَارَهَا من قَبْلِهِ إِنْ سَ بَرَى  
عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَوْمُ الشُّرَى      وَتَنْجَلِي عَنْهُمْ غِيَابَاتُ الكَرَى

وقال ابن قلايس :

حَدَّثَ الشَّرِيَّ مِنْ كَثْرَةِ وَجْهِ صَبَاحِهِ      مِنْ جَمْدِ ذِمِّ غَدُوِّهِ وَرَوَاحِهِ  
وَرَأَى النَّجَاحَ مُؤَمَّلًا الْخَفْتَهُ      مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ فَيْكَ ظَلَّ جَبَّاحِهِ

وما أحسن ما استعمل القاضى الفاضل هذا المثل :

رَكِبْنَا رِيَّاحًا مِنْ كَرَامِ خَيْلِهِ      نَوْمٌ سَحَابًا مِنْ سَمَاءِ سَمَاحِهِ  
قُلْ لِلْيَالِيِ الْخَطْبِ : طُولِي أَوْ أَفْصَرِي  
فَاتَا عَلَى طُولِ الشَّرِيِّ مِنْ صَبَاحِهِ

وقال ابن قلايس :

وإلى أحمدٍ حَدَّثْتُ الشَّرِيَّ      حِينَ طَارَ حَتُّ الصَّبَا وَالشَّمَالِ  
أَبَتْ الْأَمَالُ مِنْهُ رَاحَةً      تُبْفِضُ الرِّيثَ وَتَهْوِي الْمَجَالِ

وخالف الفاس ابن سناء الملك فقال :

أَنْتُ نَارَ الْخَلْدِ لَا نَارَ الْفِرَى

وَحَدَّثْتُ صُبْحَ النَّعْرِ لِأَصْبَحِ الشَّرِيِّ

\*\*\*

١١٢ - وقوله : وَإِنَّكَ مَتَى سَنَيْتَ عَقْدَ أَمْرِي تَيْسَّرُ ، ومتى

أعذرت في فك أسري لم تتعذر .

سَنَيْتَ بمعنى سَهَّلْتَ ، وَأَعْدَرْتُ بمعنى بَالَفْتُ فِي طَلَبِ الْمَذْرُ . لم تتعذر :

لم يكن فيه عُذْرٌ ، أى لا عُسُوبَةٌ .

وأصلُ قوله : « سَنَيْتَ عَقْدَ أَمْرِي » قولُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ :

فَبِاللَّهِ نِيَّ إِنَّ عَزَّ مَا تَبْتَنِي وَقُلْ      إِذَا اللَّهُ سَنَى عَقْدَ أَمْرٍ تَيْسَّرَا

على أن هذا التَّجْزُؤَ وَوَقَعَ فِي كَلَامِ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَعْنَى قَوْلَهُ :  
 « إِذَا اللَّهُ سَتَى عَقْدَ أَمْرٍ تَبَيَّرَ » . وَأَخَذَهُ مُحَمَّدُ بْنُ شَرَفِ الدِّينِ  
 الْقَمِيرَوَانِيُّ فَقَالَ :

لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ أَمْرٍ تَصَعَّبُهُ فَاللَّهُ قَدْ يُعَقِّبُ التَّصَعِّبَ نَسْهِيلاً  
 كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونُ سَتَى الرَّأْيِ فِي الْحَسَنِ <sup>(١)</sup> انْتِخَالِمْ لِنَادَاتِهِ لِحَمْدِ  
 الْخُلُوعِ ، وَاخْتِصَاصِهِ بِهِ ، فَأَخَذَتْ لِدَكَ لِحَالِهِ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرٍو بْنِ مَسْعُودَةَ  
 حَالٌ ، فَكَتَبَ الْحَسَنِ إِلَى عَمْرٍو <sup>(٢)</sup> :

أَنْتَ طَوْدِي مِنْ بَيْنِ هَذِي الْهَضَابِ

وَشِهَابِي مِنْ دُونَ كُلِّ شِهَابِ  
 أَنْتَ رُكْنِي وَسَاعِدِي وَحِمَايِ  
 وَأَسَانِي وَأَنْتَ ظَفْرِي وَأَبِي  
 أَنْرَانِي أَنْسَى حُمُوقَ أَيَادِي  
 لَكَ وَرُوحِي مِنْ بَعْضِهَا وَرِيَايِ  
 أَيْنَ عَطْفِ الْقَرِيبِ فِي بَلَدِ الْفُرِّ  
 بَدِّ جُوداً عَلَى ذَوِي الْأَدَابِ !  
 أَيْنَ أَخْلَاقِكَ الطَّرِيفَةَ حَالَاتِ  
 عَنْكَ ، أَمْ أَيْنَ رِقَّةِ الْكُتَابِ  
 أَنَا فِي ذِمَّةِ السَّحَابِ وَأَطْلِي  
 إِنْ هَذَا لَوْصِمَةٌ فِي السَّحَابِ  
 حُرْمَةً سَمَقَهَا السَّمَاءُ وَدَارَ  
 حُلُوةِ الْأَرْضِ مِرَّةً الْأَرْبَابِ  
 أَنَا فِيهَا عَبْدٌ أَرْمَلٌ وَلَوْ شَدَّ  
 تُمْ لَسَكَانِ الزَّمَانِ عَبْدَ رِكَابِي  
 وَقَالَ عُمَارَةُ الْيَمَنِيُّ :

أَنْتَ الزَّمَانُ فَمَنْ تَرَفَعَهُ يَبُلُ وَمَنْ  
 تَخَفَضَ مِنَ النَّاسِ لَمْ يُرْفَعْ لَهُ عِلْمٌ  
 وَمَنْ تَفَاقَلَتْ عَنْهُ فَهُوَ مُطْرَحٌ  
 وَمَنْ نَظَرَتْ إِلَيْهِ فَهُوَ مُخْتَشِمٌ

وَقَالَ ابْنُ الْمَعْلَمِ :

فَمَا ضَاقَ صَدْرِي بَاتٍ يَرْجُوكَ قَلْبُهُ

وَلَا رَاعٍ مِنْ أَضْحَيْتِ بَهْمِيَّتِهِ الدَّهْرُ

(١) ط : ه الحسن ه تحريف ، وهو الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع .

(٢) ديوانه ٢٧ .

وقال راويه العتابي :

وفي راحتَيْكَ النَّدَى والرَّدَى وكلتاها وَوَعُ مُخْتَارِهَا  
وأفضِيَّةُ اللهِ حَتْمُومَةٌ وأنتَ مِنْقَدُ أُنْدَارِهَا

وبالغ أبو العملاء إذ قال :

ولو أنَّ الرِّيحَ تَهَبَ غَرْبًا وقلتَ لها هَلَا هَبْتَ شَمَالًا<sup>(١)</sup>  
وأقسِمَ لو غَضِبْتَ على نَبِيرٍ لأزَمِعَ عن مَحَلَّتِهِ أُنْتِقَالًا  
وأنتَ لو تَمَلَّقْتَ الرِّزَايَا بِنِعْمِكَ ما قَطَعْنَ لها قِبَالًا  
ومُرٌّ بفرافقِ شيمتها اللَّيالي تُجِيبُكَ إلى إرادتك أُمْتِنَالًا

وبالغ أيضا في وصف ممدوحه فقال :

لَشَرَّفْتَ الْمَسائِيَّ والقَوافي بِلَفْظِكَ والأخلةَ وَأَنْتَ لِيْلًا<sup>(٢)</sup>  
إذا المَهْوُوكُ فُهِنَتْ به انتصارًا له من غيره فَضَلَ الطَّوِيلَا

قلتُ : لأنَّ المَهْوُوكَ أَفْصَرَ الشَّمْرِ ، والطَّوِيلَ أَطْوَلُهُ ، إذ المَهْوُوكُ  
إذا سلم من الزَّحافِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَرْفاً ، لأنَّهُ مُرَكَّبٌ من « مُسْتَقْمِلين  
مستفمِلين » مرتين ، قال :

\* يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ \*

فإذا لَحِقَهُ الخَبْلُ ، وهو أَجْتَمَعَ الخَبْنُ وَالطَّوِيلُ كان على عَشْرَةِ  
أحرفٍ ، كقولهِ :

\* أَغْضِبُوا فِرْحَلُوا \*

وأما الطَّوِيلُ فإذا سَلِمَ من الزَّحافِ ، وكان مَصْرُوعًا ولاءةً ، كانت

(٧) سقط الزند ١٣٩٤ .

(١) سقط الزند ٩٣ .

حروفه ثمانية وأربعين ، لأنه مركب من أربعة أجزاء خماسية ، وهي : فمُولن  
أربع مرّات ، وأربعة أجزاء سباعية ، وهي مفاعيلن أربع مرّات ، كقول  
أمرئ القيس بن حجر :

فَمَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ  
بِسْقَطِ الْأَوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوَّ مَلٍ (١)

\* \* \*

١١٣ - وقوله : وَعَلِمَكَ مُحِيطٌ بِأَنَّ المَعْرُوفَ عَمْرَةٌ النَّمِيَّةُ ،  
والشَّفَاعَةُ زَكَاةُ المَرْوَةِ .

المعروفُ ضدُّ المنكر ، وهو اسمٌ جامعٌ لكلِّ خير .

ومن كلام الحكمة : يَبْدُلُ الجَاهِ أَحَدُ المَالَيْنِ ، وَشَفَاعَةُ اللّٰسَانِ أَفْضَلُ  
زَكَاةِ الْإِنْسَانِ . وَيَبْدُلُ الجَاهِ رِفْدَ المُسْتَعِينِ ، وَالشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ ،  
وَالشَّفَاعَةُ أَمْرٌ مَدْبُوبٌ إِلَيْهِ ، نَطَقَ القُرْآنُ بِذَلِكَ ، وَجَاءَتْ عَلَيْهِ الشُّنَّةُ ،  
قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ  
شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ﴾ (٢) .

وعن أبي موسى الأشعري قال : كَانَ اللّٰهِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَنَاهُ  
طَالِبٌ حَاجِدٌ أَقْبَلَ عَلَى جُاسَاتِهِ ، فَقَالَ : « اشْفَمُوا نُؤْجِرُوا وَيَقْضِي اللهُ عَلَيَّ  
لِسَانِ نَبِيِّي مَا أَحَبَّ » ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي رِوَايَةٍ : « مَا شَاءَ » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بُرَيْرَةَ وزوجها ، قال : قال  
 لها النبي صلى الله عليه وسلم : لو راجعتيه ! فقالت : يا رسول الله ، تأمرني ؟  
 قال : إنما أشفع ، قالت : لاجابة لي فيه .

وفي هذه الآية الكريمة سؤال ، وهو : ما الحكمة في قوله : « في  
 الشفاعة الحسنة نصيب » ، وفي الشفاعة السيئة كيف منها » فالجواب : أن  
 النصيب الحظ ، والكيف مشق من قولك : كفلت البعير إذا رددت على  
 سنامه كساء ، وركبت عليه ، فأنت تستعمل جانبا من ظهره لأدك تحمي  
 سنام البعير بالكساء الذي وضعته عليه من الآفة دون باقي ظهره ، ويحمي  
 الراكب بدنه بذلك ، ومنه قيل للضامن : كفيل ؛ لأنه يعتمد عليه ، فكأن  
 الكفيل ذخيره التي يعتمد عليها ، فجاء الكفيل في الشفاعة السيئة بهذا  
 اللفظ ؛ لأن الشافع قد أذخر ما يعتمد عليه في يوم القيامة . وهذا الكلام قد  
 خرج مخرج التهمك ، كقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١) .

والمقصود أن الشفاعة الحسنة لا شافع منها نصيب ، وشفاعة السيئة عقابها  
 عظيم ، ووزرها كبير ، فهي مُغلظة الأمر بخلاف غيرها .

وقوله : المعروف ثمرة النعمة ؛ يشير إلى قول الخفاجي رحمه الله :

فدى لمن لا يزال نائله تخلف جودا سحاب الدائم (٢)  
 يمنح حتى تدوم نعمته إن العطايا تمام النعم .

وأما الشفاعة فحكي أن عبد الله بن خازجة أمتدح عبد الملك بن مروان

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وعشرة تخوت من الثياب وعشر قلائص  
من الإبل ، وأوقفه ألف جريب ، وقال له : امض إلى زيد الكاتب يكتب  
لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عائلاً ، فأتى زيدا فقال : ائني غداً ، فتردد إليه ،  
وكتب له شعراً ، فأفاده شيئاً ، فأتى سفيان بن الأبرد الكلابي ، فكلّمه  
سفيان ، فأبطأ عليه ، فعاد إلى سفيان وقال له :

إذا بدأت أبا يحيى فأنت لها      ولا تسكن حين هاب الناس هيباً  
واشفع فإنك أنف لم تسكن ذنباً      فإن من شفعا الناس أذنباً

فأتى سفيان إلى زيد الكاتب ، ولم يفارقه حتى قصى شمله . وقضية  
الفرزدق والنوار أمر أنه حين قال :

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم      وشفعت بنت منظور بن زبانا<sup>(١)</sup>  
ابن الشفيع الذي يأتيك مؤزرًا      مثل الشفيع الذي يأتيك عزياناً  
مشهورة فلا فائدة في ذكرها .

وقال قيس :

ونبتت ليلى أرسلت بشفاعتي      إلى ، قهلاً نفس ليلى شفيعها<sup>(٢)</sup>  
أأكرم من ليلى علي فتبعتني      به الجاه ، أم كنت أمراً لأطيعها  
وقال شرف الدين بن عنين :

ومن عجب الأشياء أن شفاعتني      تُرجى لمن في وجهه ألف شافع-  
لأبجح عسال التذني مهذب ال      خلائقي معسول الدنيا مطاوع



يروم شفيماً من سواه جهالة  
وقال ابن القيسراني رحمه الله تعالى :

ومستشفع بي إلى من يحبه  
فكنت شفيماً له في الهوى  
وما أظرف قول دِعْبِلِ الخزاعي :

جئنا به يشفع في حاجة  
وما أظرف قول القائل :

خَرَجُوا لِيَسْتَشْفُوا وَقَدْ نَشَأَتْ  
حَتَّى إِذَا أَصْطَفُوا لِدَعْوَتِهِمْ  
كَشِفَ السَّحَابُ إِجَابَةً لَهُمْ  
وقال القاضي أبو علي القنوجي :

وقد كاد هُذِبُ العَيْمِ أَنْ يَلْحَقَ الْأَرْضَا  
فَلَمَّا بَدَأَ يَدْعُو تَكَشَّفَتِ السَّمَاءُ  
فَأَتَمَّ إِلَّا وَالْعَامُ قَدْ انْقَضَا

ومن رسالة للاحافظ مما أتى فيها بالحكمة قوله : فكن شفيماً إلى أذنك  
حتى تسمعها ، وشفيع أذنك إلى قلبك حتى يضمها ، وشفيع قلبك إلى نفسك  
حتى تعمل بها .

حكى بعضهم قال : جئت يوماً ، فقلت : أذهب إلى صديق فلان ، فأتفدى  
عنده ، فلما أتيت إلى داره وجدت أبنه ، فقلت له : أين أبوك ؟ فقال :  
أعطيني كسيرة حتى أقول لك أين هو ؟  
وعلى ذكر الشفاعة ، فما أحسن قول الأرجاني يمدح الأستريد بالله العباسي :

أبى شنيع القطرِ صنو أبى شفيه  
 من أهل بيت شفاعتين أعدتا  
 للناس يستحسنون قول القائل :

وإذا المليحُ أتى بذنبٍ واحدٍ  
 وجاءت بحاسنه بألفِ شفيحٍ  
 وهذا إذا أُعْتَبِرَ وَجِدَ ذَمًّا ؛ لأنَّ مَلِيحًا يَأْتِي بِذَنْبٍ وَاحِدٍ وَيَحْتَاجُ فِي  
 الْعَفْوِ عَنِ ذَلِكَ الذَّنْبِ إِلَى أَلْفِ شَفِيحٍ ، لَيْسَ بِمَدِيحٍ طَائِلٍ ، وَالْمَدْحُ الْوَاقِي أَنْ  
 يَكُونَ الْمَلِيحُ إِذَا جَاءَ بِأَلْفِ ذَنْبٍ جَاءَ شَافِعٌ وَاحِدٌ مِنْ حَسَنِهِ ، فَمَجْمَعًا تِلْكَ  
 الذُّنُوبَ الْمَتَمَدِّدَةَ ، وَالْأَصْلُ فِي هَذَا كَلِمَةُ قَوْلِ الْحَاكِمِ بْنِ قَنَبَرٍ :

مستقبل بالذي يهوى وإن كثرت  
 منه الذنوب ومعدور بما صنعنا  
 في وجهه شافعٌ يمتحو إساءته  
 إلى القلوب وجيهٌ حيثما شفعنا  
 وأبو فراس بن حمدان كان أحذق وأعرف بالفزل ، فقال :

أساء فزادته الإساءة حُطُوءَةً  
 حبيبٌ على ما كان منه ، حبيبٌ (١)  
 تَمَدَّدَ عَلَى الْوَاشِيَاتِ ذُنُوبَهُ  
 وَمَنْ أَبْنَى لِلْوَجْهِ الْمَلِيحِ ذُنُوبًا  
 وَقَالَ ابْنُ الْحَجَّاجِ :

وكما رُمْتُ أن أقابله  
 على تماديه تيمها في تعديبه  
 جاءت على غفلة محاسنه  
 تلزمني الصّفح عن مساويه  
 وقال عتيق بن محمد الوراق التيمي المغربي :

كلما أذنب أبلدى وجهه  
 حجة فهو مليء بالحجج  
 كيف لا يفرط في إجرامه  
 من متى ماشاء من الذنب خرج  
 وقال أحمد بن أبي قنن :

أشكو إليه صنيع جنونه  
 وإذا نظرت إلى محاسنه  
 فيقول مت بأيسر الخطب  
 أخرجته عطلاً من الذنب

وقال أبو تمام :

عَفَّتْ مَحَاسِنُهُ عِنْدِي إِسَاءَتَهُ

حَقِّي لَقَدْ حَسَنْتُ عِنْدِي مَسَاوِيَهُ (١)

وقال آخر :

لِي حَيْبٌ كَالطُّيِّبِ غَيْرٌ وَلَكِنْ      بِمَذَابِي فِي الْحُبِّ مَا أَغْرَاهُ  
وَإِذَا كَرَّرَ الذَّنُوبَ فَيَكْفِيهِ      أَعْتَادَاراً عَمَّا جَنَى ، أَنْ أَرَاهُ  
وقال ابن المعتز :

وَمُسْتَبْصِرٌ فِي الْمُنْذِرِ مُسْتَعْجِلُ الْقَلْبِ

بميدٍ من الثمبي قريب من الحجر (١)

له شافعٌ في القلب مع كل زلة      وليس محتاج الذنوب إلى المنذر  
ولما وقع ابن عمار في قبضة المعتد بن عباد ، وقد سجن بشقورة ، كتب  
أبن عمار إلى المأمون بن المعتد يسأله الشفاعة فيه عند أبيه بقصيدة أولها :

هَلَا سَأَلْتَ شَفَاعَةَ الْمَأْمُونِ      أَوْ قَلْتَ مَا فِي نَفْسِهِ يَكْفِينِي

مَا ضَرَّ لَوْ نَبَهْتَهُ بِحَقِيَّةٍ      يَسْرِي النَّسِيمُ بِهَا عَلَى دَارِينِ

مَالِي أَنْبَى نَاطِرًا لَمْ يَمْفُ عَنْ      حَظِّيهِ مِنْ دُنْيَا وَلَا مِنْ دِينِ

بِيَدِي مِنَ الْمَأْمُونِ أَوْ تَقُ عِصْمَةَ      لَوْ كَانَ أَمْرِي فِي يَدِ الْمَأْمُونِ

أَمْرِي إِلَى مَوْلَى إِلَيْهِ أَمْرُهُ      وَكَفَاكَ مِنْ فَوْقِ كِفَاكَ وَدُونِ

حَيْثُ اسْتَوَى الْخُلُصَانُ وَالنَّمِيَا

عِزُّ النَّبِيِّ بِذِلَّةِ الْمَسْكِينِ

ومنها :

ومنها يا فتوح جردّها عناية فارس بطل على حرب الوليّ أمين  
 متقدّم من جدّه بسكنية مستظهور من لفظ بكين  
 وأقرن شفاعتك الكريمة عنده بتواضع من عزّه أو هون  
 في سكتة من هيبية وسكنية ونصيحة من رحمة وحنين

\* \* \*

١١٤ - وقوله : وَفَضَلَ الْجَاهَ تَمُودُ بِهِ صَدَقَهُ .

وَإِذَا امْرَأُؤُاْ أَهْدَىٰ إِلَيْكَ صَنِيمَةً  
 مِنْ جَاهِهِ فَكَاثِبًا مِنْ مَالِهِ  
 الفضل هنا : ما يزيد من قدر الحاجة .

والجاهُ : القدر والمنزلة وما يكون به الإنسان وجيها . وتمود به :  
 تعطف وتنعم .

وما أحسن قول سراج الدين عمر بن محمد الوراق المصري ، نقلته من خطه :

مَرَضْتُ .. لِيَوْمٍ قَدِ قَامَ مَا فِيهِمْ مَن جَفَانِي  
 عَادُوا وَعَادُوا وَعَادُوا طَىٰ أَخْتَلَفَ الْأَمَانِي

الأوّل من عيادة المريض ، والثاني من التمود ، وهو الرجوع ، والثالث  
 من مادة هذا القول .

وفي الأدعية المأثورة : اللَّهُمَّ عُدْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِكَ .

قال أبو عبد الله بن حمدون النديم : لقد رأيتُ الملوك في مقاصيرها  
 ومجامع حفلها ، فما رأيتُ أغزَرَ أدباً من الواثق ، خرج علينا ذات يوم وهو  
 يقول : له مري لقد عرض عرضه من عرضه ، لِقَوْلِ الْخِزَاعِيِّ - بِمَعْنَى دِعْبَلَا :

خَلِيٍّ مَاذَا أُرْتَجِي مِنْ هَـ — وَى امْرِئٍ

طَوَى الكَشْحَ عَنى اليَوْمَ وَهُوَ مَكِينٌ (١)

وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ ضَنَّ عَنى بِمَنْطِقِ

يَسُدُّ بِهِ مِنْ خَلْتِي لَضْفِينُ

فانبرى أحمد بن أبي دؤاد يسأله — كأنما أنشط من عقال — فى رجل من أهل اليمامة ، وأطنب وأسهب ، وذهب به القول كل مذهب ، فقال الوائق : يا أبا عبد الله ، لقد أكرت فى غير كثير ولا طيب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه صديقى :

وَأَهْوَنُ مَا يُعْصَى الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ مِنْ الْهَيْبِ الْمَوْجُودِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

فقال : وما قدر اليمامى أن يكون صديقك ! وإنما أحسبه أن يكون من عرض معارفك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه شمرنى بالأستشفاع إليك ، وجعلنى بمرأى ومسمع من الرد والإصغاء ، فإن لم أقم له فى هذا المقام كنت كما قال أمير المؤمنين ... وأنشد البيهقي . فقال الوائق : بالله يا محمد بن عبد الملك ، إلا ما عجات لأبى عبد الله حاجته ليسلم من هجنة المظل كما سلم من هجنة الرد ! قلت : وابن أبى دؤاد القاضى له مقامات مشهورة معروفة عند أهل العلم بأيام الناس وتراجهم ، قامها عند المتصم والوائق ، فى غير واحد ، منها خلاص أبى دلف المجلى من الأفسين وقد قدمه لضرب المنق ، ومنها : أنه لما وقع الحريق بالكرخ أستطلق لهم من الخليفة ألف ألف درهم ، إلى غير ذلك .

وقول ابن زيدون :

وَإِذَا أَمْرٌ أَسَدَىٰ إِلَيْكَ صَنِيعَةً      مِنْ جَاهِهِ فَسَكُنْهَا مِنْ مَالِهِ<sup>(١)</sup>  
 هَذَا الْبَيْتُ مِنْ جُمْلَةِ آيَاتِ كِتَابِهَا أَبُو تَمَّامِ الطَّائِيُّ لِإِسْحَاقَ بْنِ أَبِي  
 رَبِيعٍ كَانَتْ أَبِي دُلْفٍ ، أَوْلَاهَا :

إِنَّ الْأَمِيرَ بَلَاكَ فِي أَخْوَالِهِ      فَرَاكَ أَنْزَعَهُمْ غَدَاةَ نِضَالِهِ

وَقَدْ عَكَسَ الْبَيْتَ الَّذِي أَوْلَهُ : « وَإِذَا أَمْرٌ » فَقَالَ أَيْضًا :

وَإِنَّ امْرَأً ضَدَّتْ يَدَاهُ عَلَى أَمْرِي      بِذَيْلِ غِيٍّ مِنْ غَيْرِهِ لَبْخِيلِ

\* \* \*

١١٥ - وَقَوْلُهُ : كَلَّمَلِي أَنْ أُلْقِيَ عَصَائِي بِذِرَاكٍ ، وَيَسْتَقَرُّ

النَّوَى فِي ظِلِّكَ .

الذَّرَى بِالْفَتْحِ : كَمَا اسْتَقَرَّتْ بِهِ ، يُقَالُ : أَنَا فِي ظِلِّ فُلَانٍ وَذِرَاهُ ، أَيْ  
 فِي كَنَفِهِ وَسِتْرِهِ وَدِفْئِهِ .

وَالنَّوَى : الْوَجْهُ الَّذِي يَقْصِدُهُ الْمَسَافِرُ ، وَيَنْوِي بِهِ مِنْ قُرْبٍ أَوْ بُعْدٍ ، وَهِيَ  
 مَوْثِقَةٌ ، تَقُولُ : اسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى ، وَقَدْ حَلَّ فِي هَاتَيْنِ السَّجْمَتَيْنِ قَوْلُ الْمَقْرَبِ بْنِ  
 أَوْسِ بْنِ حَمَارِ الْبَارِقِيِّ ، حَلِيفِ بْنِ نَمِيرٍ :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى

كَأَنَّ قَرْنَ عَيْنِنَا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرِ<sup>(٢)</sup>

وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

وَحَلَّتْ سُلَيْمَى فِي هِضَابٍ وَأَيْكَةٍ      فَلَيْسَ عَلَيْهَا يَوْمَ ذَلِكَ قَادِرٌ

والعرب تمكنني عن الاستقرار والتكون بإلقاء العصا ، لأنَّ المسافر  
إذا ألقى عصاه عن كتفه ، فقد قرَّ قراره ، وسكنت حركته ، ولهذا قال  
أبو تمام الطائي :

كريمٌ إذا ألقى عصاهُ مخيماً

بأرضٍ فقد ألقى بها رحلهُ المجد (١)

وقال يزيد بن عبد الملك : ما يُقرِّعني ما أوتيتُ من أمر الخِلافة حتى  
أشترى سلامةَ جاريةٍ مُصعب بن سُهَيْل الزهري ، وحبابةَ جاريةِ اللاحق  
المكِّيَّة ، فاشترى بقاله ، فلما اجتمعتا عنده قال : الآن كما قال الشاعر :

فألتَّ عصاها وأستقرَّ بها النوى . . البيت .

نمَّ قال بعد ذلك : من شاء من أمر الدنيا فليلقني .

ويحكى أنه لما بُوع لأبي العباس السفاح قام خطيباً ، فسقط القضيْبُ من  
يده ، فقطَّير من ذلك ، فقام إليه رجلٌ فأخذَ القضيْبَ ومسَّحه ، ودفعه  
إليه ، وأنشد :

\* فألتَّ عصاها وأستقرَّ بها النوى . . . \*

وقيل : إنَّ قتيبة بن مسلم خطب على المنبر في خراسان أوَّل قدومه إليها  
واليًا ، فسقطت العصا من يده فقطَّير من ذلك ، فقام بعضُ الأعراب فمسَّحها  
وناوله إياها ، وقال : أيها الأمير ، ليس كما ظنَّ المدوِّ وساء الصديق ، ولكنَّه  
كما قال الشاعر :

فَأَقْتَّ عَصَاهَا وَأَسْتَهْرَبَهَا النَّوَى . . . الْبَيْت .  
فُسْرَى عَنْهُ مَا وَجَدَهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ دِرْهَم .

وَمِثْلُ هَذَا مَا حَكِي أَنْ طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ لِمَا خَرَجَ لِقِتَالِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى  
ابْنِ مَاهَانَ ، وَفِي كُتْمِهِ دَرَاهِمٌ يُفَرِّقُهَا عَلَى الضُّعْفَاءِ ، فَسَهَا أَنَهَا فِي كُتْمِهِ ، فَأَسْبَلَ  
كُتْمَهُ ، فَتَبَدَّدَتِ الدَّرَاهِمُ ، فَتَطَيَّرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَنْشَدَ شَاعِرٌ كَانَ مِمَّه :

هَذَا تَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ لَا غَيْرَهُ      وَذَهَابَهَا مِنْهُ ذَهَابُ الْهَيْمِ  
شَيْءٌ يَكُونُ الْهَيْمُ نِصْفَ حُرُوفِهِ      لَا خَيْرَ فِي إِسْكَانِهِ فِي الْكُتْمِ  
وَدَخَلَ أَبُو الشَّهْمَثِ عَلَى خَالِدِ بْنِ مَرْزُوقِ الشَّيْبَانِيِّ ، وَقَدْ قَلَدَهُ الْأَمُونُ  
الْمَوْصِلَ ، فَلَمَّا دَخَلَهَا انْدَقَ مِنْهُ اللَّوَاءُ فِي بَعْضِ أَبْوَابِهَا ، فَتَطَيَّرَ خَالِدٌ مِنْ ذَلِكَ  
فَقَالَ أَبُو الشَّهْمَثِ :

مَا كَانَ مُنْدَقَ اللَّوَاءِ لِطَيْرَةٍ      تَخْشَى وَلَا سُوءَ يَكُونُ مُجْتَلَاً  
لَكِنَّ هَذَا الرُّمَحَ أَضْمَفَ مَتْنَهُ      صَخْرَ الْوَالِيَةِ فَأَسْتَقَلَّ الْمَوْصِلَاً  
فُسْرَى عَنْهُ مَا كَانَ وَجَدَهُ .

وَكَتَبَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ بِذَلِكَ إِلَى الْأَمُونِ فَزَادَهُ دِيَارَ رَيْبِيعةَ ، فَأَعْطَى خَالِدُ  
أَبَا الشَّهْمَثِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَم .

وَقَالَ خَطِيرُ الدَّوْلَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكَاتِبَ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولَنَّ مَرَّةً      وَقَدْ سَكَنْتَ مِمَّا أُجِنُّ الضَّمَاثُ  
وَمَا بِي إِلَى بَابِ الْمُحَبِّ حَاجَةٌ      وَلَا لِي عَمَّا يَحْفَظُ الْمَرْضَ زَاجِرُ  
فَأَقْتَّ عَصَاهَا وَأَسْتَهْرَبَهَا النَّوَى      كَمَا قَرَّ عَيْمًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَاخِرَزَمِيُّ فِي ضِدِّ ذَلِكَ :

حَمَلُ الْعَصَا      لِلْمُتَبَلِّغِ  
بِالشَّيْبِ عُدْوَانُ      وَإِنْ الْبَلِي



وَصِفَ الْمُسَافِرُ أَنَّهُ أَلْقَى الْعَصَا كَيْ يَنْزِلَا  
فَعَلَى الْقَيْسِ سَبِيلُ مَنْ حَمَلَ الْعَصَا أَنْ يَرَهُ حَلَا

وقال شيخ الشيوخ عبدُ العزيز الأنصاري :

تَرَامَتْ بِنَا آمَالَنَا كُلَّ مُرْتَمِي  
طَاوَى مِنْ بَسِيطَاتِ الْأَمَالِكِ مَا طَاوَى  
وَأَهَضَى بِهَا الْمَسْرَى إِلَى عَتَبَاتِهِ  
فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى

وقال شرفُ الدين بن عَنِين :

وَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ فِي ذَرَاهِ بِي النَّوَى  
وَأَلْقَتْ عَصَاهَا بَيْنَ مُزْدَحَمِ الْوَفْدِ  
تَنْضَلُ دَهْرِي وَأَسْتَرَاخَتْ مِنَ الْوَجَى (١)

قَلْوَصِي وَنَامَتْ مُقَلَّتِي وَعَلَا جَدِّي

وقال عمارة اليماني :

إِنَّ الْكِفَالََةَ وَالْوَزَارَةَ لَمْ تَزَلْ  
كَانَتْ مُسَافِرَةً إِلَيْكَ وَتَبْمُدُّ  
حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ عَلَيْكَ وَشَاهَدْتُ  
أَلْقَتْ عَصَاهَا فِي ذَرَاهُ وَهَرَبْتُ  
يُؤَمِّي إِلَيْكَ بِفِعْلِهَا وَيُشَارُ  
أَخْطَارُ مَا لَمْ تُرَكَّبِ الْأَخْطَارُ  
مَلِيكَائِزِينَ الْمُلُوكَ مِنْهُ حَوَارُ  
عَنْهَا التُّسْرُوجُ وَحُطَّتِ الْأَكْوَارُ

وقال ابن سرردر :

عَلَى رَسْلِكُمْ فِي الْهَجْرِ إِنَّا عِصَابَةٌ  
إِذَا ظَفَرَتْ بِالْحَبِّ عَفَّ ضَمِيرُهَا  
سِوَا عَلَى الْمُشْتَقِ وَالْمَجْعَرُ حَظُّهُ  
أَلْقَتْ عَصَاهَا أَوْ أَجَدَّ بِكُورُهَا

(١) م : « النوى » .

(٢) ط : « برى » تعريف .

وقال أيضا:

أَلَقْتُ فِي نَمَاءٍ مَطْمَئِنَّةٍ تَحْكُمُ الْفُؤَادَ فِي إِطْرَابِهِ  
أَلَقْتُ عَصَاهَا وَأَرْتَمْتُ رِكَابَهَا فِي سُرَّرِ الْوَادِي وَفِي شِمَائِلِهِ

وما أحسن قول القائل:

إذا لم يرَ الإنسانَ عندَ قدومه محيَاكَ مِثْلَ البَدْرِ والبدرِ سافرُ  
فأقسمتُ ما أَلَقْتُ عَصَاهَا يَدُ النَّوَى  
ولا قرَّ عَيْنًا بالإيابِ المُسافرُ

حدث أبو الحلم عوف بن الحلم قال: كانت لي وفادة على عبد الله بن طاهر إلى خراسان، فصادفته يريد الحج، فمادته في العارية من مَرَوْ إلى الرّي، فلما قاربنا الرّي، سمع عبد الله بن طاهر ورشانا<sup>(١)</sup> في بعض الأغصان يصيح، فأنشد يقول متمثلا:

ألا يا حمام الأيك إنك حاضر  
أفنى لا تنح من غير شيء فإنني  
ولوعا فشطت غربة دار زيب  
وعصنك مباد فميم تنوح<sup>(٢)</sup>!  
بكيت زمانا والفؤاد صحيح  
فها أنا أسبي والفؤاد جريح

ثم قال: يا عوف، أجز هذا؛ فقلت في الحال:

أفي كل يوم غربة ونروح أما للنوى من ونية فتريح  
لقد طلح البين المشت ركاني فهل أرين البين وهو طليح  
وأرقتي بالرّي نوح حمـ<sup>أمة</sup>  
فنجت وذو الشجر القديم ينوح

(١) الورشان: طائر أصفر من الحمام، وهو المعروف بساق حر.

(٢) أمال القائل ١: ١٣٣.

على أنها ناحت ولم تُذَرِ دَمَةٌ  
 ونُحِتْ وأَسْرَابُ الدَّمُوعِ سَفُوحُ  
 وناحتُ وفَرَخَها بِحَيْثُ تَرَاهَا  
 وَمِنْ دُونَ أَفْرَاحِي مَهَامِهِ فَيُحِجُّ  
 عَسَى جُودُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يُعَقِبَ النَّوَى  
 فَيُلْقِي عَصَا التَّمْسِيرِ وَهِيَ حَلْرِيحُ  
 فَإِنَّ الْفَنَى يُدْنِي الْفَنَى مِنْ صَدِيقِهِ  
 وَعُدْمُ الْفَنَى بِالْمُقْتَرِينَ نَزُوحُ

قال : فأخرج رأسه من الأمارية ، وقال للسائق : ألقى الزمام ، فالتفاه .  
 فوقف ووقف الحاج ، ثم دعا صاحب بيت المال فقال له : كم يصم ملسكنا ؟  
 فقال : ستين ألف دينار . قال ادفعها إلى عوف . ثم قال : يا عوف ، لقد ألقيت  
 عصا تطوافك فأرجع من حيث جئت . قال : فأقبل حاصه عبد الله يلومونه  
 ويقولون : أتجزأها الأمير شاعراً في مثل هذا المكان بستين ألف دينار ،  
 ولا تملك سواها ! فقال : إليكم عني ، فإني استعجيت من الكرم أن يسير  
 بي بجملتي ، وعوف يقول : « عسى جود عبد الله » ، وفي ملكي شيء لا ينفرد  
 به . ورجع عوف إلى وطنه ، فسئل عن حاله ، فقال : رجعت من عند عبد الله  
 بالفنى والراحة من النوى <sup>(١)</sup> .

قال الإمام فخر الدين الرازي في كتاب « مناقب الشافعي » رضى الله  
 عنه : روى محمد بن جرير الطبري ، عن الربيع ، قال : كان الشافعي جالسا  
 يوما بين يدي مالك رضى الله عنه ، فجاء رجل إليه فقال : يا أبا عبد الله ه  
 إنني رجل أبيع القمري . وإنني بمت يوماً قمرياً ، فبمذ زمان أتانى صاحب

(١) الخبر في معجم الأديباء ١٦ : ١٤١ - ١٤٣ .

التَّمَرِّي ، فقال : إن قُمْرِيَّكَ هذا لا يَصِيح ؛ فَشَاجَرْنَا فَفَعَلَتْ بِالطَّلَاقِ أَنْ  
 قُمْرِيَّيْ مَا يَهْدَأُ مِنَ الصَّبَاحِ . فقال مالِك : طَلَقْتَ أَمْرَأَتَكَ . فقال الرجل حَزِينًا .  
 فقام الشافعيُّ إليه - وهو يومئذ ابنُ أربعِ عشرةَ سنةً - وقال للسائل : أصيحاُ  
 قُمْرِيَّكَ أ كَثُرَ أمْ سَكُوتُهُ ؟ فقال السائل : بل صِيَاحُهُ ، قال الشافعيُّ : امض ،  
 فإن زَوْجَتَكَ ما طَلَقَتْ . ثمَّ رَجَعَ الشافعيُّ إلى الخَلِيقَةِ ، فعاد السائل إلى مالِك  
 وقال : يا أبا عبدِ اللهِ ، تَدَكَّرْتُ في واقِعِي لَتَسْتَحِقَّ الثَّوَابَ ! فقال مالِك :  
 الجوابُ ما تَقْدَم . قال : فإنَّ عندَكَ من قال : إنَّ الطَّلَاقَ غيرُ واقِعٍ . فقال  
 مالِك : من هو ؟ قال السائل : هو هذا الغلامُ - وأُوْحِيَ إليَّ الشافعيُّ - فَغَضِبَ  
 مالِكُ عليه ، وقال : من أين لك هذا الجوابُ ؟ فقال الشافعيُّ : إني سألتُه :  
 أصيحاُ أ كَثُرَ أمْ سَكُوتُهُ ؟ فقال : إنَّ صِيَاحَهُ أَكْثَرُ ، فقال مالِك : وهذا الدَّليلُ  
 أُفْويح ، وأيُّ تأثيرٍ لكَ كَثْرَةُ صِيَاحِهِ وَقَلَّةُ سَكُوتِهِ في هذا الباب ! فقال الشافعيُّ :  
 إنَّكَ حَدَّثْتَنِي عن عبدِ اللهِ بنِ يزيدٍ ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن عبدِ الرَّحْمَنِ ، عن  
 فَاطِمَةَ بنتِ قَيْسٍ ، أنها أتت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت : يا رسولَ اللهِ ،  
 إنَّ أبا جَهْمٍ ومعاويةَ خَطَبَانِي ، فبأيِّهما أتزوِّجُ ؟ فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
 «أَيُّمَا مَعَاوِيَةَ فَضُوءُ لَوْكِ» ، رأيتُ أبا جَهْمٍ فلا يَضَعُ المَصَاعِنَ عَنِقَتِهِ ، وقد علم رسولُ اللهِ  
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ أبا جَهْمٍ كان يأكلُ وينامُ ويَسْتَرِيحُ . فعملنا أنَّه  
 عليه السلامُ أراد بقوله : «لا يَضَعُ المَصَاعِنَ عَنِقَتِهِ» ، على تفسِيرٍ أَنَّهُ الأَغْلَبُ  
 من أحواله ذلك . فلما سمع مالِكٌ تَمَجُّبَ من الشافعيِّ ، ولم يقدح في  
 قوله أَلَيْتَةَ .

١١٦ - وقوله : وأستأنف التأدب بأدبك ، والاحتمال  
على مذهبك .

استأنف : استفعل ، من الاستئناف ، وهو الأبتداء . والتأدب : تفعل ،  
من الأدب ، والأدب أدبُ النفس وأدبُ الدرس ، فالأدب انصاف النفس  
بكل خلق جميل ، وقد أدب الرجل بضم الدال فهو أديب ، وأدبته  
فتأدب .

وقال ابن الميز : الأدبُ صورةُ العقل ، فحسنُ عقلك كيف شئت .

وقال أبو المتاهية :

ولم أرَ فضلاً تمَّ إلا بشيمةٍ ولم أرَ عقلاً تمَّ إلا على أدبٍ

وقوله : « وأستأنف التأدب بأدبك » ، يعني أتوب عما كنتُ مرتكبته  
من الطريق الأولى ، فأرجع عنها ، وأخذ الآن بأدبك ، وأسألك طريقك ،  
وأخذوا حذوك . وما أحسن قول الأول :

إن تُنهي قهامةً وطني أو تُنجدي بكن الهوى نجدُ

وقول الآخر :

فإن قدعي نجداً ندته ومن به وإن نسكني نجداً فيأحبدا نجدُ

وقول يزيد بن معاوية :

فإن تسلي سلم وإن تدمصري يحطُّ رجالٌ بين أعينهم صلينا

وقال ابن الأمام :

أتخيمون على الحجازِ فنفندي أم عائدون إلى الحمى فنمودُ

نَهَوَى لِأَجْلِكُمُ الْحَمِيحَ وَمَا بَيْنَا لَوْلَا كُمْ نُسُكٌ وَلَا تَزْهَيْدٌ  
وَيَشَوْقُنَا أَرْجُ الْحِجَازِ وَذِكْرُهُ الدَّاءُ نِي وَمَرْتَبِعِ الْحِجَازِ بَعِيدٌ  
وقوله : « والأحتمال على مذهبك » . يعمى : ألزم نفسه باتباعك ،  
والأخذ بمذهبك تقليداً ، ولا أنظر فى تمليل ما تأنيه وما تدره .

وما أحسن قول الأول :

فَلَوْ قَلَّتْ طَائِفَةٌ فِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ رِضَا لَكَ أَوْ مَدِينٍ لِنَامِنٍ وَصَالِكٍ (١)  
لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا وَوَطِنَتُهَا هُدَى مِنْكَ لِي أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ  
لَئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّتْنِي أَنْى حَطَّزْتُ بِبَالِكَ

والتقليد : هو قبول قول الأمر أو المثنى أو المؤدب من غير طلب تعليل  
للحكم ولا حجة ، والتقليد فى الفروع دون الأصول .

وزهب الأصحاب إلى أنه لا يجوز للعالم تقليد العالم البتة ، وجوزه أحمد  
رضى الله عنه وإسحاق بن راهويه وسفيان الثوري مطلقا ، ومنهم من  
فصل فقال : يجوز لمن بعد الصحابة رضى الله عنهم تقليد الصحابة دون  
غيرهم ، وبه قال شمس الدين محمد بن يوسف الجزرى (٢) ، وهو القول القديم  
للشافعى رضى الله عنه .

وقال محمد بن الحسن : يجوز تقليد العالم للأعلم . وقيل : يجوز أن يقلد  
غيره فيما يخصه دون ما يفتى به ، وقيل : يجوز فيما يخصه إذا كان بحيث  
لو أشتمل بالنظر فى المقصود .

\* \* \*

(١) ديوان الحماسة ٢ : ١٠٧ .

(٢) ط : « المريرى » تحريف .

١١٧ - وقوله: فَلَا أَوْجِدُ لِحَاسِدٍ مِجَالًا حِطَّةً، وَلَا أَدَعُ لِقَادِحٍ

مَسَاغَ لَفْظَةٍ.

الحاسِدُ: الَّذِي يَتَمَنَّى زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنِ الْمَحْسُودِ، وَالْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عَصَى اللهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ إبْلِسَ آتَمَهُ اللهُ حَسَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا أُمِرَ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَكَذَلِكَ قَابِيلُ بْنُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَسَدَ أَخَاهُ هَابِيلَ عَلَى زَوَاجِهِ بِأَخْتِهِ تَوَمَّتَهُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَحْسَنَ مِنْ تَوَمَّةِ هَابِيلَ، فَلَمَّا قَرَّبَا قَرَبَانَ أَكَلَتِ النَّارُ قَرَبَانَ هَابِيلَ، وَلَمْ تَأْكُلْ قَرَبَانَ قَابِيلَ. فَحَسَدَهُ، فَتَأَكَّدَ حَسَدَهُ لَهُ فَقَتَلَهُ. وَفِي الْمَثَلِ: مَا خَلَا جَسَدًا مِنْ حَسَدٍ.

وَالْمِجَالُ: اسْمٌ لِمَصْدَرِ جَالٍ يَجُولُ جَوْلَانًا، إِذَا طَافَ فِي الْبَلَدِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحَرَكَةِ.

وَاللَّحِظُ: مَصْدَرٌ لِحِظَ إِذَا نَظَرَ.

وَالْقَادِحُ: الَّذِي يَطْعَنُ فِي عَرَضٍ غَيْرِهِ.

وَالْمَسَاغُ: اسْمٌ لِمَصْدَرِ سَاغَ يَسُوعُ الشَّرَابِ إِذَا سَهَلَ مَدَخَلَهُ فِي الْخَلْقِ. وَمَعْنَاهُ: إِذَا اتَّصَفَتْ بِهِذِهِ الْأَحْوَالُ لَا يَجِدُ الْحَاسِدَ مَدَارَ لِحِظَةٍ، وَلَا الطَّاعِنَ فِي عَرَضِي مَا يَسُوعُ مِنْ لَفْظَةٍ كَمَا قَالَ الْأَمِيرُ تَمِيمُ بْنُ الْمُعَزِّ:

بَلَفْتُ بِي الْحَالَ الَّذِي كُنْتُ أُرْتَجِي عُلَاهَا خَالِي غَيْبَةً وَسُرُورًا<sup>(١)</sup>

وَكَيفَ أَخَافُ الْحَاسِدِينَ وَبَغِيَّتَهُمْ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ لِي يَدٌ وَأَمِيرُ

كَانَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْجَزَارِيُّ صَاحِبَ قَاضِي الْقَضَاةِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنَ بَنَاتِ الْأَعَزِّ، فَظَفَّرَ لَهُ شَخْصٌ مِنْ حُسَّادِهِ وَأَعْدَائِهِ بِوَرَقَةٍ بِخَطِّهِ يَدْعُو فِيهَا شَخْصًا إِلَى مَجْلِسِ أَنْسٍ، وَوَصَفَ الْمَجْلِسَ؛ فَأَخَذَ ذَلِكَ الشَّخْصُ تِلْكَ الْوَرَقَةَ وَوَضَعَهَا

(١) ديوانه ١٤٤، وروايته: «بلفت بي الحال».

في القائمة الأولى من كتاب صحاح الجوهري ، من نسخة كانت عنده في ثمانى مجلدات ، وأعطى الكتاب الدلال ، وقال : اعرضه على قاضى القضاة . فأحضر الدلال الكتاب إلى قاضى القضاة ، فلما أخذ المجلد الأول وجد تلك الورقة فيه ، فمرف خط الجزار ، فأخذ الورقة وقرأها<sup>(١)</sup> ، وقال للدلال : رد الكتاب إلى صاحبه ، فإنه ما يبيمه . ولما حضر الجزار إلى قاضى القضاة ناوله الورقة ، فنههم القصد<sup>(٢)</sup> ، وقال : يامولانا ، لا إله إلا الله ، هذا خطى منذ ثلاثين سنة من أيام الصبا . ثم إن الجزار أراد أن يعرف ما هند القاضى ، وهل تأثر بتلك الورقة ، فقال له بعد أيام في أثناء حكايته : إن شخصا كان يصحب قاضى القضاة عماد الدين بن السكرى ، فرفعت له شهادة على شخص ، فسأبه ذلك الشخص إلى القاضى ، وادعى عليه أنه استأجره من مدة كذا وكذا اليقنى له في عرسه بكذا وكذا ، وقبض الأجرة ولم يُقن ، وانفصت الخصومة ، ثم وقعت الدعوى على المدعى المذكور ، وشهد ذلك الشاهد . فقال قاضى القضاة تاج الدين : ما صمغ ابن السكرى ؟ فقال : ما قبل شهادته . فقال : ما أنصف صاحبه ؛ فعلم الجزار أن ابن بنت الأعز ما تأثر لتلك الورقة .

\* \* \*

١١٨ - وقوله : والله ميسر لك من إطلائى بهذه الطلبة ، وإشكائى من هذه الشكوى .

إطلائى ، تقول : أطلبت إطلائاً ، أى أسفنه ، وأطلبت : أحوجه ، وهو من الأضداد ، والمراد هنا الأول ، وهو الإسماف ، والطلبة ، بكسر اللام : ما طلبته من شيء .

(٢) ط : « المقصود » .

(١) ط : « فقرأ الورقة وأخذها » .



وإشكائي ، تقول : إذا أعقبته من شكايته وأزنته عما يشكوه ، وأشكيتته  
 إن فعلت به ما يشكوه ، وهو من الأضداد ، والمراد هنا الأول ، وما أحسن  
 قول ابن الزومي :

تُشِكِي المَحِبَّ وَتَشْكُو وَهِيَ ظالِمَةٌ  
 كالقوسِ تُصَيِّ الرَّمَايَا وَهِيَ مِرْنَانُ

وقلتُ أنا في ذلك :

تُشِكِي المَحِبَّ وَتَشْكُو فَالْقَلْبُ لَا يَطْمَئِنُّ  
 كالقوسِ تُصَيِّ الرَّمَايَا وَبِهَذَا هَذَا تَبِينُ

\* \* \*

١١٩ - وقوله : بصنيعةٍ تُصَيِّبُ مِنْهَا مَكَانَ المَصْنَعِ ، أو تستودعها  
 أحسن مُسْتَوْدِعٍ .

للصنيعة : المروف والإحسان إلى الناس .

والمصنع : المصدر ، تقول : صنعت إليه صنيعاً ومصنماً . قال ابن عباس  
 رضي الله عنهما : لا يزهدنك في المروف كفر من كفره ، فإنه يشكرك  
 عليه من لم تصطنقه إليه .

وسمع عبد الله بن جعفر قول الشاعر :

إنَّ الصَّيْمَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى تُصَيَّبَ بِهَا طَرِيقَ المَصْنَعِ .

فقال : هذا رجل يريد أن يمتثل الناس ، أمطار المروف مطراً ، فإن  
 صادف موضعاً فهو الذي قصدت ، وإلا كنت أحمق به .

وجاء في كلام عبد الله بن المعتز : المعروف كُنْزٌ ، فانظر من تُودِعُه !

وقال الشاعر :

لا تَصْنَعِ المعروفَ في ساقطٍ      فذاك صُنْعٌ ساقطٌ ضائعٌ  
واصْنَعُه في حرٍّ كريمٍ يكن      عُرْفُك مسكا وعرفه ضائعٌ

وقال صالح بن عبد القدوس :

متى تُسَدِّ معروفًا إلى غيرِ أهله      رُزئت ولم تظْفَرِ بأجرٍ ولا تحمدي

وقال أيضًا :

لا تَجِدُ بالطاء في غيرِ حقِّ      ليس في منع غيرِ ذي الحقِّ بُخلٌ  
إنما الجودُ أن تجودَ على من      هو للجودِ منك والبذلِ أهلٌ

قال الحجاج لابن القزويني : ما أضيع الأشياء ؟ قال : مطر جَوْدٍ في أرض مسبخة لا يجمد ثراها ، ولا يبت سرعاها ، وسراجٌ يوقد في الشمس ، وجارية حسناء تزفُّ إلى عَدِينِ أمي ، وصنيعةٌ تُهدى إلى من لا يشكرها .

وقالت الحكاء : أصلُ كلِّ عداوة اصطفاغ المعروف إلى اللئام ، وقالوا : المعروف إلى اللئيم أضيع من الرسم على بساط الماء ، والخط على بساط الهواء . وقالوا : زوال الدولة باصطفاغ السفلة .

أورد الشيخ أمير الدين أبو الفناهم ، مسلم بن محمود الشيزري في كتابه «القاصمة للفئة الغاشمة» ، قال : حدثني الشيخ الشريف يونس بن يحيى البغدادي العباسي قراءة عليه ، قال : أخبرنا عمر بن شاهين ، حدثنا أحمد بن محمد البخارزي ، حدثنا علي بن حرب الطائي ، حدثنا جعفر بن الفزر المابد بمهران ، قال : كنت عند سُفَيانِ الثوري ، فالتفت إلى شيخٍ فقال : حدثِ النعمَ بحديثِ الحية ،

فقال : حدثني عبد الجبار بن جهمير بن عبد الله أنه خرج إلى مقصدٍ له ، فتمثلت بين يديه حية ، فقالت : أجرني أبارك الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، فقال : وميم أجبرك ؟ فقالت : من عدوٍ قد رهفني ، يريد أن يقطمني إرباً إرباً . قال : ومن أنت ؟ قالت : من أهل لا إله إلا الله . قال : وابن أخيك <sup>(١)</sup> ؟ قالت : في جوفك <sup>(٢)</sup> . إن كنت تريد المعروف <sup>(٣)</sup> . قال : ففتح فاه وقال : ها ، فدخلت جوفه ، فإذا رجلٌ معه صمصامة ، فقال : يا جهمير ، أين الحية ؟ قال : ما أرى شيئاً ، قال : سبحان الله ! قال : نعم ، سبحان الله ما أرى شيئاً ، فذهب الرجل ، فأطلمت الحية رأسها وقالت : يا جهمير ، أنحس الرجل ؟ فقال لها : قد ذهب ، قالت : فأختر إحدى خصلتين : أن أنكت في قلبك نكتة ، أو أفرث كبدك فتلقها من أسفل قطعاً قطعاً ! قال : والله ما كافأتني ، قالت : حيث <sup>(٤)</sup> تصنع المعروف عند من لا يستحقه . قال : فأهليني حتى آتي سنفح هذا الجبل ، فأمرت نفسي ؛ فبينما هو يمشي إذ هو بفتى حسن الوجه طيب الرائحة ، حسن الثياب ، فقال : يا شيخ ، مالي أراك مسترسلاً للموت ، آيساً من الحياة ؟ قال : من عدوٍ في جوفي يريد هلاكى . فأستخرج شيئاً من كفه فدفعه إليه وقال : كل هذا ، فنقل ، فأصابه منس شديد ، ثم ناوله أخرى فأكلها ، فرمى بالحية من أسفل قطعاً قطعاً . فقال : من أنت ؟ برحك الله ؟ فما أعظم منةً على منك ! قال : أنا المعروف ، إن أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضطربوا ، كل يسأل ربه أن يفيئك ، فقال الله عز وجل : يا معروف أدرك عبدى ، فأبى أراد بما صنع .

وخرج قومٌ للصييد ، فطردوا ضبعاً حتى ألجموها إلى خباء أعرابي ، فأجارها ، وجعل يطعمها ، فبينما هو نائم إذ وثبت عليه ، فبقرت بطنه ،

(١) الإرب : العضو . (٢) ط : « بطنك » .

(٣) ط : « إن كنت من أهل المعروف » . (٤) م : « حين » .

وجاء ابن عمّ له يطلبه ، فإذا هو بغير ، فتتبعها حتى قتلتها ، وقال :

ومن يصنع المعروف في غير أهله  
 يُلاقِ الذي لاقى مُجِبُّهُ أُمَّ عامِرٍ  
 أعدّها لما استجارتُ بديتهِ أحايِبَ ألبانِ اللّاحِ الدّرائِرِ  
 وأتممتها حتى إذا ما تمكّنتُ فرّته بأنيابِ لها وأظافرِ  
 فقل لِذَوِي المعروفِ : هذا جزاءه من  
 يجودُ بمسـروفٍ على غيرِ شاكرٍ

وحكى الأصبغى أنّ أعرابياً ربّى جرّو ذئب ، وجعل يُمنّيه بلبنِ  
 شاةٍ له حتى كبر ، فخرج معها للرعى كما دتّه ، فحرّكته الطباع الدنيّة ،  
 والنفس الدنيّة على أفتراس الشاة ، فلما رأى الأعرابيُّ الشاةَ فريسةً  
 الذئب ، أنشد :

عمرت شوبيتهى وفجعت قوى بشاهوم ، وأنت لها ريبُ  
 خذيت بدرّها ونشأت مَهْمَا فَمِنْ أُنْبَاكَ أَنْ أُنْبَاكَ ذَيْبُ  
 إذا كان الطباعُ طِباعُ سوءٍ فلا أدبٌ يُفيدُ ولا أديبُ  
 وقال أبو تمام الطائي :

شرُّ الأوائلِ والأواخرِ ذِمَّةٌ لم تُصنّفْ ، وصنيفةٌ لم تُشكر<sup>(١)</sup>

أغار مالكُ بنُ خزيمةَ الجعفيّ على بني القَيْن ، فاستاق لهم إبلا ، فأطلقوا  
 الأعتةَ ليطلقوها منه ، فلم يُقدروا عليه ، ولا وصلوا إليه ، ثمّ إنّه ذكر يداً

كانت لهم مضمهم عنده ، فخلّى عما كان في يده وولى منصرفاً . فنادوه وقالوا :  
 إنَّ أمامك مفازة ، ولأمامك ممك ، وقد قملت جميلاً فنزل ولك الذمام والحباء ،  
 فلما نزل وأطمأنَّ وسكَّن ، أخذته سنة ففسام ، فوثبوا عليه وقتلوه .  
 وما أحسن قولَ عُمارة اليميني يخاطب السلطان صلاح الدين :

فيا راصل الأرزاقِ كيف تركتني أمدُّ إلى زند الملا كيف أقطع  
 وأقسيم لو قات ليأليك للدجى أعد غارب الجوزاء قال لها أطلعي  
 فيا زارع الإحسان في كل تربة ظفرت بهرب ينبت الشكر فأزرع  
 قلت : مازرع عنده إلا أنه صلبه ، وجعل له في الجولا في التراب تربة ،  
 لجنابة نعيمها عليه من ماله إلى أهل الفصر ، ونقلها عنه الهمة في ذلك الفصر ،  
 وعند الله تجتمع الخصوم !

وقال ابن القيم راني :

قد حسن الصنعُ ألا فاصطنعُ وأمكن الدرُّ ألا فاتق  
 ومرَّ إحسانك بي رائفاً مرَّ الصبا بالهضن المورق

وقال رشيد الدين الفارقي :

وأعجب ما حدثت وصفك للملا ومثلي في أيام منليك ضائع  
 لأن أمطرتني من سجاياك مُزنة

حكمت لك أرضي كيف ترزكو الصنائع

وقال شاعرٌ قديم :

أعمرك ما المعروف في غير أهله وفي أهله إلا كبيض الودائع  
 فستودع ضاع الذي كان عنده وستودع ما عنده غير ضائع  
 وما الناس في شكر الصديعة عندهم وفي كثرها إلا كبيض المزارع  
 فمزرعة طابت فأضمت نبتها ومزرعة أكدت على كل زارع

١٢٠ - وقوله : حَسَبًا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ ، وَأَنَا مِنْكَ حَرَّى بِهِ .  
حَسَبًا ، أَيْ قَدَّرَ مَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ ، تَقُولُ : فَلَانْ خَلِيقٌ لَكَذَا ، أَيْ  
جَدِيرٌ بِهِ ، وَقَدْ خَلَقَ لَكَذَا بَضَمَ اللَّامِ .

وَحَرَّى بِهِ ، أَيْ جَدِيرٌ بِهِ وَخَلِيقٌ ؛ وَحَرَّى يُدْنِي وَلَا يُجْمَعُ .  
وَأَنْشَدَ الْكِسَائِيُّ :

وَهَنَّ حَرَّى الْأَى يُدْبِنُكَ نَفْرَةً وَأَنْتَ حَرٌّ بِالْفَارِحِينَ تُثِيبُ (١)  
فَإِذَا قَلْتَ : هُوَ حَرٌّ ، بِكَسْرِ الرَّاءِ وَحَرَّى ثَلَيْثٌ وَجَمَعْتَ ، قُلْتَ : هَا  
حَرِّيَانِ ، وَهُمْ حَرِّيُونَ وَأَحْرِيَاءُ ، وَهِيَ حَرِيَّةٌ ، وَهَنَّ حَرِيَّاتٌ وَحَرَايَا ،  
وَمِنْهُ أُشْتُقُ التَّحْرِيُّ فِي الْأُمُورِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي إِسْحَاقَ الْغَزَّيِّ .

إِذَا جَادَتِ الشَّجَبُ السَّبَاحُ بِطَبْعِهَا فَأَجْدَرُ مَخْصُوصٍ بَيْنَ الْخَدَائِقِ ؟

\* \* \*

١٢١ - وقوله : وَذَلِكَ بِيَدِهِ ، وَهَيِّنْ عَلَيْهِ .

أَيْ بِيَدِهِ هَذَا الَّذِي سَأَلَهُ ؛ وَقَصْدُهُ فِيهِ ، أَمْرُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ، وَهُوَ  
فِي حُكْمِهِ بِصَرْفِهِ كَيْفَ أَرَادَ عَلَى مَا يَخْتَارُ كَمَا يَكُونُ الشَّيْءُ بِيَدِهِ ، وَهَذَا كُنَايَةٌ عَنِ  
الْقُدْرَةِ وَالْإِسْتِيْلَاءِ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ (٢) . وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بِيَمِينِهِ ﴾  
لَطِيفَةٌ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ « فِي يَمِينِهِ » حَقِّي بِنَفِي الظَّرْفِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ لَوَازِمِ الْأَجْسَامِ .  
وَكَلَّ هَذِهِ الْمُبَارَاةُ كُنَايَةٌ عَنِ الْقُدْرَةِ النَّامَةِ ، وَالْإِسْتِيْلَاءِ السَّكَّامِ ، فَتُبَارَكُ  
اللَّهُ الْعَظِيمُ ! . وَهَذَا النَّوْعُ بِسَمِّيهِ أَرْبَابُ الْبَدِيعِ التَّمْثِيلِ .

(٢) سورة الزمر ٦٧ .

(١) اللسان - حرى ، من غير نسية

وقول الرَّمَّاحِ بنِ مَيَّادَةَ :

أَلَمْ تَكُنْ فِي يُنَيْيَ بَدَيْكَ جَهْلَتَنِي فَلَا تَجْمَلَنِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَا

أراد أن يقول : ألم أكن قريبا منك ؛ فلا تجملني بعيدا عنك ، فمدل عن هذا اللفظ الخاص إلى لفظ أعم ؛ وهو التمثيل ، لما فيه من الزيادة في اللفظ مما تعطيه كلفظا اليمين والشمال من القرب والبعد ومن الأوصاف التي لا يحصل إلا بذكرها ؛ لأن اليمين أشد قوة من الشمال ؛ وأقرب إلى ربها ، لأنه بها يأخذ ويُعطى ويبطش ؛ ويعمل الصنائع ، وبها يتمد ، وهي عنده مُكرَّمة على الشمال . فهذه الأفعال الشريفة ، وتلك للأعمال الخسيسة ، ولهذا كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكله وشرابه ووضوئه وتغذله ، وشماله لأستنجائه وإماطته الأذى عنه .

قال الزُّنْحَشَرِيُّ فِي كَشَّافِهِ : فَإِنْ قُلْتَ : لَمْ أَحْرَثِ الصَّلَاةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وَقَدَّمْتَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> ؟ قُلْتُ : هُنَاكَ قَصْدُ الْأَخْتِصَاصِ ، وَهُوَ مَحْزَوْهٌ . فَقِيلَ : هُوَ عَلَى هَيْنٍ ، وَإِنْ كَانَ مُتَّصِبًا عِنْدَ كَمِ أَنْ يُولَدَ بَيْنَ هِمٍّ <sup>(٣)</sup> وَعَاقِرٍ ؛ وَأَمَّا هُنَا فَلَا مَعْنَى لِلْاِخْتِصَاصِ . كَيْفَ وَالْأَمْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا يَعْقِلُونَ مِنْ أَنَّ الْإِعَادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ ، فَلَوْ قَدَّمْتَ الصَّلَاةَ لَتَغَيَّرَ الْمَعْنَى <sup>(٤)</sup> .

وقال المننخل :

وَلَكِنَّهُ هَيْنٌ لَيْنٌ كَمَا لِيَةِ الرُّمَحِ عَرْدٌ نَسَاهُ

والهين فعيل من الهون ، وهو السكينة ، وهان عليه الشيء ، أى خف . وهو ناه الله عليه ، أى سهله وخفقه .

(٢) لهم : الشيخ الفاني .

(١) سورة الروم آية ٢٧ .

(٣) الكشاف ٣ : ٢٧٥ .

وفي هَيْنَ لَمْتَانِ : هَيْنَ وَهَيْنَ بِشَدِيدِ الْيَأْسِ وَتَخْفِيفِهَا ، مِثْلُ لَيْنٍ وَآلَيْنٍ ، وَمَيِّتٍ وَمَيِّتٍ ، وفي الحديث : «الزُّؤْمُ هَيْنٌ لَيْنٌ» ، بتخفيف الياء فيهما ، قال الشاعر :

هَيْنُونَ لَيْفُونَ أَيْسَارُ ذُو وَبَسْرٍ      أَرْبَابُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءِ إِيْشَارِ

وفي هذا المثل : «هَيْنَ لَيْنٌ وَأُودَتِ الْعَيْنُ» ، يقال : إنَّ هذا المثل سار من قوله دُعَاةٌ ، وذلك أنَّ صَوَاحِبَهَا حَسَدَتْهَا عَلَى أَنْسَاعِ بِهَا جُدُودٌ جَعَلَتْ تَنْطُ إِذَا رَكِبَتْ ، فَمَلَنَ : لَهَا ، وَيُحَكُّ بِالدُّعَاةِ ! إِنَّ أَنْسَاعَكَ تَنْطُ ، وَإِذَا سَمِعَ الرَّجَالُ ذَلِكَ قَالُوا : هَذَا حُرَاطٌ دُعَاةٌ ، فَلَوْ أَنَّكَ دَهَنْتَهَا فَهِيَ أَلَيْنٌ لَهَا ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ هَذَا الَّذِي تَخَافِينَ عَارَهُ ؛ قَالَتْ : إِنِّي فَاعِلَةٌ ذَلِكَ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ حَمَلَتِ النِّسَاءُ السَّمْنَ لَهَا فِي الْأَفْدَاحِ ، فَلَمَّا صَارَ السَّمْنُ بِيَدِهَا أَخَذَتْ نِسْعًا مِنْ أَنْسَاعِهَا ، فَفَطَّرَتْ بِمَعْضٍ عَلَى نَوَاحِيهِ مِنَ السَّمْنِ ، فَاسْوَدَّ وَلَانَ ، فَمِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ : دُعَاةُ هَيْنَ لَيْنٍ وَأُودَتِ الْعَيْنُ « تَعْنِي حُسْنَ النَّسَمِ ، فَصَارَ مِثْلًا .

\* \* \*

١٢٢ - وَقَوْلُهُ : وَلَمَّا تَوَالَّتْ غَرْرُ هَذَا الْمَثَرِ ، وَانْسَقَتْ دُرُّهُ .

تَوَالَّتْ ، مِنَ الْمَوَالَاةِ ، وَهِيَ هِيَ الْمَتَابَعَةُ . وَالغَرْرُ جَمْعُ غُرَّةٍ ، وَهِيَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَكْرَمُهُ . وَانْسَقَتْ ، مَعْنَاهَا انْتَهَضَتْ . وَالدَّرْرُ : جَمْعُ دُرَّةٍ ، وَجَوَابُ «لَمَّا» بِأَنِّي فِيهَا بَعْدٌ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : «عَارِضُهُ النَّظْمُ» .

\* \* \*



١٢٣ — وقوله : فهِزَّ عَطْفَ غُلُوَائِهِ ، وَجَرَ ذَيْلَ خَيْلِيَّهِ .

الغُلُوَاءُ والغُلُوَانُ : سُرْعَةُ الشَّبابِ وَأَوَّلُهُ ، عَنْ أَبِي زَيْدٍ .

وَالْخَيْلَاءُ : السِّكِّيرُ وَالتَّيْبُ ، يُقَالُ مِنْهُ : اخْتَالَ ، فَهُوَ ذُو خَيْلَاءٍ وَذُو خَالٍ وَذُو خَيْلَةٍ . وَالْمَادَةُ جَرَتْ بِأَنَّ النَّائِلَ لَا يَصِفُ رِسَالَتَهُ بِحُسْنٍ ، وَلَا يُبْنِي عَلَيْهَا ، بِخِلَافِ الشَّاعِرِ ، فَإِنَّ لَهُ أَنْ يُقَرِّظَ قَصِيدَتَهُ ، وَيُبْنِي عَلَى فَصَاحَةِ الْفَاطِمِ ، وَبِالْإِعْلَافِ مِمَّا نَبِيهَا ، وَيُنَبِّئُ عَلَى مَحَاسِنِهَا ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ أُسْتَفَاضَ بَيْنَ الْأُدْبَاءِ أَمْرُهُ ، وَتَقَرَّرَ عِنْدَ الْبُلَغَاءِ ذِكْرُهُ . فَقُلَّ أَنْ يَرَى شَاعِرٌ نِظْمَ قَصِيدَةٍ مَطْوَلَةٍ إِلَّا وَخَمَّهَا بِالْثَمَاءِ عَلَى مَحَاسِنِهَا .

وَأَبُو الطَّيِّبِ حَامِلٌ هَذِهِ الرَّأْيَةَ ، وَأَبُو تَمَّامٍ قَبِيْلُهُ ، قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَارُوحَتْ      وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي الْجَوْزَاهُ (١)  
وَإِذَا حَقَّقْتُ عَلَى النَّبِيِّ فَمَادِرٌ      أَلَّا تَرَانِي مُقَلَّةٌ عَمِيَاهُ  
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

مِنْ كُلِّ بَيْتٍ يَكَادُ اللَّيْتُ يَفْهَمُهُ      حُسْنًا وَيَعْبُدُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ  
وَقَالَ ابْنُ الْقَيْسِرَانِيِّ :

فَدُونُكُمْ لَوْ أَدْرَكْتُمْ أُمِّيَةَ      لِحَامِي جَرِيرٌ دُونَهَا وَالْمَرْزُوقُ  
يُنَاقِضُهَا مِنْ لَا يَكَادُ تَجْبِيهُ

وَقَدْ يَزَارُ الصُّرْعَامُ وَالْقَيْرُ بَنِيهِ

وَقَالَ عِمَارَةُ الْيَمَنِيِّ :

قَوَافٍ هِيَ الشُّعْرَى سُمُّوا وَإِنَّمَا      يَلْقَاهَا بِالشُّعْرِ مِنْ لَيْسَ بِشُّعْرٍ

(١) ديوانه ١ : ١٥

مَلَكْتُ عَلَيْهَا خَيْرُ وَاثَانَةٍ كَبِيرًا      وفيها على قومٍ سِوَاكَ تَكْبِيرُ  
تَرْفٌ وَلَكِنَّ الصُّدُورَ خُدُورًا      وتُنحَلُ أَبَابَ الرِّجَالِ وَتَهْمُرُ

\* \* \*

١٢٤ - قوله : عَارَضَهَا النَّظْمُ مُبَاهِيًا ، بل كَايَدَهُ مُدَاهِيًا .

عَارِضٌ : فاعِلٌ مِنَ المَعَارِضَةِ ، وَمُبَاهِيًا : اسْمٌ فاعِلٍ مِنَ المُبَاهَاةِ ، وَهِيَ المَفَاخِرَةُ .  
وَكَايِدٌ ، فاعِلٌ مِنَ المَكَايِدَةِ ، وَالسَّكِيدُ : المَكْرُ وَالتَّخْدِيعَةُ ، وَرَبْمَا سُمِّيَ  
الْحَرْبُ كَيْدًا .

يريدُ بهذا السَّكَامَ أَنَّ النَّثْرَ إِذَا تَقَدَّمَ فَلَا بَأْسَ المَتَكَلِّمُ أَنْ يُبَاحِثَهُ بِشَيْءٍ  
مِنَ النَّظْمِ ، لِأَنَّ النُّفُوسَ تَرْتَاحُ إِلَى ذَلِكَ ؛ وَلِأَنَّ البِلاغَةَ دَائِرَةٌ بَيْنَ هَذَيْنِ  
النُّوعَيْنِ ، وَهِيَ النَّظْمُ وَالنَّثْرُ . وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ النَّثْرَ أَشْرَفُ مِنَ النَّظْمِ ،  
قَالُوا : وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ السَّكَاتِبَ وَالمُتَرَسِّلِينَ أَقْلَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ؛ لِأَنَّهُ  
يَكُونُ فِي كُلِّ زَمَانٍ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ الزَّمَانَ لَا يَكُونُ فِيهِ  
كَاتِبٌ مُفْلِحٌ يُدَوِّنُ كَلَامَهُ وَيُخَلِّدُ . وَمِنَ الدَّلِيلِ أَيْضًا عَلَى شَرَفِ النَّثْرِ كَوْنُ  
الْقُرْآنِ غَيْرَ مَنْظُومٍ .

قلت : وَلِأَنَّ الشُّعْرَ يُرَوِّجُهُ الوَزنُ الَّذِي هُوَ مُلَائِمٌ لِلطَّنْبِ ، وَالنَّثْرُ إِن لَمْ  
يَكُنْ فِي الذَّرْوَةِ المُلَيَّا مِنَ البِلاغَةِ ، لَا تَقْبَلُهُ النُّفُوسُ ، وَتَمُجُّهُ الأَسْمَاعُ .  
وَمِنَ عَجِيبِ الدَّهَاءِ أَنَّ قَوْمًا قَدَّمُوا خَصْمًا لَهُمْ إِلَى الحَاكِمِ ، فَقَالُوا : لِفَاعِلِيهِ  
مَالٌ ، فَقَالَ : صَدَّقُوا أَيُّهَا الحَاكِمُ ، سَأَلْتُهُمُ المَهْلَةَ إِلَى أَنْ أبيعَ مَالِي مِنْ عَقَارِ  
وَرَقِيقِ ، وَإِبِلِ وَشَاءَ ، فَقَالُوا : كَذَبَ أَعَزَّكَ اللهُ ، وَإِنَّمَا يَدُأْهِمُنَا بِذَلِكَ ،  
فَقَالَ : أَيُّهَا الحَاكِمُ ، قَدْ شَهِدُوا لِي <sup>(١)</sup> بِالْإِعْسَارِ . فَخَلَّى الحَاكِمُ سَبِيلَهُ .

(١) ط : « على »

وَمَا قَلْتُ أَنَا :

تداهى عَدُوِّي فِي الْقَرَامِ وَلَمْ تَكُنْ مَقاصِدُهُ تَخْفَى عَلَيَّ عَاشِقٍ مِثْلِي  
أَحَبَّ وَلَكَا غَارَ مِثِّي وَخَافَ أَنْ أَفَانِحَهُ فِيهِ تَسَابِقَ بِالْعَدْلِ

\* \* \*

١٢٥ - وقوله: وحينَ أشفقَ من أن يعطِفَكَ أسْتَمطافُهُ، ويَميلُ

بِنَفْسِكَ إِطَافُهُ .

أَشْفَقَ : بِمَعْنَى حَذَرَ . عَطَفَكَ يَعْطِفُكَ ، أَي تَنَأَكَ إِلَيْهِ أَسْتَمطافُهُ ، اسْتَمطَالَ  
مِنَ الْعَطْفِ . وَالْإِطَافُ ، مَصْدَرُ الْإِطْفَافِ بِكَذَا ، أَي بَرَّهْ وَأَتَحَفَهُ ، وَهَذَا الَّذِي  
سَلَكَ ابْنُ زَيْدُونَ فِي هَذَا الْمَسْأَلِ نَوْعٌ مِّنْ سِحْرِ الْبَلَاغَةِ وَزَخْرَفِهَا ، وَهُوَ الَّذِي  
يُسَمِّيهِ أَرْبَابُ الْبَدِيعِ الْإِسْجَالَ بِعَدِ الْمَقَالِطَةِ ؛ لِأَنَّهُ غَالِطُهُ ابْنُ جَهْوَرٍ بِمَا خَدَعَهُ مِنْ  
كَلَامِهِ الْمَقْدَّمِ ، ثُمَّ أَسْجَلَ عَلَيْهِ بِعَدِ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا النَّثْرَ الَّذِي قَدَّمْتَهُ عَطْفَكَ ، وَأَمَالَ  
بِالْطَّافَةِ نَفْسَكَ ، فَأَشْفَقَ النَّظْمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَغَارَ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يُسَاهِمَهُ ، وَيَكُونَ لَهُ  
نَصِيبٌ . وَقَدْ جَاءَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ  
الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

جاءَ الشَّتَاءُ وَمَا عِنْدِي لِقَرَّتِهِ إِلَّا أُرْتِمَادِي وَتَصْفِيقِي بِأَسْنَانِي  
فَإِنْ هَلَكْتُ فَمَوْلَانَا يَكْفِي عَنِّي  
هَبْنِي هَلَكْتُ فَهَبْ لِي بَعْضَ أَكْفَانِي

وَقَدْ تَأْتَى الْمَقَالِطَةُ بِإِسْجَالٍ كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانَ كَيْفَ خَلَفْتُمْ أَبَا عُمَانَ <sup>(٢)</sup>

فيقولون لي جنانٌ كما سرَّكَ في نَفْسِهَا ، فسَلَّ عن جَنَانٍ  
 ما لهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يُبَيِّنْ عندهم كَيْمَانِي !  
 هذه جنان كان يهواها أبو نُوَاس ، وما صدق في حُبِّ أحدٍ ممن كان  
 يتعشقه غيرها . وأبو عثمان الذي ذَكَرَهُ في شعره هو أخو مولى جنان .  
 وما أحلى قولَ القائل :

بِاللهِ يا صاحِبَ الرَّجَّةِ الذي اجْتَمَعَتْ فِيهِ المحاسِنُ فَاسْتَوَى على الرَّجْحِ  
 خَذَنِي خَدِيئًا وإن لم تَرْضَ نِي صَلَفًا  
 فَأَرْفَعُ نِي العَيْنَ عن ذا المُنْظَرِ البهيجِ

\*\*\*

١٢٦ - وقوله : فاستحسن المائدة منه ، واعتدَّ بالفائدة له .

استحسن : استفعل من الحسَّن . والعائدة ، تقول : فلان ذو عائدة ،  
 أي ذو عفو ورحمة ، واعتدَّت بالفائدة له ، معناه : عددت الفائدة له .

وهذا الكلام آخره مخرَج التوكيد لأستعطاف ابن جهمور ، ومثيل نفسه  
 إلى هذا النظم وقبوله له ، وأنه صادف من قلبه مَوْضِعًا ، فكانَ هذا الأمر  
 صار وافصَلَ حُكْمُهُ ، وهذا من باب من قولك : غفر الله له ورحمه الله ،  
 وهذا إنما هو في الأصل دُعاء ، والدعاء طلب ، والطلب استدعاء أمر لم يكن  
 بعد ، ولكن مخرجه مخرَج أمرٍ قد صار ومضى ووقع ، ووثوقاً برحمة الله ،  
 وَضَمًّا في جُوده . وما أحسن ما أتى بهذه الألفاظ في حقِّ النظم ، وأنه الذي  
 يُبْلغُه المقصود لا التبر ، وإن كان قد جاء في هذا التبر بما هو السحرُّ الخلال ،  
 وانخدعة أتى لا تحميد لها عن الأفعال ، ولكن هذا كله من التصرف في

فنون البلاغة ، وقوة المارضة ، فهو يخالطه من هاهنا ويخذه من هنا ،  
ويكأبده من هنا ، حتى يظفر منه بمزاده .

وفي المثل « تطأف أبي غزوان » ، وهو كناية القط ، لأنك ترى القط  
الذي يكون عندك في البيت - ولا أعني به الأجنبي - كيف يقف حذاءك  
ويخضع لك ويتمرغ على يدك ، ويترح نفسه على ما يقرب منه من جسدك ،  
وتارة ينظر إليك ، وتارة يصيح ، ولا يزال بك حتى تطعمه إمارحة له ،  
أو ضجراً منه .

\*\*\*

١٢٧ - وقوله: فما زال يستكيد الذهن الليل ، والخطار  
الكليل .

يستكيد: يستعمل من الكد ، وهو الشدة في العمل . والذهن : الفطنة  
والحفظ .

والليل : فاعيل من اللة . والخطار ، خطر الشيء بيألي يخطر - بضم الطاء -  
خطوراً ، وأخطره الله بيألي . والكليل : فاعيل من الكلال ، كل سيف  
إذا لم يقطع ، وكلت الريح إذا قرت بمد الهبوب ، والطرف إذا ضعف نظره ،  
أو اللسان إذا حصل له العي ، بكل كلاً وكلالة وكيلة وكلولا ؛ كل ذلك  
مصدر « كل » .

ثم إن ابن زيدون أخذ بمد تلك المبالاة الأولى يصف ما عاناه من  
الشدة ، وكأبده من المناء في نظم القصيدة التي سوف يوردها بمد انقضاء  
كلامه ، كالذي يريد أن يستميل الخاطب إلى ما يورده ، أو كالذي يشوق من  
له غرام في مرام ، ويمده بأنه لو حصل لك ، لكنت ترى عجباً ، وتظفر بأمنية

بديعة ، فيحصل حينئذ للمخاطب استعداد تام ، ويتكيف لورود ذلك  
ولسماعه بكيفية قابلة ، وأعضاء مشتاقة . وما أحسن قول أبي تمام :

تَعَابَرَ الشُّمْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ  
حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَلُ (١)

\*\*\*

١٢٨ - وقوله : حتى زفَّ إليك منه عروساً مجلوة في أنوابها ،

منصوصة مجلِّها وملايها .

جلاه : فهو مجلُّو ، وجلَّوت العروس جلاه ، وجلوة وأجلَّيتها بمعنى منصوصة ،  
مفعولة من النَّص ، وهو الرِّفْع ، ومنه منصّة العروس . والحلي : ما تزان به  
العروس من القلائد والشُّنُوف والأشوار وغير ذلك .

والملاب : الزعفران ، ومن أسمائه الجادى والريهان والحصى (٢) . وقد ادعى  
ابن زيدون أنه قد زفَّ إليه عروساً من نظمه ، وهى القصيدة الميمية في أنوابها ،  
وحليها وملايها . أراد بالثياب ألقاظها لأنه تحير لها ألقاظاً فصيحة عذبة  
التركيب ، عربية من الألقاظ الغربية الحوشية التى يذبو عنها السمع ، وأراد  
بالحلي الممانى التى قصدها ، فإنها بليغة كأنها أنواع الجوهر التى بضمها الحلي .  
وأراد بالملاب ما فيها من الثناء ؛ لأن الثناء يوصف بالطيب على ما هو مشهور  
في العرف .

وقد جرت عادة الشعراء أن يُسموا مدائحهم عروساً بديعة الحسن ، وأن  
سوّقها إلى تمدوحهم زفاف ، وأن مهرها الإقبال على شاعرها ، وهو أشهر  
من أن يُستشهد له بشيء . قال ابن الساعاتى رحمه الله تعالى :

(١) ديوانه ٢٢٧ . (٢) الجادى . الزعفران ، وكذلك الريهان والحصى .

تُجَلِي فُتْطِرِبُ قَبْلَ أَنْ يُحْدَى بِهَا  
 وَتَرَا وَلَمْ تَدْرِ السَّقَاةُ الْمُسْكِرَا  
 رُعْبُوبَةٌ حَسُنْتُ كَوْجِكَ مَفْطَرَا  
 مَجْلُوءَةٌ طَلَبْتُ كَأَهْلِكَ مَخْبَرَا  
 فَاسْتَجَلَّهَا وَأَسْتَجَلَّهَا مُسْتَفْرِبَا  
 وَكِرَا نَمَاهَا صَائِفًا وَمَصُورَا  
 وَقَالَ أَيْضًا:

حَتَّى تَزِفَ بِنَاتِ الْحَمْدِ غَادِيَةً  
 عَلَى رِجَالِ الْمَالِ نَمَّ تَنْصَرِفُ  
 يَمُدُّهَا الْفَضْلُ مِنْ إِحْسَانِهِ مُجَلَا  
 وَهِيَ الشُّدُورُ الَّتِي تَأْتِيكَ وَالشُّنْفُ  
 وَقَالَ أَيْضًا:

وَقَافِيَةٌ مَمْبُونَةٌ الْحَقِّ حَزْنَهَا  
 قَوْفِيَّتَهَا حَقًّا وَأَهْنَتَهَا الْغَيْبَنَا  
 عَرُوسُ حَصَانِ النَّحْرِ ، فَكِرَى وَرَيْبَهَا  
 سَهَرَتْ لَهَا وَهَنَا فَمَا وَجَدَتْ وَهَنَا  
 وَقَالَ الْأَرَجَانِيُّ:

وَإِنِّي لِأَرْضَاكَ لِلْمَدْحِ كَفُورًا  
 كَرِيمًا وَأَرْضَى بِنِعْمَاكَ مَهْرًا<sup>(١)</sup>  
 فَدُونِكَ فَاجْتَلِ بِالسَّمْعِ مِنْكَ  
 أَرْفُ إِلَيْكَ ابْنَةَ الْفِسْكَرِ بَكْرًا  
 وَقَالَ ابْنُ الْمَعْلَمِ:

أَيُّهَا الْمَوْلَى اسْتَمِعْ شِعْرَ الَّذِي  
 حَدَّثَ لِلشَّرِيقِ عَنْهُ مَفْرَبَةً

جئت أهدي منه بكرأ سُمِّيتُ بك إذ منك حُلاها المذهبية  
وقال سبط ابن التعاويذي :

رَفَعْتُ إِلَيْكَ عُرُوسَ الثَّمَا عِذْرَاءَ مِنْ حُسْنِهَا فِي نِطَاقِ (١)  
وَصَفْتُ لَهَا حِلْيَةً مِنْ عُلَاكَ عَلَى مَفْرَقِ الدَّهْرِ ذَاتَ انْتِلاقِ  
ومنه من يدعي أن قصيدته « بُرْدٌ مُحَبَّرٌ » ، قال ابن بابك :

أَنْصِتْ لِشَارِدَةٍ تُصَفِي لِرَنْتِهَا فَصُحَّ الحِمَامُ إِذَا غَنَى بِهَا الحَادِي  
مَمْشُوقَةَ اللَّفْظِ تُسَجِّلُ بِدَائِمِهَا كَأَنَّ الْفَاطِمَةَ تَحْبِيرُ أَبْرَادِ  
ومنه من يقول : « إِنَّهُ عَقْدُ جَوْهَرٍ » ، قال ابن قلايس :

نَظَّمْتُ لَكَ الدَّرَّ الَّذِي مِنْ فَرِيدِهِ فَرَائِدُ أَيْكَارِ الدَّرَارِيِّ الْقَوَائِمِ  
غَرَابِ حُصَّتْ بِالرَّغَائِبِ فَأَنْدَنْتُ  
وَكَمْ غُرَّرِ فِي أَوْجِهِ وَمَبَايِمِ  
وقال أبو تمام :

إِذَا أَنْشِدْتَ فِي القَوْمِ ظَلَّتْ كَأَنَّهَا  
مُسْرَةً كَبِيرًا أَوْ تَدَاخَلَهَا عُجْبُ (٢)  
مُفْصَلَةٌ بِاللَّوَاؤِ الْمَتَّقِي هَا مِنْ الشَّعْرِ إِلَّا أَنَّهُ اللَّوَاؤُ الرُّطْبُ  
ومنه من يقول : « رَوْضٌ مُزْهِرٌ » ، قال ابن بابك :

وَأَسْتَجِلُّ الْفَاطِمَةَ كَانَ سَقِيمَةً بِهَا رَوْضُ أَلَمٍ بِهِ الرِّكَابُ الْمَسْبَلُ  
وَالَيْكَ صَوْبٌ مَدَامِحٌ لَوْ أَنَّهَا مَلَأَ كُنُجٌ بِهِ الرَّجِيحُ السَّلْسَلُ  
وقال ابن قلايس :

إِلَيْكَ أَيْ رِكَابُ الشَّعْرِ يَطْوِي فَسِيحَاتِ الحُرُونِ مَعَ الشُّهُولِ



كَرَّهَ الرُّوضُ قَدْ جُرَّتْ عَلَيْهِ ذُبُولُ غَلَائِلِ السَّرِيحِ الْبَلِيلِ

ومنه من يقول: «سحرٌ يُؤَثَّرُ»، قال سيبط ابن النعمان يدي:

قَوَافٍ تَسْحَرُ الْأَلْبَابَ حَتَّى يُخَالَ بِهَا فُتُوزٌ وَأَحْوِرَارٌ (١)  
تَظَلُّ لَدَى بُيُوتِكُمْ وَتُمَسِّي بِهَا وَأَلْمَا طَوَافٌ وَاعْتِمَارٌ

وقال ابن الساعاتي:

مَلَكَتْ أَعْنَاقَ الْقَرِيضِ مَلِكٌ إِذْ عَانَ فَلَمْ أَعْمِدْ لَهُ إِلَّا أَنْفَقُ  
يَصْدَعُ بِالسَّحْرِ الْخَلَالَ فِسْكَرَتِي وَتَارَةً بِسَمَحٍ بِالذَّرِّ النَّسَقُ

ومنه من يقول «نسيم في الرياض يخطر»، قال ابن القيسراني:

وَذَاتُ مَمَانَ قَطَعَتْ أَيْبَ الْحَيَا إِلَيْكَ فَجَاءَتْ وَهِيَ تَأْمَبُ بِاللَّبِّ  
تَهَزُّ عَمِيدَ الْقَوْمِ حَتَّى كَانَتْ  
نَسِيمُ الصَّيَا أَفْضَى إِلَى النَّعْنَ النَّعْنَ الرُّطْبِ

وقال ابن الساعاتي:

سِيَارَةُ الْأَمْثَالِ لَسْتُ بِوَأَجِدِ كِفْؤًا سِيَوَاكَ لِثَلْمِهَا وَعَدِيدِهَا  
حَضْرِيَّةُ النَّعْنَجَاتِ ضَائِعٌ رَدْعِهَا (٢) عَمَّ الْبَسِيطَةُ عَرَضَهَا وَالطُّوَلَا  
فَكَأَنَّمَا نَفْسُ الْقَبُولِ أَمَدُهَا نَشْرُ الْخُرَاصِي لَدَّةً وَقَبُولَا

ومنه من يقول: «خمرٌ أسكر»، قال ابن فلاقس:

جَاءَتْكَ كَالْتَرَفِ الشَّمَائِلِ وَأَعِيدَا بِوَصَالِهِ مَتَخَفَرَا مِنْ صَدِّهِ  
ذَابَ الْبِدْيَعِ بِهَا فَسَلَسَلْ لِنَظْمِهَا رَاحًا تَوْمَنُ شَارِبًا مِنْ حَدِّهِ

(٢) الردع هنا: الزعفران.

(١) ديوانه ٢٠٤

وقال الأرجاني :

خُذْهَا سُلَاقَةً فِكْرٌ قَدْ هَزَزْتُ لَهَا  
أَعْطَافَ خَزَقٍ بِسْكَاسِ الْحَمْدِ نَشْوَانِ<sup>(١)</sup>  
رَاحاً يَشْمَعُهَا الرَّأْيُ بِأَكْوَسِهَا يُشْرِبُنْ مِنْ دُونَ أَفْوَاهِ بَادَانِ

ومنه من يقول : « حَامُ غَرْد » . قال ابن قلاؤس :

جَاءَتْكَ كَالْأَوْرَاقِ بَاتَتْ فِي النَّدَى  
خُضْرًا وَكَالْأَوْرَاقِ نَاحَتْ هُتِفًا  
مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ تَحِطُّ قِنَاعِهَا فَتَرُدُّ وَجَهَ « قَفَا » وَقَائِلِهَا قَفَا<sup>(٢)</sup>  
وقال ابن الرقاق :

وَإِنِّي كَيْفَا مِنْ وَاضِحَاتِ قِلَانِدِي  
مِدْحًا يَرِنُ بِهَا الْحَمَامُ وَيَهْرَجُ<sup>(٣)</sup>  
كَعَطَائِمِ الْبُسْتَانِ أَيْبَعُ زَهْرُهَا أَوْ كَالْمَذَارِي الْبَيْضِ إِذَا تَتَبَّرَجُ  
ومنه من يقول : « مِسْكٌ أَذْفَرُ » ، قال ابن المعلم :

نَقَحَهَا شَاعِرٌ وَلِيٌّ لَدَرٌّ إِحْسَانِيكُمْ رَضِيْعُ  
يَنْتَرُ مِنْهَا بِكُلِّ نَادٍ لَطَائِمًا نَشْرُهَا يَبْضُوعُ

وقال ابن الساعاتي :

قَعَدَتْ حَوْلَكَ الْقَوَافِي وَلا يَنْدُ فَكَّ فِي الْأَرْضِ كَلِمًا سَيَّارًا  
كَلِمًا كَتَمُوهُ نَمَّ شَدَاهُ فَهُوَ كَالْمِسْكِ نَفْحَةٌ وَانْتِشَارًا  
ومنه من يقول : « ثُوبٌ أَفَقٌ بِالْكَوَاكِبِ مَدْتَرٌ » ، قال الخفاجي :

(١) ديوانه ٤٠١ ، والمخرق من الفتيان : الظريف في سباحة .

(٢) يشير إلى معلقة امرئ القيس التي أولها : « قفانك » . (٣) ديوانه ١٢٠ .

لك الخير ما جهد القوافي ببالغ مذاك ، وإن بذَّ الرِّيحَ حَسِيرُهَا (١)  
ولو نُظِمَتْ فيكَ النجومُ مَدَامْحًا  
لقصر عن حَدِّ الشِّفاءِ مَسِيرُهَا

وقال أبوالملاء المَعَرِّي :

وَأَقْدَمْدَغَصَبَتُ اللَّيْلُ أَحْسَنَ شُئْبِهِ وَنَظْمُهَا عَقْدًا لِأَحْسَنِ لَابِسِ (٢)  
وَأَفْدَتْهَا الْقِدْحَ الْمُعْلَى فَانْضَا يَجْرِي وَلَمْ أَقْنَعْ لَهَا بِالنَّافِسِ  
ومنها من يقول : « حُسامٌ صَقِيلٌ مُجْوَهَرٌ » . قال ابن الساعاتي :

فَأَفْتَرَعَهَا غَيْدَاءَ جَيْدَاءِ كَالْمَمِّ شُوقٌ يَجْزُلُو عَلَى الْمُحِبِّ دَلَالَهُ  
كَصَفِيحِ الْمِنْدِيِّ حُفْنًا وَلَيْفًا وَكَخَدَيْهِ قُوَّةٌ وَجَزَالَهُ  
وقال الأَرْجَانِيُّ :

واسمع جميل ثناء من خلوص هوى على لسان جنساني فيك يلقيه  
ألا فقلد حساماً من تصادقه منها ، وطوق حساماً من تعاديه

ومنها من يقول : « لَيْثٌ يَزَارُ » : قال ابن الساعاتي :

مَدِيحٌ حِكِي زَأْرُ الْأَسْوَدِ جَزَالَهُ وَرَاءَ نَسِيبِ كَالْفَزَالِ يُفَارِزُ  
فَمَا نَقَشَهُ إِلَّا سَوَادُ عَجَاجِيهِ وَمَا شَكَلَهَا إِلَّا قَنَّا وَمَنَاصِلُ

وقد جمع سبط ابن التماوي يذى غالب هذه الدعوى وأدعاهات قصيدته ، فقال :

سَامِلًا فِيهِ أَقْاصِي الْبِلَادِ ثَنَاءً مَتَى سَارَتِ الشَّمْسُ سَارًا (١)

(١) ديوانه ٤٨ .

(٢) سقط الزند ٤١٢ ، والقدرح المعلى من القدرح : ما كان له سبعة أنصباء ، والنافس له خمسة .

وأبقي على مفروق الدهر مِنْهُ تَأْجِأُ فِي مِفْصَمِيهِ سِوَارَا  
 قِوَافٍ كَأَنَّ عَلَى السَّمَاءِ بَيْنَ أُدْبُرِ بَيْنَ تَكْمُولَا عُمَارَا  
 تَضْوَعُ طَلِييَا كَأَنَّ الثَّنَا ءِ شَبَّ بِهَا مَنْدَلِيَا وَعَارَا  
 وَتَقَرَّ عَنْ مَبِيسَمٍ كَالرِّيَا ضِ ضَا حَكَ نُوَارُهَا الْجُلُنَارَا  
 حَسَانَ فَإِنَّ كُنْتُ أَرْسَلْتُهُنَّ عُسُونًا فَإِنَّ الْعَمَانِيَّ عَدَارِي

قوله بعد تمام القصيدة (٢) :

١٢٩ - هَا كَمَا أَعَزَّكَ اللَّهُ ، يَبْسُطُهَا الْأَمَلُ ، وَيَقْبِضُهَا الْحَجَلُ .  
 يبسطها الأمل ، أي يمدّها ويطوّلها حسن الظنّ بك . وَيَقْبِضُهَا الْحَجَلُ ،  
 أي يجمّعها ويضمّمها التقصير ، وكأنّها تقدّم رجلاً من الأمل ، وتؤخّر آخرى من  
 الحجل وقد طابق بين البسّط والقبض وبين الأمل والحجل ، لأنّ الأمل يبعث  
 والحجل يكفّ . وقد جرت العادة في مثل هذا بين الأدباء ، أنه يُتَمَعُّ التَنَزُّ  
 بالنظم ، لأنّ النظم له موقع في السّمع تلتذّه ، وللنفس به ابتهاج لمناسبة بين الطبع  
 والوزن ؛ قال أبو تمام :

فكيف ولم يزل للشمر مالا يرفّ عليه ربحان القلوب  
 ثم إنهم يمتدنون مع ذلك . وقد اعتمد هذا جماعة من الأدباء ، منهم أبو عبد الله  
 الحسين بن عليّ بن محمد المعروف بابن قمّ النينيّ في رسالته المشهورة التي كتبها إلى  
 أبي حمير سبأ بن أبي السمود أحمد الصّايحيّ ، فقال في آخر رسالته المذكورة :  
 وقد أصعب عبده هذه الأسطر شمرأ يقصر فيه عن واجب الحد ، وإن بُنيت قافيةه

على المد ، وما يعد نفسه إلى كهدي جلد السبتي الأثر<sup>(١)</sup> ، إلى الديباج الأحمر .  
أين در الحباب ، من ثغور الأحباب ، وأين الشراب من السراب !

\* \* \*

١٣٠ - وقونه لها ذنبُ التقصير، وحرمة الإخلاص، فهب ذنباً  
حرمة ، واشفع نعمة بنعمة .

الحرمة : ما لا يحل انتهاكه ، وكذلك الحرمة . والإخلاص : أن يكون  
الضمير لا يحاطه شك فيما به تقدمه . واشفع ، أى أتبع النعمة بالنعمة حتى يكون  
ذلك شفعاً ، أى زوجاً . وقال عمارة اليمفى :

خذ القفو واشفع هن قصور قصائدي  
فإنك عن ذنب المقرين صافح  
وسامح وخذ بمض الذى تستحقه  
فمن عادة أن الكريم يسامح  
وما أحسن ما أنشدنيه لنفسه إجازة صفي الدين الحلى :

فانتجلى بكر قصيد لا صدق لها  
سوى القبول وود غير مكفور  
على أبى الطيب الكوفى مفخرها  
إذ لم أضيع مسكها فى مثل كافور  
رقت لتعرب عن رقى لجدكم  
حيًا ، وطالت لتمحو ذنب تقصير  
وقال ابن العلم :

ما كان فى التقصير إلا مذنباً  
شعري وقد جاء إليك تائباً  
قوله : « واشفع نعمة بنعمة » من قول أبى تمام :

(١) السبتي من أسماء النمر ، والأثر ما فيه نكت سوداء وأخرى بيضاء .

وتَقْمُولِي الْجُدُوى بِجَدُوى وَإِنَّمَا  
يُرَوِّقُكَ بَيْتَ الشُّمْرِ حِينَ يُصْرَعُ (١)

وقال ابن حيّوس :

وَأَطَأْنَا أَغْنَيْتَ غَيْرَ مِشَارِكِ عَنِ صُوبِ غَادِيَةِ بَصُوبِ بِنَانِ  
وَقَلَّتْ غَرْبَ كَتَيْبَةِ بَطْلِيمَةِ وَشَفَعْتَ بَكْرَ صَنِيمَةَ بِيَمَانِ

\*\*\*

١٣١ - وقوله : لَيْتَانِي لَكَ الْإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسَلَّكَ إِلَى

الْفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ

التّأني : وللتّهيؤ ، وتأتى له ، أى ترفق وأتاه من وجهه . وقال الفراء : يقال :  
فلان يتأني ، أى جاء يتهرّض لمروءك ، والإحسان مصدر « أحسن » ، وهو  
ضدّ الإساءة . وجهات : جمع جهة ، وهى الناحية والتصد . والسلوك . الذّهاب  
والرور . والفضل : اسم يعمّ كل خير ، وهو ضدّ النقص . والطرقات : جمع  
طريقة ، وهى المذهب .

[ فصل في نقد المؤلف لرسالة ابن زيدون ]

فيما ظهر لي من الانتقاد على ابن زيدون رحمه الله تعالى ، وإن كان من الفضل بالحل الأعلى ، ومن الأدب بالنور الأجل ، فإنه لا بد من السكينة للجواد والهنوة لمن عرض عقله على السواد ، فالعضمة لا تشترط إلا المرسل ، ومن عرض نجره للموالى فلا بد أن يُبسل<sup>(١)</sup> ؛ وفوق كل ذي علم عليم .

١ - من ذلك قوله : « الذي ودادي له » ، أتى بهذه فذة لأخت لها ، ولو قال بعدها : « وسدادي » لكان قد آخى بين الكلام ؛ كما قال بعد ذلك : « واعتدادي به ، واعتدادي عليه » .

٢ - ومن ذلك قوله : « وأنفع الحيا ما وافق جدبا ، وألذ الشراب ما أصاب غليلا » ، كان يحسن به ويليق بهذا الموضع لو أشد :

لولا أطراد الصيد لم تك لذة فتطاردى لي بالوصال قليلا

ومن ذلك قوله : « ولا أخلو من أن أكون بريئا فأين عدلك ، أو مسيئا فأين فضلك » كان يحسن بهذا الموضع ويليق به لو قال بعد ذلك :

هيني ظلوما نلتيه بمساءة  
قصاصا فأين الأخذ يا عز بالفضل !

٣ - ومن ذلك قوله : « حفا نيك قد بانغ السيل الزبي » كان يحسن بهذا الموضع ويليق به أن لو زاده : « وجاوز الحزام الطيبين » ، الطيبي لدوات الحافر والسباع كالضرع لغيرها .

(١) البسل : الملاك .

وهكذا كتب عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب وهو محصور في الدار :  
« أما بعد ، فقد بلغ السيل الزبني ، وجاوز الحرام الطيبين » . وقد تقدم  
ذلك عند ذكر عثمان رضي الله عنه .

٤ - ومن ذلك قوله : « وتأولت في بيعة العقبة » ، لم ينقل أحد من  
علماء السير أن أحداً ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الأولى  
والثانية ولا الثالثة من الأنصار - رضي الله عنهم - نكث بيعته أو تأول  
فيها ؛ فيأراده هذه القرينة مع ما تقدمها من الوقائع المشهورة غير لائق .

٥ - ومن ذلك قوله : « وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة » ،  
هذه وإن كان قد وقع فيها جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ؛ فإن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم ينقل أحدٌ من أرباب السير فيما علمته أنه عاب  
على أحدٍ ممن تخلف عن الصلاة في بني قريظة تأخيره . فإنه فيهم من  
صلى العصر في وقتها في بني قريظة ، ومنهم من تأخر عنها . ولما ورد قضى صلاة  
العصر في بني قريظة ، وما أنكر على أحدٍ منهم صلى الله عليه وسلم فعله ؛ وما يليق  
بالبلغ أن يورد هذه الواقعة مع ما أورده من تخلف إبليس عن السجود لآدم ،  
ومن فعل ابن نوح ، ومن قول فرعون : ( يَا هَآمَانَ ابْنِ صَرْحًا ) ،  
من عقر ناقة صالح ، مما ذكره وعدده من تلك الإساءات ، وأورده من  
تلك الذنوب .

٦ - ومن ذلك قوله : « وزعمت أن إمارَةَ أبي بكر كانت فلتةً » ،  
فإن مثل هذه العبارة لا تورد في الجنايات ولا الخطايا ؛ لاسيما وهي من قول عمر  
ابن الخطاب رضي الله عنه على ما تقدم بيانه . والذين تعلقوا بهذه العبارة  
وعدوها هفوة ، إنما تمسكوا بما فسر الخطابي في كتاب غريب الحديث ؛  
وليس ذلك بظاهر ، وابن زيدون رحمه الله تعالى تمسك بما فسر أبو عميد .

٧ - ومن ذلك قوله : « وكتبت إلى عمر بن سعد : أن جمع الحسين » ،



فإنه عني بالكاتب عبيد الله بن زياد وعني بعمرو بن سعد ، ابن أبي وقاص ، وهو الذي توأى محاربة الحسين . وعبيد الله بن زياد إنما كتب بذلك إلى الحر بن يزيد التيمي - وكان قد أرسله في ألف فارس - ليأتي الحسين قبل إرساله عمر بن سعد . فلقية الحر ، ومنعه من التوجه إلى الكوفة وإلى الشام ، وحال بينه وبين الرجوع ، وجرى بينهما الصلح - على ما هو مذكور في كتب التواريخ - على أن ينزل الحسين رضي الله عنه حيث انتهى إليه الحر وعسكره ، ويكتب الحر عبيد الله . فكان جواب عبيد الله إليه : أن جئنا بالحسين وأصحابه حتى أتى عمر بن سعد ، وأنزلهم على غير ماء .

٨ - ومن ذلك قوله : « فكيف ولا ذنب إلا نعمة أهداها كاشح ، ونبا جاء به فاسق » ؛ كان يليق بهذه المواطن أن يزيد فيه : « وفرة اختلقها حاسد » ، ليحسن بهد ذلك قوله : « وهم الهمازون الشامون بنهم » .

٩ - ومن ذلك قوله : وما ظنك بقوم ، الصدق محمود إلا منهم .

حلفت فلم أترك لنفسي ريباً وليس وراء الله للمرء مذهب (١)

ليس هذا البيت بمد هذه السجعات بمتمكن في إيراده ، ولا ثابت في وضعه ، وكان الأليق بهذه السجعات لو أورد قول أبي الطيب :

وإن كان ذنبي كل ذنب فإنه

محا الذنب كل المحو من جاء تائباً (٢)

لكن حسناً وافياً بالقصود .

(١) للنايفة ، ديوانه ١٢

(٢) ديوانه ١ : ١٧

١٠ — ومن ذلك قوله : « ووالله ما غششتك بمد النصيحة ... » ، إلى قوله : « وعهد أخذه حسن الظنّ عليك » ، هنا بمد فراغه من هذه الجُملة التي عطفها على الجملة التي أقسم عليها ، يحسن إيراد قول الشاعر :

\* حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة .. \*

### البيت

١١ — ومن ذلك قوله : « فعمَّ عبثَ الجفاء بأذمّتي » ، كذا وجدته بخط الشيخ الإمام الأديب الكامل عليّ بن ظافر رحمه الله تعالى في اختصاره نفائس الذخيرة ، والظاهر أن ابن زيدون رحمه الله تعالى إنما قال : « فقيم<sup>(١)</sup> » أو « علام » .

١٢ — ومن ذلك قوله : « ومالك لم تمنع مني قبل أن أفترس ، وتُدركني ولما أمزق ، أم كيف لا تنضرم جوانح الأكفاء حسداً لي على الخصوص بك » ؛ هكذا نقلته من خط ابن ظافر رحمه الله تعالى ، وما لدخول هذه الجمل المصدرية بأم مناسبة على هذه الجمل المصدرية بحرف الاستفهام ؛ لأنه لا يجوز أن تقول : مالك لم تقم ، ولم تترك ، أم كيف لا تكون قاعداً ؟ وهذه « أم » إنما يعطف بها على الاستفهام بالهمزة ، فتقول : أقت أم قدمت ، والظاهر أن ابن زيدون رحمه الله تعالى قال : « وكيف لا » ؛ والله أعلم .

١٣ — ومن ذلك قوله : « عارفٌ بأن الأدب الوطنُ لا يخشى فراقه ، والخليطُ لا يتوقع زياله » ، كذا وجدته بخط ابن ظافر رحمه الله تعالى ، وهو غير مستقيم ولا متفق ، لأن كل أحدٍ يخشى فراق وطنه . والظاهر أن ابن زيدون رحمه الله تعالى قال : « عارف أن الوطن يحتجب فراقه والخليط يخشى زياله » ، وإنما صحف « يحتجب » ، ؛ « يخشى » وزادها « لا » ، لأنه قال

فيا بعد : « غير أنّ الوطن محبوب والمنشأ معروف ، واللييب يحنّ إلى وطنه » .

١٤ — ومن ذلك قوله : « والكريم لا يجفؤ أرضاً بها قبائله ، ولا ينسى بلدأ فيها مراضمه » لو قال بعد هذا : « ولا يرفض معهدأ قضى الشبابُ فيها مآربه » .

١٥ — ومن ذلك قوله : « إنّ الطمع في غيرك طبع ، والفناء من سواك عفاء » ، لو قال بعد ذلك : « والطمأنينة إلى غيرك غرور ، والنقمة بخلافك خذلان » لكان فيه زيادة حُسن .

## فصل

### [ رسالة محبي الدين بن عبد الظاهر ]

وإذ قد وصل بي العمل إلى هنا ، وفرغتُ من الكلام على الرسالة الزيدونية ، فلا بأسَ بإيراد الرسالة التي أنشأها الإمام الفاضل الكاتب القاضي محبي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر<sup>(١)</sup> ، أحد أسيخ الإنشاء ، لا بل إمامٍ من ترسل وتوصل إلى المقاصد الغربية ، بحسن ماخطب ، ولطف ما توصل . وهي رسالة كتب بها رحمه الله تعالى إلى الأمير ناصر الدين حسن بن شاور الكنتاني القميصي المعروف بابن النقيب<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى ، في معنى شخص تنقصه بسبب التواضع في الجلوس ، وهو يُنسب إلى الرفض ، هذا فيما حدّوه ابن زيدون رحمه الله تعالى في هذه الرسالة في سنة ثلاث وخمسين وستائة . وقد نقلت ذلك من خطه رحمه الله تعالى :

بلغني - أعزك الله ، ولا برحت رحيب فناء الفخر ، قشيب ملبس العمر ، يانع عمر الشكر ، مُفعم حياض البر - أن فلاناً غَضَّ مني كلَّ غَضِّ الجني ، وأنه عبثَ بي عبثَ الأيام بالمني ، وأنه ردّني إلى أرذل العمر في الأطراح ، وغلّق في وجهه تنجّحي أبواب النجاح ، وزعم أن إناء أُناتي<sup>(٣)</sup> غير مُفعم ، وبفاء مجدي غير مُحكّم ، وجواد إجادتي غير مُلجّم ، وأن ميلاد مجدي حديث ، وسبب سقمدي رثيث<sup>(٤)</sup> ، وأن جوارح إجادتي جريحة ، وقرائح ارتجالي قريحة ،

(١) هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان محبي الدين القاضي الأديب المؤرخ ، من أهل مصر مولداً ووفاة ، توفي سنة ٦٩٢ . فوات الوفيات ١ : ٢١٢ .  
(٢) هو الحسن بن شاور بن طرخان ، شاعر من أفاضل مصر ، وصاحب كتاب منازل الأحباب . توفي سنة ٦٧٨ . فوات الوفيات ١ : ١١٨ .  
(٣) في ط : إمانى .  
(٤) السبب : الجبل ، والرثيث ، أي البالي .

وَأَنَّ صَدُورَ الْجَالِسِ تُنْفَكِرُ إِقْدَامَ أَقْدَامِي ، وَبَطُونِ الطَّرُوسِ لَا تَلْفَحُ بُوْطَهُ  
أَقْلَامِي ، وَأَنْي لَا أَعْدُّ فِي جَمَلَةِ السِّكْنَابِ ، وَإِذَا دَخَلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ لِاتِّكْرِمِ  
لَا أَدْخُلُ مَعَهُمْ فِي بَابٍ .

وَإِذَا أَتَيْتَ مَذْمُومِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنَّي كَامِلٌ (١)

وَقَدْ بَنَيْتَ مَقَالَةَ هَذَا الْقَائِلِ عَلَى أُمُورٍ ، وَجَاهِئَهَا عَلَى إِحْتِمَالَاتٍ ؛ غَرَّهُ  
فِي جَهْمِهَا الْجَهْلُ ، كَمَا غَرَّهُ بِاللَّهِ الْفُرُورُ . وَالَّذِي أَقُولُهُ لَهُ مَخَاطِبًا ، وَأُرْحِيهِ  
إِلَيْهِ بِجَاوِبًا :

إِنْ كَانَ اسْتِرْسَالُكَ أَيُّهَا الْعَائِبُ عَيْبًا ؛ فَمَا كُلُّ الْأَفَاعِي تَنْعَبُ بِهَا الْأُنَامِلُ ،  
وَلَا كُلُّ الْمُرَاعِي تَنْصَبُ بِهَا الْحَبَائِلُ ، وَلَا كُلُّ زَخَارِ يُخَاضُ ، وَلَا كُلُّ جَنَاحٍ  
يُهَاضُ ، وَلَا كُلُّ جَامِحٍ يُرَاضُ ، وَلَا كُلُّ سَابِقَةٍ تُفَاضُ ، وَلَا كُلُّ نَسْرِ وَاقِعٍ ،  
وَلَا كُلُّ نَبْرِ رَاجِعٍ (٢) ، وَلَا كُلُّ الشُّمُومِ يَدْخُلُ فِي دِرِّيَاقٍ ، وَلَا كُلُّ مَطْوُوقٍ  
يَجْدَبُ بِالْأَطْوَاقِ .

فَإِنْ كَانَ مَاقِلَتُهُ حُدْمًا ؛ فَإِنَّ مِنَ الْأَحْلَامِ مَا يَرُوعُ ، أَوْ وَهْمًا فَإِنَّ مِنَ الْأَوْهَامِ  
مَا يُخَامِرُ الضَّلُوعَ ، أَوْ جَهْلًا فَإِنَّ الْمَدْدَلَ الرَّطْبَ لَا يَضُرُّهُ كَوْنُهُ حَطْبًا فِي مَوْطِنِهِ ،  
وَالْتَبْرَ لَا يَضِيرُهُ كَوْنُهُ تَرَابًا فِي مَعْدِنِهِ . وَلَا يَضُرُّ الزَّيَادَ الْوَارِيَّ قَدْحُ الْقَادِحِ ،  
كَأَنَّهُ لَا يَضِيرُ النَّجْمَ السَّارِيَّ نَبْحُ النَّابِحِ ، وَلَا عَلِيٌّ إِذَا قَلَّتْ مَلَامًا ، وَقَلَّتْ أَنَا  
سَلَامًا ، وَالْفَخْرُ فِي أَنْ أَحْلُمُ إِذَا قَلَّتْ اهْتِضَامًا ، لَا فِي أَنْ تَقُولَ كُلُّ مَا حَلَمْتَ  
مِنَامًا ؛ كَمَا أَنَّكَ مَا فِي يَدِكَ أَنْ تُحَدِّثَ لِي ضَرًّا ، وَفِي يَدِي أَنْ أُوسِمَكَ صَبْرًا ،  
وَفِي قَدْرَتِي أَنَّكَ تَسْتَفْضِينِي فَلَا أَعْضَبُ ، وَفِي قُدْرَتِكَ أَنْي أُسْتَرْضِيكَ وَلَا  
تَرْضَى . وَعِنْدَكَ أَهْلُكَ تَأْكُلُ لِحْمِي مَيْتًا ، وَعِنْدِي أَنْي لَا أُسْتَحِلُّ أَنْ آكُلَ

(١) للفتني ، ديوانه ٣ : ٢٦٠ .

(٢) لأن السكواك في زعمهم ، بعضها له رجوع ، وبعضها لا رجوع له بل يستمر .

لك لقمة ولا زيتاً ، وبمعجك أنك تحفر لي بئراً وتقع فيها ، ولا يعجبني أنقى  
أقع فيك .

أنزه قلبي عن مجازاة مثله متى كانت الآساد مثل الثعالب ا  
وأعود إلى محاقمة النفس ، فتأبى إلا إظهار اللبس ، فأقول :  
هل أنت يافلان إلا متخرس بزور ، وآيس من الخير كما يبئس الكفار  
من أصحاب القبور ، وآمن من العواقب والله عاقبة الأمور ا وما مبالاتي بك  
إلا مبالاة الدبك بالبط ، والشمة بالقط ، وزماح الخط بأقلام الخط ، ومق  
خافت الرجوع من الوعود ، أم متى أجمت الأسود عن القroda ، أم متى جرعت  
البحار من التيار ، أم متى صارت النار كالأنوار . أم متى فرغت بنات نعش من  
بابني سمير<sup>(١)</sup> ، أم متى صفرت بنو الزيان في عين أبي كبير ، أم متى جبن  
الفرزدق من جرير ، أم متى شئت النعامي<sup>(٢)</sup> بالنعام ، أم متى خاف هرما مصر  
من الأيام وهي التي يخاف منها<sup>(٣)</sup> على الأيام ا وهل تبالى الدرّة المضيئة إذا قيل  
لها : اليتيمة ا أم هل تماى الأعين النجل إذا قيل لها : السقيمة ا أم هل تحل  
المضيئة بالخصور إذا قيل لها : المضيئة !

وما مبالاتي بما نقوله إلا مبالاة آدم بدم سجود إبليس ، ولا ضرر منك  
إلا ضرر الصرح المررد من قوارير بوطاء بلفيس . أم هل أبالي بك إلا مبالاة  
البارى بالحمام والايث بالثفاف الخيس ، ومتى كانت همدان تفخر على كلب<sup>(٤)</sup>  
أو تحذر منها الكنيد ، أم متى خاف الأسد من أبي زبيد ا وهل بال  
قريش بتأليب أبي سفيان ، أم هل فرغت مازن يوماً من استباحة ذهل بن  
شيبان ، وبمحمد الله ما أحوج الزمان إلى زياد ، ولا ألبأ إلى تلقيه بوجه مكفهر  
كأن عليه أرزاق العباد .

ولست - لحاك الله - من بنى صريم الذين تلتهم التهامم والنجود ،

(٢) النعامي : النسيم .

(٤) في الأصل : « كليب » .

(١) ابنا سمير : هما اللؤل والنهار .

(٣) الأضن : « عليها » .

ولا من بنى عمرو الذين لبيوتهم سُمّتُ صعب الصعود ، ولا فيك ما في أبي قابوس  
من حزمه ونائل ، ولا لديك ما لدى من إذا قال لم يترك مقالا لقائل .

وكان الواجب عليك أن تُمسك إمساك ابن المذل عن ملاحاة المرص  
ببغمان ، وأن تألف من فضيحة جملك الفظيعة أنفة جبلة بن الأيهم ما بين  
غسان . وما كان أشفلك عن ذكرى بذكرك ، وأحتمك بأن تُجبل في خويصة  
نفسك جواد فسكرك ، وأولاك بأن تدخل في رحمة الله بعرفانك لقدرك .

وَلَوْ أَنِّي بَلَيْتُ بِهَا شِمِّي خُتُولَتُهُ بِنُو عَبْدِ الْمَدَانِ (١)

لَمَانَ عَلَى مَا أَلْتِي ، وَلِيَكُنْ تَمَاوَأَ فَاظْطَرُوا بِعِنَابِ لَانِي

وتالك لقد استنطقت من مثلي مفوقها ، وآثرت من ذمي مرْفها ، وهزرت  
من قلبي منقفا ، وأصلت من كلّي مرهفا .

مَتَى سَأَلْتُ بِفِدَادِ عَنِّي وَأَهْلِيهَا فَإِنِّي عَنْ أَهْلِ التَّوَامِمِ سَائِلٌ  
وَلَئِنْ عَيْتَ مِنِّي يَا بَنَ لَيْخِمٍ هَجَاءً ، فَإِنِّي لَأَرْجُو أَنَّهُ سَيَمِيعُ بِكَ دَاءٌ .

لَقَدْ هَرَمْتَنِي عَامِرٌ يَوْمَ كَلَمَعِ حُسَامًا إِذَا ذَاقَ الضَّرْبِيَّةَ صَمَامًا

وها نحن ننتظر فعل الله فيك بما تفعل بنفسك ، ونحسب لك عشارك في  
غلك من أمسك ، ونتربص بك الدوائر تربصك بفلسك .

وَمَنْ يَتَرَبَّصُ صَوْلَةَ الْكَهْرِ يَلْقَاهُ

وَشِيكَا ، وَهَلْ تَوْحَى الْأَسَاوِدَ بِالْوَلَعِ !

وكيف لا يدخل عليك الاعتلال ، وأنت وأخوك وأبوك وفوك وكل  
معتل وذو مال ! .

(١) لدعبل المزاهي ، ديوانه ٣ .

وليس الفتي إلا غيى زين الفتي عشية يقرى أو غداة يُذيلُ  
وأماما توهمت من حلولي في أخريات المجالس، وكوئني في ذلك غير مناقس  
ولا منافس، فلا عيب على السفن إذا ختم الأنايب، ولا حلول القافية في  
آخر البيت من الأعاجيب.

والبدر أحسن ماترا ه العين في ذيل الأفق

ولا حط منزلة الحمد له إذا أنى بها في آخر الكتاب من كتب، ولا تشان  
سورة الإخلاص إذا تقدمها في المصاحف سورة أبي لهب.

ولو لم يعل إلا ذو محلّ تعالى الجيش وانحط القتام

ولا تُماب الشمس إذا كان لها دون فلك زحلّ مقام، ولا يوم عروبة إذا  
جاء سادساً للأيام، ولا الألف إذا جاء بعد الواحد في العدد، ولا الزهرة إذا  
كان بيتها الثور كما لا فخر للشمس إذا كان بيتها الأسد.

من كان فوق محلّ الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يصع

والبيت بأهله، والغمد بنضله، والثوب بلبسه، والجواد بفأرسه،  
والقوس براميهما، والصفوة براقبها، ومن أسافل البحور تترقى الدراري إلى  
أعلى النحور.

وقد يُنمى كبير من صغير وينبت من نوى القشب اللبان

وأئن تأخرت الواو في «عمرو» في الهجاء، فلطالما كانت صدر الكلام في  
الابتداء، ولئن جاءت الهمزة آخر المدود من الأسماء، فكثيراً ما جاءت أو لا  
في الاستفهام والإغراء، وقد ورد التصغير للتعظيم، ونطق القرآن بالتمكّم بلفظ  
«الكريم».

على أن السعد بحمد الله لا يتوقف على الجلوس في أوائل المجالس ولا الحلول



منها في الأواخر ؛ ولا يحضّ المرتفع ويخصّ المتضع فقد غلظت السبابة  
والوسطى وحليت دونهما الخناصر ، ولا حسن الثوب إلا بسجايفه ، ولا رقم  
المعلم في بُرْدٍ إلا في أطرافه .

إذا أنت أعطيت السعادة لم تُبَلِّ

ولو نظرت شذراً إليك القبايل<sup>(١)</sup>

تفتك على أكتاف أبطالها القنا وهابتك في أغمادهنّ المناصل<sup>(٢)</sup>

ولقد لامست متى شيهما ، ومارست ضيفما ، وجالست أرقما ، وزاحت  
جدلا ، وهاويت أجدا .

ياسالكا بين الأسنة والقنا إني أشمّ عليك رائحة الدم-

وها أنا قد وجدت مكان القول ذاسمة ، والسيف أقطع ما يكون إذا  
هزّ ، والجواد أسرع ما يكون إذا لزّ . وإنّ مع اليوم غداً ، ولو ترك القطا  
لهذا ، وعداوة الشعراء بئس المقتنى ا

ومن تفلّق به حمة الأفاعي يعيش - إن فأنه أجل - عليلا

وإن قلت : إنك لا يضرك هذا الإرهاج ، ولا يثريك هذا الإزعاج ،  
ولا تبالي به إلا مبالة الزجاج بالزجاج ، ولا تأنف منه إلا أنفة الحججاج  
بالحجاج .

فإنّ بنى الثورية أدركتهم مذمتهم بعبد أبي سراج-

وأعود فأقول : ما أظنك وقعت منى على الخبير ، ولا أنت في الفحص  
عن حالي في قبيل ولا دبير ، ولا علمت أن جدى سعد وجدى سعيد ، ولا

(١) لأبي العلاء المرعي ، سقط الزند ٥٤٩ .

(٢) تفتك ، أى انتك .

أنى بحمد الله للأمان وكيف لا ووالدى الرشيد ، ولا أن لى إباء يضع لى فوق  
البدر مهاداً ، وشيماً تجعل الجوزاء تحت يدى وساداً .

وقد سارَ ذكرى فى البلاد فمن لهم

ياخفاء شمس نورها متكامل<sup>(١)</sup>

ولانى وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم نستظمه الأوائل

وتالله إن يوحى يُنافس فى الأمس ، وقوى يفخرون بى كافخر عصام بالنفس .

إننا ذوو النسب التصير فظولنا أعياناً على الكبراء والأشرافِ

والراحُ إن قيل ابنة العنب اكتفتُ

بأبٍ عن الأسماء والأوصافِ

ولا أعلم أيها المنة قص لى ذنباً يستدعى هذا الإسهاب ، ولا بينى وبينك

خطوباً فيما فهمت به من الخطاب . اللهم إنى لا أعتقد اعتقادك المضلل ، ولا

أرى رأيك المؤول ، ولا أقد عبد الله بن سبأ فى اعتقاده ، ولا أبا الخطاب

الأسدى فى اجتهاده ، ولا أوافق هشام بن مسلم الجوالقي على مراده ،

ولا أنشدك :

الآن إن الأئمة من قریش

على والأئمة من بنيه

فسببط سببط إيمان وبر

وسببط لا يذوق الموت حتى

ولا أنشدك قول السيد الخبيري :

ألا قل للرضى قدتك نفسى

أضرت بمشرك والوك مننا

أطلت بذلك الجبل المقام

وسموك الخليفة والإماما

(١) لأبى العلاء ، سقط الزند ٥٢٣ .

أو أنك تهتقد أنى من شبيعة أبى كامل ، أو أنى انفتقت أنا وابن ملجم  
على تلك القوائل ، أو أنى من الظالمين بنأر الدار إذا جدّ الوهل ، أو أنى  
كنت مع بنى ضبّة فى يوم الجمل ، أو أنى تأولت فى قتل همار بن ياسر ذلك  
التأويل السقيم ، أو أنى كنت من جملة من رفع المصاحف لطلب التحكيم ،  
أو استبرأت عقل أبى موسى الأشعري بالمشاورة ، أو خدعته بخلع الرجأين  
فى المشاورة ، أو اتيمت عبد الله بن وهب الراسبي فى جمعه ، أو ناظرت  
عبد الله بن عباس لما حضر لمانظرته على صفمه ، أو ساعدت معاوية بن  
حديج على قمله ، أو أشرت على معاوية بإفناذ بسر بن أرطاة إلى المدينة حين  
لا همد لها بمثله ، أم ترانى أنشدت يوم قتل الإمام ، عليه السلام :

ففلق هاماً من رجال أعزةٍ علمينا وهم كانوا أعتقوا وأظلموا<sup>(١)</sup>

أم ترانى ألقى الله بهمل سنان بن أنس ، أم قد أقدمت لإقدامه حين ضربه  
حتى ألقاه عن القرس ؛ حاش لله أما أنا من هذا القبيل ، ولا سالك هذا  
السبيل . وعلى تقدير أنى أتيت بأكثر من هذه الذنوب ، وأن قافل توبتى  
لا يثوب ، أليس لى نفس لا تصبر على ضيم ، وشمس إبأى لا يسترها غنيم ،  
وبياض خلق ولا بياض خلق سحيم أآمنت كاتب الدرجات بانفاق  
الاسمين ، لما ظهر الفرق فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم بين العبيدين ، أو  
باختلاف النزلاتين ، لما غلبت بينة الشمس على القمر وبينهما للزهرة وعطارده  
بمد فلكين

وإذا خفيت على النبى فقاذر ألا ترانى مقلة عمياء<sup>(٢)</sup>

أنا صخرة الوادى إذا ما زوحت

وإذا نطقت فإننى الجـــــــــــــــــوزاء

(١) للحصين بن الحمام المرى ، الشعر والشعراء ٦٣٠ .

(٢) لأبى الطيب المنبى ، ديوانه ١ : ١٥ ، ١٦ .

وقد آن أن أحبس العنان ، وأغمد حديّ السيف واللسان ، وأشدّ بأعناق  
لبنى غير هذه وأضرب صفعها ، وأنشئ على رأى العامرية صلحاً ، وأعدل  
من نار القَرِّ إلى نار القَرِّى ، وأسرى لأحمد الشرى ، وأستروح من مثالبه  
لأستريح ، وأوادعها ولا أودعها ، وأجم لها ولا أجم منها<sup>(٢)</sup> ، وأهب جفن  
الدواة غفوة ، وأغفر لحدّ القلم نبوة . ومن يكون المولى مهمين فرائده ،  
وجوهرى قلائده ، ومثقف صماده ، ومقوى زنده ومورى زنده ، والحامى  
عنه بسيفه وقلمه ، والمرشح له من ديمه ، فلا يبالي بتقيص العارى ، ولا يتأسف  
على ثلب البارى :

على نحت القواني من مقاطعها وما على لهم أن تفهم البقر  
ولا يضرّ الورد الخضيل ، استنقاص من به داء الجمل<sup>(١)</sup> ؛ كما أنه لا يضرّ  
القمر المنير ، استهزاء الضرير .

ويكفينى - أطال الله بقاءك - فى الدعاء عليه تأمينك ، وفى حفظ مساوئ  
تلقينك ، وفى الاعتداء عليه تجهيزك ، وفى التكاثر عليه تعزيرك . وها أنا أستعين  
وأستعير ، وأستميل وأستمير .

والقوافى كما علمت قوافٍ إثر من حاد عن طريق الصواب  
وسأذهمه منها بما لا قبل له بها ، وأجلب عليه بخيل ورجل ولا قدرة  
له بجلبها ، وإن كان عرضه لا يصلح للهجو ، ولا يساوى ثوب ثلبيه أجرة  
الرفو . فقد يجرب السيف فى خفّ البعير ، ويستحل نكاح المرأة البريئة بالعبد  
الصغير . وتصفى اللقطة الخلاص بانترصاص ، وتفصل عقود الجواهر بالسحاب ،  
وتساع اللقمة الحللة بمجرم الشراب . ومن لم يجد ماء ظهوراً تيمماً .

\* \* \*

فأدام الله لك النعمة إدامة لا ينقصها اختزال ، وحرسها عليك حراسة  
لا تنتهي إلى زوال ، خذها أجلك الله ، قد أشأتها سُحباً نقالاً لك منها عذب  
الشراب ، ولنفرك عذاب السراب ، وأوريتها ناراً لك منها الإنارة ولنفرك  
الإحراق ، وأجريتها بحاراً لك منها الإرواء ولنفرك الإغراق . وأدرتها شمولاً  
لك منها الذسوة ولنفرك الخمار ، وطبعتها نصولاً لك ما ضمت عليه الأنامل  
منها ولنحجر غيرك الفرار ؛ وها قد أتتكم لم يكشف غيرك لها نقابا ، ووفدت  
عليك لم تطرق لنفرك بابا ؛ فأرخص عليها ستر معروفك الذي سترت به قدما على  
عواري . وقد حسدها القربض على سبمها إلى ناديك ، وغبطها على حلوها  
بواديك ، فتمتق بأذيالها مستشفا ، ونظر خلال سطورها متطلما ، وها هو  
قد خيمَ بأبياته في ذراك ، وترجلت قوافيه بين يدي عداك . . .

العلا في ارتشافِ دَرِّ العلوم - والحلى في انشاحِ دُرِّ الخلوم -  
والتناهى في كل فعلٍ حميدٍ - ما التباهى بكلِّ خِلِّ حميم -  
والسميد الشقي من جمع ال - مال لتفريقِ خَلَقٍ وخدم  
والنقى الفقير من لانهاء - لفقيدِ مواسيا وعديم -  
والمظيم المقدار كلُّ سرى - يُترجى في كل خطبٍ عظيم -  
والكريم الآباء من يسأل النض - ل فيأني بكلِّ فعلٍ كريم -  
والنتى من يكون في كل حالٍ - ليس بالصعب ، لا ولا بالزيم -  
ليس عندي الذميم في الخلق إلا

مَنْ أَنى خُلِقَهُ بفعلٍ ذميم -  
فمقيم الرياح يُكره بالطبم ويبتدأ بالئسيم -  
واتفاق الأسماء ليس بمجدٍ - ما سليم فيما يرى كسليم -  
واتسام الإنسان بالشكر أولى - من رسومٍ في جلده ووسوم -

إنما يظهر التفاوت في الفِـقـل ، وليست ولودة كقيم  
 ومضياء الفرار في السيف أمسى      سبباً في زيادة التّفخيم  
 واللاكي لولا التلاؤ فيهما      لم تُقارن بكل وجه وسيم  
 إن حسن الشفاء يعلى من المرء      ويفلى وخيم أمر وخيم  
 وبفيض كأنه الموت إلا      في اقتراب من الغفور الرحيم  
 غرض مني مالا يفيض وأمسى      من عناني يئني أشد شكيم  
 وأن كان في النعيم بمال      فهو بالبخل في سواء الجحيم  
 ولكم تاه من غناه فقلنا      ليس ذا القيمة علة التّعظيم  
 إن يكن بأخطام يشرف شيء      لم تعظم شمائر الحطيم  
 أيها السائل عن العيب فيه      هو كم عات مرة في أدبي  
 هو ذو البخل والبذاهة واللؤ      م، وسوء الجوار والتجسيم  
 ولعمري إن الحليم إذا ما      سيم خسفاً تراه غير حليم  
 حاضر العيب حين يرحم بالفيء      سبب تراه يبدو لكلّ عليم  
 لا تسألني عنه فما هو خاف      كيف يخفى شيطانه من رحيم  
 وكذا ليس في الأنام بخاف      من أياديه مسلمات الموم  
 سيد من كفاية هو منها      خير سهم مسدد التصميم  
 زاني مدحه ، ولولا نفاه      لم أفلد بكل نظيم  
 حسن الإسم والفعال كروض

فاق حسن المرأى وحسن الشميم

فلهجدي منه أمد خصيب      ولضدي منه أشد خصيم  
 ولكم قات معلنا في معاليه      بشجوه مرجع التريم  
 خذ قريضا أداره كرم الو      سلافا يرضى بيت الكروم

هوق الإمتزاج مالا، وَتَحْرَهُ  
 ولئن جاء فيه هَجَوُ فِلاَنٍ  
 فلمعرى له الهجاء نسيبٌ  
 ولكم نَفْسُهُ وَلِغَيْرِ مِنْهُ  
 إِنَّ زُهْرَ النجوم منها رُجُومٌ  
 ربّ وصلِ أُنّاك من بَمَدِ هَجَرٍ  
 فهب الصّبح لا عدمتك مولى

في اقتسام التحليل والتحرير  
 بمد مدح لكم ففسير ملوم  
 والنسيب الجدير بالتقديم  
 أسمه، ربّ أرقم من رقيم  
 ووجوم والاهتدا بالنجوم  
 وصباح من بمد ليل بهيم  
 ذا بفا ن هام وير عميم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.





فهرس الموضوعات\*

صفحة

٣ - ٥

صدر الكتاب

ترجمة ابن زيدون:

٦ - ١٠

رسالته إلى أبي بكر بن مسلم لا اختفى

١٠ - ١٣

أخباره مع ولادة بنت المستكفي

١٣ - ١٤

الكلام على قصيدته النونية ومعارضة المؤلف لها

١٥ - ٢١

ذكر بعض غرر شعره

٢١

تاريخ مولده ووفاته

٢٢ - ٢٩

ذكر رسالته كلها

السيد والمولى ، وهل يجوز إطلاق هذين اللقبين

٣١ - ٣٥

على المولى سبحانه ؟

٣٥ - ٣٦

رأى الخليبي والسهيلي في معنى لفظ السيد

٤٨

قصة إسماعيل بن المنصور الخليفة الفاطمي وطيبه

٥٠

حكاية فتك القاهرة بالله بمؤنس المظفر

بيان كيف سمّ الشماخ اليماني إدريس بن عبد الله

٥٠ - ٥١

أبا الأدراسة

٥١

قصة التركي الذي قتل المتوكل

٥٢

مقتل أفريدون التركي بدمشق

٥٢ - ٥٣

مقتل السلطان ألبا أرسلان على يد يوسف الخوارزمي

٥٣

مقتل الملك الأجد بهرام شاه على يد غلامه

مقتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون على يد مملوكه

٥٣

الأمير سيف الدين بن مدار

\* وهي الموضوعات التي ذكرت استطراداً في الكتاب .

- ٥٣ تنسك سيف الدين فوش للأمير تفكر
- ٥٣ حكاية الذكي عبد الرحمن بن وهب القومى مع الملك المظفر صاحب حماه
- ٥٧، ٥٦ شرح المثل السائر : « سد ابن بيض الطريق »
- ٦١، ٦٠ صبر أم سليم ، امرأة أبي طلحة الأنصارية
- إيراد بعض أبيات من قصيدة أبي ذؤيب العينية ، وخبر معاوية لما حضرته
- الوفاة مع الحسن رضى الله عنهما
- ٦٢، ٦١ قصيدة لابن الرومى فى الصبر مع ذكر ما يناسبها من الأبيات
- ٦٥، ٦٣ شرح قصة المثل : « اليوم خروغدا أمر » .
- ٨٤، ٨٣ ذكر خبر عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة بعد الفتح
- ٩٠ ذكر أشد شيء تأذى به النبي صلى الله عليه وسلم بعد يوم أحد
- ٩١ حكاية المأمون مع غلامه وقت وضوئه وعفوه عنه
- ٩١ حكاية أخرى للمأمون مع غلام له تركى
- ٩٢ قصيدة لابن عمار يستعطف بها المعتمد بن عماد
- ٩٤ حديث أبي هريرة الشاعر المصرى مع الأمير تكين
- ٩٥، ٩٤ حكاية محمد بن أزدشير مع الحسن بن منصور الوزير
- ٩٦ حكاية للحجاج مع عبد الملك بن مروان
- ٩٧، ٩٦ قصة العباس بن مرداس مع النبي صلى الله عليه وسلم
- ٩٨ حجة التقسيم ( وهو نوع من أنواع البديع ) وأمثلة له
- ١٠٠، ٩٩ حكاية رجل من الأعراب مع بعض الكرماء
- حكاية الوزير سليمان بن وهب مع والى مصر محمد بن خالد الصريفي
- ١٠١، ١٠٠ وتدخل فى باب العفو

- شرح المثل : « باغ السهل الزبي » ، وخبر على بن أبي طالب حين سئل  
 عن ثلاثة قتلهم الأسد  
 ١٠٨ ، ١٠٧
- شرح المثل : « حسبك من شر سماعة »  
 ١٠٩
- ذكر المناظرة التي وقعت بين إبليس والملائكة  
 ١١٣ - ١١١
- الأسئلة التي سأهاها أبو القاسم الجنيدى لإبليس ، واستطراد بذكر  
 كلام ينسب لإبليس  
 ١١٤
- أبيات لأبي نواس في هجاء إبليس ، واستطراد بذكر بعض الأشعار  
 في هذا المعنى  
 ١١٧ ، ١١٦
- قصة نوح عليه السلام وإبنته حين الطوفان  
 ١١٩ ، ١١٨
- قصة فرعون والصرح  
 ١٢٠ ، ١١٩
- قصة موسى عليه السلام والمعجل والسامري  
 ١٢٢ - ١٢٠
- بنو إسرائيل واعتداؤهم في يوم السبت  
 ١٢٥ - ١٢٢
- قصة صالح عليه السلام وثمود وعقر الناقة  
 ١٢٩ - ١٢٥
- ذكر خبر طالوت وقومه وإبتلائهم بالنهر  
 ١٣٠ - ١٢٩
- قصة أصحاب الفيل وأبرهة  
 ١٣٤ - ١٣١
- قريش وبدو هاشم والصحيفة  
 ١٤٠ - ١٣٥
- المقياب الثلاث  
 ١٤٣ - ١٤٠
- يوم بدر  
 ١٥٥ - ١٤٤
- يوم أحد  
 ١٦٣ - ١٥٥
- يوم بني قريظة  
 ١٦٥ - ١٦٤
- حديث الإفك وبراءة عائشة  
 ١٧٤ - ١٧٥
- إمارة أسامة بن زيد وأئمة بعض كبار الصحابة من ذلك  
 ١٧٨ - ١٧٤

- ١٧٨ - ١٨٥ بيمة أبي بكر وما دار حولها من الكلام
- ١٨٧ - ١٨٥ خاله بن الوليد وأبو شجرة السامى
- ١٨٧ - ١٨٩ مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وما قيل فى رثائه
- ١٨٩ - ١٩٥ مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وما قيل فى رثائه
- ١٩٥ - ٢٠٣ مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه وما قيل فى رثائه
- ٢٠٣ - ٢٠٨ مقتل الحسين بن على رضى الله عنه وما قيل فى رثائه
- ٢٠٨ - ٢١٣ وقعة الحرّة
- ٢١٣ - ٢١٩ قصة رجيم الكعبة ومقتل عيد الله بن الزبير ثم صلوه
- ٢١٨ - ٢١٩ رسالة أبى بكر بن القبطرية إلى أبى الحسين بن سراج
- ٢١٩ من رسالة لابن شهيد
- ٢٢١ - ٢٢٢ قصيدة للسراج الوراق بدم غلامه
- قصيدة القاضى الحاجبى مع المأمون بسبب الأبيات التى أولها :
- ٢٢٦ - ٢٢٧ « برأت من الإسلام . . . »
- حكايات لبعض السامة بالنميمة وأجوبة الأمراء لهم وإيراد بعض
- ٢٢٢ - ٢٢٩ الأشعار للناسبة لهذا الشأن
- ٢٣٩ - ٢٤٠ ذكر أبيات الفائمة التى ورد فيها : « حلفت فلم أترك . . . »
- ٢٤٠ أنواع المذهب الكلامى ومثله منه
- ٢٤١ سخط الرشيد على حميد الطوسى ثم عفوه عنه
- ٢٤١ - ٢٤٢ حكاية أبى الحسين الجزار مع ابن بقمور
- ٢٤٣ - ٢٤٤ حكاية محمد بن المنفى مع الحاجب
- ٢٤٧ قصة إبراهيم بن المهدي وما جرى بهمده موته
- ٢٤٧ - ٢٤٨ انحراف المتوكل على العلويين وخبر هدمه قبر الحسين بن على

- انحراف عبد الله بن المتز على الغلوين وذكر شعره  
 ٢٤٨ - ٢٤٩ في هذا الشأن ، ومعارضة صفى الدين الحلى وابن سكرة له
- ٢٤٩ - ٢٥٠ مساجلة شمريه بين الملك الأفضل والملك الناصر
- ٢٥١ - ٢٥٢ حكايات وقعت لجميفران الوسوس وهلول وسامان
- ٢٥٢ - ٢٥٣ بن زبر في الشيع
- ٢٥٣ - ٢٥٤ ذكر ما فعله علي بن محمد الجزري عند معاوية
- ٢٥٩ - ٢٦١ حكاية حبيب بن المهلب مع زياد الأعجم
- ٢٦١ - ٢٦٢ حكاية محمد بن ناجية الرصافي مع الأسود بن قنات حين
- ٢٦٢ - ٢٦٣ استجار به
- ٢٦٣ - ٢٦٤ حازنة بن مرة بحجر الجراد
- ٢٦٣ - ٢٦٤ ثور بن شحمة بحجر الطائر
- ٢٦٣ ، ٢٦٤ استجارة الأمير قراستقر ومن معه ببيت مهفأ بن عيسى
- ٢٦٣ ، ٢٦٤ عفو الحجاج الثقفي عن بعض الأسرى من أصحاب عبد الرحمن
- ٢٦٣ ، ٢٦٤ ابن محمد بن الأشعث
- ٢٦٤ - ٢٦٥ حكاية الفضل بن يحيى مع بعض من انتسب إليه بالجوار
- ٢٦٥ - ٢٦٦ ومشابهة الاسم
- ٢٦٦ - ٢٦٧ حديث الرجل الذي جاء يشكو أباه إلى النبي صلى الله عليه وسلم
- ٢٦٦ - ٢٦٧ وذكر الأبيات التي قيلت في هذا الشأن
- ٢٦٣ - ٢٦٤ المفلبون من الشعراء
- ٢٦٤ - ٢٦٥ شرح للثل : « لو غير ذات سوار لطمتني » وذكر قائله
- ٢٦٦ - ٢٦٧ حكاية المعجير السلولى مع نافع بن عاقمة السكفانى
- ٢٦٧ - ٢٦٨ حكاية الأمير قراستقر مع الملك الأشرف

- ٢٨٩ الكفاة في الزواج واختلاف الأئمة فيها  
 من رسائل القاضي الفاضل
- ٢٨١
- ٢٩٦، ٢٩٥ خبر يوم حليلة بين الحارث بن جبلة والمنذر بن ماء السماء
- ٣٠١ من رسالة لأبي حفص بن برد
- ٣٠١ من رسالة المؤلف إلى ابن سيد الناس
- سؤال يهول لرجل عن قول الشاعر: وإذا نبأ بك منزل فتجول ..  
 وجوابه عليه ، وذكر أبيات ممن بن أوس في هذا المعنى ٣٠٩ ، ٣١٠
- حكاية المأمون وسلم الخاسر بسبب بيت أبي المتاهية : تعالى الله  
 ياسلم بن عمرو . . .
- ٣١٥
- ٣١٦ ، ٣١٥ حكاية يثبي الأسود الدؤلي مع عبيد الله بن زياد
- ٣١٦ شرح المثل : « الطمع الكاذب يدق الرقبة » ، وذكر أول من قاله
- شرح المثل : « أغرم الله الباء في الماء » واستطرد بشرح بعض
- ٣١٧ الأمثلة الواردة على وزن « أفعل »
- ٣١٨ شرح المثل السائر : « خامري أم عامر »
- تفسير الآية من قوله تعالى : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا  
 أنفسهم . . . » وسبب نزولها
- ٣٢٠
- ٣٢٩ أبيات ابن الرومي في الحنين إلى الوطن
- كلام أبي داف حينما سمع قول القائل : « لا يئمنك خفض العيش  
 في دعة . . . » البيتين ، واستطرد بذكر بعض الأشعار  
 في حب الوطن
- ٣٣٠
- قصة زهير بن صرم السعدي حينما وفد على النبي صلى الله عليه  
 وسلم في قومه
- ٣٣٣
- شرح المثل : « كل الصيد في جوف الفرا » وأول من قاله
- ٣٣٧ والسبب الذي قيل فيه

- أول من قال : « عند الصباح محمد القوم السرى » ٣٥٤
- ذكر أبيات كتب بها الحسين بن الضحاك إلى عمرو بن مسعدة ٣٥٦  
حكاية عبد الله بن خارجة مع يزيد الكاتب وتشفعه بسفيان
- ٣٦٠ ، ٣٥٩ ابن الأبرد
- ٣٦٠ - ٣٦٤ ذكر بعض الأبيات الواردة في الشفاعة  
البيت المشهور : فألقت عصاها واستقرت بها النوى ، واستطراد
- ٣٦٧ - ٣٦٨ يذكر بعض الأبيات المشابهة له  
وفادة عوف بن المحلم على عبد الله بن طاهر ، وما ورد في أثناء
- ٣٧٠ - ٣٧١ ذلك من الشعر
- ٣٧١ ، ٣٧٢ ذكر ما دار بين مالك بن أنس والشافعي حول مسألة فقهية
- ٣٧٥ ، ٣٧٦ حكاية أنى الحسين الجزار مع عبد الوهاب ، ابن بنت الأعر
- ٣٧٨ ، ٣٧٩ نبذ من أفعال الحكماء في عاقبة اصطناع المعروف عند اللثام  
واستطراد يذكر حديث الحية
- ٣٧٩ - ٣٨٢ قصة الضبع وغدرها بمن أجارها ، وإستطراد يذكر بعض  
الأشعار الواردة في هذا المعنى
- ٣٨٣ مما نقله المؤلف عن الزخشمي في تفسير قوله تعالى : « وهو  
أهون عليه »
- ٣٩٠ الألفاظ اللغوية المرادفة للفظ « الزعفران »
- ٣٩٠ - ٣٩٦ الأوصاف المختلفة لمذائح الشمراء وإيراد الشواهد لكل وصف
- ٣٩٩ - ٤٠٣ فصل في نقد المؤلف لرسالة ابن زيدون  
رسالة محمى الدين بن عبد الظاهر التي جرى فيها على غرار رسالة
- ٤٠٤ - ٤١٦ ابن زيدون





الفقار من العمامة



١ - فهرس اللغة

(ث)

ثقف : منقته ٦٨

(ح)

حين : الجبين ٦٥

جدب : الجذب ٨٠

جلد : أجملد ٦٠

جلس : الجليس ٣٢١

جلا : تنجلي ٧٤ الجلاء ٣١٩ ، مجلوة

٣٥١

جمد : الجماد ٤٤

جنب : الجناب ٣٢٣

جنب : الجوانح ٢٧٨

جهم : الجهم ٣٤٧

جوز : الجوزاء ٢٨٩

جاه : الجاه ٣٦٤

(ء)

أتى : مُبْتَوًى الحذر من مأمته ، يتأتى

٣٩٨

أثر - المآثر ٢٨٩

أمن : من مأمته ٤٩

أنس : حلى إيناسك ٣٩

أنف : الاستئناف ٣٧٣

أوب : الإياب ٢٧٠

(ب)

بنت : البنت ٢٩١

برا : البراءة ٣٤٢

برد : برود إسعافك ٤٠

برر : البرّ ٣٢٣

بسط : يبسط الأمل ٣٩٦

بطأ : أبطأ الدلاء ٧٨

بلا : أبلتُ البلاء ٢٨٣

بسى : أبسى أترأ ٣٢٢ ، مباهياً ٣٨٦

خلا : لا أخلو ٩٧ .

خمر : خامري أم عامر ٣١٨ .

خيل : خيلائه ٣٨٥ .

(د)

درر : الدرر ٢٨٤ .

دهى : أدناها سوارها ٦٥ .

دهى : مداها ٣٨٦ .

(ذ)

ذبل : الذبالة ٣٠٥ .

ذرى : الذرى ٣٦٦ .

ذمم : الذمام ٢٥٨ .

ذهب : ضاقت مدها ٢٦٨ .

ذهن : الذهن العليل ٣٨٩ .

ذبيح : أذعته ٢٩١ .

(ر)

ركب : المركب ٢٧٠ .

(ز)

زبي : الزببية ١٠٧ .

زجر : الأزديجار ٧١ .

زعم : أزمت ياسا ٢٥٢ .

(ح)

حذر : الحذر ٤٩ .

حزم : الحزم ١٧ .

حرم : الحرم ٣٩٧ .

حسد : الحاسد ٣٧٥ .

حس : أحس الجاد ٤٤ .

حسن : الإحسان ٣٩٨ .

حفل : أحفلها ٧٨ .

حكم : حكم الصبي ٣٢٧ .

حلا : حلي إيناسك ٢٩ ، حليتك ٢٩٦ .

حمد : استحمادي ٤٥ ، الحمد ٨٦ .

الحامد : ٢٩١ .

حى : هابتك ٤١ .

حنين : الحنين ٣٣١ .

حوز : الحائر ٣٢٣ .

حوط : حياطتك ٤٠ .

حوي : الحيا ٨٠ .

(خ)

خطر : الخطر ٣٨٩ .

خلب : الخلب ٣٤٧ .

خلص : الإخلص ٣٩٧ .

خلط : الخليط ٣٢١ .

شيم : أشيم ٣٤٧ .

(ص)

صرح : الصَّرْح ١١٩ .

صغى : الصَّغْيَة ٢٤٥ .

صقل : صَاقِلَه ٦٨ .

صمم : الأَصْم ٤٤ .

صنع : الصَّنِيعَة ، المصْنَع ٣٧٧ .

صيب : المصائب ٥٧ .

(ض)

ضحك : ضُوحِك ٣٢٥ .

ضرب : الضَّارِب بِسَهْم ٣٢٣ .

ضرم : تَضْرَم ٢٧٨ .

ضمضع : أنضمضع ٦٠ .

ضيق : ضاقت مذاهبي ٢٦٨ .

(ط)

طبع : الطَّبَع ٣٣٥ .

طرف : طرف حمايتك ٤١ .

طرق : من طرقاته ٣٩٨ .

طلب : إطلابي ، الطلبة ٣٧٦ .

طول : التناول ، التناول ٩٦ .

زند : زَند الأمل ٣٨ .

زهى : زَهَانِي ٢٨٢ .

زيل : زِيَالَه ٣٢١ .

(س)

سبا : سِبَاء ٣١٩ .

سعف : إسعافك ٤٠ .

سعى : السعاة ٢٣١ .

سلب : سلبتني ٣٩ ، سَلَبِيًّا ٢٩٦ .

سهر : السهرى ٦٨ .

سند : إسنادي ٤٤ .

سنا : أسنى ٣٢٢ ، سنيت ٣٥٥ .

سود : سِيدِي ٣١ .

سور : سِوَارِهَا ٦٥ .

سوغ : مساغ لفظه ٣٧٥ .

(ش)

شرف : الشرفى ٦٧ .

شفع : الشفاعة ٣٥٨ ، فاشفع ٣٩٧ .

شفق : أشفق ٣٨٧ .

شكا : إشكائي ٣٧٧ .

شمت : شماتة الحساد ٥٧ ، الشامتين ٦٠ .

شميم : النشيم ٢٤٧ .

عهد : العهد ٢٥٤

عيث : عاث المقوق ٢٦٤

(غ)

غرر : الغرور ٣١٦ ، غرر للنثر ٣٨٤

غشش : ماغششك ٢٤٢ .

غصص : قد يَغصّ ٤٥ .

غصص : غصصت ٤٩ .

غفل : الأغفال ٨٦ ، غفلاً ٢٩٦ .

غلب : الغلب ٢٧٢ .

غلال : ما أصاب غليلاً ٨٠ .

غلا : الغلالة ٣٣٤ ، غلواً ٣٨٥ .

غمر : غمّرة ثم تنجلي ٧٤ .

غوى : الغواة ٢٢٩ .

(ف)

فرا : جوف الفرا ٣٢٧ .

فصل : فصلته ٢٨٩ .

فضل : الفضل ٩٧ ، ٣٦٤ ، ٣٩٨ .

(ق)

قبض : يقبضها الخجل ٣٩٦ .

قبل : جناب قبول ٣٢٣ .

قدح : القادح ٣٧٥ .

قرن : قران التمدد ٣٢٢ .

(ظ)

ظناً : أظنأني ٤٠ .

(ع)

عجز : استعوطى العجز ٣١٦ .

عدد : اعتدادي به ٣٦ ، أعتد بالفائدة

٣٨٨ .

هدل : هدلك ٩٧ .

عدا : اعتديت في السبت ١٢٣ .

عذر : لم تذر ٣٥٥ .

عرف : المروف ٣٥٨ .

عزم : العزم ٢٨ .

عطف : بعطفك استعطفه ٣٨٧ .

عطل : عطفتني ٣٩ ، عطلاً ٢٩٦ .

عطن : العطن ٣٣١ .

عطى : تماطيت ١٢٨ .

عطر : العطار ٣٤١ .

عقب : المواقب ٧٣ .

علل : الدهن المائل ٣٨٩

عدد : اعتمادى عليه ٣٦

عمر : نمورك ٣٠٩

عمل : العاملة ٢٠٤

عود : المائدة ٣٨٨

ملب : اللآب ٣٩٠ .

ملى : استملى الربيع ٢٩٠ .

منى : مُنية التمنى فى أمنيته ٤٩ .

ميل : الليل عمن لا يميل عنك ٢٤٢ .

( ن )

نبا : النَّبوة ٧٤ .

نجب : النجيب ٣٣١ .

نسب : النَّسب ٣٢٢ .

نصب : نصبت لك ٢٤٦ ، النَّاصبة ٣٠٤

نصح : النصيحة ٢٤٢ .

نصص : منصوصة ٣٩٠ .

نعم : عهد النعمة ٣٨ ، إنعامك ٣٩ .

نفس : أنفاس النظراء ٢٨٠ ،

المنافسة ٢٨٢ .

نقض : نقضت ٤٠ .

نقل : النقلة ٣١٩ .

نكب : النكبة ٧٤ .

نعم : منمنما ٢٨٦ .

نور : منورا ٢٨٦ .

نوى : النوى ٣٦٦ .

( ه )

هيل - اهتباله ٨٠ .

قشع : قشع ٧٥ .

قود : اقتادت ٣٨٦ .

( ك )

كدد : استكدت ٣٨٩ .

كدى : أكدت مطالي ٢٦٨

كفى : الكفاية ١٠٨ ، الأكتفاء ٢٧٨ .

كلل : الإكليل ٦٦ ، الكليل ٣٨٩ .

كيد : مكاييد ٣٨٦ .

( ل )

لبب : اللبيب ٣٣٠ .

لبس : اللباس ٣٩ .

لحظ : مجال لحظة ٣٧٥ .

لحق : ألصقه ٦٨ .

لطف : إطفاه ٣٨٧ .

لقأ : لقأه ٣٣٩ .

( م )

متت : موآى ٢٦٤ .

مثل : المثلة ٣١٩ .

مجد : استمجد ٣٤١ .

مرخ : المرخ ٣٤١ .

مضى : ماضى حد العزم ٣٨ .

ملا : أملاؤها ٧٨ .

وسم : وَسْمٌ نَفْمَتُكَ ١٨٢

وَسْمَتُكَ عُنْفُلًا ٢٩٦ .

وشى : الوَشَى ٢٨٦ .

وطىء : أَسْتَوِطِيءُ ٣١٦ .

وطن : الوطن ٣٣١ .

ولى : مولاى ٣٠ ، الموالى ٢٨٦ ،

يتولأك ٣٤٢ ، تولت ٣٨٤ .

( ى )

يئس - اليأس ٢٥٣ .

همز : الهمازون ٢٢٥ .

هون : هَيْنَ ٣٨٢ .

هوى : هَوَاكُ ٣٤٣ .

( و )

وجه : جهاته ٣٩٨ .

ودد : ودادى له ٣١ .

ورى - وارى زَنْدَ الأمل ١٣٨ .

وسق : اتسقت دُرْرَه ٣٨٤ .

وسل : الوسائل ٢٦٧ .



٢ - فهرس الأمثال

صفحة	
٣١٣	أخرج الطمع من قلبك تحمل القيد من رجلك
٢٧٠	ارض من المركب بالتعليق
٣١٧	أعز من الدُّبَاء في الماء
٣١٧	أغر من الأمانى
٣١٧	أغر من مراب
٣١٧	أغر من ظبي مقعر
١٠٨	التقى البطان والحقب
١٠٨	التقت حلقنا البطان
٧٢	إن مع اليوم غدا
١٠٧	إن من الشرّ خياراً
١٩٢٤ ١٠٧	بلغ السيلُ الزُّبى
٣٨٩	تلطف أبى عزوان
١٩٢٤ ١٠٨	جاوز الحزام الطيبين
٣٥١	حرك لها حوارها نحن
١٠٩	حسبك من شرِّ سماءه
٣١٨	خامرى حضاجر، أذاك ما محاذر
٣١٨	خامرى أم عامر
٥٦	سبق ابن بَيْض الطريق
٣١٦	الطمع الكاذب يدق الرقبة
٣١٦	المعجز روية

صفحة	
٨٢	عسى غدك لفيرك
٨٢	غداً غداً إن لم يمقني عائق
٧٥	غمرات ثم تنجلي
١٠٨	قد بلغ الشظاظ الوركين
٢٧٠	قذمت من الغنيمة بالإياب
٢٣٧	كل الصيد في جوف الفرا
١٥٤	لا في المير ولا في الذنير
٢١٧	لا يقرتك الدباء وإن كان في الماء
٨٢	لكل صباح صبوح
٨٢	لكل غد طعام
٢٧٤	لو ذات سوار لطمتني
٨	المرء يمجز لأحالة
٤٨	من فسدت بطانته كان كمن غصّ بالماء
٦٢	من شب إلى دب
٢٥٢	نبيها لها عمراً ثم ثم
٤٨	ياماء لو بفيرك غصصت!
٨٢	يأتيك كل غد بما فيه
٨٣	اليوم خمر وغداً أمر

### ٣- فهرس الأشعار

الصفحة	القائل	القافية	الصفحة	القائل	القافية
٢٤٥	ابن الرومي	الأقذاء	( ٥ )		
٣٦٩	ابن الخياط	القضاء	٤٢	ابن القيم	الأسواء
٢٧٤	أبو تمام	الضغفاء		* * *	
٢٧٨	—	أكفاء	٧٩	المكبر الضبي	رجاء
٣٢٤	أحمد بن عبد العزيز	من ماء	٨٣	—	القضاء
	عدي بن الرقاع	الأمراء	٩٨	زهير	جلاه
٣٤٠، ٣٣٩			٢٢٤	المتنبى	ذكا
٣١٤	أبوروح الهروي	من أبنائه	٣٤٣	الغزى	البرحاء
( ب )			٣٨٥	المتنبى	الجوزاء
١٨	محمد بن مغاز	اللباب	٤١٠	—	سواء
٣٤	المتنبى	رب	٤١٢	المتنبى	عمياء
٣٤٨	السراج الوراق	قُلب	٧٣	ابن خفاجة	بكاؤه
٣٧٣	أبو المعاهية	أدب	٨٥	منصور بن الحاكم	جفاؤه
	* * *		٧٩، ٧٨	ابن المعتز	يكلؤها
١٠٦	—	وأعتبا	٢٧١	ابن أبي عمير	رجاؤها
١٠٥	—	متابا		* * *	
١٢٦	مهرتس	شهابا	٤٥	—	بالماء
١٣٠	الغزى	المذانب	٤٥	—	بماء
٤٠١، ٢٢٠	المتنبى	تابنا	٥٩	أبو تمام	الأعداء
			٢٢٤	—	الندماء

٢٢١	ابن عنين	المناصبُ	٢٢٩	ابن زيدون	الذبيبا
٢٣٩	النافقة	مذهبُ	٢٥٦	عبد الصمد بن بابك	كذبا
٢٤٢	ابن الأحنف	لمذهبُ	٢٩٠	ابن عنين	للسهبا
٢٤٥	عروة بن حزام	ديبُ	٣١٩	عروة	محبيا
	أحمد بن سعيد	القلبُ	٣٤٨	ابن حيوس	صبيا
٢٥١	الطائي		٣٦٠	عبد الله بن خارجة	هيايا
٢٦٠	زياد الأعجم	المهتابُ	٣٧٣	يزيد بن معاوية	صلبا
٢٩٢	ابن حيوس	الظاربُ	٤٢	الصفدي	حيبية
٢٩٧	المتقي	وأكتبُ	٣٩١	ابن العلم	مصرية
				* * *	
٣٠٠	محمد بن أحمد الخازن	قلايبُ	١٨	أبو بكر بن حمزة	وأذهبُ
٣٠٢	الرسامي	النسيبُ	١٨	الأبيوردى	الأحسابُ
٣٠٦	محمد بن علي الواعظ	ذنوبُ	٦٣	ابن الرزمي	مذهبُ
٣٢٦	حاتم	جديبُ	٦٦	ابن كلس	اللقابُ
٣٣٤	أبو تمام	تجبُ	٧٢	مهيار	تأديبُ
٣٦٢	أبو فراس	حيبُ	٧٧	الصائي	سيذهبُ
٣٨٠	—	ريبُ	٧٨	ظافر الحداد	كذبوا
٣٨٢	—	ثيبُ	٧٩	أبو تمام	كفُ
٣٩٢	أبو تمام	عجبُ		محمد بن أحمد	لانخبُ
٤٠٢، ٤٠١	النافقة	مذهبُ	٩٣	الخازن	
٤٦	—	حاجبهُ	١٩١	حسان	خربُ
٤٦	الفرزدق	شاربهُ	١٠٦	المبارس بن الأحنف	حجب
٨٥	البحري	لقبه	١٧٤	الأرجاني	صليهُ

٢٧٤	مشروبي	الصفدى	٢٦٣	ابن سناء الملك	ترابُه
٧٢٤	اجتهدوانى	—	٣٣	الفرزدق	عيونها
٢٤٧	الكذب	الخطوبى الوراق	٨٦	إبراهيم بن العباس	تهذيبها
٢٥٠	طالبى	الأفضل	٢٣٢	—	سحابها
٢٦١	المهلب	زياد الأعجم		* * *	
٢٦٩	فى أميل خراب	ابن بابك	٢٧٢، ٨	امرؤ القيس	مقلب
٢٧٠	بالإياب	امرؤ القيس	١٨	ابن زيدون	ثوابى
٢٧٤	بالأجرب	عمارة البغوى	٤٣	ابن الوحيد	حسب
٢٧٦	أبى	عباد بن شأس	٤٣	شافع بن على	قلة الأدب
٢٩٥	التجارب	النايفة الذبيانى	٤٦	—	الشروب
٣٠٥	السحاب	الحسين بن الضحاك	٥٤	المعتصم بن حماد	صاحب
٣٢٦	الذنب	أبو تمام	٦٥	الفاضل الفاضل	الخطوب
٣٢٧	مجدب	أبو تمام	٧٦	النايفة الذبيانى	بشؤبوب
٣٣٦	السواكب	أبو هلال	١٠٥	السلاى	الذنوب
٣٤١	فلم يبق	الكفيت	١٠٦	مهباز	لم أذنب
٣٤٧	فى السحاب	الحسين بن الضحاك	١١٠	العباس بن الأحنف	السكر
٣٤٨	محبوب	اللتبى	١١٣	—	لحقتب
٣٥٦	شهاب	الحسين بن الضحاك	١٥٣	حسان	القشيب
٣٦٢	الخطب	أحمد بن أبى فتن	١٨٩	عاتكة بنت زيد	منيب
٣٩٣	باللب	ابن التيسرانى	٢٠٦	أبو الأسود	الحساب
٣٩٦	القلوب	أبو تمام	٢٢٢	الخفاجى	كاذب
٤٠٥	—	—	٢٢٣	عمر بن أبى ربيعة	المتجنب

١١٦	أبو نواس	من خلوتيه	٤٠٩	—	خطبه
١١٦	الصفدي	في خيته	١٣٠	ابن دقيق العيد	قربه
	(ث)		٣٧٠	ابن حرذر	إطرابه
٢٧٥	—	العوايب		(ت)	
٢٠٨	أبو بكر بن عمار	الحوارث	٦٣	—	لانوت
	(ج)			* * *	
٥٦	بشار	اللاهج	١٣٠	أبو العلاء	تشتينا
٦٣	أبو ذؤيب	لجوج	١٨٣	علي بن سراج	البتة
				* * *	
٣٩٤	ابن الزقاق	ويهج		عبد الرحمن بن وهب	بلوت
٣٢٥	الشريف الرضي	مزاجها		أسامة بن منتقد	بدأت
	* * *			إبراهيم السراق	بدأت
٣٠٦	في سراج أبو طالب بن زيادة		١٠١	ابن الزقاق	أجبت
٣٨٨	—	على الموج	١٢٤	دريد	كفيتها
	(ح)			* * *	
٢٠	ابن زيدون	الوشاح		البهاء زهير	مقت
١٥٥	أمية بن أبي الصلت	ججاج	٢٩	عبد الرحمن بن وهب	دبتي
٢٩٠	حسان بن المقيمي	النصاح	٥٤	أبو تمام	باهت
	* * *		٥٩	—	سمت
٥١	الخطيب البغدادي	فرحا	٨٦	—	لننت
٦٧	محمد بن القاسم	الصلحا	١٩٥	—	حلت
٢٢٩	—	نصيحا	١٩٥	—	لضنت
٢٣٨	—	صحيفا	٢٦٨	—	

٣٠٣	ابن حيوس	الجهودا	٣٢٦	—	شحاها
٣٢٦	ابن حيوس	تسدَى		* * *	
٣٦	ظاهر بن الفقيه	الأفئدة	٩٢		أوضحُ ابن عمار
٧٢	أبو تمام	وصده	١٩٣		ذبحوا أيمن بن خريم
	* * *		٢٧٦		ولقحُ العجير السلولى
٣٨	عدى بن الزفاح	زادها	٣٣٩	—	مفتوحُ
٦٥	—	يسكرُ	٣٦١		السيمحُ أبو على التنوحى
٦٩	الخيمى	تفرّد	٣٧٠		قريحُ عوف بن محلم
٦٩	على بن الجهم	متجددُ	٣٩٧		صافحُ عمارة اليمى
٨١	ابن حيوس	جهدُ		* * *	
٨٤	على بن الجهم	يدُ	٢٢٨	—	بنازحـ
٩٢	ابن الخياط	الحقود	٢٨٥		الصباحـ ابن الساعانى
١٢٩	أبو طالب	أرود	٣٥٥		ورواحه ابن قلاقس
٢٢٣	ابن الساعانى	مُسود	٣٥٥		سماحه القاضى الفاضل
٢٨٧	البجترى	سمود		(د)	
٢٠٦	—	الوليدُ	٩٥		أجدُ محمد بن أزدشير
٢٩٢	الحادرة	الخلدُ		* * *	
٢٩٧	تميم	يمدو	٢٠		الندى ابن زيدون
٣١٠	ابن العميد	يدُ	٨٤		سرمدا ابن طباطبا
٣٦٧	أبو تمام	المجدُ	٨٥		ماوردا تميم بن المعز
٣٢٩	ابن الرومى	جديد	٨٥		أرشدا ابن مقبل
٣٧٣	—	فياحبذا نجدُ	١٠٦		أبعدا البجترى
٣٧٣	—	الهوى نجدُ	١٢٤		عيذا أبو فراس
٣٧٣	ابن المعلم	فنعود	٢٨٢		يسوقيدا »

١٩٨	من مرادِ عمرو بن معد يكرب	٨٦	الفرزدق	اعتمادها
٢٠٢	الفؤادِ عبد العزيز الأنصاري	٢٠٦	الخفاجي	ورشادها
٢٠٧	لم يعدِ أبو الحسن الجزار	٢٢٦	كثير	لا أريدها
٢٣٨	حدادي أبو تمام	* * *		
٢٦٨	الرمذ ابن عنين	٣٥	حسان	والسؤدد
٢٧٧	أبي الوردِ الصابي	٣٦	محمد بن غالب الرصافي	على التمام
٢٨٣	ودادي أبو سعيد الرستمي	٣٩	ابن الساعاتي	الورود
٢٩١	ميمادي -	٤٦	أبو فراس	وساعدي
٢٩٢	لم يولد -	٤٧	-	البارد
٢٩٣	شواردي الغزوي	٥٧	أبو فراس	حاسد
٣٢٠	حسادي الشريف الرضي	٦٢	-	مهرد
٣٢٤	بنا أبو تمام	٦٥	ناصر الدين	الشدايد
٣٦٢	السؤدد الأرجاني	٧٧	الصابي	والعهد
٣٤٨	المردود ابن المعلم	٨١	القطامي	بادي
٣٦٩	الرفد ابن عنين	٩٢	أبو تمام	محمد
٣٧٨	حد صالح بن عبد القدوس	١٠٢	-	مستفيد
٣٩٢	الحادي ابن بابك	١١٠	محمد بن التلمساني	بهدي
٥٨	حسدك ابن الرومي	١١٥	ابن الشبلي	مساعدي
٣٠٣	لوده عمارة البيني	١١٦	ابن نُبانة الأعمور	الحميد
٣٠٣	برده صفي الدين الحلي	١١٦	أبو نواس	قواد
٣٠٤	من رفته هبة الله بن الفضل	١١٦	الغزوي	جيددي
٣٢٨	من ولده أبو تمام	١٧١	حسان	البلد
٣٩٣	من صدّه ابن قلاص	١٨٣	صفي الدين الحلي	وددي
		١٨٥	زين الدين بن الوردی	في عبيد



٢٥٢	شزرا	على بن الجزرى
٢٨٤	الدرّاء	كامل الدين بن البثيه
٣١٧	مرّاً	ابن سفاء الملك
٣٢٥	وكبراً	ابن سفاء الملك
٣٣٢	وكرّاً	محمد بن غالب الرصافي
٣٣٧	وقيصراً	ابن عنين
٣٣٧	الفرا	على بن الحسين القهستاني
٣٣٨	الفرا	ابن المعلم
٣٣٨	الفرا	الفزى
٣٣٨	مفكرّاً	صفي الدين الحلبي
٣٣٨	يفترى	أبو الحسين الجزار
٣٣٨	الأكبراً	أحمد بن حسن الدويني
٣٤١	مقارّاً	الأعشى
٣٤٢	ثارّاً	على بن جلاب
٣٤٢	وأثمراً	على بن أحمد الجوهري
٣٥٢	وزراً	ابن قلاقس
٣٥٤	السكرى	عبد العزيز الأنصاري
٣٥٥	تيسراً	بشار
٣٩١	مهرّاً	الأرجاني
٣٩١	المسكرّاً	ابن الساعاني
٣٩٤	سيارّاً	ابن الساعاني
٣٩٥	سارّاً	سبط ابن التماويدي
		* * *
٣٢	لفججّار	الخنساء

## (ذ)

٥٠	غذى	يوسف بن علي
٢٨٣	غذى	—

## (ر)

٧٦	السريّر	هبة الله بن الفضل
١٢٢	القدّر	—
١٥٥	السفير	—
١٨٣	زار	أبو الملا
١٨٩	القمّر	علاء الدين بن السكندى
٣١٧	غرّز	—
٣١٨	خاطر	البهاء بن زهير
٣٥٢	لاعمّر	مستوفى إربيل
٣٥٣	صبر	ابن شمس الخلافة
		* * *
٤٠	الوغرّاء	الصنوبري
٦٤	فقيرا	أبو الحسين الجزار
٦٥	فتحقرا	أبو بكر الخوارزمي
٦٩	نصرا	ابن سفاء الملك
١٥٤	قيصراً	—
١٨٥	أن أعمراً	أبو شجرة السلي
٢٠٥	شمرا	المبارك مستوفى إربيل
٢٥٠	السكرى	ابن عنين
٢٥٢	شراً	الصفدي

٣٠٣	يعتبرُ	صفى الدين الحلبي	٤٦	الفرارُ	—
٣٠٦	أعتذرُ	—	٤٩	يحدُرُ	أبو العتاهية
٣٢٢	ويحتمِرُ	المغيرة بن حبان	٥٠	يمطرُ	ابن الخياط الدمشقي
٣٢٦	بشيرُ	أبو تمام	٥٥	نظرُ	المؤمل
٣٣٣	وننظرُ	زهير بن صرد	٥٦	الجسورُ	سلم الخاسر
٣٥٣	واحورارُ	سبط ابن التعاويذي	٦٦	السوارُ	المتنبي
٣٥٣	عسرُ	محجر الدين بن تميم	٧٤	يجرُ	—
٣٥٣	وتدخرُ	الخفاجي	٨١	هجرُ	الأرجاني
٣٥٦	الدهرُ	ابن العلم	٨٤	ما ذخروا	ابن حجاج
٣٦٦	المسافرُ	معقر البارقي	٨٤	السكرُ	محمد بن العفيف
٣٦٨	الضائرُ	الحسين بن إبراهيم	١٠٥	فتمتذرُ	المؤمل
٣٦٩	ويشارُ	عمارة	١٠٩	البدرُ	خالد بن المهاجر
٣٧٠	سافرُ	—	١٢٨	قدارُ	عمارة
٣٧٥	سرور	تميم بن المعز	٢٠٢	عمرُ	عمارة
٣٨٥	يشعرُ	عمارة النبي	٢٢١	القارُ	السراج الوراق
٤١٣	البقرُ	—	٢٢٩	بدور	تميم بن المعز
٣٥٩	مقاره	—	٢٤٩	طاهرُ	الملك الناصر
٥٥	يضرها	الخفاجي	٢٦٩	تذكرُ	أبو العتاهية
٧٩	قرارها	أبو تمام	٢٧٣	تشيرُ	حماد مجرد
٣٣٩	تبورها	مالك بن زغبة	٢٩٢	البسكرُ	ابن حيوس
٣٩٥	حسيرها	الخفاجي	٢٩٩	تشهدُ	»
	* * *		٢٩٧	شمرُ	المتنبي
١١	لم تتخير	ولادة			

٢١٣	—	ولا مُضَر	١٢	عطار	ابن زبدون
٢٣١	—	الخبير	١٦	»	بالأثر
٢٣١	فكري	الشهاب محمود	٤٦	اعتصاري	عدي بن زيد
٢٦٠	الاتصاري	زيد الأعجم	٤٧	الخر	قيس بن ذريح
٢٩٢	أوسار	محمد الرصافي	٦٧	الصفار	الباخرزي
٢٩٣	دهري	أبو تمام	٦٩	الأحرار	أبو المنيع
٢٩٣	الذكر	الشريف الرضي	٧٠	القار	إبراهيم بن المدير
٣٠٢	شكري	ابن المعلم	٧٨	السحر	التهامي
٣٠٥	صدري	الصفدي	٨٠	الأعمار	—
٣١٠	بصيار	ابن الخياط الدمشقي	٨١	الحضور	أبو هلال المسكري
٣١٤	نار	الشريف الرضي	٨٥	الغمر	غيلان بن خرشة
٣١٦	—	بمعدور	١٠٤	شكري	—
٣١٩	من ضمائر	الصفدي	١٠٥	أدري	مسلم
٣٢٣	صهربر	أبو الفتح البستي	١٠٧	الأحرار	البحثري
٣٢٦	والبشر	أبو الأسود	١١١	الفجار	بشار
٣٣٢	داري	ابن عتيق	١٢٠	للكفر	عمار
٣٦٣	من المهجر	ابن المعتز	١٢٧	بأخبار	بعض شعراء ثمود
٣٨٠	لم تشكر	أبو تمام	١٨٤	القار	الباخرزي
٣٨٠	أم عامر	—	١٨٥	البدر	علاء الدين الكليلي
٣٨٤	إيثار	—	١٩٥	من عمر	ابن عبدون
٣٩٧	مكفور	صفي الدين الحلبي	٢٠٢	البشر	»
٣٠٦	بخييره	أبو الحسين الجزار	٢١١	وأشعر	يزيد بن معاوية

٢٢٨ ماخشي ابن عبد الظاهر

٢٢٩ موحيش القائم بأمر الله

٣١٥ بعيشه أبو الفضل الميكالي

(ص)

٥٦ الحريص عدى بن زيد

(ض)

١٠٧ من بعض طرفة

١٩٢ من بعض —

١٠٧ والعرض أبو نخيلة

(ط)

٩ وماشطوا ابن زيدون

٧٨ تخطو طلائع بن رزيك

(ع)

١٢ دع ابن زيدون

٢٧١ نافع الصفدي

٣١٥ ولا استمع عميد الله بن زياد

٣٥٧ جذع —

\* \* \*

٥٧ مظلما عمرو بن الأبرد

٣٥٧ مختارها —

(ز)

٢٥٧ المتحرز ابن الرومي

(س)

١٩ باس ابن زيدون

١١٧ تدليس الصفدي

٣١٤ إيفاس أبو الفتح البستي

\* \* \*

٣١ خمس الباخزري

٧٩ بوس ابن قلاص

١١٧ تدليس صردر

٣٥١ بالإيفاس —

٣٥١ إيفاس الحطية

٣٩٥ لايس أبو العلاء المعري

٣٠ أمسه أبو تمام

(ش)

٢٢٩ من وشي السراج الوراق

\* \* \*

٣٤٧ رشاشها بشار

٣٩٨	أبو تمام	بصرع	١٢٤	علاء الدين الوداعي	مصطفا
٤٠٨	--	ولا يصح	١٧٢	أبو بكر الصديق	طهرا
١٠٩	--	سماعه	٢٠٨	أبو تمام	باتقما
٣٦٠	قيس أو الجنون	شفيقها	٣١٤	علي بن أبي طالب	قنوعا
	* * *		٣٦٢	الحاكم بن قنبر	صنفا
١٦	ابن زيدون	لم يذع		* * *	
٥٤	أصرم بن حميد	الخليع	٣٤٧	عمرو بن معد يكرب	مبتدعة
٨٩	--	شفيق	٥	ابن هرمة	مرفوع
٨	محمد المنقري	بيديع	٦١	أبو ذؤيب	أتضمض
٩٦	العباس بن مرداس	الأفرع	٦٨	أبو تمام	يقطع
٢٨٩	ابن عنين	الأطاع	١٠٣	البحثري	أوسع
٢٩٧	أبو الح- بن الجزار	الترفيح	١٠٣	نصيب	تشفع
٣١٤	ابن نباته	أطاعي	١٦٢	حسان	جميع
٣٦٠	ابن عنين	شافع	٢٠٨	--	يرفع
٣٦١	دعبل	شافع	٢٩٨	أبو تمام	تصدع
٣٦٢	--	شفيق	٢٥٥	ابن قلاقس	مولع
٣٧٧	--	المصنع	٢٩١	ابن المهلم	ترصع
٣٨١	هارة البني	أقطم	٣١٣	البعث	المطامع
٣٨١	--	الودائع	٣٧٨	--	ضائع
٤٠٧	--	بالولع	٣٨١	رشيد الدين العارقي	ضائع
			٣٩٤	ابن المهلم	رضيع

٣٣٦	الأضيافِ الغزى	( ف )	
٤١٠	والأشرافِ —	٧٠	تصرفُ
٢٩٧	فى صحيفه الغزى	٩٥	الشرفُ محمد بن أزدشير
	( ق )		* * *
١١	لا يفارق ولادة	١١٠	وكفى أبو تمام
٣٩٣	اتفق ابن الساعاتى	٢٩٨	تفويهاً أبو تمام
٤٠٨	الأفق —	٣٠٠	رشفا الخفاجى
	* * *	٣٤٠	اللفا ابن حيوس
١٥	راقاً ابن زيدون	٣٩٤	هتماً ابن قلاقس
٨٧	لقى الصفدى	٧٠	تفاقه الباخرزى
٢٥٣	مطلقاً أبو بكر الخوازمى		* * *
٥٠	المقه أحمد بن فارس	١٥	فلحفُ ابن زيدون
	* * *	٨٨	أوف المنبجى
١٨	تعقبُ ابن زيدون	٢٢٨	زخرفوا أبو سعيد الرسمى
٤٧	أزرقُ ابن سناء الملك	٢٣٥	التعطفُ البهاء زهير
٤٧	يشرقُ البجترى	٢٤٤	وهى سلافُ —
٨٧	يملقُ البهاء زهير	٢٨٤	فأعترفُ ابن منقذ
١٨٧	ورقُ أبو شجرة السلمى	٣٩١	ثم تصرفُ ابن الساعاتى
٢٩٩	مسترقُ الغزى	٣٠١	مؤلفه ابن الملم
٣٠٥	ماعشقوا ابن الأحنف	٣٤٣	يألفه الصفدى
٣٢٥	وصديقُ عمرو بن الأهم		

٩٢	ما أزركا مسلم بن الوليد	٣٣٥	فوق الأعشى
	حاكا عبد المطلب	٣٨٣	الحدائق الغزى
١٣٢	ابن هاشم	٣٨٥	والفرزدق ابن الفيسرائى
٢٧١	امساكا المتنبى	٣٢١	الصفدى
			* * *
٢٩٩	عطفكا ابن حيوس	٣٦	الخرزق رؤبه
٣٠٦	كداكا	٤٣	الطريق محمد بن الوحيد
٣٢٦	مالكا ابن الرومى	٥٤	الخالق ابن وهب
٣٤٤	يهواكا الشريف الرضى	١١٧	من التعويق الواسطى
٣٨٣	شمالكا ابن ميادة	١٨٨	بأسوق أحد شعراء الجن
	* * *	٢٧٦. ١٩٢	أمزق المعزق المبدى
٤٩	المهالك الشريف الرضى	٢٢٨	الحنق ابن الساعى
٢٤٧	شرك صفى الدين الحلى	٢٥٨	الحدق ابن الرومى
٢٢٦	وهو ضاحك	٣٩٢	أستقى الغزى
	* * *	٣٩٢	فى نطاق سبط بن التماويد
١٥	منساك ابن زيدون	١٧٢	ورزقه أبو الحـين الجزار
٢٠٧	رماك الشريف الرضى	٣٨١	فانتق ابن القيسرائى
٣٧٤	وصالك	٢٥١	مخلوق محمد بن الإخيمى
	(ل)		(ك)
	قليل عبد الرحمن بن وهب ٥٥	١٣٢	رحالكا عبد المطلب
			* * *

٢٥٥	الشهاب محمود	محلّه	٢١٣، ٢٠٨	ابن الزبيري	الأسن
٢٢٧	كثير	نمالها	٢١١	محمد بن أسلم	مَنْ قَتَلَ
٢٢٨	ابن النقيب	خيامها	٢١٥	—	السَّيْلُ
٣٠٣	ابن قلاقس	قلا	٢٦٧	الصفدي	ها نل
٣٠٨	الصفدي	وفملا	٣١٥، ٣١٣	أبو المتاهية	الرجال
٣٠٩	أن يتحوّلا أبو تمام		* * *		
٣١١	أبو محمد غانم	التحويلا	٦٢	—	الرحلا
	ابن منير	أن يتحوّلا	٦٨	أبو فراس	وكملا
٣١١	الطرابلسي		٨١	كشاجم	غليلاً
٣١٢	الصفدي	الأشبلا	١٨٣	—	جالا
٣٢٤	محمد بن شرف	مقيولا	١٩٣	—	قليلا
٣٢٩	رجاء بن هارون	أولى	٢٣٦	ابن المتمرز	وطالاً
٣٥٥	ابن قلاقس	الشمألا	٢٥٣	—	الحجلا
٣٥٦	محمد بن شرف	تسهيلا	٢٥٥	الصفدي	تمالّ
٣٥٧	أبو العلاء المعري	انطليلاً	٢٨٥	أبو تمام	أن أذلاً
٣٥٧	»	شمالاً	٢٨٧	أبو تمام	المبجلا
٣٦٨	أبو الشمقمق	تمجلا	٢٩٨	المتنبي	عقلا
٣٦٨	الباخرزي	البلي	٢٨٧	أبو تمام	مجهلا
٣٨٩	—	قليلا	٤٠٩	—	غليلا
			٢٧	—	منه



٢٩٢	المتنبي	أشغالُ	٢٩٣	ابن الساعاتي	وعديلا
٢٩٣	الفرزي	أقولُ	٣٠٨	الشافعي	منزلةُ
٢٩٩	الفرزي	صقيلُ	٣٥٥	ابن الساعاتي	دلالةُ
٣٠٢	ابن المعلم	أقولُ	* * *		
٣١٠	ممن بن أوس	متحولُ	٣١	أبو نواس	الرسولُ
٣٢٤	المتنبي	الجميلُ	٤١	—	طويلُ
٣٢٥	—	ومقيلُ	٥٦	القطامي	والزالُ
٣٤٣	الصفدي	منقولُ	٦٨	الفرزي	الصياقلُ
٣٥٧	—	فرحوا	٧٠	ابن قزلباش	السبلُ
٣٦٦	أبو تمام	لبخيلُ	٧٩	ابن قلايس	مطالُ
٣٧٨	صالح بن عبد القدوس	بخلُ	٨٤	ممن بن أوس	منزلُ
٣٩٠	أبو تمام	ستقنلُ	١٠٢	—	الفضلُ
٣٩٢	ابن بابك	السبلُ	١٠٤	إبراهيم بن المهدي	أهلُ
٣٩٥	ابن الساعاتي	يفازلُ	١٠٥	محمد بن عبد الله بن المولى	تبذلُ
٤٠٥	المتنبي	كاملُ	١٣٤	الصفدي	مخدولُ
٤٠٧	—	سائلُ	٢٢٢	أوس بن حجر	جامجلُ
٤٠٨	—	يقبلُ	٢٢٦	الخلنجي	كما قالوا
٤٠٩	أبو العلاء	القبائلُ	٢٣٥	—	فألوا
٤١٠	أبو العلاء	متكاملُ	٢٦٦	—	وتنهلُ
١١٣	—	تخلةُ	٢٦٧	ابن انطيمي	ويسهلُ
١١٣	أبو فراس	كلةُ	٢٧١	المتنبي	فعلوا
			٢٧٩	يحيى بن بقی	دلائلُ

١٠٣	الأمل	الشريف المقيلي	٢٧٥	عاجله	أبو سعيد الرستمي
١٠٣	زلى	إسحاق الموصلي	٢٩١	أسافله	أبو سعيد الرستمي
١٠٩	من المال	امرؤ القيس	٧٦	ذبولها	ابن الخياط الدمشقي
١١٠	في كل حال	الفضل بن محمد			* * *
١٧٣	الفواقل	حسان	١١	ولا ذنب لي	ولادة
١٨٢	بتمخّل	مروان بن أبي الجنوب	١٢	السراويل	ولادة
١٩٤	بفاقل	حسان	١٦	النّصل	ابن زيدون
٢٠٢	مثلي	الذهبي	٣٠	موالي	الغزي
٢٠٢	محل	—	٤٦	أصطلي	ابن سناء الملك
٢٤٣	من العذل	—	٤٦	زلال	الغزي
٢٤٩	على عملي	الأفضل	٤٧	السؤال	ابن حيوس
٢٤٩	حق على	الأفضل	٥٩	ناحل	جحظة
٢٥٠	الأفضل	ابن عنين	٧٣	والإبل	المتنبي
٢٦٧	عواطل	ابن التماويدي	٦٤	مختمال	مستوفي إربل
٢٦٧	من لي	أبو سعيد الرستمي	٦٨	بالصقل	الخفاجي
٢٦٩	المحل	الغزي	٦٩	التساطل	ابن الساعاتي
٢٧٠	بالفقل	الطمراني	٧٥	الماجل	جعفر بن شمس الخلافة
٢٧	مستقل	الصفدي	٧٩	بمعجل	الغزي
٢٨٤	نائل	—	٧٩	الفاصل	عمارة اليميني
٢٨٤	في حقل	أبو سعيد الرستمي	٨١	الدّل	ابن الفيسراني
٢٩٤	ممل	ابن دراج القسطلي	٨٢	حال	—
			١٠١	بالفضل	—

(م)

١١٧	الحشم	عبد الصمد بن بابك	٢٩٤	عمارة البني	بأسمال
١٢٤	منتظر بهم	ابن الرومي	٢٩٨	ابن العلم	الحل
١٨٤	بالرغام	أبو بكر الإسفراييني	٣٠٠	ابن الشبل	نقول
٣٤٦	أن تراقهم	شهاب الدين محمود	٣٠١	المتنبى	قول
٣٥٢	للألم	السراج الوراق	٣٠١	»	والإبل
٣٥٢	ثم ثم	بشار	٣٠٢	الغزى	الجال
٣٢	يرا كما	أبو فرعون	٣٠٥	أبو سعيد الرستمي	مثلى
٦٩	تقوموا	ابن حيوس	٣٠٠، ٣٠٩	عنترة	فتحول
١٠٢	أوما	البحترى	٣٦٣	البسقى	الرجال
١٠٤	سأما	الإمام الشافعى	٣٢٤	عمرو بن أوس	من رجل
٤١١، ٢٠٥	أظلموا	الحصين المرى	٣٢٨	—	الحل
٢١٤	سأما	»	٣٢٨	الرشيد بن الزبير	في زمن
٢١٥	الدماء	»	٣٢٢	ابن مهادة	أهلى
٢٤٨	مظلوما	على بن أحمد البساحى	٣٥٣	الرشيد الفارقى	تنبه لى
٢٧١	أتمظا	البحترى	٣٥٨	امرؤ القيس	فجول
٢٨٦	أنجما	»	٣٨٧	الصفدى	مثلى
٣٠٨	وحاءا	ابن شهيد	٣٩٢	ابن قلافس	السهول
٣٠٨	أمهما	ابن صردر	٣٣٩	—	بالفضل
			١١٥	ظافر الحداد	في تبجيله
			٣٦٦، ٣٦٤	أبو تمام	حالـه
			٣٢٧	الصفدى	فعله

١٨٨	عمر بن الخطاب	وأصوم	٣٥١	أبو الفتح السبتي	صفرًا
٢١١	قيس بن زهير	الحليم	٣٦٥	—	أن يتكلمًا
٢٢٨	عمارة اليميني	فم	٤٠٧	—	صمًا
٢٣٠	ابن الخياط	كلام	٤١١	السيد الجعري	المقاما
٢٣١	الشهاب محمود	كلام	٤٧	ابن الساعاتي	الملازمة
٢٣٦	صفي الدين الحلبي	إلمام	٤١	* * *	لعظيم
٢٣٦	سيف الدين بن المشد	إبلام	٤٢	—	قديم
٢٤٦	—	قديم	٤٥، ٤٢	المتنبي	صمم
٢٥٣	أبو المتاهية	كريم	٦٤	تاج الدين الكلبى	يقالم
٢٥٤	ابن الخياط الدمشقي	انصرام	٦٤	تميم بن المعز	أرقم
٢٨٨	محمد بن غالب الرصافي	مشموم	٦٧	الأحوص	الحسام
٢٩٨	ابن الرومي	النظام	٧١	أبو تمام	يرحم
٢٩٨	المتنبي	ناظم	٧٣	علي بن الجهم	صليم
٣٠٤	البيحري	مظلم	٧٥	شرف الدين البرك	وأنهم
٣٤٢	—	سقيم	٧٧	أبو المتاهية	نسيم
٣٤٤	المتنبي	عدم	٧٩	المتنبي	الجوام
٣٤٥	»	سقم	٨٢	يزيد بن معاوية	يتروم
٣٥٤	شهاب الدين محمود	إمام	٨٧	محمد بن قرطاي	عظيم
٣٥٦	عمارة اليميني	علم	٩٣	أبو الفرج البيهقي	الشم
٣٨٥	أبو تمام	والقلم	١٠٤	أبو نواس	أعظم
٤٠٨	—	القتام	١٠٤	—	مجرم

(ن)		٤	المتنبى	هامة
٣٧	الصفدى	٢٧	ابن زيدون	النسيم-
١٢	ابن زيدون	٧٣	أبو الملاء	محتلم-
١٣	البحترى	٨٣	—	لم يدم-
١٣	الصفدى	١١٧	الحسن بن رشيق	خانم-
١٥	ابن زيدون	١٩٦، ١٩٥	—	المسوم-
٣٦٠	الفرزدق	٢٠٢	البحترى	أعجم-
٣٧	الحريرى	٣٧٥	الفرزدق	الخصارم
٥٠	ابن سناء الملك	٢٨٣	ابن المعلم	باسمى
٥٨	—	٢٨٣	أبو نواس	على علم-
٥٩	سيف الدين الناصرى	٢٩٠	أبو فراس	سموم
٧٤	السراج الوراق	٣٣٢	—	المتقدم
٧٥	—	٣٣٦	المتنبى	بظلم-
١٠٦	أبو فراس	٣٤٩	»	والرّخم-
١١٦	»	٣٥٢	ابن قلاقس	من الخدم-
١٩١	حسان	٣٥٩	الخفاجى	الديم
٢٠٥	عمران بن حطان	٣٦٨	—	الهمّ
٢٠١	بكر بن حماد	٣٩٢	ابن قلاقس	القوائم-
٢٢١، ٢١٩	المتنبى	٤٠٩	—	الدم-
	راحمينا	٤١٤	ابن عبد الظاهر	الحلوم

٤٠٨	—	اللبان	٣٤٨	يزيد بن المهلب	زمانا
٤٩	مستبى	أبو الحسين الجزار	٣٢١	—	الوطفا
٥٣	في بدن	عبد الرحمن وهب	٣٢٨	أبو فراس	أعادينا
٧٠	الدنان	نصر بن سيار	٣٢٤	الغزى	متيقنا
٧٣	أبو بهجران	أبو تمام	٣٤٤	—	توذونا
٨١	—	أبو بهجران	٣٥١	ابن الساعى	الغبنا
١٠٧	الحنان	امرؤ القيس	٣٥٣	الغابي	يقظانا
٢٠٧	الحسين	أحمد بن عيسى الهاشمى	٢٢٤	عمر بن الوردى	مضونته
٢٠٧	الشنان	عمارة	٢٧٣	أبو الشمقمق	لثينة
٢٠٩	—	بليان	٣١٠	—	بمحنة
٢١٧	—	لاتبكي		* * *	
٢٣٠	من الهديان	ابن عطية	١٩	ابن زيدون	الزمن
٢٣٦	دينى	الصلاح الصفدى	٦٤	ابن سديد	ظمان
٢٦٢	يمان	أمامة بنت الجلاح	٨٧	البيهاد زهير	هوان
٢٧٤	عبد المدان	دعبل	٩٣	محمد بن غالب الرصافي	إنسان
٣٠٢	عصيانى	ابن حيوس	٣٧٧، ٢٤٧	ابن الرومى	مرنان
٣٠٣	المعانى	صفى الدين الحلى	٢٤٧	الصفدى	لايطمئن
٣١١	يانسان	أبو بكر الخوارزمى	٣٠٢	ابن حيوس	التمين
٣١٢	الفلزان	الصفدى	٣٤٣	الصفدى	أغصان
٣١٢	»	التميجان	٣٦٥	دعبل	مكين
			٣٧٧	الصفدى	مطمن

٣٨٣	المتنخل	نساء
٣٧	—	مشيه
	(و)	
٢٢١	أبو تمام	عدو*
	(ى)	
٢٥٦	السراج الوراق	عَلَى
٣٧	الصفدى	لذيه
٦٦	أبو الحسين الجزار	لاتخفيه
٢٥٠	الضالح بن رزيك	يديه
٣٤٤	أبو القتاهية	عليه
٣٦١	ابن القيسرانى	عليه
٣٦٣	أبو تمام	مساويه
٣٩٥	الأرجانى	يلقيه
٨٧	الرشيد العراقى	أدنيها
٢٢٣	ابن التلمسانى	واشيها
٢٥٨	الأرجانى	من فيها
٢٢١	المتنبي	زمانيا
٢٥٩	بن محمد بن ورقاء	المباينا عبدالله بن محمد بن ورقاء

٣٢١	—	الحدثان
٣٣٠	—	أوطان
٣٣٠	أبو هلال المسكرى	بمكين
٣٣٥	—	تكفيفى
٣٤٣	الصفدى	الهيون
٣٦٤	السراج الوراق	من جفانى
٣٦٣	ابن عمار	يكفيفى
٣٨٧	—	بأسفانى
٣٨٧	—	أبا عثمان
٣٩٤	الأرجانى	نشوان
	(هـ)	
١١	ولادة	تيتها
٤٧	الأعشى	بها
		يهواها اشرف الدين شيخ
٣٤٤	الشيوخ	
٢٤٩	ابن المعتز	مابها
٣٦٩	ابن صردور	ضميرها
	* * *	
٥٥	أمية بن أبى الصلت	مكروه
٩٤	ابن الخياط	مفاده

	الألف المقصورة				
٧٤	ابن قزل	ارءوى	٢٨١	المتنبى	واليا
٢٠٩	—	سرى	٢٨٥	ابن قلاقس	التوافيا
٣٤٢	السراج الوراق	الجوى	٣٢٨	صفى الدين الحلى	شبابيا
٣٥٤	خالد بن الوليد	اهتمدى	٣٣١	مرار بن هباش	مايا
٣٥٣	ابن سناء الملك	القرى	٣٣	دعبل	الحاشية
٣٦٩	شيوخ الشيوخ	ماطوى	٥٨	—	الهاوية
				* * *	
			١٠٨	امروء القيس	المصى



٤ - فهرس الأعلام

أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ٣٤	(٥)
٢٧٨ أحمد بن حنبل	١٣١ إبراهيم (عليه السلام)
١٠٠ أحمد بن خالد الصريفي	١٠١ إبراهيم السراق (مولى المهلب)
٢٤٨ أحمد بن الخصيب	٨٦ إبراهيم بن العباس
٣٦٥ أحمد بن أبي دواد	١١٧ إبراهيم بن علي بن تميم الحصري
٣٢٤ أحمد بن عبد العزيز المقدسي	٧٠ إبراهيم بن المدبر
أحمد بن عبد الملك بن شهيد	٢٤٧، ١٠٤ إبراهيم بن المهدي
٢١٩، ٦٤ أبو عامر	٢١٢ إبراهيم بن يحيى بن زيد بن علي
٢٦١ أبو أحمد العسكري (الراوي)	إبرهة بن الصباح أبو بكسوم ١٣١،
أحمد بن علي بن ثابت الخطيب	٢١٩، ١٣٤
٥١ البمدادي	١١٥ - ١١٠ إبليس
٢٠٧ أحمد بن عيسى الهاشمي	١٦٠ أبي بن خلف الجحفي
٥٠ أحمد بن فارس	ابن أبي = عبدالله بن أبي بن سلول
٣٦٢ أحمد بن أبي فنن	١٨ الأبيوردي
٣٧٨ أحمد بن محمد الباخرزي	٢٥ الأثير بن بغان
١٢٤ أحمد المازدي أبو العباس	أثير بن عمر والسكوني (الطبيب)
٣٠٧ أحمد بن المعلى الدمشقي	١٩٩، ١٩٨ : ١
الأحنف بن قيس ٢٣٤، ٢٣١، ٩٤	٢٦١ أحمد بن جعفر (الراوي)

أبو إسحاق الفزري ٤٦٦ ، ٣٠  
 ، ٢٩٣ ، ٢٦٩ ، ١٣٠ ، ٦٨  
 ، ٣٢٦ ، ٣٠٢ ، ٢٩٩ ، ٢٩٧  
 ٣٨٢ ، ٣٤٣ ، ٣٣٩ ، ٣٣٤  
 ٢١٧ أسماء بنت أبي بكر  
 ١٤٢ أسماء بنت عمرو بن عدى  
 ٢١٣ إسماعيل (عليه السلام)  
 ٢٠ إسماعيل بن المعتضد  
 إسماعيل بن المنصور  
 ابن القاسم (صاحب إفريقية) ٤٨  
 أبو الأسود الدؤلي ٣١٥ ، ٢٠٦  
 ١٤٩ الأسود بن عبد الأسد  
 ٢٢٥ الأسود بن عبد يفيث  
 ٢٦١ الأسود بن قنن  
 ١٨٩ الأشتر بن الحارث النخعي  
 الأشيرف (الملك) =  
 ٢٧٧ خليل بن منصور  
 ٢٩٣ ابن الأشعث بن قيس  
 ١٣١ أضحمة النجاشي (ملك اليمن)  
 ٥٤ أصرم بن حميد

٦٧ الأحوص  
 ٢٢٥ ، ١٤٦ الأحنس بن شريق  
 ٣٠٧ إدريس بن عبد الكريم  
 إدريس بن عبد الله بن الحسن  
 ٢١٢ ، ٥١ ، ٥٠ العاوي  
 ١٧٤ ، ٨١ ، ٦٠ الأرجاني  
 ٣٩٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩١ ، ٣٦١ ، ٢٥٨  
 ٢٤٣ أزدamerd بن الهربد  
 أسامة بن زيد ١٧٤ ، ١٦٨ -  
 ٢٢٠ ، ١٧٧  
 أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة) ٨٨  
 أبو إسحاق (الراوي) ٢١٧ ، ١٧٢  
 ١٠٣ إسحاق بن إبراهيم الموصلي  
 ٣٦٦ إسحاق بن أبي ربهى  
 إسحاق بن سليمان الإسرائيلي  
 ٤٨ (الطبيب)  
 ٢٧٧ ، ٧٧ أبو إسحاق الصابي  
 ٢٠ إسحاق بن عبد الله الأندلسي  
 ١٩٤ إسحاق بن عيسى (الراوي)

٢٥٤ ، ٢٤٣ أنس بن مالك  
 ٢٢٢ أوس بن حجر  
 ٣٤٩ أم أوفى  
 ١٧٧ إياس بن معاوية  
 ١٩٣ أيمن بن خريم  
 ٥٨ أيوب (عليه السلام)  
 ١٧٠ أبو أيوب الأنصاري  
 ١٧٠ أم أيوب

(ب)

ابن بابك = عبد الصمد

الباخرزي (صاحب الدمية)

١٨٤ ، ٧٠ ، ٦٧ ، ٣٧ ، ٣١

٢٥٢

١٣ المبحثي

١٠٣ ، ١٠٢ ، ٨٥ ، ٥٢ ، ١٧

٢٧١ ، ٢٠٢ ، ١٠٧ ، ١٠٦

٣٠٨ ، ٣٠٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦

٢٢٥ البخاري (صاحب الصحيح)

٢٤٣

١٥١ ، ١٤٦ ، ١٣٨ ، ١٣٧ أبو البختري

٢٧٤ ، ٢٠٤ الأصمى

٢٠٤ ابن الأعرابي

الأعشى (ميمون بن قيس)

٣٤١ ، ٣٣٥ ، ٢٩٣ ، ٤٧

٣٠٧ الأعمش

٨٣ الأعمور المجلي

٢٠ ابن الأفتس

٣٩٥ الأفتسين

الأفضل = علي بن

السلطان صلاح الدين الأيوبي

الأفضل = نور الدين علي

ابن صلاح الدين الأيوبي

٨٠ الأقرع بن حابس

٥٢ ألبا أرسلان (السلطان)

٢٦٢ أمامة بنت الجلاح الكلابية

١٠٧ ، ٨٣ امرؤ القيس بن حجر

٢٧٢ ، ٢٧٠ ، ٢٥٩ ، ١٠٩

٣٥٨ ، ٢٧٣

١٤٦ ، ١٤٤ أمية بن خلف الجمحي

٥٥ أمية بن الصلت المغربي

١٥٥ أمية بن أبي الصلت ( )

٢٣٤ أمين الدولة بن جهمير

البراء بن عازب ١٦١  
 أبو البركات = محمد بن أحمد المنقري  
 بريدة بن الخصيب الأسلمي ١٧٥ ،  
 ١٧٦ .  
 بريرة (الصحابية) ٣٥٩  
 بزرجهر ٣٣  
 ابن بسام (صاحب الذخيرة) ٦ ،  
 ١٤١ ، ٢١  
 بسيس بن عمرو ١٤٥  
 بشار بن برد ٥٦ ، ١١١ ، ٢٧٣ ،  
 ٣٥٥ ، ٣٥٢ ، ٣٤٧  
 بشر بن المفضل ٣٤  
 ابن بشكوال (صاحب الصلة) ٢١  
 أبو بصرة (الراوى) ٣٤  
 البعث ٣٨ ، ٢٧٣  
 أبو بكر المعروف بالملك المادل  
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٥٣  
 أبو بكر بن أحمد بن سعيد الطائى  
 ٢٥١ ، ٢٥٢  
 أبو بكر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد

ابن غالب بن زيدون ٦ - ٢١ ،  
 ٢٣٧ ، ٢٣٩  
 أبو بكر الإسفرايينى ١٨٤  
 أبو بكر الباقلانى ١٧٣ ، ١٧٤  
 بكر بن حماد ١٩٨ ، ٢٠١  
 أبو بكر بن حمزة ١٨  
 أبو بكر الخوارزمى ٦٥ ، ٢١٢ ،  
 ٢٥٣ ، ٣١١  
 أبو بكر بن داسة ٣٤  
 أبو بكر بن سعيد بن القبطرية ٢١٨ ،  
 ٣٢٧ .  
 أبو بكر الصديق ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ،  
 ١٦١ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ،  
 ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،  
 ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ،  
 ٢٤٩ ، ٢٥٦ ، ٣٥٤  
 أبو بكر بن عمار = ابن عمار  
 أبو بكر بن القاسم السلاوى ١٨٣  
 أبو بكر بن مسلم ٦  
 بكر بن النطاح ٥٥

٣٩٠ ، ٣٨٥ ، ٣٨٠ ، ٣٦٧

٣٩٦ ، ٣٩٢

تميم بن المعز ٦٤ ، ٨٥ ، ٢٢٩ ،

٢٧٥ ، ٢٩٧

أبو تميمه الراوى ٣٨٧

تفكز = سيف الدين تفكز

التهامى ٧٨

ابن تيمية = تقي الدين

(ث)

ثابت البنائى ١١٤ ، ٢٥٤

نور بن شحنة العنبرى (مخير الطير)

٢٦٣

(ج)

جابر بن عبد الله الأنصارى ٣٦٦

الجاحظ (عمرو بن بحر) ٩٤ ، ٣٦١

جبله بن الأهم ٤٠٧

جبير بن مطعم ١٥٨

جحظة ٥٩

جرير بن عبد الله (الراوى) ١٤٣

الجزار = أبو الحسين

بلال بن أبى بردة ٧٦

بندار = سيف الدين بندار

البهاء زهير ٣١ ، ٨٧ ، ٢٣٥ ،

٣٥٣ ، ٣١٨

بهرام شاه بن فرخشاه ٥٣

ابن بيض ٥٦

(ت)

تاج الدين الكلبى (الأمير) ٦٤

صهبط ابن التعاوىذى

محمد بن عبيد الله (٢٦٧) ،

٣٩٣ ، ٣٩٢

تقى الدين بن تيمية ١٧٤

الأمير تسكين ٩٤

ابن التلمسانى ٢٢٣

أبو تمام (حبيب بن أوس) ٣٠ ،

٥٩ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ،

٧٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٠ ، ٢٠٨ ،

٢٢١ ، ٢٣٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥ ،

٢٨٧ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،

٣٠٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،

٣٢٨ ، ٣٣٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ،

جعفر التوكل = التوكل  
(الخليفة)

جعفر بن سليمان ١٢٨

جعفر بن شمس الخلافة (شمس الدين)

٧٥

جعفر بن أبي طالب ١٧٧ ، ٢٠٤

جعفر بن الفرز المابد ٣٧٨

جعفر بن مخارق ٣٠٧

جعفران الموسوس ٢٥١

جمال الدين بن الحاجب ٩٨

جنان (صاحبة أبي نواس) ٣٨٨

جندب بن عبد الله ٣٠٧

أبو جهل بن هشام ١٣٦ ، ١٣٨ ،

١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢

ابن جمهور ٣ ، ٦ ، ١٦ ، ٢١ ، ٤١

ابن الجوزي ٢٠٧

(ح)

حاتم الطائي ٢٧٤ ، ٣٢٦

حابس (أبو الأفرع بن حابس) ٩٧

الحادرة ٢٩٢

أبو الحارث ٢٢٤

الحارث بن جبلة ٢٩٥

» بن أبي شمر ٢٥٩ ، ٣٣٣

» بن الصمة ١٦٠

حارثة بن سراقه ١٥٠

حارثة بن مرة (مخير الجراد) ٢٦٣

الحاكم بأمر الله ٦٧

الحاكم بن قنبر ٣٦٢

الحباب بن المنذر بن الجوح ١٤٧ ،

١٨٠ .

حبيب (الراوي) ٢٠٩

حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ٢٦٠

ابن حجاج (الشاعر) ٨٤ ، ٢٧٤ ، ٣٦٢

الحجاج بن يوسف الثقفي ٥٢ ، ٩٦ ،

١١٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،

٢٢٠ ، ٢٤٣ ، ٢٦٥ ، ٣٤٤ ،

٣٧٨ .

حجر بن عمرو (أبو امرئ القيس)

٨٣ .

حجر بن شراحبيل ١٣١

حذيفة بن اليمان ١٥١

الحسين بن هاني = أبو نواس  
 الحسين بن إبراهيم الكاتب ٣٦٨  
 الحسين بن إسماعيل المصعبى ٢١٣  
 أبو الحسين الجزار ٤٩ ، ٦٤ ، ٦٦ ،  
 ١٧٢ ، ٢٠٧ ، ٢٤١ ، ٢٨٥ ،  
 ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٩٧  
 الحسين بن حمدان أبو العشائر ٨٨  
 الحسين الخليلج = الحسين بن الضحاك  
 أبو الحسين بن سراج (الوزير) ٢١٨  
 الحسين بن الضحاك ٣٠٥ ، ٣٤٧ ،  
 ٣٥٦  
 الحسين بن علي بن أبي طالب ٢٠٠ ،  
 ٢٠٣ - ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٤٧ ،  
 ٤٠٠ ، ٤٠١  
 الحسين بن علي بن محمد المعروف  
 بابن قم ٣٩٦  
 الحصري = علي بن إبراهيم بن علي  
 ابن تميم  
 حصن بن حذيفة بن بدر ٩٧  
 ابن الحصب = بريدة  
 الحصين بن الحمام المرى ١٤١ ، ٥٠٢ ،  
 ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٤١١

الحرب بن يزيد التميمى ٤٠١  
 الحبرى (صاحب المقامات) ٣٧ ،  
 ٢٢٣  
 حزام ٧  
 أبو الحزم بن جمهور = ابن جمهور  
 الحزين = عمرو بن عبيد  
 حسان بن ثابت الأنصارى ٣٥ ،  
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،  
 ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٩١ ،  
 ١٩٤  
 حسان بن المصعبى الشبلى ٢٩٠  
 أبو الحسن البرمكى ٢٦١  
 الحسن البصرى ٣٠٤  
 الحسن بن رشيق ١١٧  
 حسن بن شاور ناصر الدين المعروف  
 بابن النقيب ٤٠٤  
 الحسن بن علي بن أبي طالب ٦١ ،  
 ٦٢ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٢  
 الحسن بن القاسم الداعى ٢١٢  
 الحسن بن قحطبة ٢٤١  
 الحسن بن منصور أبو غالب (الوزير)  
 ٩٤ ، ٩٥

ابن حيوس أبو الفتيان ٤٧ ،  
 ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٨٠ ، ٦٩  
 ، ٣٤٨ ، ٣٤٠ ، ٢٩٩ ، ٢٩٢  
 . ٣٩٨

(خ)

خارجة ( أحد الخوارج الثلاثة )  
 ٢٠٢ ، ٢٠٠

ابن خاقان ٦

خالد بن برمك ٣٤٧

خالد بن سنان ١٣٤

خالد بن صفوان ٧٦ ، ٨١ ، ٣١٦

خالد بن طليق ( قاضي البصرة ) ١٨

خالد بن يزيد الشيباني ٣٦٨

خالد بن المهاجر ١٠٩

خالد بن الوليد ١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦

٣٥٤ ، ٢٢٠

خالد بن يزيد بن معاوية ١٥٤ ،

. ١٥٥

الخباب ( من نمود ) ١٢٥

أبو خبيب = عبدالله بن الزبير

خديجة بنت خويلد ١٣٦

الخطيئة ٣٥١

الخطيري الوراق ٢٤٧

أبو حفص بن برد الكاتب ١٩ ،  
 . ٣٠١

الحكم بن موسى ٣٠٧

أبو الحكم بن هشام ١٣٧

حكيم بن جبلة ١٨٩

حكيم بن حزام ١٣٦ ، ١٤٦ ،  
 ١٤٨ ، ١٤٧

حليمة بنت الحارث بن أبي شمر  
 ( صاحبة المثل ) ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،  
 . ٢٩٦

الخليبي ( صاحب النهاج ) ٣٥

حماد بن سلامة ٢٥٤

حماد عجرد ٢٧٣

حمزة بن عبد المطلب ١٣٥ ، ١٤٩ ،  
 ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٣ -

حنة بنت جحش ١٧٠

حميد الطوسي ٢٤١

الحنفية ( أم محمد بن الحنفية ) ١٨٢



أبو دافع العجلي ٣٣٠، ٣٦٥، ٣٦٤

ابن أبي دواد ٧٩، ٢٢٧

(ذ)

الذهبي = محمد بن أحمد

ذو النون المصري ٢٤١

ذؤاب بن عمرو (بن نمود) ١٢٥

أبو ذؤيب الهذلي ٦١، ٦٣

ذو اليمينين ٥٧

(ر)

رأس الجالوت ٢٠٦

الربيع بن زياد العبسي ١٠٩

رجاء بن هارون المكي ٣٢٩

رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز

الحنبلي ٢٠٨

الرستمي = محمد بن محمد الرستمي

الرشيد = هارون

الرشيد بن الزبير القاضي ٣٢٨

الرشيد الفاروق ٣٥٣، ٣٨١

الرشيد = محفوظ المراق ٥٧

الخطابي (صاحب كتاب غريب

الحديث) ٤٠٠

ابن خفاجة ٧٣

الخلنجي القاضي (عبد الله بن محمد) ٢٢٦

الخليل بن أحمد ٢٥٣

خليل بن المنصور قلاوون الملك

الأشرف ٥٣، ٢٧٧

الخنساء ٣٢

خولي بن يزيد الأصبجي ٢٠٦

ابن الخياط الدمشقي (الشاعر) ٧٤،

٣١٠، ٢٦٩، ٢٥٤، ٢٣٠، ٩٢، ٧٦

ابن الخيعي ٢٦٧

(د)

داود (عليه السلام) ١٢٢، ٢٠٦

أبو داود (صاحب السنن) ٣٤، ١٧٦،

أبودجانة الأنصاري ١٥٩

ابن دراج القسطلي ٢٩٣

دعبل بن علي الخزاعي ٣٣، ٢٤٨،

٢٧٤، ٣٦٠، ٣٦٤

ابن دقيق العيد ١٣٠

طبع خطأ في هذا الرقم « دداد ».

زهير بن أمية بن المغيرة ١٣٧ ، ١٣٨

زهير بن أبي سلمي ٢٩٣ ، ٢٩٨

٣٤٩

زهير بن صرد الجشمي ٣٣٣

ابن الزيات = محمد بن عبد الملك

ابن زياد = عبيد الله بن زياد

زياد بن أبيه ٩٤

زياد الأعجم ٢٦٠ ، ٢٦١

زياد بن السكن ١٥٩

الزيادي (الراوي) ٩٩

زيد بن ثابت ١٧٤ ، ١٩١

زيد بن حارثة ١٧٦ ، ١٧٧

زياد الكاتب ٣٦٠

زيد بن أرقم ٢٠٤

زيد بن علي ٢١٢

ابن زيدون = أبو بكر بن أحمد بن

عبد الله بن أحمد بن غالب

زين الدين بن الوردى ١٨٥ ، ٢٢٤

زينب بنت جحش ١٦٨

(س)

أبو الساج ٢١٢

أبورقية (تميم بن أويس الداري)

٢٤٣

الرواح بن ميادة ٣٢٢ ، ٣٨٣

رؤية ٤٦

روح بن زنياع ٢١٠

أبو روح = ظفر الهروي

رومان بن سرحان ١٩٠

ابن الرومي ٥٨ ، ٦٣ ، ١٢٤ ، ٢٩٨

٣٢٨ ، ٣٧٧

الرياشي (الراوي) ٣٠٦

(ز)

الزرقان بن بدر ٢٨٣

ابن الزبير = عبد الله

الزبير (بن بكار) ٢٠٦

الزبير بن العوام ١٤٥ ، ١٦٠ ، ١٧٩

١٨٧ ، ٢٠٠

ابن الرقاق الأندلسي ١٢٤ ، ٣٩٤

الزنجشري ٣٨٣

زمنة بن الأسود بن عبد المطلب

١٣٨ ، ١٤٦

ابن زنجويه ١٨٢

سعيد بن يزيد ٣٤  
 سيار سيف الدين (الأمير) ٢٣٥  
 سلامة (الجارية) ٣٦٧  
 السلامي ١٠٥  
 سلم الخاسر ٥٦  
 أبو سلمة ٢٧٢  
 سليمان بن زبر ٢٥١  
 سليمان بن وهب (الوزير) ١٠٠  
 سليمان بن عبد الله بن طاهر ٢٣٩  
 سليمان بن عبد الملك ٢٠٥، ١١٩  
 سفيان الثوري ٢٧٨  
 أبو سفيان بن حرب ١٥٤، ١٤٤، ١٥٤  
 ٢٦٠، ٢٣٧، ١٦١، ١٥٦، ١٥٥  
 سفيان بن أبي العرجاء ١٨٦  
 ابن سكرة الهاشمي ٢٤٨  
 سكين بن عبد المزيز ١٩٨  
 السماك بن حرب (الراوي) ١٠٨  
 أبو السمط = مروان بن أبي الجنوب  
 أم سليم (امرأة أبي طلحة)  
 الأنصاري (٦٠)  
 السموهلي بن عاديء ٢٥٩

ابن السعدي ٣٩، ٤٥، ٤٧، ٤٦، ٤٩  
 ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٨٠، ٢٩٠  
 ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥  
 سالم بن حامد ٥٢  
 السامري ١٢٢، ١٢٢  
 سدوس بن عيسى ١٨٩  
 السراج الوراق ٨٣، ٢٠٨، ٢٢١، ٢٢٢  
 ٢٢٩، ٢٥٦، ٣٤٢، ٣٥٨، ٣٦٤  
 أبو سرح ٢٣٠  
 ابن أبي سرح ١٩٠  
 ابن سعد (صاحب الطبقات) ٢٠٥  
 سعد بن زيد الصعالي ١٧٥  
 سعد بن عباد الأنصاري ١٨٠  
 سعد بن معاذ الأنصاري ١٤٥  
 سعد بن أبي وقاص ١٤٥، ١٥٩  
 سعيد بن جبير ٢٠٠  
 أبو سعيد الخدري ١٣٢، ١٥٩  
 أبو سعيد الرستمي = محمد بن محمد  
 الرستمي  
 سعيد بن السماك (الراوي) ١٠٨  
 سعيد بن عمرو بن نقيل ١٧٨

(ش)

شأس بن نهار العبدي المعروف

بالمزق ٢٧٥ ، ٢٧٦

شافع بن علي ، ناصر الدين ٤٣

الإمام الشافعي ١٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣٧١ ،

٣٧٢

ابن شبرمة ٧٦ ، ٣١٣

ابن الشبل البغدادي ١١٥ ، ٣٠٠

أبو شعاع السلجوقي ٥٢

أبو شجرة السلمي ١٨٥ ، ١٨٧

شديد الملك بن منقذ ٢٨٤

شرف الدين بن شيخ الشيوخ

= عبد العزيز الأنصاري

شرف الدين عنين = ابن عنين

شرف الدين المبارك = المبارك

مستوفى إربل

الشريف الرضي ٤٩ ، ٢٩٣ ، ٣١٤ ،

٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤٤

ابن سفاء الملك ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٦٩ ،

٣٠٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٣ ، ٣٥٥

سنان بن أنس ٤١١

سنان بن أبي أنس الفخمي ٢٠٦

سهيل بن عمرو ١٤٦

السميلي (عبد الرحمن) ٣٤ ، ٣٥

سودان بن حمران (قاتل عثمان) ١٩٠

سوار بن كعب ١٧٨

السيد الحميري ٤١١

ابن سيد الناس = محمد بن محمد

سيف بليان الطباخي (نائب

حلب) ٢٧٧

سيف الدين السامري ٥٩

سيف الدين بندگان (الأمير) ٥٣

سيف الدين تنكز ٥٣

سيف الدين بن المشد بن قزل = ابن قزل

سيف الدولة بن حمدان ٧٣ ، ١٢٢

٣٤٥

٩٤	جان
	(ص)
	الصابي = أبو إسحاق
— ١٢٥	صالح (عليه السلام)
	٤٠٠، ١٢٨
٢٥٠	الصالح بن رزيك
٢٨٣	صالح بن صالح الشدتريني
٣٧٨	صالح بن عبد القدوس
٣٢	صخر (أخو الخنساء)
٣٦٩، ١١٧، ٣٠	ابن صردر
١٧٢، ١٧١، ١٦٦	صفوان بن المعطل
٢٣٦، ١٨٣، ١٣	صفى الدين الحلبي
٢٤٧، ٢٤٩، ٣٠٣، ٣٢٨	
	٣٣٨، ٣٩٧
٢٩٦	صفية بنت حيي بن الأخطب
٣٥٣، ٣٩	صلاح الدين الأيوبي
	٣٨١
٨٩	ابن صمادح
	صفاجة الدوح = محمد بن العاصم
٤٠	الصنوبري (أبو بكر)

	الشريف العقيلي = علي بن الحسين
	العقيلي
٢٣٩	الشعبي
٥١	للشماخ بن ضرار
٢٠٤، ٢٠٣	شمر بن ذى الجوشن
٢٩٥	شمر بن عمرو الفسائي
٣٦٨، ٢٧٣	أبو الشمقمق
٣٥٣	شمس الخلافة
	شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة =
	جعفر بن شمس الخلافة
	شمس الدين الذهبي = محمد بن أحمد
٢٧٧	شمس الدين بن الساموس
	شمس الدين محمد بن العفيف =
	محمد بن العفيف
٦٩	شهاب الدين الخيمى
٢٥٥، ٢٣١	شهاب الدين محمود
	٣٥٤، ٣٤٦
٣٠٧	شهر يار بن شيرويه الحافظ
١٤٩، ١٤٦	شيمية بن ربيعة
	شيخ الشيوخ = عبد العزيز
	الأنصاري

الاصولي ٣٨

(ض)

ضرار بن الخطاب ١٥٤

ضمضم بن عمرو الففاري ١٤٤

(ط)

طالوت ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢١٩

طاهر بن الحسين ٣٦٨

طاهر بن الفقيه ٣٦

١٤٦ طالب بن أبي طالب

أبو طالب بن عبدالمطلب ٣٦ ، ١٣٥ ،

١٣٩ ، ١٤٠

ابن طباطبا ٨٤

الطبراني ٣٠٧

طميمة بن عدى ١٤٦

الطفراني ٢٧٠

أبو طلحة الأنصاري ٦٠ ، ٦١

طلحة بن عبيد الله ١٥٩ ، ١٦٠

طلائع بن رزيك ٧٨

أبو الطيب = القتيبي

(ظ)

ابن ظافر الأزدي = هلي بن ظافر

ظافر الحداد ٧٨ ، ١١٩

ظفر الهروي أبو روح ٣١٤

(ع)

عائكة بنت زيد بن عمرو

ابن نوفل ١٨٩

عائكة بنت عبدالمطلب ١٣٧

الملك العادل = أبو بكر الأبوي

ابن عامر ١٩٠

أبو عامر (أحد القرشيين في يوم أحد) ١٥٩

عامر الحضرمي ١٤٩

أبو عامر بن شهيد = أحمد بن

عبد الملك

عامر بن الطنيل ٣٤

أبو عامر بن عبدوس ١٠ ، ١٢٠

العائذ = عبد الله بن الزبير

ابن عائشة ٣١٣

عائشة بنت الصديق ٩٠ ، ١٣٤ ،

١٦٥ - ١٧٤ ، ٢٠٠ ، ٢٢٠

عباد (عمدوح ابن زيدون) ١٥

أبو عباد (وزير المأمون) ٩٤

- ١٧٧ عبد الله بن رواحة  
 ٢١٣، ١٦٢ عبد الله بن الزبير  
 عبد الله بن الزبير ٦٩، ١٨٧، ١٩١،  
 - ٢١٣، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠  
 ٢٢٠، ٢١٧  
 ١٩١ عبد الله بن سلام  
 ١٥٩ عبد الله بن شهاب الزهري  
 عبد الله بن طاهر ٩١، ٢٧٠، ٣٧١  
 عبد الله بن العباس ١٣٣، ٢١٧،  
 ٢٢٥، ٢٥٩  
 عبد الله بن عبيد الله بن أبي  
 عبد الله بن عمر ١٨٨، ١٩١، ١٩٢،  
 ٢١٥  
 ١٥٧ عبد الله بن عمرو بن حزام  
 عبد الله بن أبي عيينه = عبد الله  
 بن محمد بن أبي عيينه  
 عبد الله بن القيسيل = عبد الله بن  
 حنظلة  
 عبد الله بن محمد الخفاجي ٥٥، ٦٨،  
 ٢٠٦، ٢٢٢، ٣٠٠، ٣٥٣  
 ٣٥٩، ٣٩٤

- ٢١ ابن عباد  
 ٢٧٦ عباد بن شاس  
 ابن عباد = عبد الله  
 العباس بن الأحنف ١٠٦، ١١٠،  
 ٢٤١، ٣٠٥، ٣٠٦  
 ٣٦٧ أبو العباس السفاح  
 العباس بن عبد المطلب ١٤٢، ١٥١  
 العباس بن علي بن أبي طالب ٢٠٤  
 العباس بن مرداس ٩٦  
 عبد الله بن أبي بن سلول ١٥٥،  
 ١٥٧، ٢٢٠  
 ١٢ أبو عبد الله البطليموس  
 ١٤٧ عبد الله بن جبير  
 ١٥٢ عبد الله بن جدعان  
 ٣٧٧ عبد الله بن جعفر  
 ٣١٥ عبد الله بن الحسن  
 ٢٠٤ عبد الله بن الحسين بن علي  
 ٣٦٤ أبو عبد الله بن حمدون  
 عبد الله بن حنظلة القيسيل ٢٠٩، ٢١٠،  
 ٣٥٩ عبد الله بن خارجة

عبد الصمد بن بابك ٦٧ ، ٢٥٦ ،

٣٩٢ ، ٢٦٩

عبد العزيز الأنصاري شيخ الشيوخ

٣٧ ، ٣٤٤ ، ٣٥٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩

عبد العزيز بن عبد الملك ٢٣٢

عبد المطلب بن هاشم ١٣١ — ١٣٣

عبد الملك بن مروان ٩٦ ، ١٩٥ ،

٢١٣ ، ٢١٦ ، ٣٥٩

عبد الوهاب ، ابن بنت الأعر ٣٧٥

ابن عبد ياليل ٩٠

ابن عبدوس = أبو عامر

ابن عبدوس ١٩٥ ، ٢٠٢

أبو عبيد البكري ٥٦

أبو عبيدة بن الجراح ١٥٩ ، ١٧٥ ،

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١

عبيدة بن الحارث ١٤٩ ، ١٥٤

أبو عبيدة معمر بن النفي ١٠٩ ،

٣١٣ ، ٣٣٧

عتاب بن أسيد ١٧٧

أبو العتاهية ٤٩ ، ٧٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٩ ،

٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣٤٤ ، ٣٧٣

عبد الله بن محمد بن أبي عبيدة ٥٧ ،

٢٧١

عبد الله بن محمد بن ورقاء الشيباني

٢٥٩

عبد الله بن مسعود ١٥٢ ، ٣٢٠ ،

عبد الله بن مسلم بن عقيل ٢٠٤

عبد الله بن المعتز ٤٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ،

٢٧٣ ، ٣٦٣ ، ٣٧٨

عبد الله بن وهب الراسبي ٤١١

عبد الله بن يزيد ٣٧٢

ابن عبد البر ١٧٣ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ،

عبد الجبار بن جهم ٣٧٩

عبد الرحمن بن عوف ١٧٨ ، ١٨٨ ،

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ٢٦٤

عبد الرحمن بن مسلم بن عقيل ٢٠٤

عبد الرحمن بن الفضل ( الراوي )

٢٩٥

عبد الرحمن بن ملجم ١٩٦ — ٢٠١ ،

٢٢٠

عبد الرحمن بن وهب القوصي المعروف

بالزكي ٥٣ ، ٥٤



٣٤٠ ، ٣٨	عدى بن الرقاع
١٤٥	عدى بن أبي الزغباء
٥٦ ، ٤٦	عدلى بن زيد
٢٤٥	عروة بن حزام
٢١٦	عروة بن الزبير
٢٢٧ ، ٢٢٦	عزة (صاحبة كثير)
	العزير الخليفة الأيوبي = عمان
	أبو المشائر = الحسين بن حمدان
٥٢	عضد الدولة
٢٢٥	ابن عطية (الشاعر)
١٤٤	عقبة بن أبي معيط
٢٠٤	عقيل بن أبي طالب
	العقيلي الشريف = علي بن الحسين
١٥٧	عكرمة بن أبي جهل
١٨٥	علاء الدين الكليبي
١٨٩	علاء الدين الكندي
	أبو العلاء المعري ٣٦ ، ٤٤ ، ٧٣ ،
	١٨٣ ، ٢٠٨ ، ٣٥٧ ، ٤٩٥ ،
	٤١٠ ، ٤٠٩
	علاء الدين مفلطاي = مفلطاي
١٢٤	علاء الدين الوداعي

٣٧٥	المقابي
	عتبة (جارية المهدي وصاحبة أبي
٧٧	المقاهية)
	عتبة بن ربيعة ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،
	١٤٩
٥٥	عتبة بن أبي سفيان
٣٣٩	عتبة بن مسلم الباهلي
١٥٩	عتبة بن أبي وقاص
٢٢١	المقبلي
٣٦٢	عتيق بن محمد الوراق
٢٤٩	عثمان العزير (الخليفة الأيوبي)
	٣٥٣
١٩٧	عثمان بن صبيب (الراوي)
	عثمان بن عفان ١٥٥ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ،
	٢٤٩ ، ٢٢٠ ، ٢٠٠
٣٢	أبو عثمان المازني
٢٠٩	عثمان بن محمد بن أبي سفيان
٩٦	المعجاج (الراجز)
٢٧٦	المعجير السلولي
١٨٩	ابن عدس البلوي

علي بن سليمان السكابي ٣٧  
 أبو هلي بن شاذان ٣٠٧  
 علي بن صلاح الدين الأيوبي (الملك  
 الأفضل) ٢٤٩، ٢٥٠  
 علي بن أبي طالب ٩٧، ١٠٨، ١٤٤،  
 ١٤٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢،  
 ١٦٤، ١٦٥، ١٨٢، ١٩٢،  
 ١٩٤، ١٩٥ — ٢٠٢، ٢٢٦،  
 ٢٤٩، ٢٥١، ٤٠١  
 علي بن ظافر الأزدي ١٤١، ٤٠٢  
 علي بن عيسى بن ماهان ٢٤٥، ٣٦٨  
 علي بن قزل المشد سيف الدين =  
 ابن قزل  
 علي بن موسى العلوي ٢١٢  
 الهادي الأصفهاني (الكاتب) ٢٤٣  
 عماد الدين (صاحب حماة) ٢٣  
 عماد الدين بن السكري ٣٧٦  
 عمار بن ياسر ٢٠٠، ٣٣٠  
 ابن عمار الأندلسي ٩٢، ٣٠٨، ٣٦٣  
 حمارة بن يزيد بن السكن ١٥٩

ابن أخت علوية المنفي ٢٢٦  
 علي (غلام ابن زيدون) ١١  
 علي بن أحمد البسامي ٢٤٨  
 علي بن أحمد الجزري ٢٥٢  
 علي بن أحمد الجوهرى ٤٣٢  
 أبو علي بن البناء البغدادي ٣٠٧  
 أبو علي التنوخي القاضي ٣٦١  
 علي بن جلاب ٣٤٢  
 علي بن الجهم ٦٩، ٧٣، ٨٤، ٢٧٣  
 علي بن حرب الطائي ٣٧٨  
 علي بن الحسين الباخري (صاحب  
 الدمية) ٣١، ٣٧، ٦٧، ٧٠،  
 ١٨٤، ٢٥٢، ٣٦٨  
 علي بن الحسين العميلي الشريف  
 ١٠٣  
 علي بن الحسين القيسقاني أبو بكر ٣٣٧  
 أبو علي الروذباري ٣٤  
 علي بن زيد الجدهاني ٢١٧  
 علي زين العابدين بن الحسين ٢٠٤  
 علي بن أبي مرارج ١٨٣

عمارة النبي ١٢٠، ١٢٩، ١٣٩،  
 عمران بن حطان ٢٠٠،  
 عمرو بن الأبرد ٥٧،  
 عمرو بن الأهمم المنقري ٢٧٣، ٣٢٥،  
 عمرو بن أوس ٣٢٤،  
 عمرو بن الحضرمي ١٤٩،  
 عمرو بن سكن ٢٥٩،  
 عمرو بن العاص ٢٠٠، ٣٥١،  
 عمرو بن ود ١٤٦،  
 عمرو بن عبيد المعروف بالحزين ٣٤،  
 أبو عمرو بن العلاء ٣٥٢،  
 عمرو بن مسعدة ٣٥٦،  
 عمرو بن محمد بكرب ٣٤٧،  
 ابن العميد ٣١٠،  
 عمير بن الحمام ١٥٠،  
 عمير بن وهب الجهني ١٤٨،  
 عنبرة الميبي ٣١٠،  
 هفترة (من ثمود) ١٢٦،  
 ابن عنين ٢٢١، ٢٥٠، ٢٦٨،  
 ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٨،  
 ٣٦٠، ٣٦٩.

عمارة النبي ١٢٠، ١٢٩، ١٣٩،  
 ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٢٨، ٢٧٤،  
 ٣٠٣، ٣٥٦، ٣٦٩، ٣٨١،  
 ٣٨٥، ٣٩٧،  
 ابن عمر = عبد الله،  
 ابن أبي عمر العدني (الراوي) ١٧٦،  
 عمر بن الخطاب ٣٣، ٩٨، ١٣٥،  
 ١٥١، ١٦٠، ١٦١، ١٧٥،  
 ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠،  
 ١٨١، ١٨٦ - ١٨٩، ٢٠٠،  
 ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٩٣،  
 ٣٢٠، ٤٠٠،  
 عمر بن أبي رييمة ٢٢٣،  
 عمر بن سعد بن أبي وقاص ٢٠٣،  
 ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٢٠، ٤٠٠،  
 ٤٠١،  
 عمر بن شاهين ٣٧٨،  
 عمر بن شهيد ٣٠٨،  
 أبو عمر بن عبد البر = ابن عبد البر،  
 عمر بن عبد العزيز ٢٠٥،  
 عمر بن علي اللقوي ٢١٢.

٣٥١، ٣٢٣  
 ٢٨٦ الفتح بن خازان  
 أبو الفتيان = ابن حموس  
 ١١٢، ٩٨ فخر الدين الرازي  
 ٣٧١، ٢٨٨  
 ٦٨، ٥٩ أبو فراس الحمداني  
 ٢٩٠، ٢٨٢، ٢٤٩، ١٢٤، ١٠٦  
 ٣٦٢، ٣٢٨  
 ٩٣ أبو الفرج البغفاء  
 ١٨٨، ٨٦، ٤٦، ٣٣ الفرزدق  
 ٣٦٠، ٢٧٥  
 ١١٩ فرعون (صاحب موسى)  
 ٢١٩، ١٢١  
 ١٠٣ الفضل بن الربيع  
 ٣١ الفضل بن عبد الصمد الرياشي  
 ١١٠ الفضل بن محمد القاضي أبو بشر  
 ٣١٥ أبو الفضل الميكالي  
 ٢٦٥ الفضل بن يحيى  
 فيروز = أبو لؤلؤة الجوسي  
 (ق)  
 ٢٣٣ القادر بالله (الخليفة)

١٥٠، ١٤٩ عوف بن الحارث  
 ٣٧١، ٣٧٠  
 ٣٧١، ٣٧٠ عرف بن محلم  
 عون بن عبد الله بن جعفر بن  
 ٢٠٤ أبي طالب  
 ١٧٩ عويمر بن ساعدة  
 ٢١٢ عيسى بن زيد العلوي  
 عيسى بن مريم (عليه السلام) ١٧٤،  
 ١٧٩  
 ٢١٢ عيسى بن موسى العباسي  
 ٩٦ عيينة بن حصن  
 (غ)  
 الغزي = أبو إسحاق الغزي  
 ٣١١ أبو غانم محمد  
 ٨٥ غيلان بن خرشة  
 (ف)  
 ٢١٢، ٢٠٦، ٢٠٥ فاطمة الزهراء  
 ٢٧٨، ٢٥١  
 ٢٧٢ فاطمة بنت قيس  
 ٢٤٧ فتح (صاحب الحظيري الوراق)  
 ٣١٤، ٣١٣ أبو الفتح البستي

القمامى ٥٦  
ابن قلاقس ١٠٤، ١٠٤، ٢٥٠، ٢٧٩

٢٨٥، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٣

٣٥٢، ٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥

ابن قنفة ١٥٩

قيس بن ذريح ٣٦٠

قيس بن زهير بن جذيمة ١٠٩

قيس بن معدى كرب ٢٩٣

قيس بن أبي صعصعة بن صوحان

١٤٤

ابن القيسراني مهذب الدين ٨١

٣٦١، ٣٨١، ٣٨٥

(ك)

كثير عزة ٢٢٦، ٢٢٧

الكسائي ٢٥٣، ٣٨٢

كشاجم ٨١

كعب بن مالك الأنصاري ١٥٤

الكسبي (الراوي) ١٣٥، ٣٩٣، ٣٦٨

القاسم بن ثابت (صاحب الدلائل)

١٥٤

القاسم بن الحسن بن علي بن أبي

طالب ٢٠٤

القاضي الفاضل ٨٢، ١٠٢، ٢٤٣،

٢٧٦، ٣٥٣، ٣٥٥

القاهر بالله (الخليفة) ٥٠

القاسم بأمر الله (الخليفة) ٢٢٩

ابن القبطرية = أبو بكر بن سعيد

قتادة بن النعمان ١٦٠، ١٧٥

قتيبة بن مسلم ٩٨، ٢١٢، ٣٦٧

ابن أبي قحافة = أبو بكر

قدار (عافر ناقة صالح) ١٢٦، ١٢٩

قراصفقر شمس الدين ٢٦٣، ٢٧٧

قرواش = أبو المغيص

ابن قزلباش المشد ٦٠، ٧٠، ٧٤،

٢٣٦

قس بن ساعدة ١٣٤

قطام (المحرضة على قتل العلي)

١٩٦، ١٩٧

المبارك (مستوفى أبريل) ٦٤ ، ٢٠٥ ،

٢٧٥ ، ٣٥٢

المبرد ٧٦ ، ٢٩٤

المقنبى ٤٤ ، ٤٢ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٨٨

٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٧٤ ، ٢٩٣ ،

٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٢٣ ،

٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣ ، ٣٨٣ ،

٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤١٢ ،

المتنخل ٣٨٣

التوكل (الخليفة) ٥٢ ، ٨٤ ، ١٨٤ ،

٢٤٧

مجاهد (الراوى) ١٢٣

المجنون (قيس بن المرح) ٨٦

مجير الدين بن تميم ٣٥٢

مجير الجراد = حارثة بن مرة

مجير الطير = ثور بن شحنة

محب الدين بن العجار ١١٤

محفوظ المراقى ٨٧

ابن كلس (وزير العزيز) ٦٦

كمال الدين بن المديم ٣٣٨

كمال الدين بن النبیه ٢٨٤

الكفيت ٣٤١

كفانة بن بشر التجيبي ١٨٩

(ل)

لقمان ٥٧

أبو لهب ١٣٥

أبو أوازة الجومى (فيروز)

١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٢٠

(م)

مالك بن أنس ٢١٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ،

مالك بن خزيمة الجمفى ٣٨٠

مالك بن زغبة ٣٣٨

مالك بن سنان ١٥٩

مالك بن طوق ٧١

المأمون (الخليفة العباسى) ٩١ ، ٩٢ ،

٩٤ ، ١٠٤ ، ١٧٧ ، ٢١٢ ،

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣١٥ ، ٣٥٦ ،

محمد بن القاسماني شمس الدين ١١٠

محمد بن ثابت بن قيس بن شماس

٢١٠

محمد بن جرير الطبري ٣٧١

محمد بن جعفر أبو الفرج (الوزير)

٢٣٢

محمد بن حاطب ١٥١

محمد بن الحداد المغربي ٣٠٣

محمد بن حذيفة بن عتبة بن ربيعة

١٨٩

أبو محمد بن حزم ٢٠٠

محمد بن الحسن الشيباني ٣٧٤

محمد بن الحسن بن مقسم المطار ٣٠٧

محمد بن حنا الصاحب (تاج الدين)

٢٣١

محمد بن الحنفية ١٨٢، ٢٠٣، ٢٠٤

٢١٧، ٢٠٦

محمد بن خالد الصريفي ١٠٠

محمد الرصافي = محمد بن غالب الرصافي

محمد بن زيد العلوي ٢١٢

محمد (صلى الله عليه وسلم) ٣٤

٣٥، ٦١، ٩٧، ١٣٥، ١٣٩

١٤١ - ١٧٩، ١٩٧، ١٩٨

٢٠٤، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٦

٢٥١، ٢٥٤، ٢٦٦، ٣٠٧

٣٢٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٧

٣٥٨، ٣٧٢

محمد بن إبراهيم (والي نيسابور)

٢١٢

محمد بن أحمد الخازن أبو عبد الله

٩٣، ٣٠٠

محمد بن أحمد الخياط = ابن الخياط

محمد بن أحمد الذهبي أبو عبد الله

٢٠٢، ٢٠٥

محمد بن أحمد المنقري أبو البركات

٨٩

محمد بن الإخميمي نصير الدين ٢٥١

محمد بن أزدشير ٩٤

محمد بن أسلم الأنصاري ٢١١

محمد بن أبي بكر الصديق ١٩٠

محمد بن قلاوون (الملك الناصر)

٤٩، ٢٣٤، ٢٤٩، ٢١٣، ٢٦٤

محمد بن قيم الجوزية ١٦٩

محمد بن كثير ٢١٧

أبو محمد بن مالك المغربي ٨٩

محمد بن المثنى بن الأجدع الممذاني

٢٤٣، ٢٤٤

محمد بن محمد بن بن سيد الناس ١٤٣،

٣٠١

محمد بن محمد الرستمي أبو سعيد

٢٢٨، ٢٦٧، ٢٧٥، ٢٨٣،

٢٨٤، ٢٩١، ٣٠٢، ٣٠٥

محمد بن مفاذر ١٨

محمد بن ناجية الرصافي ٢٦١

محمد بن الوحيد ٤٣، ٤٤

محمد بن يحيى بن زيد ٢١٢

محمود (اسم فيل النجاشي) ١٣١

محيي الدين بن عبد الظاهر ٢٢٨،

٤٠٤

المدائني (الراوي) ٣١٥

مرجانة ابنة سعيد الله بن زياد ٢٠٥

محمد بن سلمة الحراني ٣٠٧

محمد بن عبد الواحد القرشي (الراوي)

٢٠٤

محمد بن شرف الدين القيرواني ٣٢٤

٣٥٦

محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

٢٠٤

محمد بن عبد الرحمن = المستكفي

محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن

المقدسي ٥٩

محمد بن عبد الملك الزيات ٣٠٩

محمد بن عبد الكريم الشهرستاني

(صاحب كتاب الملل والنحل)

١١١، ١١٢

محمد بن العفيف التلمساني ٨٤

محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري

٢١٠

محمد بن علي الواعظ الدوري ٣٠٦

محمد بن غالب الرصافي ٣٦، ١٩٣، ٢٨٨،

٢٩٢، ٣٣٢

محمد بن القاسم (صفاة الدوح)

شاعر الحاكم ٦٧

محمد بن قرطاي الأربلي ٨٧



مسلم بن محمود الشيزري ٣٧٨  
 مسلم بن الوليد ٩٢، ١٠٥  
 مسلمة بن عبد الملك ٢٩٩  
 مصدع بن بريح ١٢٦  
 مصعب بن سميل الزهري ٣٦٧  
 مصعب بن عمير بن هشام ١٤٤، ١٥٧  
 ١٥٨

مطرف بن عبد الله بن الشخير ٣٤  
 المطعم بن عدى ١٣٨  
 الملك المظفر (صاحب حماة) ٥٣، ٥٤  
 ابن المظفر = محمد بن علي الواعظ  
 معاذ بن جبل ١٠٨، ١٧٧، ١٧٨  
 ٢٠٠

معاذ بن عمرو بن الجموح ١٥٢  
 معاوية بن أبي سفيان ٤٦، ٦١، ٦٢  
 ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢١١  
 ٢٥١، ٢٥٢، ٢٩٣

المتعمم (الخليفة العباسي) ٢٤٧  
 المتعمم بن حماد ٥٤  
 المتضد ٢٠، ٢١، ٥٠  
 المعتمد بن عباد ٢١، ٩٢، ٣٣٧  
 المعتمر ١٠٨

(٣١ - تمام التتون)

مروان بن أبي الجنوب أبو السسط  
 ٢٧٣، ١٨٢  
 مروان بن الحكم ١٩١، ٢٠٩  
 ٢١٦

مريم (عليها السلام) ١٧٤  
 مزاحم بن خاقان ٢١٣  
 المسترشد بالله (الخليفة) ٣٦١  
 المستظهر بالله (الخليفة) ٢٣٤، ٣٣٥  
 المستكفي بالله (الخليفة) ١٠  
 مسدد (المحدث) ٣٤

المسدس = لقب ابن زيدون ١١  
 أم مسطح (خالة أبي بكر) ١٦٧  
 مسطح بن أثانة ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢  
 أبو مسمر ١٧٦  
 ابن مسعود ٦٢، ٩١، ٢٢٥  
 أبو مسعود الثقفي ١٣٣

المسهودي (صاحب مروج الذهب)  
 ٦٢

المسهودي (شارح المقامات) ١٧٧  
 مسلم (صاحب الصحيح) ٩١، ٢٢٥  
 ٢٤٣

مسلم بن عقبة ٢٠٩، ٢١٠

المتقصر ( الخليفة ) ٢٤٨  
 منحا ( الصائغ )  
 المنذر بن ماء السماء ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،  
 ٢٩٦  
 المنصور ( الخليفة ) ٩٩  
 منصور بن الحارث الهروي  
 ٨٥  
 منصور بن عكرمة ( كاتب صحيفة )  
 ١٣٨  
 منظور بن زبان ٣٦٠  
 ابن منير الطرابلسي ٣١١  
 أبو المنيع قرواش ٦٩  
 مجمع ( مولى عمر بن الخطاب )  
 ١٥٠  
 المهدي ( الخليفة ) ٧٧ ، ١٠٣ ، ١٧٧ ،  
 ٢٣٥  
 مهدي بن الدين القيسراني = ابن  
 القيسراني  
 مهرش بن غنمة ١٢٥  
 المهلب بن أبي صفرة ٢٦٠ ،  
 ٢٦٢

ابن العذل ٤٠٧  
 المعري = أبو الملاء  
 معمر بن أوس البارقي ٣٦٦  
 ابن المعلم ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،  
 ٣٣٨ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٦ ، ٣٧١ ،  
 ٣٩٤ ، ٣٩٧  
 ممن بن أوس المزني ٨٤ ، ٣١٠  
 ممن بن عدى ١٧٩  
 معوذ بن الحارث ١٤٩  
 معوذ بن عقراء ١٥٢  
 معطاي علاء الدين ٢٣٤  
 المغيرة بن حبناء ٢٢٢ ، ٣٤٧  
 المغيرة بن شعبة ١٨٧ ، ١٨٨  
 المفضل ( الراوي ) ٢٩٥  
 ابن مقبل ٨٥  
 المقدر ( الخليفة ) ٥٠  
 المقداد بن عمرو ١٤٥  
 ابن المقدسي = محمد بن عبد الرحمن  
 المكعب الضبي ٧٩  
 ابن ماجم = عبد الرحمن  
 ابن مليكة ٢١٦  
 الممزق العبدي = شأس  
 منبه بن الحجاج ١٤٦

الناصر = محمد بن قلاوون  
 ناصر الدين بن المقدسي = محمد بن  
 عبد الرحمن  
 نافع بن علقمة الكفائي ٢٧٦  
 نائلة بنت الفراقصة ١٩٠  
 ابن نباتة الأعرور الموصلي ١١٦  
 ابن نباتة السعدي ٣١٤  
 نبيه بن الحجاج ١٤٦  
 النجاشي ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤  
 نجم الدين بن صلاح الدين ٤٧  
 أبو نخيلة (الراجز) ٢٩٩  
 نصر بن سيار الهرمزي ٧٠  
 نصر بن قلاقس = ابن قلاقس  
 النضر بن الحارث ١٤٦  
 نضلة بن هاشم بن عبد مناف  
 ١٣٧  
 النعمان بن بشير ١٩٤  
 النعمان بن المنذر ١٠٧ ،  
 ٣٣٣  
 ابن النقيب = ناصر لدين بن النقيب  
 النوار (زوج الفرزدق) ٣٦٠

مهنأ بن عيسى ٢٦٣ ، ٢٦٤  
 مهيار الديلمي ٧٢ ، ١٠٦  
 مؤرج السدوسي ١٠٨  
 موسى (عليه السلام) ١١٩ ، ١٢٠ -  
 ١٢٢  
 أبو موسى الأشعري ٣٥٨ ، ٤١١  
 موسى بن جعفر بن أبي طالب ٢١٢  
 موسى بن ظفر = السامري  
 الموفق الحكيم المعروف بالورل ٢٠٨  
 المؤمل بن أميل الحاربي ٥٥ ،  
 ١٠٥  
 مؤنس المظفر (أمير الجيش في عهد  
 المعتدر) ٥٠  
 المؤيد = محمد بن أحمد المنقري .  
 ابن ميادة = الرماح  
 (ن)  
 النابغة الذبياني ٧٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،  
 ٢٩٥  
 ناصح الدين القاضي ٦٥  
 ناصر الدين بن النقيب ٢٢٨ ، ٤٠٤

هشام بن السكابي (الراوي) ١٠٩

أبو هلال المسكري ٨١ ، ٢٦١ ،

٣٣٠ ، ٣٣٦

أبو الهيثم (الراوي) ٢٩٦

أبو الهيثم بن التيهان ١٤٢

(و)

الوائق ( الخليفة ) ٢٠٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ،

٢٤٧ ، ٣٦٥

ابن الوحيد = محمد بن الوحيد

أبو الورد البغدادي ٢٧٧

وردان بن مجالد ١٩٦

ابن الوردى = زين الدين

ولادة بنت المستكفي ١٠ ، ١١ ، ١٢ ،

١٥

الوليد بن عبد الملك ١٥٤ ، ١٥٥ ،

الوليد بن عتبة ١٤٩

الوليد بن المفيرة ٢٢٥

(ى)

ياقوت الحموي ١٩٥

يحيى بن أكتثم ١٧٧

أبو نواس ٣١ ، ٤٨ ، ٤٤ ، ١٠٤ ، ١١٥ ،

١١٦ ، ٢٥٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ،

نوح (عليه السلام) ١١٨

نور الدين الأفضل = علي بن

صلاح الدين .

نوفل بن خولد ١٤٦

نيار بن عياض الأنصاري ١٩٠

(هـ)

هارون الرشيد ٩٢ ، ٢١٢ ، ٢٤٥ ،

٢٤٦

هامان ١١٩ ، ١٢٠ ، ٤٠٠ ،

أم هانئ بنت عبد المطلب ١٣٤

هبة الله بن الفضل (الطبيب) ٧٦ ،

٣٠٤

هرم بن سفان المري ٢٩٣

أبو هريرة (الضحاكي) ١٧٧ ، ١٩١ ،

أبو هريرة (الشاعر المصري) ٩٤

ابن هشام (صاحب السيرة) ١٤٥

هشام بن عمار ٣٠٧

هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب

١٣٧

يعقوب بن السكيت ٢٤٨  
 يعقوب بن الليث ٢١٢  
 ابن يغمور ٢٤١  
 أبو يكسوم = أبرهة  
 يوسف بن تاشفين ٢١  
 يوسف الخوارزمي ٥٢ ، ٥٣  
 يوسف بن علي ٥٠  
 يونس بن حبيب ٢٧٣  
 يونس بن يحيى البغدادي ٣٧٨  
 يونس بن يزيد بن الزهري (الراوي) ١٨١

يحيى بن يحيى ٢٨٩  
 يحيى بن زيد بن الحسن بن علي ٢١٢  
 يحيى بن عبد الله المولى ٢١٢  
 يحيى بن عمر الزبيدي ٢١٣  
 يزيد حوراء ٧٧  
 يزيد بن أبي سفينان ٢٢٠  
 يزيد بن عبد الملك ٣٦٧  
 يزيد بن معاوية ٨٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،  
 ٢٠٩ ، ٢٧٣  
 يزيد بن المهلب ٢٤٨ ، ٢٧٨ ، ٣٣٩

(ح)

بنو حزم ١٩٠  
حمير ٢٠٦ ، ٢١٢  
بنو حنيفة ١٨٥ ، ٢٧٦ ، ٢٩٥

(خ)

الخزرج ١٤١ ، ١٤٣  
الخوارج ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٣٤٤

(ر)

ربيعة ٣٦٨  
الروافض ٢٠٠ ، ٢٥١  
الروم ١٢٤ ، ١٧٤

(ز)

بنو زهرة ١٤٦ ، ١٥٤

(س)

آل ساسان ٢١٢  
بنو ساعدة ١٥١  
السكون ٢١٢

(١)

بنو أبان بن درام ٢٠٦  
الأدارسة ٥١  
بنو أسد ٧٦ ، ٨٣  
بنو إسرائيل ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢١٩  
أشعر ٢١١  
بنو أمية ١٧٧ ، ٢١٠ ، ٢٣٢  
الأنصار ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ٢٦٢  
١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ٤٠٠  
الأوس ١٥٣

(ب)

آل أبي بكر ١٦٩

(ت)

تنوخ ٢٠٨ ، ٣٧٠

(ث)

تمود ١٢٥ - ١٤٨ ، ٢١١ ، ٢١٩

(ج)

بنو جمور ١٧

٢١١ عك

العلويون = الطالبيون

بنو عمرو بن عوف ١٥٧

عنزة ٢٧٤

(ف)

القرنج ٤٩

(ق)

قريش ١٣١، ١٣٥ - ١٤٤، ١٣٩ -

١٤٧، ١٥١، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٠،

١٦١، ١٨٤، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٩،

٣٣٣

بنو قريظة ١٦٤، ١٦٥، ٢٢٠،

٤٠٠

بنو القين ٣٨٠

(ك)

بنو كعب ٦٦، ١٣٥

كعب ٢١٢، ٢٦١

كنانة ١٣١، ١٥٦، ١٩١،

كندة ٢٥١

(ل)

لؤي بن كعب ١٣٥

بنو سلمة ١٥٠، ١٥٤،

بنو سليم ١٨٦

(ش)

بنو شمعى ١٠٧

بنو شيبه ٢١٥

بنو شيبان ٢٥٩، ٢٦١،

الشيعة ٢١٢

(ض)

بنو ضبة ٤١١

(ط)

الطالبيون ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩،

الطوائف ٦

طيء ٩٩، ٢٠٠

(ع)

عاد ١٢٥، ٢١١

بنو عامر ٣٤

بنو عبد المدان ٤٠٧

بنو عبد الدار ١٥٧

بنو عبد المطلب ١٣٥، ٣٣٣

بنو عبد مناف ٢١٩

بنو عدى بن النجار ١٥٠

النصيرية ٢٠٠

بنو نمير ٣٦٦

(أ)

بنو هاشم ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥١ ،

٢١٩

(ب)

اليمانية ٢٥١ ، ٣٦٥

٢٠٦ ، ١٤١ ، ٢٠٦

(م)

بنو مازن بن النجار ١٤٢ ، ١٤٤

بنو المصطلق ١٦٥

المعزلة ٣٢

(ن)

بنو نهبان ٤٠٧

بنو النجار ١٦٣

النصارى ١٧٣



بركة الحبش ٩٤	( د )
البصرة ١٨ ، ٢٢ ، ١٧٧ ، ١٨٩	أبني ١٧٧ ، ١٧٦
بطن عارم ٢١٧	أحد ١٥٥ - ١٦٣ ، ٢٢٠
بطلبك ٥٣	الأخشبان ٩١
بغداد ١٧٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٣٤٩	ألبيرة ٢١ ، ٢١٠
البيوم ١٩٣	الأردن ١٢٩ ، ٢١٥
البلقاء ١٧٧	أسود ( اسم جبل ) ١٤٠
البيت الحرام ٢١٣ ، ٢١٧	إشبيلية ٦ ، ١١ ، ٢١
البيت المقدس ٢٢٩	أفريقية ٤٨
( ت )	الأهواز ٢٣٢
تهامة ١٥٦	الأندلس ٦ ، ٢١٢
( ث )	أبلة ١٢٢
الثنية ٢١٦ ، ٣١٣	( ب )
( ج )	باجري ١٢١
الجرف ١٧٥	باخرز ٢٥٢
الجمرات ١٧٥	بدر ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٦٧ ،
	١٧٩
	نوك النقاد ١٤٥

الخيف ٢١٧

(د)

دار بني حزم الأنصاري ١٩٠  
 دار صفية بنت حي بن الأخطيب  
 ٢١٦ دمشق ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٦،  
 ٢٣٢، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٧٧

(ذ)

ذفران ١٤٥

(ر)

الري ٣٧٠

(ز)

الزهراء ١٥

الزيتية ٥٩

(س)

ساصرا ٢١٢

سرف ١٦١

السقيفة ٢١٢

(ح)

الحبشة ١٥٨

الحجاز ١٢٥، ١٤٤، ٢٠٩، ٢١١،

٢١٢، ٢١٣

الحجر الأسود ٢١٤

الحجر ٢١٧

الحجون ١٣٨، ١٣٩

حراء ١٥٣

الحرة ٢٠٨، ٢٠٩، ٣١٠، ٣١١،

٢٢٠

الحرم المكي ١٣١ الحرم النبوي ٦٦،

١٣١ حاب ٢٥٧

حاة ١٣، ٥٣، ٥٤، ٣٤٤

حصص ١٩٤، ٢١٥، ٢٥٢

حنين ١٥١، ٣٣٣

حومانة الدراج ٣٤٩

الحيرة ٥٥

(خ)

خراسان ٩٨، ٢١٣، ٢٦٠، ٣٣٩،

٣٧٠، ٣٦٧

(غ)

الغرب ٥١  
غمدان ١٩٥

(ف)

فارس ٣٤٧  
فنج ٢١٢  
الفرات ٢٠٦  
فلسطين ١٢٩ ، ١٧٦

(ق)

القاهرة ٢٣٤  
جبل / أبي قبيس ٢١٣  
قرطبة ٦ ، ٢١  
قرن الثمالب ٩٠  
قليب بدر ١٥٢  
القيروان ٤٨

(ك)

كربلاء ٢٠٧  
الكرخ ٣٦١  
الكمبة ١٣١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥  
٢١٩  
الكنفاسة ٢١٢

سكة المطارين بالبصرة ٣٢

سوق على بدمشق ٢٥١

(ش)

الشام ٩٩ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ،  
٢١٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٤ ،  
٣٤٦ ، ٣٥١

شعب قریش ١٥٢ ، ٢٢٠

(ص)

الصفراء ١٤٥

جبل / الصفاء ٢١٥

صنماء ١٣١ ، ١٣٣

(ط)

الطائف ١٥٥

طبرستان ٢١٢

(ع)

المدارية ٥٩  
المراق ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤  
عسقلان ١٧٧  
المقبة ١٤١ - ١٤٣ - ٤٠٠

المنصورية ٤٨	الكوفة ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ،
مقي ٢٦٧	٢١٣ ، ٢٥١ ، ٣٤٩ .
الموصل ٣٦٨	( م )
( ن )	العثم ٣٤٩
النهروان ١٩٥	مدائن كسرى ٦٧
نيسابور ٢١٢	المدينة ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ،
( هـ )	١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ،
الهند ٢٥٠	٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
( و )	مرو ٣٧٠
وادي الحجارة ١٢٦	مسجد رسول الله ١٧٦
وادي القري ١٢٥ ، ٢١٠	مصر ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٨٩ ، ٢١٣ ،
( ي )	٢١٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٣٤٩
بنى = أبني	المرّة ٢٥٨
يترب ١٤٥	مكة ٩٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
البن ٨٣ ، ١٣١ ، ١٧٨ ، ٢١٣	١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ،
	١٧٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ،

٧ - فهرس الكتب \*

- أدب الكاتب لاصولي ٣٨  
الاستيعاب لابن عبد البر ١٩٠  
الأسماء والصفات للبيهقي ٣٤  
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢٦٠  
الدلائل لقاسم بن ثابت ١٥٤  
دمية القصر للباخرزي ١٨٤ ، ٢٥٢  
الذخيرة لابن بسام ٦ ، ٢١ ، ١٤١  
سيرة ابن سيد الناس ١٤٣  
سيرة ابن هشام ١٤٥  
صحاح الجوهري ٢٧٦  
طبقات ابن سعد ٢٠٥  
غريب الحديث للخطابي ٤٠٠  
التردوس الأعلى لشهريار بن شيرويه الحافظ ٣٠٧  
فصل المقال لأبي عميد البكري ٥٦  
فضائل أبي بكر لابن زنجويه ١٨٢  
القاصمة للفئة الفاشمة ٣٧١  
قلائد العقيان للفتح بن خاقان ٦  
الكشاف لازخشي ٣٨  
مروج الذهب للمسعودي ٦٢  
معجم البلدان لياقوت ١٩٩  
مناقب الشافعي لفخر الدين الرازي ٣٧١  
نفايس الذخيرة لابن ظافر ١٤١

- أدب الكتاب للصولي ( المطبعة السلفية ١٣٤١ هـ )  
الاستيعاب لابن عبد البر ( مطبعة نهضة مصر ١٣٨٠ هـ )  
الإعجاز والإيجاز للشمالي ( المطبعة العمومية ١٨٧١ م )  
الأعلام للزركلي ( الطبعة الثانية )  
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ( مطبعة التقدم سنة ١٣٣٣ هـ ، ودار الكتب )  
أملى القالى ( مطبعة دار الكتب ١٣٤٤ هـ )  
أملى المرتضى ( عيسى الحلبي ١٤٩٠ م )  
إنباه الرواة على أنباه النجاة للقنطري ( طبعة دار الكتب )  
البداية والنهاية لابن كثير ( مطبعة السعادة ١٩٣٢ م )  
بديع القرآن لابن أبي الإصم ( طبعة مكتبة نهضة مصر )  
البسامة ، وهى شرح قصيدة ابن عبدون ( مطبعة السعادة ١٣٤٠ هـ )  
البيان والتبيين للجاحظ ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ م )  
تاريخ الطبرى ( دار المعارف بمصر )  
تفسير الطبرى ( دار المعارف بمصر )  
تقريب التهذيب ( مكتبة القاهرة ١٩٦٠ م )  
التمثيل والمحاضرة للشمالي ( مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦١ م )  
حسن المحاضرة للسيوطي ( مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٨ م )  
حماسة ابن الشجري ( جيلدر آباد ١٣٤٥ )

- ديوان الخفاجي (مخطوطة دار الكتب رقم ٥١٠٠ - أدب. وطبعة بيروت ١٣٠٩ هـ)
- خاص الخصاص للشعالي (مطبعة السمادة ١٣٢٦ هـ)
- خزانة الأدب للبهنادي (بولاق ١٢٩٩ هـ)
- ابن خلكان (المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ)
- دمية القصر للباخرزي (المطبعة العلمية بحلب سنة ١٩٣٠ م)
- ديوان الأراجاني (بيروت ١٣٠٧ هـ)
- ديوان أبي الأسود الدؤلي - ضمن مجموعة نفائس المخطوطات (بغداد ١٩٦٤ م)
- ديوان الإمام الشافعي (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٦ م)
- ديوان امرئ القيس (دار المعارف ١٩٥٨ م)
- ديوان أمية ابن أبي الصلت (بيروت ١٩٣٤ م)
- ديوان أوس بن حجر (بيروت ١٩٦٠ م)
- ديوان البحترى (مطبعة هندية ١٩١١ م)
- ديوان البهاء زهير (القاهرة ١٢٩٧ هـ)
- ديوان أبي تمام (بيروت ١٣٣٣ هـ)
- ديوان تميم بن المعز (مطبعة دار الكتب)
- ديوان التهامي (دمشق ١٩٦٤ م)
- ديوان حسان بن ثابت (المطبعة الرحمانية ١٩٣٩ م)
- ديوان الحسين بن الضحالك (دار الثقافة ببيروت ١٩٦٠ م)
- ديوان الحماسة بشرح التبريزي (مطبعة حجازي ١٩٢٨ م)
- ديوان الحماسة بشرح المرزوق (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٢ م)
- ديوان ابن حيوس (مطبعة المجمع العلمي بدمشق)

- ديوان الخنساء (الطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٦ م)
- ديوان ابن الخياط الدمشقيّ (طبعة دمشق)
- ديوان ابن درّاج القسطلّيّ (دمشق ١٩٦١ م)
- ديوان دعبل الخزاعيّ (بيروت ١٩٦٣)
- ديوان سبط ابن التعاويذيّ (مطبعة المقتطف ١٩٠٣)
- ديوان ابن الزقاق الأندلسيّ (دار الثقافة بيروت ١٩٦٤ م)
- ديوان زهير بن أبي سلمى (مطبعة دار الكتب ١٣٦٣ هـ)
- ديوان ابن زيدون (مطبعة الرسالة ١٩٥٧ م)
- ديوان الشريف الرضيّ (بيروت ١٣٠٧ هـ)
- ديوان الشريف المقيليّ (مطبعة عيسى الحلبي بمصر سنة )
- ديوان أبي طالب (طنطا ١٩٥١ م)
- ديوان طرفه بن العبد (الأجلو بمصر ١٩٥٨ م)
- ديوان المباس بن الأحنف (دار الكتب ١٩٥٤ م)
- ديوان علي بن الجهم (دمشق ١٩٤٩ م)
- ديوان عمر بن أبي ربيعة (مطبعة السمادة ١٣٧١ هـ)
- ديوان ابن عنين (دمشق ١٣٦٥ هـ)
- ديوان الفرزيّ - مخطوطة دار الكتب رقم ٨٨ - أدب
- ديوان أبي فراس الحمدانيّ (الطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٤ م)
- ديوان الفرزدق (مطبعة الصاوي ١٩٥٤ م)
- ديوان لبيد (الكويت ١٩٦٤)



- ديوان المتنبي (مصطفى الحلبي ١٩٣٦ م)
- ديوان مجنون ايلي (دار مصر للطباعة)
- ديوان مسلم بن الوليد (دار المعارف ١٩٥٧ م)
- ديوان ابن المعتز (مطبعة المحروسة ١٨٩١ م)
- ديوان معن بن أوس (مطبعة النهضة ١٩٢٧ م)
- ديوان ابن مقبل (مطبعة دمشق ١٩٦٢ م)
- ديوان مهيار (مطبعة دار الكتب)
- ديوان اللانبة الذبياني (ضمن خمسة دواوين من شعراء الجاهلية - ١٢٩٣ م)
- ديوان أبي نواس (العمومية ١٨٩٨ م)
- ديوان الهذليين (مطبعة دار الكتب)
- الذخيرة لابن بسام (مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٩٣٩ م)
- شرح العميون لشرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة (مطبعة المدني ١٩٦٤ م)
- سقط الزند (مطبعة دار الكتب)
- السلوك في دول الملوك (مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر)
- سيرة ابن هشام (مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٩٣٩ م)
- شرح نهج البلاغة (مطبعة عيسى الحلبي بمصر)
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا (مطبعة دار الكتب)
- صحيح مسلم (مطبعة عيسى الحلبي)
- طبقات الشعراء لابن سلام (دار المعارف بمصر)
- المبر للذهبي (طبع للكويت)

- العقد لابن عبد ربه ( لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠ هـ )  
العقد الثمين في الشعراء الستة الجاهلين ( ليدن ١٨٧٠ م )  
عيون الأثر لابن سيد الناس ( القدس ١٣٥٦ هـ )  
فصل المقال ( الخرطوم ١٩٥٨ م )  
القاموس المحيط لافيروز آبادي ( المطبعة الحسنية ١٣٣٠ هـ )  
الكامل للبرد ( مطبعة نهضة مصر ١٩٥٦ م )  
الكشاف للزخشي ( المطبعة البهية ١٣٤٣ هـ )  
كشف الظنون لحاجي خليفة ( الآستانه ١٩٤١ م )  
الآلى على أمالي القالى لأبن عبيد البكرى ( لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ )  
لزوم ما لا يلزم لأبن العلاء ( مطبعة الجالية ١٩١٥ م )  
لسان العرب لابن منظور ( بولاق سنة ١٣٠٠ هـ )  
مجمع الأمثال للميداني ( مطبعة الاستقامة ١٩٥٢ )  
مختارات البارودي ( مطبعة الجريدة ١٣٢٧ هـ )  
مروج الذهب للمسهودي ( مطبعة الاستقامة ١٩٤٨ م )  
مصارع المشاق ( مطبعة الجوائب ١٣٠١ هـ )  
معاهد الفقهيين للعباسي مطبعة السعادة ( ١٩٤٩ )  
معجم الأدباء لياقوت ( دار المأمون بمصر ١٩٣٦ )  
معجم البلدان ( مطبعة السعادة ١٩٣٦ م )  
معجم الشعراء للعرزباني ( مطبعة عيسى الحلبي )  
المنظليات ( دار المعارف سنة ١٩٥٢ )  
مقامات الحريري ( مطبعة الحسينية ١٣٢٦ هـ )

الملل والنحل لشهرستند (مكتبة الأنجلو ١٩٥٦ م).

المؤتلف والمختلف للآمدى (مطبعة عيسى الحلبي)

الميدانى = مجمع الأمثال

الوفى بالوفيات (نشرة جمعية المستشرقين الالمانية)

النهاية لابن الأثير (مطبعة عيسى الحلبي بمصر)

نهاية الأرب للنورى (مطبعة دار الكتب)

استدراك وتعليق

صفحة	سطر
٢٦	٢١، ٢٠
تكتب العبارة هكذا: « وما نتهتِك إلا لأنام ، وما سريت لك إلا لأحد السرى لديك ، وإذك متى صنيت عقد أمرى تيسر » ، وانظر الشرح صفحة ٣٥٢ ، ٣٥٥ .	
٣٨	١
سقطت الواو من أول الفقرة الثالثة ، وللصواب إثباتها للمطف .	
٥٢	١٨
صواب الاسم : « ألبا أرسلان محمد بن جعفر المدعو عضد الدولة أبو شجاع السلجوقي » ، وعليه يمدل ما ورد في فهرس الأعلام ص ٤٦٨ هكذا : « أبو شجاع السلجوقي = ألبا أرسلان » .	
٢٠٥	١٧، ١٦
العبارة في الأصل هكذا : « لما قتل قالت مرجانة ابنة عبيد الله بن زياد: خبيث قتل بنت رسول الله ، لا يرى الجنة أبداً » .	
٣٠٥	٢
البيت للحسين بن الضحاك ، وورد منسوباً إليه مع أبيات أخرى في صفحة ٣٤٧ .	
٣٢	
وقع سقط بحد آخر كلمة في آخر سطر من هذه الصفحة ؛ وهو : « فهو ذاو لا يثمر ، وذابل لا ينضُر ، كالوحش الثأى عن وطنه ، فهو فريسة كل سبع ، ورمية كل رام » ، قال الشاعر :	

لقرب الدار في الإفتار خيرٌ من العيش الموسع في اقتراب

وقال أبو الفتح البستي:

لا يعدمُ الدرءُ كِنَّا يَسْتَكِنُ بِهِ

وضمةً بين أهليه وأصحابه

ومن نأى عنهم قات مهاجته

كاليث يحقر لما غاب عن غايه

وقال الأول . . . . .

كذافي الأصل: «أحد بن التصوف الدومي» ولم أهدد

إلى معرفته.